رواية

رحاب حلمي

حب بالإكراه

حكاوي الكتب

Des.Mayar mohamed

www.hakawelkotob.com

حب بالإكراه

رحاب حلمي

حكاوي الكتب للنشر الالكتروني
www.hakawelkotob.com

تصميم داخلي
فاطمة الزهراء

الرواية إهداء

للكاتبة المبدعة

التي اعطتنا الكثير

و مازالت تبدع

مقدمـــــــــة

رغم قساوة الحياة وكثرة متاعبها إلا أننا نجد دائما ما يعيننا عليها وهذا بالفعل ما حدث من دارين التي ما إن فتحت عينيها على الحياة حتى فقدت كل أهلها ولم يبق لها سوى مازن فكان هو الأخ والأب والصديق..... والحبيب!

هذا هو مالم يخطر على بالها يوما. حتى جاء الوقت الذي يضطران فيه إلى الافتراق لتختبر هي حياة جديدة وتختلط بأناس لم تربطها بهم سوى صلة الدم إلى أن تعود إليه

مجددا ولكن تحت مسمى جديد لم تستطع دارين التعامل معه.

فها هو مازن يعود إليها من جديد أو لنقل هي من تعود إليه لتجده قد أصبح زوجا لها. فهل ستثور على هذا الوضع الغريب أم أن مازن سيكون له رأي آخر بهذا الشأن وسينجح في أن يكون حبيبها رغما عنها؟

الفصل الأول

كان يجلس في حجرة المعيشة أمام التلفاز يتنقل بين قنواته بجهاز التحكم الذي بيده وهو يشعر بالملل الشديد فليس لديه أي رغبة بالمذاكرة رغم أن اختبارات نهاية العام ستبدأ بعد شهر تقريبا وهو يطمح في أن يصبح مهندسا كما كان يتمنى والديه ولأنه يرغب دائما في ارضائهما فقد تفوق في دراسته حتى الأن وكل عام ترتيبه لا يخرج عن الثلاثة الأوائل في المرحلتين السابقتين إلى أن التحق بالمدرسة الثانوية ورغم صعوبة المنهج إلا أن كل مدرسينه

يشهدون له بالالتزام والتفوق كما كان
يفعل السابقون.

وها قد أوشك العام الدراسي على الانتهاء
وهو في السنة الأولى من الثانوية العامة
وقد بدأ يشعر بالملل الشديد بسبب ذلك
الروتين اليومي الذي يمارسه حيث يستيقظ
مبكرا كل صباح ليذهب إلى مدرسته التي
لا تبعد كثيرا عن مكان سكنه، ومن
المدرسة إلى صالة الألعاب الرياضية التي
يمارس فيها رياضته المفضلة وهي
الكاراتيه والتي رغم إجادته لها بشهادة
مدربه إلا أنه يرفض المشاركة في
المسابقات الرياضية التي تنظمها المدرسة.
ثم يعود إلى المنزل من جديد ليبدأ رحلته

مع الكتب فينتقل من اللغة العربية إلى
اللغة الأجنبية الأولى ومنهما إلى علم
النفس أو الجغرافيا..........وغيرها.

كل ذلك جعله يشعر ببعض التمرد على
طريقة الحياة التي يعيشها والتي قد زاد من
رتابتها أنه ليس لديه أي أصدقاء تقريبا
يمكنه أن يخرج معهم قليلا أو أن
يشاركونه في مذاكرة دروسه فهو مع
الأسف لديه شخصية انطوائية صلبة جعلت
زملائه يتجنبونه، بالإضافة إلا أنه وحيد
أبويه فليس لديه إخوة يمكنه أن يتحدث
معهم أو حتى يتشاجر معهم على أتفه
الأسباب كما كان يرى غيره يفعل، وقد زاد
ذلك الاحساس لديه بعد أن فقد أخته

الصغيرة منذ عام والتي لم تكن قد أتمت
من العمر ربيعها الخامس.

وبينما وهو يجلس على هذا الوضع، ينظر إلى التلفاز ولكنه لا يركز في البرامج المذاعة على شاشته إلى أن سمع صوتا ذكوريا ينادي باسمه بالطبع كان صوت والده فهذا هو وقت عودته من الورشة، وعلى الفور نهض مازن الشرقاوي ليخرج من الحجرة كي يحمل عن أبيه ما كان يتوقع أنه قد أحضره معه إلى المنزل اليوم فهو معتاد دائما قبل عودته إلى المنزل أن يبتاع لهم أنواعا مختلفة من الفاكهة ودائما ما ينادي على مازن كي يأخذ ما أحضره ليعطيه إلى والدته التي كانت في تلك الساعة من

كل يوم في المطبخ تعد لهم طعام الغداء،
ثم يدخل الوالد حجرة نومه ليستبدل ثيابه
بثياب أخرى مريحة وفي تلك الأثناء
تكون الوالدة قد أعدت طاولة الطعام
لثلاثة أفراد ثم يجلس ثلاثتهم يتناولون
طعامهم وكل منهم يقص على الأخرين
كيف مر يومه حتى تلك الساعة؟ وبعد
الغداء ينصرف كل منهم إلى عمله فمازن
يذهب مجددا إلى مذاكرته، أما الأم عفاف
فتمارس ما تمتاز به من أعمال يدويه وهو ما
تسميه ذلك الاسم الذي كثيرا ما لا
يحالفه الحظ عندما يحاول أن يتذكره وهو
الكروشيه. أما الوالد فيتناول مصحفه ليقرأ
ورده اليومي حتى يؤذن لصلاة العصر فينزل

لتأدية الصلاة ويصطحب ابنه الذي يعود فور آدائه للصلاة أما الوالد فيذهب إلى المقهى ليقابل بعض أصدقائه يتسلى معهم بلعب الطاولة حتى المساء.

كل ذلك جال بخاطره وهو يخرج لاستقبال والده ويقول بصوت عال: حاضر يا بابا، انا جاي أهوه.

ولكن ما إن رأى أبيه يقف بالقرب من الباب حتى وقف مكانه مشدوها فور أن وقعت عيناه على تلك الصغيرة التي بدا أنها لم تتجاوز الخامسة من عمرها بعد و كفها الصغير يتمسك بأصابع راحة والده الكبيرة بشدة، أما يدها الأخرى فتعبث

بفستانها الأزرق القصير بإهمال وشعرها الأسود اللامع الطويل معقوصا بالخلف على شكل ذيل الحصان، وعندما رآه والده محمود على تلك الحال لا يحرك ساكنا بدأ ينبهه وهو يشير إلى الكيس الذي يمسكه بيده الأخرى و ينهره بلطف قائلا: جرى ايه يا مازن، مش ناوي تشيل عني الكيس دة وتديه لمامتك ولا ايه؟

بدا أن مازن لم يسمع ما قاله والده حيث انطلق السؤال من فمه دون أن يترك مكانه ولا يبدو عليه الاستعداد لذلك: مين دي يا بابا؟

أخذ محمود بضعة لحظات قبل أن يجيب وقد بدا عليه التفكير: دي....دي...

ولكنه لم يستطع أن يكمل وكانت تلك المرة الأولى التي يراه فيها مازن متحيرا إلى تلك الدرجة. أهو يحاول أن يتذكر اسمها؟ أم أنه يفكر في صفة مناسبة يمكنه أن يضفيها عليها؟ هكذا تساءل مازن في نفسه إلى أن خرجت والدته عفاف من المطبخ بوجهها البشوش وهي تقول مازحة: فيه ايه يا مازن؟ هو انت مش قادر تشيل اللي بابا جايبه النهاردة لوحدك ولا ايه؟

هي أيضا لم تقل دهشتها عن ابنها وكان نفس السؤال: مين دي يا محمود؟

فقال مازن لوالدته بمشاكسة: شكل كدة بابا عملها واتجوز عليكي يا فوفا.

بالطبع استطاعت عفاف أن تلتمس نبرة المزاح في صوت ابنها ولكنها لم تستطع أن تتجاهل ذلك القلق الذي بدأ ينهش تفكيرها فسألت زوجها بحدة: ما تتكلم يا محمود وتقولنا مين دي؟

محمود بارهاق: مانتو لو تسكتوا شوية وتسمعوني هقولكم كل حاجة، بس تعالوا نقعد الأول عشان شكل البنت بدأت تتعب.

فاتجهت أنظار مازن ووالدته مرة أخرى ناحية تلك الطفلة التي بدأ الخوف يظهر بوضوح على ملامحها الطفولية البريئة.

وبالفعل جلس أفراد الأسرة وقد رفضت
الطفلة الصغيرة أن تجلس إلا بجوار محمود
الذي بدأ حديثه قائلا: النهاردة وأنا قاعد
أدام الورشة بستريح وبشرب كوباية شاي
لقيت الشاب اللي اسمه كمال دة ابن أخو
فؤاد شريكي جاي وفي ايده الطفلة دي
وبيسأل عن عمه بس البنت كانت مموتة
نفسها من العياط ولما سألته عنها قالي ان
وهو خارج من المول اللي شغال فيه بعد ما
خلصورديته لقاها في طريقه وهو مروح
وعمالة تعيط فقعد يحايلها شوية لحد ما
هديت وفضل واقف جنبها فترة مستني ان
حد يشوفهم ويتعرف عليها بس للأسف دة ما
حصلش فقام جايبها معاه لكنه ما كنش

عارف يتصرف معاها وطبعا لانه قاعد

لوحده مع والدته وانتوا عارفين انها ست

كبيرة ومش هتقدر تاخد بالها منها فقام

جايبها لعمه يخليها عنده لحد ما يشوفوا

هما هيعملوا ايه معاها؟ بس طبعا فؤاد مجاش

الورشة النهاردة عشان كان واخد مراته

يكشفولها زي ما قالي امبارح، فلما قولتله

كدة لقيت الشاب يا عيني واقف محتار

فأخدت منه الطفله وقولتله ان انا ههتم بيها

لحد ما هو يروح ويطمن على والدته ويجيلي

بالليل عشان نشوف حل للمشكلة دي

وأديني جيبتها معايا بعد ما جبتلها

بسكويتة كدة كلتها عشان كان باين

عليها جعانة اوي، وادي كل الحكاية.

فنظرت عفاف إلى الطفلة بحنان حيث بدأت تشعر نحوها بالشفقة وهي تقول: يا عيني يا بنتي يا ترى امك عاملة ايه دلوقت؟ اكيد مموته نفسها من العياط عليكي.

فقال مازن بسخط: ماهي لو كانت فعلا بتحبها وخايفة عليها ما كنتش سابتها لوحدها لحد ما تاهت منها.

فنظر إليه والده بلوم وقال له: يا بني ما تتسرعش في أحكامك، مين عارف حصل إيه وقتها وخلاهم يبعدوا عن بعض؟

مازن ولم تقل حدة صوته ولو قليلا: ولو يا بابا. مفيش أي مبرر يخلي الأم ممكن تسيب

بنتها لوحدها في سن زي دة وتتشغل عنها بأي حاجة تانية.

فاتجه محمود بنظره إلى عفاف متسائلا حيث لم يعجبه موقف ابنه المتحامل كما أنه بدأ يلاحظ عليه اتجاهه للعنف منذ فترة، أما عفاف فقد بدا أنها لا تملك جوابا مريحا لتساؤلاته، فقال محمود لابنه مبتسما وهو يغير موضوع الحديث: طيب بقولك ايه يا بطل؟ انا ميت من الجوع، ما تروح انت توضبلنا السفرة عقبال ما ماما تاخد القمر دي تغيرلها.

مازن بانصياع: حاضر يا بابا.

وبعد أن ترك مازن الغرفة، انتهز محمود الفرصة التي قد صنعها بنفسه وسأل زوجته بقلق: هو مازن ماله؟ أنا حاسس انه متغير اليومين دول.

عفاف: واللّه معاك حق يا محمود، انا بردو شايفة انه متغير ومش عارفة ايه اللي مغيره كدة. دي حتى مذاكرته بدأ يهمل فيها، انا فعلا بدأ قلبي ياكلني عليه وكل ما بسأله بيقولي مفيش حاجة يا ماما. اتكلم معاه انت يمكن يرضى يسمعلك.

فهز محمود رأسه بتفهم وهو يقول: ان شاء اللّه، بس دلوقتي بقى خدي البنت وغيريلها

ولبسيها أي حاجة من بتاع هدى بنتنا اللّه يرحمها.

بدا على عفاف التأثر من ذكره لاسم ابنتهما المتوفية وقد تجمعت الدموع في عينيها، فلاحظ زوجها ذلك ولكنه حاول تدارك الأمر سريعا فقال بصوت جاهد كي يخرجه مرحا: جرى ايه يا عفاف؟ احنا مش هناكل النهاردة ولا ايه؟

ثم داعب خد الصغيرة في حنان وهو يستطرد: ولا عاوزة الآنسة في أول زيارة ليها عندنا تقول علينا بخلا؟

وبالفعل قد نجح محمود في رسم البسمة على شفاه زوجته التي نهضت وهي تمد يدها

ناحية الطفلة: لا ازاي؟ حاضر، هروح بس أغيرلها بسرعة عقبال مانت كمان تكون غيرت وبعدين أروح أشوف مازن وصل لحد فين؟

في البداية لم تستجب الطفلة لها وظلت يدها معلقة في الهواء أما الصغيرة فقد تعلقت عيناها بمحمود الذي أومأ لها برأسه فأطاعت الطفلة ذلك الأمر الصامت ووضعت يدها الصغيرة في راحة عفاف التي ابتسمت في سعادة وأخذتها وخرجت بها من تلك الحجرة تتتبعانهما عينا محمود في أسى

****

وفي المسجد بعد أن أدى المسلمون فريضة الصلاة وذهب كل منهم في طريقه ليباشر أعماله أو لقضاء حاجاته، بينما جلس محمود في أحد أركان المسجد مع ابنه يسأله بحنان: قولي بقا يا بطل انت مالك؟

فأجابه مازن وقد علت الدهشة وجهه: مالي يا بابا؟

محمود: أنا ومامتك ملاحظين انك متغير اليومين دول، دة غير كمان مامتك بتقول انك بدأت تهمل في مذاكرتك. يا ترى ايه السبب بقا؟

وأشار إليه بسبابته محذرا: بس قولي الصراحة.

مازن: أبدا يا بابا مفيش حاجة. كل الحكاية اني بقيت حاسس بملل كتير اليومين دول ومش ليا نفس أعمل أي حاجة.

محمود: بس دي مش أي حاجة. دي مذاكرتك، يعني مستقبلك. وما ينفعش انك تهمل فيها أيا كان السبب.

ثم صمت قليلا وهو يرى نظرة التمرد في عيني ابنه فهو يعلم أن تلك المرحلة التي يمر بها ليست سهلة. انها مرحلة المراهقة ومهما كان الشخص الذي يمر بها يتمتع بعقلية رزينة كابنه فهو بالطبع سيتعرض لبعض مساوءها، فاستكمل كلامه يقول:

طيب ما تحاول تغير من حياتك شوية يا مازن.

مازن بحيرة: ازاي يعني؟

محمود: شوف يابني انا عارف ان مليكش اصحاب، ودي حاجة مش كويسة ، يعني انت لو كان ليك اصحاب كان ممكن تشجعوا بعض أكتر ع المذاكرة.

مازن: بس انا طول عمري بحب أذاكر لوحدي.

محمود: طب ما تجرب تغير وتشوف ممكن يحصل ايه؟

مازن: بس صعب اوي اني اتصاحب على حد لاني ساعات بحس ان زمايلي مش حابين يتعاملوا معايا أو انهم يقربوا مني.

محمود: طيب انت حاولت انك تقرب من حد فيهم وهو صدك؟

فهز مازن برأسه نافيا وهو يقول: الصراحة لا.

محمود: طيب ما تحاول ومش هتخسر حاجة، بس بشرط مش كل الاصحاب لازم يكونوا كويسين، الصديق الحقيقي هو دايما اللي تلاقيه بيعين صديقه وبيساعده ويقف جنبه، وبيشجعه دايما على عمل الخير واذا شاف صحبه بيعمل حاجة غلط على طول تلاقيه بينصحه ولو ما استجابش ممكن

كمان يزعقله او حتى يضربه لانه عارف انه لو صاحبه استمر في الغلط دة فممكن يضيع نفسه ويخسر دينه ودنيته، عشان كدة لازم تختار صح لأن المرء على دين خليله.

مازن: طيب وانا أعرف منين يا بابا؟

محمود: في البداية لازم الشخص دة يكون متدين ويعرف ربنا ومتفوق في دراسته ، بس انت عشان لسة صغير وخبرتك في الدنيا قليلة فوارد انك تسيء الاختيار عشان كدة لما تتعرف على أي حد ياريت تبقا تعرفني عليه. اتفقنا؟

مازن وقد بدا عليه الاقتناع قليلا: اتفقنا.

****

وفي المنزل حيث حضر كمال في الموعد المحدد وجلس مع محمود وزوجته في حضور الطفلة الصغيرة التي كانت تجلس في حضن عفاف بعد أن اعتادت عليها، وكان سؤال محمود المتوقع: طيب وانت ناوي على ايه دلوقت يا كمال يابني؟

كمال بحيرة: واللّه مانا عارف يا عم محمود و انا اسف لاني حشرتكم معايا في المشكلة دي، بس انتوا عارفين ان والدتي ست كبيرة وهي مش حمل الاطفال ومناهدتهم.

عفاف بلهجة صادقة: ولا يهمك، دي حتى بنوتة زي العسل، وروحها خفيفة.

لا يعلم محمود لم قد انتابه القلق من بداية تعلق زوجته بتلك الطفلة، ولكنه لم يكن الآن في وضع ليشغل باله بهذا الأمر:

طيب يابني دة احنا حتى مش عارفين اسمها ايه؟

فانطلقت عفاف تقول بعفوية: دي دي.

فنظر محمود وكمال اليها بتساؤل، فشرحت لهما الأمر وهي تمتد يدها لرقبة الطفلة ممسكة بسلسة ذهبية معلقة بها: وانا بغيرلها لاحظت السلسة دي في رقبتها ومكتوب عليها دي دي.

محمود بتفهم: بس بردو دة ما يوصلناش لأي حاجة.

كمال: طيب أنا عندي اقتراح.

محمود بلهفة: قول يابني.

كمال: انا بقول ان ممكن تكون الطفلة دي كانت جاية المول مع والدتها وتاهت منها لحد ما خرجت الشارع فأنا هاخدها معايا الشغل بكرة ان شاء اللّه لان ممكن اهلها ييجوا تاني عشان يدوروا عليها فيلاقوها.

بدا أن هذا الاقتراح لم يلق استحسانا لدى عفاف التي قالت: طيب افرض بقا ان دة ما

حصلش يبقا ما ينوب البنت غير انها تتبهدل معاك في المول.

فنظر اليها كمال بيأس إلى أن قال محمود: طيب انا عندي فكرة، انت لما تروح يابني بكرة الشغل تبلغ الامن في المول انك لقيت طفلة وأي حد يسأل عليها يبقا يكلموك دة غير كمان انت ممكن تحط إعلان في القسم بتاعك اللي انت شغال فيه انك معاك طفلة تايهة وأي حد يشوف الاعلان لو كان ليه علاقة بأهل الطفلة هيبلغك.

كمال بعد تفكير قليل: والله فكرة يا عم محمود. بس هي الفترة دي لحد ما أهلها

يسألوا عنها هتقعد فين؟ انا شايف اني أخدها وأديها لعمي فؤاد و أهي تقعد مع بنته غادة يعني أهو سنهم قريب من بعض.

فاعترضت عفاف بحدة منافية لشخصيتها الهادئة: وليه ما تفضلش معانا هنا؟ انا بردو هعرف أخد بالي منها، ع الأقل انا معنديش أطفال وأهو مازن ماشاء اللّه عليه كبير ويقدر يهتم بنفسه أما صفية فبنتها غادة لسة صغيرة وهي مش هتقدر تهتم بالبنتين.

لاحت من محمود نظرة سريعة إلى زوجته وقد بدأ القلق بداخله يزداد من تعلق زوجته بتلك الطفلة، أما كمال فقال وقد شعر بالحرج من هجوم عفاف المباغت: أنا ما

اقصدش، بس خايف أحسن البنت تسببلكم

أي ازعاج.

عفاف وهي تداعب الطفلة بابتسامة هادئة

والطفلة تجيبها بابتسامها الطفولية

البريئة: مفيش أي ازعاج، دي دي هتفضل

عندنا لحد ما يبان لها أهل.

كمال باستسلام: خلاص اللي تشوفوه.

وبنظرة خاطفة إلى زوجها علمت فيم

يفكر؟ ولكن الأمر لم يكن بيدها

فهناك شيء ما أصبح يجذبها لهذه الصغيرة،

فربما تذكرها بابنتها الفقيدة.

الفصل الثاني

وفي اليوم التالي نهضت الأسرة مبكرا، وكالعادة أعدت الأم الفطار وجلسوا جميعا حول طاولة الطعام ككل يوم باستثناء ذلك الضيف الجديد الذي لا يعلمون عنه سوى أنه يدعى دي دي التي بدأت تعتاد على وجودها في قلب تلك الأسرة الصغيرة كما لاحظ مازن مقدار تبدل حال والدته التي لم تعرف السعادة الحقيقية طريقا إلى قلبها بعد وفاة أخته الصغيرة إلا منذ أن حضرت تلك الفتاة.

وبعد تناول وجبة الافطار ذهب كل في طريقه، محمود إلى ورشته،ومازن إلى مدرسته، أما عفاف فظلت مع الفتاة تلاعبها وهي في قمة السعادة.

****

وفي المدرسة وتحديدا في أحد الفصول جلس مازن بالخلف في مقعده المعتاد الذي لا يشاركه فيه أحد، ذهنه مشغول بالحديث الذي قاله له والده وهما في المسجد وقد قرر أن يعمل بنصيحته لذلك كانت عينيه تجوب الفصل وتتفرس في كل زملائه لينتقي منهم صديقا بتلك الصفات التي أخبره عنها والده إلى أن وقعت عيناه على ذلك الطالب الذي وقف ليجيب أحد

الأسئلة التي طرحها عليهم المدرس، هو
على علم مسبق بمدى تفوق ذلك الطالب
بل إنه كان يسكن في أحد الأحياء
القريبة من المنطقة التي يسكن فيها مازن
ولكن بالطبع فطبيعة مازن لم تسمح له
بمعرفة الكثير عن هذا الفتى فقرر أن
يتابعه من وقت لآخر وبالفعل فقبل انتهاء
اليوم الدراسي أعجبته شخصيته فبدا أنه
محافظ على الصلاه حيث رآه في وقت
الفسحة يدخل المسجد ويؤدي فريضة
الظهر مثله، كما لاحظ أن معلوماته
الدينية لا بأس بها وقد ظهر ذلك جليا في
حصة التربية الإسلامية يتناقش مع
المدرس وكأنه أحد دارسي الفقه، إلى جانب

تفوقه في باقي المواد الأخرى بالطبع، وفي النهاية قرر مازن أن يتعرف على ذلك الطالب المدعو عبدالرحمن ولكن ما السبيل إلى ذلك؟ حسنا! فهناك طريقة واحدة يمكنه بها أن ينفذ خطته، وقبل بدء الحصة الأخيرة توجه مازن إلى مقعد عبدالرحمن مترددا بعض الشيء إلى أن وقف أمامه وقد استجمع شجاعته وهو يقول له: لو سمحت معاك قلم زيادة؟

وبعد لحظات قليلة من الاندهاش ابتسم له عبدالرحمن وأخرج من حقيبته قلما أعطاه إياه: اتفضل.

أخذ مازن منه القلم وعاد مرة أخرى إلى مقعده وهو يشعر بعيني عبدالرحمن تتبعانه وهذا بالفعل ما أراده.

وجاء وقت الخروج من المدرسة فذهب مازن مجددا إلى عبدالرحمن ليعيد إليه القلم وهو يقول بابتسامة امتنان حقيقية: متشكر أوي يا عبدالرحمن.

عبدالرحمن بابتسامته المعتادة التي لاحظ مازن أنها لا تفارق وجهه إلا نادرا: خليه معاك أنا معايا غيره.

مازن رافضا عرضه بتهذيب: لا، متشكر، احنا خلاص مروحين وأنا مش محتاجله.

وبعد إصراره لم يجد عبدالرحمن بد من أن يستعيد القلم، ثم كان اقتراحه الذي راق مازن كثيرا: انت مش مروح؟ طيب ما تيجي نروح مع بعض ماحنا من نفس المنطقة تقريبا.

مازن مبتسما: اوك، ياللا بينا.

وبالفعل خرجا سويا ترمقهما نظرات باقي الزملاء المليئة بالدهشة والتساؤل، وعندما وصلا إلى بوابة المدرسة استوقفه عبدالرحمن وهو يقول: معلش يا مازن، هنستنا حسام واحد صاحبي في فصل 2/1 هو بردو جارنا من نفس المنطقة واحنا متعودين نمشي مع البعض.

لم يكن في حسبان مازن أن يتعرف على صديق آخر قبل أن يختبر صداقته الأولى ولكن لا مفر من ذلك وبالفعل انتظرا قليلا إلى أن حضر حسام وبالطبع لم يتعرف عليه مازن، ولكن عبدالرحمن قد أخذ على عاتقه مهمة التعارف حيث قال لمازن بابتسامته الودودة: حسام نصرالدين زميلنا في 2/1 وساكن في الشارع اللي ورايا، وعلى طول بنذاكر في بيته عشان معندوش أخوات بنات، فبنكون على راحتنا أكتر وكمان أخوه كلية هندسة وساعات بيساعدنا في المذاكرة.

ثم استطرد ليقول لحسام: ودة بقا يا سيدي.

فقاطعه حسام مازحا: مازن محمود الشرقاوي، عيب عليك يا شيخ عبدالرحمن، دة احنا حتى جيران، بس غريبة يعني إيه لم الشامي ع المغربي؟ كلنا عارفين ان مازن دايما قاعد لوحده في برجه العاجي، إيه اللي خلاه مرة واحدة كدة ينزل ويتعامل مع عامة الشعب اللي زينا؟

فشعر مازن بالإحراج الشديد ليس من كلام حسام وحسب ولكن أيضا من تلك الفكرة البغيضة التي كونها معظم الطلبة عنه، فقال وهو يهم بتركهما: طيب عن اذنكم أنا.

ولكن أمسكه عبدالرحمن من ساعده وهو يقول: على فين يا مازن؟ مش اتفقنا اننا هنروح مع بعض ولا انت زعلت من هزار حسام؟

ثم وجه حديثه إلى حسام قائلا بصرامة: اعتذرله يا حسام.

حسام معترضا: يا عم انا كنت بهزر.

عبدالرحمن مصرا: حسام انت غلطت فيه ولازم تعتذرله وما تنساش ان مازن لسة ما يعرفكش ولا فاهم هزارك.

بدا ذلك المشهد لمازن وكأنهما الأب يعنف إبنه على خطأ ارتكبه، ثم رأى حسام يطيع الأمر ويعتذر له كما طلب منه

عبدالرحمن ولكن على طريقته فانحنى قليلا مستعرضا ثم نزع تلك القبعة الوهمية عن رأسه وهو يقول بتهذيب مبطن بالسخرية: آسفين يا سمو الأمير.

لاحظ مازن تلك النظرة النارية في عيني عبدالرحمن والتي كانت من نصيب حسام ولكن قرر أن يتجاهلها خاصة عندما اعتذر له عبدالرحمن ايضا بالنيابة عن صديقه: معلش يا مازن، هو حسام دايما كدة على طول بيهزر وبيحب التمثيل ماهو مشترك في فرقة المسرح اللي في المدرسة.

قبل مازن اعتذارهما، وبينما وهم في الطريق استطاع أن يجمع المزيد من المعلومات عنهما

فعبدالرحمن هو ابن الشيخ سليم إمام الجامع بمنطقتهم ولديه أخت أصغر منهم بثلاث سنوات، أما عن حسام فوالده يعمل محاميا، ولديه أخ واحد في كلية الهندسة الميكانيكية.

وقد استطاع حسام بفكاهاته التي لاتنتهي أن يضفي جوا من المرح على صحبتهم لم يختبره مازن من قبل وكان من ضمن الحوار الذي دار بينهم أن سأله حسام: بس احنا سمعنا يا ميزو انك بتلعب كاراتيه،مش كدة؟

مازن متعجبا: ميزو؟

فابتسم حسام موضحا: مش انت اسمك مازن؟ يبقا ميزو، زي عبدالرحمن ما بقوله يا عبده.

فرد عليه مازن بابتسامة مماثلة: طيب وانت بقا المفروض نقولك ايه؟

حسام بفخر: أنا حس.

مازن ضاحكا: ماشي يا سي حس، وانا فعلا بلعب كاراتيه.

حسام مشاكسا: طيب ما تورينا شوية حركات من بتوعكم.

كلامه أضحك كل من مازن وعبدالرحمن للحظات متواصلة إلى أن استطاع

عبدالرحمن أن يتمالك نفسه ويسأله:

يوريهالك ازاي يعني؟ تحب يضربك مثلا؟

حسام على الفور: لا يا عم بعد الشر، انا قصدي يعني انه يختار اي واحد في الشارع يتخانق معاه ويضربه.

فتعجب مازن من اقتراحه وسأله: اتخانق معاه ازاي يعني؟ كدة من غير سبب؟

حسام: لو مش عاوز تبدأ انت يا سيدي انا ممكن أروح أعمل مشكلة مع أي حد وانت طبعا لأنك صاحبي هتيجي تدافع عني.

وهنا تحدث عبدالرحمن قائلا بتعنيف لصديقه: ايه اللي انت بتقوله دة يابني؟ ما تعقل شوية بقا يا حس.

مازن: ع العموم يا حسام لو عاوز تشوفني وأنا بتمرن ممكن تبقا تيجي معايا الجيم بس طبعا بعد الامتحانات لأني مش بروح دلوقت.

لم يبد على حسام الاقتناع التام ولكنه أذعن لرغبته قائلا: ماشي.

وبعد لحظات قليلة لمعت فكرة في عقل مازن قرر تنفيذها على الفور فقال لهما: يا جماعة احنا قربنا من ورشة الموبيليا بتاع بابا، ممكن بس نعدي عليه أشوف إذا كان محتاج مني حاجة ولا لا قبل ما أروح؟

انتظر مازن أن يسمع منهما كلمات الرفض في البداية، ولكنهما عكس توقعاته أجابا في صوت واحد: ماشي.

****

وفي الورشة جلس محمود مع صديقه فؤاد الذي قال بتأثر: لا حول ولا قوة إلا باللّه، معقول الاهمال يوصل لحد كدة؟ طيب والبنت عاملة إيه؟

محمود: الحمد للّه كويسة بس طبعا لسة مستغربانا وبتتعامل معانا بحذر، لكن أم مازن واخدة بالها منها.

فؤاد: ربنا يباركلها ويعوضها خير.

بدا محمود مترددا قليلا إلى أن حسم أمره وقرر أن يبوح لصديقه بما يقلقه فهو دائما كاتم أسراره والناصح له في أغلب مشاكله فالخمس سنوات الفرق بينهما جعلته يعتبره

أخ كبير وليس فقط مجرد صديق: واللّه يا فؤاد، أنا خايف إن عفاف تتعلق بالبنت أكتر من كدة وخصوصا إنها تقريبا في عمر هدى اللّه يرحمها، فأكيد بتفكرها بيها.

فؤاد: ودة يقلقك في ايه يعني؟

محمود: لأنها لو اتعلقت بيها أكتر من كدة هيبقا صعب عليها أوي انها تفارقها، ولما نوصل لأهلها وترجع ليهم عفاف ممكن تتصدم تاني، والمرادي اللّه أعلم بقا باللي ممكن يحصل، انت ناسي ان الدكتور بعد وفاة هدى حذرنا من انها تتعرض لأي صدمات تاني؟

حاول فؤاد طمئنة صديقه وهو يربت على كتفه: ربنا ما يجيب حاجة وحشة يا محمود، ارمي حمولك على اللّه وهو عمره ما هيخذلك.

محمود: ونعم باللّه!

فؤاد مشيرا إلى الطريق أمامه: مش دة مازن ابنك؟

فاتجه محمود بنظره إلى حيث يشير وقد اعتلت الابتسامة وجهه: اه هو.

فؤاد مندهشا: بس مين دول اللي معاه؟ أنا عمري ما شفت ابنك بيمشي مع حد.

لم يشبع محمود فضول صديقه بل انتظر حتى اقترب منهما مازن ورفيقاه: السلام عليكم.

محمود وفؤاد: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

محمود متصنعا الجدية بطريقة فهمها ابنه: خير يا مازن فيه حاجة؟ ومين دول يابني؟

مازن: دول زمايلي يا بابا في المدرسة، دة عبدالرحمن ابن الشيخ سليم إمام الجامع، ودة حسام ابن الاستاذ نصرالله المحامي.

بالطبع كان تعريف مازن مختصرا لأنه يعلم أن والده على علاقة جيدة بكل جيرانه وبالتأكيد فلن يصعب عليه التعرف عليهما،

وبالفعل قال لهما محمود مرحبا: ازيكم يا شباب، عاملين ايه؟

عبدالرحمن وحسام: الحمدللّه.

محمود: انتو الاتنين مع مازن في نفس الفصل؟

عبدالرحمن بتهذيب: لا يا عمي، انا ومازن في فصل واحد بس حسام في فصل تاني.

محمود: طيب وعاملين ايه في المذاكرة بقا؟

فأسرع حسام يقول بحماس: مية مية يا عمي، وان شاء اللّه زي كل سنة من العشرة الأواخر، قصدي الأوائل.

فضحك محمود وصديقه فؤاد بصوت مرتفع من مزاحه، ثم قال لهما فؤاد بنظرة إعجاب: ربنا يحميكم ويوفقكم يا شباب.

الجميع: يارب.

ثم قال مازن لأبيه: طب مش عاوز حاجة يا بابا؟

محمود: لا يا مازن، ربنا يبارك فيك يابني، روح انت عشان ماما ما تقلقش من تأخيرك.

مازن: حاضر يا بابا، سلام عليكم.

محمود وفؤاد: وعليكم السلام ورحمة اللّه وبركاته.

وبعد رحيل الأصدقاء أعاد فؤاد سؤاله السابق: من امتى يا محمود وابنك بيصاحب حد؟

محمود مبتسما وهو يقول بغموض: من النهاردة.

****

عاد مازن إلى المنزل ووجد أمه في المطبخ كالعادة ولكنها هذه المرة كانت تتحدث مع أحدهم، فتعجب مازن من ذلك حيث قد نسي أمر تلك الزائرة الصغيرة، فلم ينتظر حتى ليتخلص من حقيبته التي خلف ظهره، ولكنه دخل المطبخ على الفور ليجد عفاف تجلس خلف الطاولة التي بالمطبخ تعد

الطعام وعلى الكرسي بجوارها تجلس دي دي والتي كانت بيدها احدى الدمى الخاصة بأخته هدى وكذلك مشط صغير خاص بالأطفال وتحاول أن تصفف لتلك الدمية شعرها، وسمع أمه تقول لها مبتسمة: شاطرة يا ديدي، ياللا بقا اعمليلها ضفيرة.

فرأى الطفلة تنظر إليها في حيرة وكأنها لا تفهم ما تعنيه أمه التي وجدها تشير إلى رأس الفتاة وهي تقول لها: دي اسمها ضفيرة يا دي دي، تعرفي بقا تعملي للعروسة واحدة زيها؟

ولأول مرة يلاحظ أن شعر الفتاة قد حولته أمه لضفيرة طويلة زادت من جاذبيتها، أومأت

الطفلة برأسها وبدأت تعبث بشعر الدمية محاولة تنفيذ ما طلبته منها عفاف ولكن دون جدوى، فتركت عفاف ما بيدها و أمسكت بالدمية وهي تقول لدي دي: طيب انا هوريلك هي بتتعمل ازاي.

وبالفعل شرعت عفاف في التنفيذ شارحة الخطوات التي تقوم بها للطفلة بكل بساطة وقد علت البسمة وجه الصغيرة وبدا عليها السرور.

لم يرد مازن أن يفسد تلك اللحظات السعيدة عليهما فانسحب إلى حجرته بهدوء كما حضر بهدوء ولم ينتبه إليه أحد.

دخل حجرته و أبدل ثيابه وقد بدأ يذاكر دروسه حيث شعر برغبة قوية تدفعه إلى ذلك، ثم فجأة ظهرت أمامه صورة لذلك المشهد الذي رآه منذ قليل لوالدته مع تلك الطفلة والبسمة الي تزين ثغر كل منهما، ثم وجد نفسه لا إراديا يتمنى أن تبقى تلك الفتاة معهم الى الأبد.

الفصل الثالث

مشهد متكرر حيث نجد محمود مجتمعا في بيته مع كل من زوجته و كمال بالإضافة إلى فؤاد الذي قال بقلق: يعني إيه الكلام دة يا كمال يابني؟

كمال وهو يشعر بالأسف وقلة الحيلة: واللّه يا عمي هو دة الكلام اللي المدير قالهولي.

عفاف مستنكرة: ايه الناس اللي معندهاش رحمة دي! وفيها إيه يعني لو حطيت إعلان ع الباب بإنك لقيت بنت تايهة من أهلها؟

كمال: هو قالي إن دة مكان تجاري غير مسموح فيه بالحاجات اللي زي دي، وإن دي مهمة البوليس ولازم أبلغ.

محمود بعد تفكير قليل: أنا شايف إن معاه حق، احنا فعلا لازم نبلغ ونخلي مسئوليتنا. مش جايز أهلها دلوقت دايخين ع الاقسام والمستشفيات؟ وخصوصا إن البنت هيئتها ولبسها بيقولوا انها بنت ناس ميسورين.

عفاف محتجة: طيب ماهي كدة ممكن البنت تتبهدل في الاقسام ولو محدش من أهلها لقاها هيبقا مصيرها انها تترمي في ملجأ أيتام والبنت يا عيني مش هتستحمل البهدلة هناك.

ساد الصمت للحظات بعد كلام عفاف إلا أن قال فؤاد أخيرا: طيب أنا عندي فكرة.

انتظر حتى انتبه إليه الجميع، ثم أكمل قائلا: أنا ليا ظابط معرفة، هقوله الموضوع، ونصور البنت ونديله الصورة، ولو لقى أي بلاغ عن البنت إنها مفقودة يقولنا.

لقى اقتراحه استحسان كل من كمال وعفاف، إلا أن محمود مازال هناك شيء بداخله يريد أن يرفض هذا الاقتراح ولا يعلم ماهيته فسأل فؤاد: طيب لو أهلها ما كانوش بلغوا لأي سبب؟

فردت عفاف بعفوية: يبقا هتفضل معانا,

تبادل محمود النظرات القلقة مع صديقه وكأنه يخبره بأن هذا بالفعل ما كان يخشاه.

****

بعد عدة ايام وقد ازداد التعارف بين مازن وصديقيه الجدد ،بل الوحيدين، بعد أن أخذ الإذن من والده لتقوية علاقته بهما، وبالفعل فكان من الطبيعي أن يذهبوا إلى المدرسة سويا ويعودوا سويا وكذلك تبادلوا أرقام الهواتف المنزلية. وبينما وهما في طريقهم إلى منازلهم قال حسام بتوسل لمازن: ياللا بقا يا مازن، دة الامتحانات قربت خلينا نذاكرلنا كلمتين يمكن ينفعونا في الايام اللي ما يعلم بيها غير ربنا دي.

عبدالرحمن مازحا: خلاص يا عم المتسول، واللّه ساعات بشك انك دخلت ثانوي بس بدعا الوالدين.

حسام متصنعا الجدية: ربنا يخليهم لينا، دة احنا من غيرهم هنتشرد واللّه وما كناش حصلنا حتى دبلوم زراعة قسم خراطيم.

ضحك الأصدقاء الثلاثة ثم عاد حسام إلى سؤاله مجددا: قولت ايه بقا يا سي ميزو، هتيجي معانا؟

مازن مترددا: واللّه أنا عن نفسي معنديش أي مشكلة بس بابا هو اللي ممكن يرفض.

حسام بثقة: لا يا عم ، من الناحية دي اطمن، دة حتى باين على باباك انه كيوت

خالص، ولو تحب كمان اننا نعدي عليه في الورشة دلوقت ونقوله مفيش مشكلة.

مازن: لا خلاص أنا هقوله وإن شاء اللّه يوافق.

حسام: بس ياريت يا ميزو حاول تقنعه بضمير شوية خلي نفسنا تتفتح بقا ع المذاكرة.

عبدالرحمن مشاكسا: قصدك تتفتح ع المطبخ.

ثم أكمل مفسرا لمازن: أصله طول ماحنا قاعدين كل شوية يقوم يجيب يا اما أكل يا اما عصاير وبيتحجج لمامته بانه بيضايفني يعني.

حسام مدافعا عن نفسه: جرى ايه يا عم عبده؟ مش بنذاكر ولازم نتغذى بردو؟

عبدالرحمن متهكما: تتغذى! وياريت باين عليك يا أخي.

حسام وهو يرفع ساعديه لأعلى بطريقة المصارعين: يابني دة بسبب الرياضة، ايش فهمك انت في الحاجات دي؟

عبدالرحمن ساخرا: يابني دة هو ماتش كل جمعة، ما تعملش فيها بقا ابو تريكة.

بالطبع لم يكن مازن يفهم الكثير من حديثهما فسأل مستوضحا: ماتش ايه؟

عبدالرحمن: أصلنا كل جمعة يا سيدي بنلم بعض ونلعبلنا ماتش كورة.

فأكمل حسام مازحا: أهي حاجة نضيع فيها وقت فراغنا بدل ما نتجه للانحراف.

عبدالرحمن مبتسما وهو يحيط بذراعه كتف حسام بود: ودة كان سبب معرفتنا ببعض.

مازن: ربنا ما يحرمكم أبدا من ببعض.

فجذبه عبدالرحمن من يده ووضع ذراعه الأخر حول كتفه لينضم إليهما: ربنا يبارك في صداقتنا ودايما نعين بعض ع الخير.

وأكملوا طريقهم سويا ملتحمين كالشخص الواحد لبداية علاقة قوية تمنوا أن تربطهم معا للأبد.

****

قد اعتاد الجميع على تواجدها معهم وهي أيضا تخلت عن انطوائها وأصبحت تشاركهم حياتهم بل إنها أصبحت تملأ المنزل لعبا وضحكا جعلت كل القلوب تتعلق بها، وكان قد مر أكثر من أسبوعين ولم يصلوا إلى أي معلومة عن أهلها و عفاف أحيانا تتمنى داخلها ألا يفعلوا فهي لا تريد أن تنفصل عنها مجددا. نعم مجددا فلقد اعتبرتها تعويضا من ربها عن فقدان ابنتها، ولكنها تعود وتستغفر ربها وتفكر في تلك الأم الأخرى التي ربما تتحرق الآن شوقا لصغيرتها، فتشفق على الاثنتين معا

الأم وابنتها وتدعو اللّه أن يجمعهما مجددا في أقرب فرصة.

أما عن مازن فقد تبدل حاله تماما أو لنقل أنه تحسن، فقد أصبح أكثر نشاطا ومرحا ويهتم بدروسه التي قد اعتاد على أن يذاكرها مع صديقيه في منزل حسام بعد أن أذن له والده، ثم يعود إلى البيت والابتسامة تعلو وجهه ليبدأ لعبه مع دي دي وسط تشجيع وضحكات والديه اللذين قد سعدا كثيرا بهذا التغيير.

وفي أحد الايام اجتمعت الأسرة سويا وكان مازن كعادته يلاعب الطفلة ممسكا بدمية تشبه الأراجوز محركا إياها في حركات

استعراضية وهو يتحدث إلى الطفلة مقلدا عدة أصوات جعلها تغرق في دوامة من الضحك المتواصل، أما الأب الذي كان يطلع على احدى الكتالوجات في يده الخاصة بأثاث المنازل فقد كان يتابعهما من وقت لآخر، وكذلك عفاف التي كانت تمارس هوايتها المفضلة(الكروشيه) فكانت تبتسم على النكات التي يطلقها ابنها، فهكذا أرادت لعائلتها أن تكون، وفجأة قال محمود بعد أن ألقى نظرة سريعة على ساعة يده: الوقت اتأخر يا مازن، كفاية لعب لحد كدة، وادخل اوضتك بقا عشان تراجعلك شوية قبل ماتنام الامتحان فاضل عليه تلات أيام بس.

مازن بثقة: ماتخافش يا بابا، ابنك مستعد للامتحان في أي وقت. وتقريبا انا وعبدالرحمن وحسام قفلنا كل المواد مراجعة ودلوقت بنحل مع بعض امتحانات وبس.

محمود: طيب و يا ترى بقا بتذاكروا كويس ولا مقضيينها لعب وهزار؟

مازن مبتسما: بصراحة يا بابا، ساعات كدة وساعات كدة، يعني اوقات بناخدها جد أوي ونذاكر لحد ما نتعب ونهنج وفجأة تلاقي حسام طلعلنا بحاجة جديدة من هزاره تخلينا نموت على روحنا من الضحك وننسى التعب اللي كنا حاسين بيه.

محمود بخبث: وطبعا تنسوا المذاكرة.

أجاب وكان لم تفته طريقة والده في استدراجه بالحديث: لا يا بابا اطمن، ماحنا معانا المنبه عبدالرحمن، اول ما يحس ان الوقت بدأ يضيع مننا بيسكت حسام ونرجع للمذاكرة تاني.

ثم قال وقد ظهرت على وجهه أثار الحيرة: تعرف يا بابا، ساعات كتير مش بحس انهم اصحاب ومن سن واحد ،لا وكمان أحيانا لما بشوف حسام بيستجيب لكلام عبدالرحمن بسرعة وبيخاف على زعله بحس انهم زي الأب وابنه مش مجرد أصحاب وأخوات وبس.

محمود مبتسما: ماهو دة المعنى الحقيقي للصداقة يابني، ان الانسان يخاف على مصلحة صديقه يمكن أكتر من مصلحته وفي نفس الوقت لازم يكون الطرف التاني مقدر دة كويس، ويسمع لنصيحة صاحبه ولو شافها في صالحه يبقا يعمل بيها.

مازن بصدق: حقيقي يا بابا أنا سعيد جدا لاني اتعرفت عليهم.

عفاف التي كانت تتابع الحوار صامتة: ربنا يخليكم لبعض يابني ويوفقكم ويسعدكم ويحققلكم كل اللي بتتمنوه.

مازن وهو يهم بالنهوض: طيب عن اذنكم أنا بقا هدخل أنام.

ثم لاحظ تلك التكشيرة على وجه الفتاة التي قالت متذمرة وهي تشير له بالأراجوز: مازن، الألاجوز.

فأخذه مازن من يدها وبدأ يقلد صوت الأراجوز وهو يقول لها: دي دي. مازن لازم ينام بدري عشان يصحى بدري. ودي دي كمان لازم تنام بدري.

دي دي محتجة: لا، دي دي عاوزة تلعب.

مازن بنفس الصوت: هو احنا مش قولنا العيال الحلوين يقولوا حاضر وبس؟

دي دي مستسلمة: حاضر وبس

التقت نظراته المشدوهة فجأة بنظرات زوجته والتي قد لاحظت هي الأخرى في

الآونة الأخيرة مدى تأثير مازن على دي دي، و التي دائما تستجيب لتلك الطريقة البسيطة التي يستخدمها في اقناعها.

****

خرج الأصدقاء الثلاثة من لجنة الامتحان و هم في غاية السعادة والتي قد عبر عنها حسام ملوحا بيديه في الهواء وهو يقول: يااااااااه، أخيرا خلصت الامتحانات والمذاكرة وأيام التعب! الواحد ما كنش مصدق إنه هيعيش ويشوف اليوم دة. ياما انت كريم يارب.

مازن والذي كان قد اعتاد على مزاحه: ياعم انت ليه محسسني انها كانت امتحانات

الكلية؟ أمال هتبقا تعمل ايه بقا في سنة تالتة؟

حسام متصنعا الضيق: يعني وهو انت لازم تفكرني يا عم مازن؟ بقولكم ايه بقا من النهاردة ورايح لحد ما تبتدي السنة الجديدة إياك أسمع حد فيكم بيتكلم عن المذاكرة والمدرسة تاني. المهم بقا قولولي هتعملو ايه في الاجازة؟

مازن: أنا عن نفسي هنزل الورشة مع بابا زي ما بعمل كل سنة.

حسام: بسرعة كدة، يعني من الدار للنار؟ مفيش بريك يومين في النص.

مازن: مش هينفع، دة بابا ما بيصدق ان السنة تخلص عشان أنزل معاه. هو نفسه إني أتعلم كل حاجة عن الشغل بسرعة، ولولا اني متأكد إن هو وماما عاوزني أبقا مهندس كنت شكيت إنه بيجهزني عشان أمسك الورشة معاه.

حسام: ليه يا عم؟ هو مش معاه شريك.

مازن: قصدك عم فؤاد؟ هو فعلا شريك بابا بس مش ليه في الشغل الفني لأنه تقريبا ميعرفش حاجات كتيرة عن الصنعة عكس بابا اللي شغال فيها من أول ما جه القاهرة أيام ما كانت الورشة بتاع جدي أبو ماما الله يرحمه وبعد ما جدي مات جه عم

فؤاد واشترى نصيب خالتي في الورشة اللي باعته عشان تسافر مع جوزها الكويت وبكدة بقا عم فؤاد شريك بابا، بس هو مختص بالادارة بس.

فتوجه نظر حسام إلى عبدالرحمن وسأله:

وانت بقا يا سي عبده، ناوي على ايه في الأجازة؟

عبدالرحمن: واللّه أنا بفكر أدور على شغل في أي مكان ع الأقل أجيب مصاريفي.

حسام متهكما: لا يا شيخ، شغل ايه اللي انت جاي تقول عليه يا عم عبده؟ وهتشتغل بقا ايه بالاعدادية إن شاء اللّه؟

عبدالرحمن: أهو أي حاجة وخلاص. انا سمعت إن عم فتحي الميكانيكي محتاج حد يساعده في الورشة اليومين دول.

حسام: ميكانيكي! عاوز تشتغل ميكانيكي يا عبدالرحمن؟ ولما نيجي نناديلك بقا نقولك ايه؟ تعالى يا واد يا بلية؟

عبدالرحمن: وماله يعني يا حسام؟ هي مش شغلانة حلال ومفيهاش حاجة تغضب ربنا؟ وما تنساش إن ربنا قال "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ" وأي صنعة مهما كانت صغيرة فليها فايدتها في المجتمع، يعني من غير

الميكانيكي دة مش هتقدروا تستعملوا العربية بتاعتكم وباباك هيضطر انه يروح المحكمة كل يوم على رجليه ومصالح ناس كتير تتأخر .وكمان المفروض اننا كبرنا ومش هنفضل على طول نمد ايدنا لأهلنا وناخد منهم المصروف، يعني لازم نبدأ نعتمد على نفسنا بقا.

صمت حسام ونظر إلى الأرض خجلا مما قاله منذ قليل، أما مازن فقال مؤيدا: معاك حق يا عبدالرحمن بس ايه رأيك أكلملك بابا يخليك تشتغل معانا في الورشة؟ وأهو بالمرة نفضل مع بعض حتى في الأجازة.

عبدالرحمن: بس باباك ممكن يرفض وخصوصا اني مش بفهم أي حاجة في شغلكم دة.

مازن: يعني أنا اللي كنت بفهم يا عم، مانت هتتعلم و واحدة واحدة تفهم كل حاجة، ومن ناحية بابا ما تخافش أنا حاسس إنه مش هيرفض وخصوصا إنه بيحبك أوي انت والواد حس مش عارف على ايه يا أخي؟ دة حتى احنا اللي اسمنا أصحابه مش طايقينه.

فرفع حسام حاجبه ممثلا الضيق: بقا كدة؟! طيب يالا امشي من هنا بقا يالا انت وهو.انتوا فعلا ما تستاهلوش صاحب زيي.

مازن ضاحكا: خلاص يا حس حقك علينا، بس ما قولتلناش انت ناوي بقا تعمل ايه في الاجازة؟

فقام حسام برفع ياقة قميصه بفخر وهو يقول: واللّه أنا عن نفسي كنت ناوي أقضيها فسح ولعب.

ثم أكمل مدعيا الحزن: بس شكلك كدة يا مازن هتضطر تكلم باباك إنه يغشلني أنا كمان معاكم.

فحضنه صديقاه بسعادة وهما يهتفان قائلين في صوت واحد: حبيبي يا حس.

****

جلس محمود في المقهى مع صديقه فؤاد وهو يقول له وقد تضاعف قلقه: طب وبعدين يا فؤاد؟ بقالنا لحد دلوقت أكتر من شهر ولا حس ولا خبر، دة كأن أهلها فص ملح ودابوا، او انهم ما صدقوا انها بعدت عنهم.

فؤاد: ايه بس الكلام اللي بتقوله دة يا محمود؟ هو معقول فيه حد يهون عليه ضناه بردو؟

محمود بعصبية: أمال ايه اللي سكتهم لحد دلوقت؟

فؤاد محاولا تهدئته: ومين قالك بس ان هم ساكتين؟ مش جايز بيدوروا عليها في

مكان تاني؟ ويا مين عالم حالهم ايه دلوقت؟

محمود وقد ازدادت حدة صوته: طيب واحنا يا فؤاد؟ ربنا وحده هو بردو اللي عالم بحالنا.

فؤاد: طيب مانا يا محمود عرضت عليك قبل كدة انك تسيب البنت تيجي عندنا وأهي تقعد مع البنات وخصوصا ان غادة تقريبا من سنها فيقدروا يلعبوا مع بعض، وكمان يا سيدي البنت مش حمل اوي للدرجة، واللي يربي واحد زي اللي يربي اتنين.

محمود وهو يحاول أن يتمالك أعصابه وألا يخرج عن شعوره وقد كاد الألم أن يمزق قلبه وهو يقول بنبرة حزينة: يعني انت شايف يا فؤاد اني مش هقدر أءكلها؟ الموضوع لو كان على مصاريفها مكنش هيبقا فيه مشكلة، لكن...........

ثم صمت لا يعلم ماذا يقول، وقد شعر صديقه بمدى حيرته فأشفق على حاله وسأله: عفاف بردو؟

محمود وهو يجد صعوبة في التعبير عن مشاعره: ما بقتش عفاف لوحدها يا فؤاد. دي بقت مشكلتنا كلنا، احنا كلنا اتعلقنا بالبنت ، مازن ما بقاش ينام غير لما يلعب

معاها الاول، حتى أنا ما بقتش قادر أتخيل البيت من غيرها، وقبل ما ارجع البيت لازم أعدي ع السوبر ماركت اجيبلها الشيكولاته اللي هي بتحبها.

ثم أكمل وقد بدا عليه التأثر الشديد وهو يكافح دموعه: بقت بتفكرني ببنتي أوي، وخايف للاحساس دة يزيد جوانا وفعلا ما نقدرش نستغنى عنها.

فؤاد وهو يحاول مواساته: سيبها على ربنا يا محمود، وهو ان شاء اللّه يحلها من عنده.

محمود: ونعم باللّه.

****

وفي الورشة كان كل من مازن و عبدالرحمن يحملان أريكة كبيرة من الواضح أنها ثقيلة الوزن فقد بدا عليهما الإرهاق ثم وضعاها في أحد الأركان وجلسا عليها وكان يلهثان من شدة التعب، فقال عبدالرحمن مازحا وهو يحاول أن ينظم تنفسه من جديد: وكان ماله بس الميكانيكي؟ أهو لا شيل ولا حط ولا كل التعب دة، تعرف يا واد يا مازن؟ ساعات بحس ان باباك زعلان منك اوي عشان كدة بيحاول ينتقم منك فينا. ولا يا مازن! روحت فين؟

أفاق مازن من شروده وهو يقول بقلق: مش عارف الواد حسام اتأخر كدة ليه؟ أنا

خايف أوي لتكون النتيجة مش حلوة وهو مش راضي ييجي يبلغنا بيها؟

عبدالرحمن بتهكم: بقا انت فاكر ان حسام هيهمه إذا كانت النتيجة حلوة ولا لا؟ شكلك لسة ما عرفتش حسام. أنا أراهن إن ما كنش حسام دلوقت جاب النتيجة وروح ع البيت عشان يشوفله حاجة ياكلها وسايبنا مطحونين احنا هنا.

مازن لائما: يا أخي حرام عليك، ان بعض الظن إثم.

عبدالرحمن: بعضه بس يا ميزو مش كله يعني.

:اللّه اللّه، بقا انتم قاعدين هنا واحنا ورانا شغل متلتل ولازم يخلص النهاردة؟

انتفض الصديقان فور سماع صوت محمود الذي نجح في إخفاء ابتسامته و جعل صوته جادا وصارما، فقال مازن معتذرا: معلش يا بابا، احنا بس كنا بنستريح شوية.

محمود: كل حاجة لها وقتها، ولازم يكون وقت الراحة للراحة، ووقت الشغل للشغل. اتفضلوا ياللا على شغلكم بلا لعب عيال.

فغادر الصديقان المكان مطأطأي الرأس من شدة الإحراج في حين اقترب فؤاد من صديقه وقد استمع ماقاله للولدين: مش

كدة بردو يا محمود. دول لسة صغيرين، بالراحة عليهم شوية.

محمود: لازم يشيلوا المسئولية من دلوقت يا فؤاد، وهو احنا هنعيشلهم لحد امتى؟

وفي تلك اللحظة دخل حسام من باب الورشة وما إن رآه محمود حتى أسرع إليه يسأله بلهفة: خير يا حسام يابني، جبت النتيجة؟

حسام بهدوء: طبعا يا عمي.

محمود: طيب وعملتوا ايه، انت وعبدالرحمن ومازن؟

حسام: للأسف السابع.

محمود بحزن بصوت منخفض وكأنه يحدث نفسه: السابع! أول مرة يا مازن.

وفي تلك اللحظة حضر كل من مازن وعبدالرحمن الذين قد لمحا حسام من بعيد وأسرع مازن يسأله: اتأخرت كدة ليه يا بني أدم؟

ولم يمهله مازن للرد على السؤال الأول حتى كان سؤاله الثاني: انطق عملنا ايه؟

وكان محمود هو الذي رد على السؤال وعينيه مليئة باللوم: السابع يا مازن.

كانت كالصدمة بالنسبة لمازن الذي قال في غير تصديق: السابع! لا طبعا، اكيد فيه حاجة غلط.

حسام: يا عم دة احنا نحمد ربنا انا اصلا كنت طالع من امتحان الفيزيا وعامل حسابي ان هي اللي هترجعني للمدرسة تاني في شهر أغسطس، بس الحمد للّه.

عبدالرحمن وقد فهم سوء الفهم الذي كان، فسأل حسام وهو يقترب منه أكثر: يعني انت اللي طلعت السابع؟

حسام بحركته المعتادة وهو يرفع ياقة قميصه بثقة: طبعا، وبلا فخر.

مازن وهي يتنفس الصعداء: طب وانا؟

حسام بحركة تدل ع الاحتقار: انت الأول، والواد دة تالت مقرر.

كانت سعادة لا توصف بين الأصدقاء، وقال لهم محمود مبتسما: الف مبروك يا أولاد.

مازن: اللّه يبارك فيك يا بابا، بس مبروك كدة حاف ما تأكلش عيش.

محمود: لخص، يعني عاوز ايه؟

مازن: اهو اللي يطلع من ذمتك يا بابا كله حلو.

محمود: ماشي يا سيدي، تحب أعزمكم على ايه.

مازن: تعزمنا ايه يا حاج؟ ودة اسمه كلام بردو؟

محمود مبتسما: امال عاوز ايه يا باشمهندس؟

مازن: زيادة في اليوميات.

محمود: دة انت بترسم على كبير بقا.

مازن مذكرا اياه: الاول والتالت والسابع يا حاج. ايه ما نستاهلش؟

محمود موافقا: لاطبعا، تستاهلوا يا باشمهندس. ومن النهاردة ان شاء اللّه كل واحد فيكم ليه زيادة في اليومية خمسة جنيه. مرضيين؟

الثلاثة في سعادة: ربنا يخليك لينا يا حاج.

محمود: طيب روحوا بقا عشان تبلغوا أهلكم بالنتيجة وانت كمان يا مازن ماما تلقاها قاعدة على أعصابها، ياللا النهاردة كفاية عليكم نص يوم.

مازن: حاضر يا بابا، ياللا بينا يا شباب.

وبالفعل غادر الأصدقاء وهم في طريقهم للخروج من الورشة همس عبدالرحمن في أذن حسام على غفلة من مازن: مامتك عاملة السمك بإيه يالا؟

حسام متوترا: سمك؟ سمك ايه؟

عبدالرحمن: السمك اللي انت روحت مخصوص عشان تطفحه. اسمع، فيها انا والواد مازن دة والا هنخفيها. آمين.

حسام باستسلام: آمين.

وفي شقة محمود، وتحديدا في حجرة نومه كان يجلس على السرير يقرأ في مصحفه كعادته دائما قبل أن ينام، وعندما دخلت

زوجته كان قد انتهى من التلاوة ووضع المصحف على المنضدة بجوار السرير فقالت له زوجته وقد كان الفرح يشع من وجهها: مبروك لمازن يا أبو مازن.

محمود بابتسامة حانية: مبروك علينا احنا الاتنين يا أم مازن، عقبال ما نشوفه بقا باشمهندس أد الدنيا.

عفاف: في حياتك إن شاء اللّه.

محمود: آمين.

وقبل أن يعتدل ليستعد للنوم سمعها تناديه بصوت خافت: محمود.

فأعاد النظر إليها وسألها: خير يا عفاف؟

أجابت بصوت متردد: هو احنا هنعمل ايه مع دي دي؟

محمود بعدم فهم: هنعمل ايه في ايه؟

عفاف: يعني السنة الدراسية الجديدة كلها شهر أو شهرين وتبدأ والمفروض إنها خلاص جابت سن الدراسة. يعني لازم تدخل المدرسة.

لم يفاجئه كلامها حيث كان يشغل تفكيره هذا الموضوع منذ مدة ولكنه لم يتوصل لحل: واللّه ما عارف يا عفاف، لحد دلوقت مفيش أي أخبار عن أهلها، ومش معانا أي ورق رسمي ليها، واضح كدة ان المشكلة دي ملهاش حل.

فأسرعت عفاف تقول: لا ، ليها.

فنظر لها محمود بتساؤل، فقالت عفاف على الفور قبل أن تخونها شجاعتها فتتراجع عما عزمت على قوله: اننا نتبناها.

الفصل الرابع

أحيانا يصل الانسان منا إلى درجة كبيرة من اليأس لتسيطر عليه شياطينه تجعل جميع الموازين تختل لديه فيصبح الحلال حراما والحرام حلالا، انه فقط نسي قوله تعالى " قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلالاً قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ" {يونس:59}. وقال تعالى: "أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّه" {الشورى:21}

هكذا عكفت عفاف على إقناع زوجها بتبني تلك الطفلة الصغيرة بشتى الطرق

وقد نسيت أو لنقل أنها تناست أن فكرة التبني محرمة في الإسلام حيث قال تعالى في كتابه المجيد"(وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ) (الأحزاب 4 : 5)

وبالفعل لقد رفض محمود طلبها لأنه يعلم كل هذا و إن كان هناك جزء منه يتمنى أن يفعل ذلك.

****

وفي بيت نصرالله المحامي، جلس مازن بجوار عبدالرحمن في حجرة صديقهما يتحدثان عندما دخل عليهما حسام حاملا صينية عليها ثلاثة أكواب من المشروبات الساخنة وهو يقول بصوت مرتفع: وعندك أحلى تلاتة نسكافية للناس الأوائل وصلحه.

فابتسم الصديقان وعلق عبدالرحمن مازحا: والله فعلا باين إن هيبقا دة أخرك ان شاء الله، صبي قهوجي.

في تلك الأثناء كان قد تناول مازن كوبه وارتشف منه رشفة ثم اقشعر بدنه بعدها وهو يقول: دة لو القهوجي وافق أصلا.

ثم أعاد الكوب مكانه وهو يقول لحسام مؤنبا: ايه دة يا بني، انت متأكد ان دة نسكافيه؟

حسام متذمرا: واللّه أهو دة بقا اللي عرفت أعمله، مش كفاية اني تعبت نفسي ودخلت اعملكم حاجة تطفحوها، ثم كمان ماما مش هنا يعني مفيش غير اللي قدامكم دة يبقا بقا اشربوا وانتم ساكتين.

عبدالرحمن بصوت خافت وكأنه يحدث نفسه: حسبي اللّه ونعم الوكيل.

حسام: بتقول حاجة يا عبده؟

عبدالرحمن وهو يتناول كوبه ويشرب منه مجبرا نفسه على الابتسام: حبيب قلبي يا

حس، تسلم ايديك يا كبير، أنا عمري ما شربت شاي بالروعة دي قبل كدة.

حسام بغيظ: شاي ايه يا عم جهبز؟ واللّه انتم عيان ناكرين للجميل.

مازن: يا عم جميل ايه؟ انت عاوز تسمنا وتقول جميل؟ خد يا عم اللي انت بتسميه نسكافيه دة ومش عاوزين من وشك حاجة.

حسام: صحيح انا الحق عليا، اني لميتكم من الشوارع وفتحتلكم بيتي، بقا دة يبقا جزائي؟ إلا ما فيه واحد منكم حط في عينه حصوة ملح وعزمنا عنده ولو مرة واحدة.

عبدالرحمن بجدية: انت عارف، انا ما ينفعش لأني عندي أخوات بنات.

فوجه حسام سؤاله لمازن ساخرا: وانت بقا يا سي ميزو؟

فصمت مازن قليلا عندها لاحت أمام عينيه صورتها الطفولية البريئة وهي تبتسم له وتضحك على نكاته، ثم قال وهو مازال في شروده: وأنا كمان ما ينفعش.

****

أما في بيت محمود الذي بدأ يتجنب الحديث مع زوجته منذ نقاشهما الأخير، فهو يشعر بها وبعذابها، ولكنه لا يريد أن يخالف عقيدته

وضميره، فلقد أصبح بين ناري الدنيا والآخرة فأيهما سيختار؟!

جلس محمود في غرفته واضعا مصحفا كبيرا أمامه على الحامل وأخذ يقرأ آياته العطرة بصوت رخيم علها تدخل الى قلبه السكينة في حين دخلت زوجته التي بدأت تذبل شيئا فشيئا فهي أصبحت لا تأكل إلا اليسير منذ أن رفض زوجها طلبها، ثم نادته بصوت ضعيف: محمود.

علمت أنه قد انتبه لوجودها حيث سمعته ينهي قراءته قائلا: صدق اللّه العظيم.

ثم أدار وجهه إليها قائلا: خير يا أم مازن؟

جلست عفاف بين يديه لتقول بصوت باك: انت ليه مش عاوز تريحني؟

محمود محاولا أن يحتفظ بهدوئه: إلا في دي يا عفاف. اطلبي مني أي حاجة انتي عاوزاها إلا دي.

عفاف وهي تحاول أن تكفكف دموعها التي خانتها وهربت من مقلتيها: طيب فهمني، انت ليه رافض؟

محمود وقد بدأ صوته يعلو قليلا: عشان حرام يا عفاف، التبني حرام. أنا مستغرب ازاي بس عاوزة تنسبي بنت ناس تانيين لينا؟ ازاي ترضي انك تاخدي حاجة مش من حقك؟

عفاف: ماهو احنا مش هنتبناها على طول، دة بس لحد ما أهلها يظهروا وترجعلهم تاني. المهم يكون ليها ورق رسمي عشان نقدر ندخلها المدرسة.

محمود: يا عفاف بقولك حراااام، وما ينفعش اللي انتي بتقوليه دة.

عفاف: يعني هو ينفع ان البنت تعيش معانا كدة من غير صفة. وهو يبقا حلال وكويس أوي لو خلينا السنة تضيع عليها؟

التزم محمود الصمت ليعطيها الفرصة للمزيد من الأعذار الواهية التي تحاول أن تقنع بها نفسها أولا ثم زوجها بتحليل ما حرمه الله: يا محمود افهمني بس، ماهي

كدة كدة قاعدة معانا، يعني مفيش حاجة هتتغير غير ورقة صغيرة هنقدمها للحكومة ولما يا سيدي أهلها يظهروا يبقا كأن الورقة دي ملهاش وجود.

محمود وقد بدأت نفسه تضعف لما ترغب به زوجته وتتوق إليه نفسه: طيب افرضي أهلها ما ظهروش.

فقالت عفاف على الفور وهي تحاول أن تخفي سعادتها: يبقا ساعتها بقا نكون احنا عملنا الصح، لانها مش هيبقا ليها حد غيرنا ولازم كل الناس تعرف إنها بنتنا عشان حتى نفسية البنت ما تتعقدش لو طلعت وما لقتلهاش أهل حواليها، او تعرف إن أهلها

اتخلصوا منها وهي صغيرة وما سألوش عنها وكأنها ما تفرقش معاهم.

محمود: ومين قال بس الكلام دة؟

عفاف: يعني تفسر بإيه إننا مش عارفين نوصل لأي معلومات عنهم لحد دلوقت؟ واحنا عمالين نلف وندور حوالين نفسنا عشان نعرف طريقهم مع ان المفروض انه يحصل العكس، وكمان ما سمعتش اللي قاله صاحبك فؤاد لما قال ان الظابط قريبه ملقاش أي بلاغ في الاقسام أو المستشفيات عنها؟ تفسر بإيه الكلام دة بقا غير إنهم فعلا مش عاوزينها وما صدقوا انهم رموها، ويا

مين عارف لو كانت وقعت في ايد حد غيرنا
كان هيبقا ايه مصيرها دلوقت؟

فصمت محمود مجددا لا يجد ما يرد به على زوجته والتي قد اعتبرت صمته تصديقا على كلامها فأكملت تناشد فيه الجزء الضعيف بأي انسان ألا وهو قلبه وعينيها تترقرق بالدموع وهي تشد على يديه: يا محمود، احنا ربنا حرمنا من بنتنا وهي لسة ما كملتش خمس سنين، ساعتها قولت ان ربنا يمكن يكون بيعاقبنا فيها على ذنب عملناه لكن لما شفتك وانت داخل علينا و دي دي في ايدك وعرفت حكايتها حسيت وكأن ربنا رضي عننا من تاني وعوضنا بيها عن بنتنا اللي ماتت، نيجي احنا بقا ونرفض

الهديۃ اللي ربنا عطاهالنا، دة يبقا اسمه بطر.

محمود في محاولۃ أخيرة ليبقي ضميره متيقظا: بس ربنا حرم التبني يا عفاف. عارفۃ يعني ايه حرمه؟ وربنا ما بيحرمش حاجۃ غير لما بيكون عارف إن فيها ضرر للانسان.

عفاف بعناد: طب ايه يعني الاضرار اللي ممكن تحصل لو احنا اتبنينا البنت؟

محمود: اللي سمعته ان التبني حرام لأن فيه تضييع للأنساب وفيه حديث شريف عن أبي ذر رضي اللّه عنه أنه سمع النبي صلى اللّه عليه وسلم يقول : " ليس من رجل ادعى لغير

أبيه وهو يعلمه إلا كفر ومن ادَّعى قوما
ليس له فيهم نسب فليتبوأ مقعده من النار ".
رواه البخاري (3317) ومسلم (61)

دة غير لأن فيه تحريم لحلال ربنا يعني:
مثلا دلوقت يجوز لابنك انه يتجوز البنت
لكن بعد التبني دة مش هينفع لانها ساعتها
هتبقا المفروض انها أخته مع ان الحقيقة
غير كدة فلا هي أخته بالدم ولا حتى في
الرضاعة.

وكمان دة فيه استحلال للميراث يعني بعد:
ما احنا ما هنموت هيبقا ليها الحق انها تورث
مع ابنك ، مع ان المفروض ان الميراث هيبقا
من حقه لوحده.

ثم وبعد لحظات قليلة من الصمت استطرد قائلا بعد تنهيدة طويلة: عرفتي ليه بقا هو حرام يا أم مازن؟

ورغم اقتناعها بكل ما قاله زوجها إلا أن شيطانها قد غلبها في النهاية وجعلها تقول: يا أبو مازن ما احنا ممكن بردو نتبناها ونتجنب كل دة، يعني مثلا المفروض ان كل الناس عارفة ان دي مش بنتنا، هي بس هتبقا مجرد ورقة هتبقا بينا وبين الحكومة عشان البنت يكون ليها وجود رسمي، ومن ناحية انها يعني ممكن مازن يفكر انه يتجوزها فدي بعيدة اوي، وكمان الجواز قسمة ونصيب ولو دة حصل يعني ساعتها بقا مش هيبقا فيه مانع لانه عارف

انها مش أخته، مع ان بصراحة ابنك بسم اللّه ما شاء اللّه عليه من ساعة ما البنت ما دخلت البيت وبيعاملها كأنها أخته وزيادة وهي كمان تقريبا أكتر واحد بتسمع كلامه هو مازن، يعني الموضوع دة صعب اوي انه يحصل، اما بقا بخصوص الميراث ولو ان دة بعد عمر طويل يعني وربنا يخليك لينا طبعا فدي بقا أمرها سهل يعني انت مثلا ممكن تبقا تكتب كل حاجة لمازن وبكدة مش هيبقا ليها حق في الورث حتى بعد التبني.

كان صمته تلك المرة يدل على أنه قد اقتنع أخيرا بكلامها بالرغم من وجود هاجس بداخله ينبأه بأنه مقبل على ذنب

عظيم لا يعلم كيف يمكنه أن يكفر عنه فيما بعد.

عفاف في محاولة أخيرة لاستجدائه:

محمود! اوعدني انك هتروح بكرة للمحامي عشان تخلص الورق، روح لأحمد ابن خالتي هو ممكن يساعدك، قولت ايه؟

ألقى عليها نظرة طويلة رأى في عينيها دموعها التي تنتظر منه أن يرفض حتى تتحرر من سجنهما وتسيل أنهارا في حين على شفتيها شبح ابتسامة تأبى الظهور حتى تسمع موافقته، ثم دون أن يشعر سمع صوتا لم يعلم أنه صوته إلا عندما وجد زوجته

تحتضنه بشدة وهي تكاد تطير من السعادة وكانت جملته هي: ماشي يا عفاف.

****

:انت اتجننت يا محمود؟ انت ازاي تعمل كدة؟ كان فين عقلك وقتها، لا إله إلا اللّه، أستغفر اللّه العظيم، أستغفر اللّه العظيم.

كان ذلك الصوت الغاضب هو صوت فؤاد الذي أخبره صديقه بأنه قد أتم إجراءات التبني للفتاة ، وفور أن سمع فؤاد ما حدث من صديقه أخذ يستغفر اللّه كثيرا وهو يضرب كفا بكف.

فقال محمود وقد استحوذ الحزن على قلبه ولسانه: ما كنش أدامي حل غير كدة يا فؤاد، انت ما شفتش عفاف وهي عمالة تترجاني اني أتبنى الطفلة دي كان حالها يصعب ع الكافر.

فؤاد معنفا: وعشان ترضيها تغضب ربك، عشان ترضي العبد تقوم تغضب الرب يا محمود؟

محمود وهو يحاول أن يبرر فعلته: ربنا غفور رحيم، وهو عالم بظروفي، وبعدين مانا كدة كدة معترف انها مش بنتي أدام ربنا وأدام الناس كلها ولما أهلها يظهروا ويتعرفوا عليها مش همنعهم عنها، وكمان أنا كتبت

كل حاجة لابني وعفاف هي التانية عملت كدة عشان البنت ما تشاركش ابني في ميراثه لو لا قدر اللّه حصل حاجة.

فؤاد: وانت فاكر انك باللي عملته دة يبقا خلاص حللت بيه اللي حرمه ربنا؟ انت بتبرر ايه بالظبط يا محمود؟ اللي انت عملته دة جريمة واللي هيعاقبك عليها هو رب السموات والأرض، اتق ربك يا محمود و بلاش تنسب البنت غير لأهلها واللّه عز وجل قال في كتابه العزيز" ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ"

محمود: بس احنا مش عارفين أهلها، واللّه أعلم ممكن يظهروا امتى؟

فؤاد وهو يكمل الآية في محاولة منه أن يعيد صديقه إلى صوابه مرة أخرى: " فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ"

محمود وهو يفرك جبينه بيده في يأس: مش عارف بقا يا فؤاد، أهو اللي حصل حصل وخلاص.

فؤاد وهو يمسكه من كتفه بحنان مشفقا على حاله: لسة في ايدك أنك تصلح غلطتك يا محمود.

محمود: مش هينفع يا فؤاد، انت ما شفتش وش عفاف وفرحتها وهي ماسكة ورق اثبات بنوة الطفلة لينا وعمالة تحضن في البنت

وتبوسها وكأن بنتها رجعتلها من تاني،، مش ممكن بعد كل دة هروح أقولها انها كانت بتحلم، وان كل دة ما حصلش، مش هتستحمل يا فؤاد، ساعتها ممكن أخسر عفاف للأبد، ودة اللي مش هقدر أستحمله.

فؤاد وهو يتركه ليغادر المكتب وقد سأم من محاولة إقناعه وكأنه يحاول أن يفتت صخرا بيديه وقد تملك منه شيطانه ونفسه الأمارة بالسوء ولكنه لم يكف عن الدعاء له قبل أن يذهب: ربنا يهديك يا محمود، ربنا يهديك يا صاحبي.

****

وفي الطريق كان الأصدقاء يقهقهون من كثرة الضحك، وحاول حسام أن يتمالك نفسه وهو يقول: يخرب عقلك يا ميزو، وقال أنا اللي قولت انك واد بقا بتاع كاراتيه وحركات وهيبقا ولا الخطيب في زمانه أتاريك بتلعب لعب كلابي، دة انت كنت ناقص تمسك الكورة بايدك يا أخي.

عبدالرحمن مازحا: مش عارف ليه كنت حاسس ان الكورة هي اللي بتجري وراك يا مازن، دي كانت ناقص تبوس ايدك عشان تشوطها وانت ولا معبر في أهلها.

مازن مدافعا عن نفسه: مانا قولتلكم اني مليش في الكورة أنا معرفش غير الكاراتيه.

حسام: ماحنا قولنا بقا انك أكيد هتبقا واد فتك وتضرب الواد الفرود بتاعهم كتف قانوني في الهوا تخرجه برة عشان احنا نقدر ناخد نفسنا في اللعب، أتاريك طلعت زي خيبتها، صحيح واللّه وعرفنا قيمتك يا واد يا عزت، ماهو لولا انه غاب النهاردة ما كناش احتجنا لخدماتك ولا كنا خسرنا خمسة واحد بالشكل دة.

مازن: ع العموم تتعوض مرة تانية ان شاء اللّه.

حسام بفزع: لا يا عم، لا تانية ولا تالتة.
احنا من غيرك زي الفل، وانت أخرك تقعد في المدرج وتصقف ساعتها هتفيدنا أكتر.

وكانوا قد وصلوا لمفترق الطرق ليذهب كل منهم إلى منزله، فقال عبدالرحمن: طيب يا جماعة، نتقابل بكرة بقا إن شاء اللّه على خير.

فغمز حسام لمازن وهو يقول مستعطفا: بس برحمة الغاليين يا ميزو لتقول لابوك يخف علينا شوية، الواحد خلاص حس ان عضمه اتكسر،اصلي بدأت أشك هو دة أبوك بجد ولا لقاك جنب المعبد اليهودي؟

فضربه مازن بخفه على كتفه وهو يتصنع الجدية ويقول له: ما تلم نفسك ياد.

حسام: ياد! واللّه وبقيت بيئة أوي يا ميزو.

مازن مبتسما: طيب يا عم البرنس سلام بقا وناموا بدري. تصبحوا على خير.

عبدالرحمن: وانت من أهل الخير، في رعاية اللّه.

وتفرق الثلاثة ليذهب كل في طريق على وعد بلقاء جديد في الغد.

****

رن مازن جرس الشقة والابتسامة لاتزال عالقة على شفتيه يتذكر كل أحداث اليوم من لعب ومزاح مع صديقيه ككل

يوم أجازة يقضونه معا، فتحت له والدته الباب تستقبله والبهجة تطل من عينيها فحياها باسما بتحية الاسلام وردت عليه التحية، ثم دخلا الشقة وأغلقت عفاف الباب خلفهما. فسأل مازن: أمال فين بابا يا ماما؟

عفاف وهي تتحرك متجهة ناحية دي دي التي كانت تعبث ببعض الثياب الجديدة: باباك دخل اوضته من شوية.

فاقترب منهما مازن وهو يقول مازحا: وكمان هدوم جديدة؟ هو العيد بكرة وأنا مش عارف ولا ايه؟

ثم بدأ يتناول الثياب من يد الطفلة وهي تبدي فرحها الشديد بمشاركته اياهما و تتابع نظرات الاعجاب ترتسم على وجهه، ثم سمع صوت والدته وهي تقول له: بارك لدي دي يا مازن؟

مازن متسائلا بمزاح: ليه يا ماما؟ هي كمان نجحت في المدرسة؟

عفاف وهي تشد دي دي إلى حضنها: لا يا حبيبي، بس احنا خلاص سميناها دارين. ومن النهاردة ورايح هتبقا دي دي هي أختك دارين.

لا يعلم إن كان ما صدمه أكثر وألجم لسانه الخبر الأول وهي أن دي دي أصبحت

تسمى دارين، أم أنه الخبر الثاني وهي أنها
أصبحت بين ليلة وضحاها أختا له.

الفصل الخامس

لقد خاصمه النوم في تلك الليلة، فقد أبى عقله أن يدعه يرتاح ولو قليلا، فمنذ أن أخبرته أمه بأن الفتاة أصبحت أخته وقد شرحت له بأنهما هي وأبيه تبناها وقد أضحت الأفكار تتصارع في عقله، فهو لم يكن جاهلا تماما بمعنى التبني فإنه لايزال يتذكر قصة زيد ابن حارثة الذي خُطف وبيع في سوق عكاظ وكان غلاماً صغيراً واشتراه حكيم بن حزام لعمته السيدة خديجة بنت خويلد"رضي اللّه عنها" فلما تزوجها رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم

وهبته له وتمضي الأيام وفي موسم الحج رآه بعض أقاربه فتعرفوا عليه وعادوا إلى ديارهم فأخبروا أباه الذي أسرع ليفتدي ابنه ويحرره، وكان زيد يحظى عند النبي صلى اللّه عليه وسلم بمكانة عظيمة، لدرجة أنه كان يقال عنه: "زيد بن محمد"، حيث قد روي أن أباه وعمه جاءا إلى النبي قبل أن يتبناه، وطالبوا به، فقال له النبي: " إخترني أو اخترهما ". فقال زيد: " ما أنا بالذي أختار عليك أحداً، أنت مني مكان الأب والعم ". فقالا له: " ويحك! أتختار العبودية على الحرية، وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك؟ " فقال لهما: " ما أنا بالذي أختار عليه أحداً. وإني يا أبي رأيت من ذلك الرجل الشيء

الحسن فما أنا بمفارقه ". فحينها فرح
الرسول ووقف على صخرة أمام الكعبة
وقال: " يا أهل قريش اشهدوا، هذا زيد ابني
يرثني وأرثه ". فلما رأى ذلك أبوه وعمه
طابت نفوسهما وانصرفا. ومنذ ذلك الحين
دعي بـزيد بن محمد، حتى جاء الإسلام
فنزلت الآية الكريمة التي تحرم التبني
فدعي منذئذ زيد بن حارثة، ونُسب بعد
ذلك كل من تبناه رجل من قريش إلى أبيه.

ولكن هذا لم يشبع فضوله بخصوص ذلك
الموضوع، فنهض من على سريره وتوجه إلى
مكتبه ثم فتح حاسوبه وأخذ يبحث ع
الانترنت عن موضوع التبني والذي قد
أجمعت كل الآراء على إنه حرام مستشهدين

بالقرآن والسنة وموضحين أضراره وعواقبه وذلك ما زاد حيرته أضعافا، فكيف لوالديه أن يرتكبا مثل هذا الإثم؟ أليس هما نفسهما اللذين يخبراه دائما بأن السرقة حرام والغيبة حرام و الكذب حرام والسب حرام ويجب أن يبتعد عن كل ذلك؟

أليس التبني ككل تلك المحرمات ويجب اجتنابه؟ فكيف يقدمان عليه؟ ظل هذا السؤال معلقا دون إجابة مرضية إلى أن شعر بتعب نفسي قبل أن يكون ارهاقا بدنيا فقرر أن يخلد إلى النوم ولكنه عزم على أن يحدث والده بخصوص هذا الموضوع في الغد.

****

وفي الصباح نهضت الأسرة باكرا كعادتها وجلس أفرادها بالاضافة للعضو الجديد حول طاولة الطعام لتناول وجبة الفطار، كان مازن يتناول طعامه مثبتا عينيه في شرود على تلك الطفلة التي تأكل حينا وتعبث بطبقها حينا آخر بينما عفاف تنهرها على ذلك بلطف. ظل مازن مترددا هل يفاتح والده في الأمر الذي قد عزم بالأمس على التحدث معه فيه أم يظل صامتا ويرضى بالأمر الواقع الذي فرض عليه؟ ولكنه في نهاية المطاف قرر ألا يتخاذل فهو حقا يريد أن يفهم، ثم فجأة ودون تمهيد للموضوع وجد نفسه يقول: بابا ! هو مش التبني حرام؟!

كان السؤال مباغتا لدرجة ألجمت لسان كل من محمود وزوجته اللذين بقيا لحظات ينظران إليه بدهشة ثم يتبادلان النظرات فيما بينهما بينما ظل مازن يتناول طعامه وكأنه القى بسؤال عادي وهو يشعر بنظراتهما المصوبة نحوه مما جعله يدرك أنه قد ألقى بقنبلة موقوته كانت على وشك الانفجار ولكنه حاول أن يبدو أكثر هدوءا عما يشعر به حقيقة في داخله، ثم ولدهشته سمع والده يجيبه بكل ثبات: أيوة يا مازن التبني حرام.

تعلقت عينا مازن بعيني والده وهو لا يعلم مالذي يمكن أن يقوله بعد هذا الاعتراف الصريح الي تفوه به والده؟ فهو على يقين

بأن والده قد ادرك غرضه من هذا السؤال، ولكن مازن لم يكن مستعدا لتلك المواجهة بهذا الشكل فقد كان ينتظر أن يراوغه والده في الرد، ولكن أيا كان الأمر فسيكمل ما بدأه: طيب هو ليه حضرتك انت وماما اتبنيتوا دي دي؟ هو مش كدة يبقا انتوا عملتوا حاجة حرام؟

:مازن!

كان هذا المعنف هو صوت والدته التي لم تتحمل المزيد مما يتفوه به ابنها، وكأن الحقيقة تؤلم دائما، ثم أكملت بصوت حاد: انت ازاي تتكلم مع باباك بالشكل دة؟

شعر مازن بأنه قد تمادى كثيرا وقد تعدى حدود الأدب مع والديه في الحديث، ولأن تربيته لم تكن تسمح له بذلك فأخفض عينيه سريعا بندم: أنا آسف.

ولكن محمود الذي قد أنهى طعامه وحمد ربه على نعمته قال لزوجته برفق: عفاف! لو سمحتي فنجان قهوة.

أيقنت عفاف بأن زوجها يطالبها بالانصراف لكي يخلو بمازن قليلا لذا فقد أطاعته وأخذت دارين معها، وعندما تأكد محمود بأنه قد أصبح بمفرده مع ابنه الذي كان لايزال خافضا رأسه لا يرفع عينيه عن طبقه، فابتسم بلطف وهو يسأله: قولي بقا

يا مازن، انت ايه اللي تعرفه عن موضوع التبني؟

هدوئه وابتسامته شجعت مازن على أن يسترسل في الحديث ويخبره عما قرأه على الانترنت وكان محمود مع كل كلمة يقولها ابنه يبدي استحسانه لما يسمع حتى انتهى مازن، فقال له محمود ونظرات الاعجاب تشع من عينيه: برافو عليك يا مازن، جميل جدا انك عشان تفهم رحت بحثت وقرأت بنفسك، انا بجد فخور بيك.

رغم سعادته بمديح والده إلى أنه شعر به يحاول أن يتهرب من الإجابة عن سؤاله، فكرر سؤاله مترددا وهو يخشى أن يثير

سخطه كما حدث مع والدته: طيب هو ليه حضرتك عملت كدة؟

خرجت منه تنهيدة طويلة قبل أن يجيب وقد شعر مازن بأن والده يحمل عبئا ثقيلا على عاتقه حتى سمعه يقول: قبل أي حاجة لازم تعرف ان فعلا التبني حرام وما كنش المفروض اننا نعمل حاجة زي كدة، بس اللي انت متعرفوش يا مازن إني لو كنت رفضت أتبنى دي دي كان ممكن نخسر مامتك، انت فاكر طبعا ايه اللي حصلها بعد ما هدى أختك ما ماتت اللّه يرحمها، فمامتك أول ما شافت دي دي وهي حست انها تعويض من ربنا عن موت بنتها اللي ما كنتش مصدقة لحد دلوقت انها اتحرمت

منها وعشان كدة هي كانت بتروح
للدكتور عشان تتعالج والعلاج بدأ يجيب
نتيجة أسرع بعد ظهور دي دي. فلو كانت
حست انها ممكن تخسرها هي كمان فربنا
وحده هو اللي يعلم ايه اللي كان ممكن
يحصلها؟

ثم صمت قليلا ليرى تأثير كلماته على
ملامح ابنه الذي بدا أنه لم يقتنع تماما، مما
جعل محمود يستطرد قائلا بصوت مبحوح:
شوف أنا عارف إن كل دة مش مبرر للغلطة
اللي عملناها وعارف كمان إن ربنا أكيد
هيعاقبنا عليها بس اللي مخليني مستريح
شوية إن من جوايا فأنا عملت اللي عملته
عشان أريح والدتك من جهة وأحافظ على

الطفلة من جهة تانية، دة غير إني معترف إن البنت مش بنتي هي بس أمانة عندي لحد ما ييجي أهلها وياخدوها، سامعني يا مازن، دي أمانة. فاهم يعني ايه أمانة؟

فهز مازن رأسة دليلا على استيعابه للمعنى العظيم للكلمة، وقد أكمل والده وهو يضع يده على كتفه برفق: مازن! انت دلوقت بقيت راجل وأد المسئولية وتقدر تفهم اللي انا هقولهولك دلوقت، أنا ومامتك كتبنالك كل حاجة باسمك من نصيبنا في الورشة والشقة وكمان الفلوس اللي في البنك لأن لو جرالي حاجة بالوضع دة يبقا قانونا دارين ليها حق انها تورث معاك عشان كدة احنا كتبنالك كل حاجة، بس لو

مت وصيتي ليك انك تخلي بالك منها هي دلوقت ملهاش حد غيرنا بعد ربنا، وافتكر دايما انها أمانة في رقبتك ولازم تحافظ عليها، ماشي يا مازن؟

فأومأ مازن برأسه موافقا وشعور غريب يخترقه جراء كلام والده لا يعلم ماهيته، ولكنه لم يكن مريحا على الاطلاق.

****

وتمر الأيام وتقترب السنة الدراسية الجديدة لتدق جميع الأبواب المصرية وتبدأ الاستعدادات لها بشتى الطرق، وبالفعل التحقت دارين بالمدرسة الابتدائية القريبة من الحي مع غادة ابنة فؤاد صديق محمود

وجاره في الوقت نفسه، وقد اهتمت عفاف بكل تفاصيل ذلك الأمر كما أرادت هي، وفي أحد الأيام اتفقت مع جارتها سميرة زوجة فؤاد أن يخرجا سويا لشراء الزي الرسمي لبناتهما حيث كان لدى سميرة ابنة اخرى أكبر من غادة بحوالي خمس سنوات وأخذتا تتنقلان بين المحلات حتى عثرتا على ما تبغيانه وقامتا بشرائه، وبينهما وهما في طريقهما للعودة وتتقدمهما الصغيرات فرحات بما تحمل كل منهم من ثياب جديدة، وقالت سميرة معلقة على ذلك: شايفة البنات فرحانين ازاي بلبس المدرسة. اللي يشوفهم دلوقت ما يشوفهمش أول يوم دراسة هتلاقيهم بيعيطوا بالدموع.

عفاف مبتسمة: وهما بيعيطوا عشان داخلين المدرسة بردو يا سميرة؟ دول بيعيطوا عشان هيسيبوا حضن أمهم ويدخلوا دنيا تانية مش بيبقوا عارفين فيها حاجة.

ثم أكملت بفخر: بس تعرفي انا ابني مازن ما عيطش ولا حاجة. هو أصلا من يومه ما بيحبش حد يشوف دموعه.

سميرة مؤيدة: أمال ايه؟ بسم اللّه ما شاء اللّه عليه، طول عمره راجل في تصرفاته. ربنا يخليهولك.

فقالت عفاف بنظرات لائمة وكأنها تذكرها: ويخليلي أخته دارين يا سميرة.

صمتت سميرة قليلا لا تعلم ماذا تقول؟

ولكنها تهربت من نظرات عفاف والتي

أشعرتها بالحرج وقالت مغيرة الموضوع:

يختي، يعني ما لقتيش غير اسم دارين دة؟ ما

عندك الأسماء كتير.

عفاف بنبرة حزينة: كنت عاوزة أسميها

هدى عشان يفضل دلعها دي دي بس محمود

ما رضيش عشان ما تفكرنيش بهدى اللّه

يرحمها.

ثم أكملت والدموع تتلألأ في عينيها: قال

يعني كنت نسيتها، ففكرت في اسم تاني

ممكن يكون دلعه دي دي، لحد ما لقيت

اسم دارين ودة معناه الغزال الشارد.

ثم أكملت بابتسامة هادئة: وكأن الاسم اتخلق عشانها.

****

جاء أول يوم في الدراسة ليستيقظ الجميع مبكرا وقد ارتدى مازن زيه المدرسي وساعدت عفاف دارين على ارتداء ثيابها ثم مشطت لها شعرها لتصبح مستعدة للانطلاق إلى عالم جديد مفتوح يخشاه معظم الأطفال في البداية ولم تكن دارين أفضل حالا من مثيلاتها. فحتى قبل أن تغادر المنزل بدت قلقة ومتوترة وهادئة فوق العادة وهي تمسك بيد عفاف بشدة وكأنها تخشى أن تتركها وترحل، فركع مازن على ركبتيه

ليصبح في مستواها ، وقال لها مبتسما:

حبيبة قلبي دي دي انتي خايفة؟

ظلت دارين صامتة وكان صمتها تعبيرا كافيا عما تشعر به، فظلت الابتسامة تزين شفتيه وهو يقول لها: طيب هو انتي عاوزة تبقي بنت شاطرة؟

فأومأت برأسها دون أن تتفوه، فاستمر يقول: طيب ما هو البنات الشاطرة لازم يروحو المدرسة ، شوفتي انا شاطر ازاي وهروح المدرسة بردو؟

فأسرعت دارين تقول بلهفة: أنا هروح معاك؟

اتسعت ابتسامته وهو يقول: يا خبر أبيض!
انتي عاوزة تنطي على ثانوي مرة واحدة؟

فتبسم كل من عفاف ومحمود دون أن يحاول أي منهما أن يتدخل في الحوار، أما دارين فقد اعتلت وجهها تكشيرة وبدت مستاءة كثيرا، فداعب مازن أنفها بسبابته وقرب فمه من أذنها وكأنه سيخبرها سرا، ثم قال لها بصوت خافت: تعرفي لو روحتي المدرسة النهاردة وسمعتي كلام المس أنا هجيبلك معايا شيوكلاته وأنا جاي وبابا هيجيبلك واحدة زي كل يوم وكدة يبقا معاكي كام؟

فنظرت إلى أصابعها لتعد عليهم كما علمها سابقا وهي تقول: واحدة و واحدة، يبقوا اتنين.

مازن مستحسنا تصرفها: برافو عليكي، يعني بعد ما تيجي من المدرسة هيبقا معاكي اتنين شيكولاته، ماشي؟

دارين بخضوع: ماشي.

****

تقابل مازن مع صديقيه في المكان الذي اتفقوا عليه ثم توجهوا سويا إلى المدرسة وقد التحقوا بنفس الفصل حيث اختاروا نفس القسم وهو علمي رياضيات المادة التي

تميز فيها كل منهم على حد سواء، وبالطبع فقد جلسوا في نفس المقعد وهو ما أثار تساؤل الكثيرون الذين تعجبوا من مازن ذلك الطالب الذي كان يؤثر العزلة، ها هو قد وجد له صديقان شخصية كل منهما مختلفة عن الآخر ولكن يبدو عليهم الانسجام، ودخل المدرس الفصل وبعد أن حياهم وتمنى لهم عاما دراسيا سعيدا بدأ يقول: شوفوا يا ولاد، طبعا كل واحد فينا بيكون ليه هدف في الحياة لازم يسعى عشان يحققه، والمفروض انكم خلاص حددتوا هدفكم بدخولكم القسم دة أكيد جوة كل واحد فيكم نفسه يدخل كلية الهندسة مهما اختلفت الأقسام طبعا،

لكن مش دة الهدف الأساسي اللي عنده نهاية المطاف، بالعكس المفروض انه يكون مجرد وسيلة مش هدف، وسيلة لهدف أكبر و أسمى، وعشان كدة لازم كل واحد فيكم يسأل نفسه هو ليه عاوز يدخل الكلية دي بالذات؟ والإجابة على السؤال هي اللي هتحددلك الهدف اللي احنا بنتكلم عنه، واللي ساعات لو فكرت أكتر هتلاقي إنك ممكن توصله بوسائل تانية مش شرط كلية الهندسة لو لا قدر اللّه ما قدرتش تدخلها، فاهمين يا ولاد؟

فأجاب الجميع في صوت واحد: فاهمين يا أستاذ.

ثم شرع المدرس في شرح الدرس و انتبهت إليه جميع الحواس، وقد نسي الجميع تقريبا ما قاله منذ قليل ماعدا مازن الذي ظلت كلمات المدرس تتردد في عقله لبعض الوقت.

****

وفي الناحية الأخرى بالمدرسة الابتدائية، كانت دارين تجلس بجوار غادة في نفس المقعد وهي تقول لها بسعادة: لما أروح بابا هيجيبلي واحدة شيكولاته ومازن هيجيبلي واحدة وكدة هيبقا معايا اتنين شيكولاته.

فارتسم الحزن على ملامح غادة وهي تسألها:

ومش هتديني واحدة يا دارين؟

فصمتت دارين للحظات تفكر و غادة تنظر إليها في ترقب إلى أن قالت دارين في نهاية الأمر: ماشي، هبقا أديكي الواحدة بتاع بابا.

****

عاد الجميع إلى المنزل وكالعادة حكى كل واحد منهم للآخرين كيف مر يومه، ودارين أخذت تسترسل في الحديث وظلت تحكي لهم عن زميلاتها ومدرسيها بطريقتها الطفولية الجذابة وبعض الجمل الغير مترابطة مما جعلهم يغرقون في الضحك دون توقف.

وفي المساء جلست الأسرة أمام التلفاز يشاهدون "كرتون توم و جيري" الذي

طالبت به دارين وفجأة كان سؤال مازن المباغت: بابا ! ماما! هو انتم ممكن تزعلوا لو ما دخلتش كلية الهندسة؟

فصدمهم السؤال كثيرا لأنه كان غير متوقع بالنسبة لأي منهما، فتقريبا منذ أن عرفا أن عفاف حامل في ذكر تمنيا أن يصبح مهندسا وحتى الآن فهما يؤهلانه ويؤهلان نفسيهما لتلك اللحظة التي ستتحقق فيها أمنيتهما، و كان محمود هو أول من فاق من صدمته فسأل مازن: انت ليه بتقول كدة يا مازن؟ هو فيه حاجة حصلت النهاردة في المدرسة؟

مازن نافيا: لا يا بابا مفيش حاجة. دة كان مجرد سؤال خطر على بالي.

أخذ محمود نفسا عميقا قبل أن يقول لابنه في حنان: شوف يا مازن، سواء طلعت مهندس أو لا، فأنت في كل الحالات ابننا ومش الكلية هي اللي ممكن تغير الحقيقة دي أو تبدل حبنا ليك، ولازم تعرف إن موضوع المستقبل دة محدش فينا ليه أي يد فيه، المستقبل بايد ربنا وحده بس طبعا احنا لازم نعمل اللي علينا وربنا قال"إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا"، ويا حبيبي انت لو مش شايف نفسك هترتاح في دراسة الهندسة وشايف إن ميولك في حاجة تانية قولنا، واحنا ما عندناش أي مانع إنك تدرس

حاجة تانية المهم تكون حاببها، ولازم تكون متأكد إننا في الاول وفي الأخر مش هيهمنا غير مصلحتك، ماشي يا بطل؟

مازن مبتسما في ارتياحية: ماشي يا بابا.

محمود: قولي بقا انت عاوز تحول من علمي رياضة؟

مازن بابتسامة راضية: لا يا بابا، أنا عاجبني القسم وناوي ان شاء اللّه أكمل فيه.

محمود: بالتوفيق ان شاء اللّه يابني، ياللا قوم بقا عشان تنام لان عندك مدرسة بدري.

مازن: حاضر، تصبحو على خير.

وقبل يد أبويه ثم وجنة دارين وذهب، وعندما تأكدت عفاف من رحيله سألت زوجها لائمة: إيه الكلام اللي انت قولته للواد دة يا محمود؟ دة بدل ما تشجعه تيجي تقوله يحول؟

محمود: يا عفاف افهمي، ابنك دلوقت كبر ويقدر يحدد مستقبله بنفسه، ما بقاش خلاص عيل تقوليله اعمل دة يعمله وما تعملش دة يقولك حاضر من غير تفكير، ابنك وصل لمرحلة مش ممكن يعمل أي حاجة من غير ما يكون مقتنع بيها، شوفتي ازاي في الآخر انه اقتنع وكان راضي عن قراره؟

عفاف بتذمر: بس أنا بردو عاوزة ابني يبقا مهندس.

فابتسم محمود: قولي إن شاء اللّه يا عفاف، واللي ربنا عاوزه هو اللي هيكون، ويااللا قومي بقا ودي البنت أوضتها عشان شكلها هتنام.

بالفعل كانت دارين تتثاءب في تلك اللحظة فأخذت عفاف بيدها لتدخلها حجرتها.

بينما جلس محمود بمفرده ينظر إلى الفراغ، فمنذ فترة يشعر بهم يثقل فؤاده ولا يعلم له سببا إلا أنه كان يدعو اللّه دائما أن يزيل همه ويبدد حزنه.

:محمود! محمود !مالك؟

أفاق محمود من شروده على صوتها: فيه ايه يا عفاف؟

فجلست عفاف بجواره على الأريكة ثم وضعت كفا على كتفه وقد بدا عليها القلق من رؤية زوجها على تلك الحال، سألته: انت أديلك فترة مش بعادتك يعني، وعلى طول سرحان و مهموم، مالك يا محمود؟ فيه ايه حصل؟ عندك مشاكل في الشغل لا قدر اللّه؟

محمود: لا يا عفاف. الشغل الحمد للّه ماشي كويس وكل حاجة فيه تمام.

عفاف باصرار: امال فيه ايه بقا؟

محمود: خايف يا عفاف.

عفاف بخضة: خايف؟ من ايه؟

محمود: خايف على مازن، لسة صغير أوي على شيل الهم.

عفاف وقد بدأ القلق يتسرب إليها: يا ساتر يارب. هم ايه بس اللي هيشيله يا محمود؟ ماحنا معاه أهو وانت حسك بالدنيا، وطول مانت موجود مفيش هموم هيشيلها ان شاء اللّه.

محمود: وهو أنا هفضل عايشله طول العمر يا عفاف؟

عفاف: يا محمود ما تقولش كدة، ربنا يخليك لينا ويطول في عمرك.

صمت برهة قبل أن يقول: أنا يومين كدة وأسافر البلد.

عفاف مستفسرة: بلد ايه؟

محمود: الشرقية يا عفاف.

عفاف: الشرقية! وانت ايه اللي فكرك بالشرقية دلوقت يا محمود؟ دة انت أديلك ييجي أكتر من عشر سنين ما روحتش هناك.

محمود وقد بدا عليه الارهاق الشديد: يمكن يكون خلاص جه الوقت اللي مازن يبدأ يتعرف فيه على اعمامه وولاد اعمامه بقا.

الفصل السادس

ويمر ما يقرب من أسبوع، ولا جديد في الاحداث غير أن محمود قد سافر بالفعل إلى الشرقية ليصل رحمه المقطوع بعد وفاة أبيه حيث حرمه أخوته من ميراثه الشرعي، فقد اتفقوا جميعا على ان لا حق لذلك الأخ الغير شقيق في مقاسمته ميراثهم، وقد ارتضى محمود بذلك و لأنه لم يرد أن يقف ضد أخوته في المحاكم فقد ترك الشرقية بكل ما فيها وذهب إلى القاهرة ليبدأ حياة جديدة بعيدا عن أي مشاكل، ولكن ها قد جاء الوقت الذي شعر فيه بأنه

بحاجة إلى الأمان والدفء الذي يحققه الجو العائلي وهو ما افتقده طوال تلك السنوات الماضية.

عاد مازن إلى محل سكنه بعد يوم دراسي مرهق وما ان وصل الى الطابق الذي يحوي شقته وشقة عمه فؤاد حتى وجد غادة وأختها مروة التي تكبرها بخمس سنوات تقفان خارج شقتهما في انتظار لمن يفتح لهما. فوقف مازن لتحيتهما مبتسما: السلام عليكم، ازيك يا مروة، عاملة ايه يا غادة؟

فردت مروة عليه بابتسامة ودودة: ازيك انت يا مازن.

مازن: عاملين ايه في المدرسة؟

مروة: الحمد للّه.

مازن بمرح: يعني هنطلع من الاوائل السنادي ان شاء اللّه؟

فأسرعت مروة لتؤمن على كلامه: ان شاء اللّه طبعا، وهبقا ابلة زي ميس نهال كدة.

مازن ضاحكا: ان شاء اللّه، ثم انحنى بجسمه ليصل الى مستوى غادة ويسألها وكانت عيناه تشعان بهجة: وانتي بقا يا غادة، عاوزة تطلعي زي ميس مين؟

فردت غادة بخجل وهي تنظر ناحية أصابعها المتشابكة: انا هطلع دكتورة.

مازن مازحا: ماشي يا دكتورة غادة، وانا ان شاء اللّه هبقا اول واحد اتعالج عندك.

وهنا فتحت سميرة الباب لتتفاجأ بمازن الذي قابلته بابتسامة مرحبة: مازن! ازيك يا باشمهندس، عاش من شافك، ولا خلاص بقا كبرت علينا؟

مازن نافيا: لا ابدا واللّه يا طنط، بس حضرتك بقا عارفة الدراسة والمذاكرة مش مخلية عندي وقت اعمل حاجة تانية.

سميرة: ربنا يوفقك يا بني، ويحققلك كل اللي بتتمناه، طب واقف عندك ليه؟ تعالى، ادخل، دة انا عاملة النهاردة بيتزا من اللي قلبك يحبها.

فاعتذر مازن بلياقة: معلش بقا يا طنط، انتي عارفة ان بابا مسافر، ومش هينفع اسيب ماما و دارين يتغدوا لوحدهم.

فتقبلت سميرة اعتذاره بصدر رحب: ولا يهمك يا حبيبي، ربنا يرجعلكم بابا بالسلامة، وتتعوض المرة الجاية ان شاء اللّه.

مازن موافقا: ان شاء اللّه، مش عاوزة حاجة يا طنط؟

سميرة: عاوزة سلامتك يا حبيبي.

مازن: طب عن اذنكم، السلام عليكم.

الجميع: وعليكم السلام ورحمة اللّه وبركاته.

واطمأن مازن الى ان سميرة قد أخذت ابنتيها ودخلت الشقة ثم أغلقت بابها خلفهم قبل أن يتوجه هو ليرن جرس الباب المقابل، وما هي الا ثواني قليلة حتى فتحت عفاف الباب وقد سبقها مازن بالقاء التحية: السلام عليكم، ازيك يا ماما.

عفاف: وعليكم السلام، ازيك انت يا حبيبي.

ثم أغلقت الباب بعد ان دلف إلى الداخل وسمعته يسألها: امال فين دارين؟ هي مش المفروض انها كانت تخرج مع غادة، انا قابلت غادة و مروة ادام شقتهم بس نسيت اسألهم.

عفاف: لا يا حبيبي، هي تعبت النهاردة في المدرسة واتصلوا بينا عشان نروح ناخدها.

مازن بلهفة وقد دب فيه القلق: خير يا ماما مالها؟ تعبت من ايه؟

الام بابتسامة هادئة: يا حبيبي ما تقلقش، دول هما شوية برد، وبابا اول ما جابها عملتلها حاجة سخنة وشربتها ونامت.

وبعد ان هدأ باله من ناحية صغيرته استوقفه أمرا أخر، فسأل والدته بشك وكأنه يريد ان يتأكد من صحة ما سمعه: بابا! هو رجع من السفر؟

عفاف: اه يا حبيبي، هو وصل البيت الصبح بعد ما رحتوا للمدرسة بحوالي ساعة.

وبالرغم من أن خبر كهذا كان كفيلا بادخال السعادة الى قلبه ولكنه اراد التحقق من الأمر: هو بابا مش كان قايل انه احتمال يقضي هناك اسبوع!

ولكن تلك المرة أجابه صوتا ذكوريا لائما: جرى ايه يا مازن؟ هو انا مش وحشتك التلات ايام دول ولا ايه؟!

بالطبع كان قد اشتاق اليه والى حضنه الذي سارع بالارتماء فيه و قد افلتت منه صيحة دلت على مدى سعادته: بابا.

بادله الوالد العناق وكأنه هو الاخر كان في أمس الحاجة إلى حضن ابنه حيث

تمسك به بشدة كما لو يريد ان يحفر له مكانا بداخله خشية الفراق.

وبعد ان هدأت ثورة الانفعالات تلك والتي تابعتها عفاف بعينين دامعتين، أخذ الأب ابنه وأجلسه في الصالون بجواره على الأريكة ثم سأله بحنان محاولا أن يخفي بداخله ذلك الألم الذي شعر به اثر ترحيب اخوته الفاتر: قولي بقا يا بطل عامل ايه في الدراسة؟

مازن مبتسما وكان لم ينسى ذلك السؤال الذي تركه والداه معلقا: الحمد للّه يا بابا، لكن هو حضرتك مش كنت قولت انك هتقعد عند اعمامي اسبوع!

حاول محمود ان يتهرب من ملاحقة عيني ابنه المتفحصتين بقوله الذي اضفى عليه نبرة المزاح: وحشتوني يا سيدي، واكتشفت اني مش هقدر ابعد عنكم سبع ايام بحالهم.

علم محمود من نظرات ابنه بأنه لم يقتنع بذلك المبرر وقد صدق حدسه حين جاء سؤال مازن التالي: طب هو حضرتك هتاخدني امتى تعرفني على اعمامي؟

رغم اعجابه الشديد بذكاء ابنه، الا ان السؤال اربكه وقد تردد كثيرا في الرد، الى ان حسم امره في النهاية وقرر الا يستمر في الكذب على ابنه في هذا الشأن، ولكنه

فضل أن يسلك طريقا غير مباشر حتى لا يلقي بالحقيقة المرة في وجه هذا الغلام الذي لم يختبر بعد مدى قساوة الدنيا وتأثيرها على نفس الانسان لتجعله على استعداد لمعاداة أقرب الناس اليه حتى لمجرد الحصول ولو على قدر ضئيل منها:

قولي يا مازن، هو انت يفرق معاك اوي موضوع انك تتعرف على اعمامك دة؟

أجاب مازن بصدق وكان لم يخف عليه مدى توتر والده: طبعا يا بابا، دول اهلي ويهمني اوي اني اتعرف عليهم الا بقا اذا كان هما اللي مش عاوزين كدة.

ها هو يستنتج الحقيقة دون ان يضطر الى استخراجها من فم أبيه الذي نظر اليه مشدوها و قد ابهرته فراسة ابنه حديث السن، مما جعله يتمهل قليلا لينتقي ألفاظه بعناية قبل ان يجيب بهدوء: شوف يا مازن يابني، انت دلوقت كبرت وبقيت راجل وهتقدر الكلام اللي هقولهولك كويس.

انتبه إليه مازن بكل حواسه و قد شعر بأهمية ما كان ابيه على وشك التفوه به، واستأنف محمود حديثه: جدك يا مازن كان متجوز قبل جدتك اللّه يرحمها ومخلف من مراته الاولى ولدين وبنت اللي هما اعمامك دلوقت، اما جدتك فماتت في ولادتي، وممكن بقا تتخيل حياة اليتم اللي

عيشتها في حين ان اخواتي والدتهم لسة عايشة، لكن والدي اللّه يرحمه كان بيحاول يعوضني عن دة باهتمامه الزايد ليا واللي ولد الغيرة جوة اعمامك من ناحيتي وكانوا بيحاولوا بكل الطرق انهم يضايقوني ويفسدوا عليا حياتي لدرجة انهم كانوا السبب في اني ما كملتش تعليمي، واتعقدت الامور اكتر لما جدك مات وبقيت وحيد في وسطيهم.

ثم صمت قليلا لتخرج منه تنهيدة دلت على مدى المعاناة التي عاشها قديما والتي يحاول الان ان يمحوا ذكراها من داخله، ثم أكمل: ولما حسيت ان الحياة بقت بالنسبالي شبه مستحيلة في الشرقية قررت اني اجي

القاهرة لكن طبعا كنت محتاج فلوس ابدأ بيها حياتي عشان كدة طالبت بحقي في الميراث، لكن هما اللّه يسامحهم بقا رفضوا وخيروني بين اني افضل عايش معاهم ع الوضع دة او اني اسافر ومليش حق عندهم، وفعلا سافرت وجيت هنا واشتغلت في الورشة بتاع جدك عبدالحميد اللّه يرحمه وبعدين اتجوزت مامتك وجيت انت للدنيا، كل دة واخواتي ماحاولوش حتى يسألوا عني، ولما روحتلهم المرادي كنت فاكر ان الزمن غيرهم لكن للأسف اول ما وصلت افتكروا اني رايح اطالب بورثي من جديد.

فقاطعه مازن وقد ملأت المرارة صوته وهو يتصور تلك الفترة القاسية التي عاشها

والده طوال هذه السنوات: طب ودي فيها ايه؟ ما هو ميراثك يا بابا ومن حقك انك تطالب بيه.

الوالد موافقا: معاك حق يا مازن، بس بردو دة ما كنش السبب اللي خلاني سافرت الشرقية لاني خلاص كنت تقريبا استعوضت ربنا فيه، انا كنت رايح عشان اصل رحمي اللي مقطوع اديله سنين، وعشان اضمن اني لو جرالي حاجة هلاقي اللي يقف جنبكم ويحاجي عليكم.

فأسرع مازن يحتضنه وهو بخوف: بعد الشر عليك يا بابا.

كاد محمود ان يعتصره بذراعيه وكأنه يريد أن يضعه داخل قلبه حتى يضمن الا يمسسه سوء وقد كان على وشك ان يفقد السيطرة على دموعه التي ملأت عينيه ولكنه في النهاية تماسك وأكسب صوته القوة اللازمة والتي كان يفتقدها حقيقة بداخله وهو يبعد عنه ابنه قليلا ثم أمسكه من كتفيه وسلط نظراته على عينيه: محدش عارف عمره هينتهي امتى يا مازن عشان كدة عاوزك توعدني ان في غيابي انت هتكون راجل البيت تراعي امك وكمان دارين دي بقت في حكم اليتيمة يابني، ماشي يا مازن؟

فهز مازن رأسه وهو يقول باستسلام وقد بدأ احساس مؤلم يتسلل بداخله و ظهر ذلك جليا في عينيه: حاضر يا بابا.

****
******

اجتمع الصديقان عبدالرحمن وحسام كالعادة في بيت هذا الأخير بهدف المذاكرة، وبينما كان كل منهما مشغول في احد الكتب، سأل حسام: هو الواد مازن بقاله كتير يعني مش بييجي يذاكر معانا ليه؟

عبدالرحمن: ربنا يعينه يابني ما بين المدرسة والورشة فأكيد ما بيصدق انه يروح البيت.

حسام باستنكار: الصراحة انا مش عارف ليه عم محمود عمل كدة؟ هو مش عارف ان مازن في ثانوية عامة ومحتاج كل دقيقة عشان يذاكر فيها؟ مش كفاية انه في الاجازة بيبقي كل وقته في الورشة يبقا في ايام الدراسة كمان؟

عبدالرحمن موافقا: واللّه معاك حق، بس محدش عارف، يمكن ليه اسبابه، وكمان هو ابوه وأدرى بمصلحته.

لم يبد على حسام الاقتناع حيث ظهرت على وجهه تكشيرة وهو يقول: بس بالشكل دة ممكن السنة تضيع على مازن.

اما عبدالرحمن فقد ابتسم قليلا وهو يقول بهدوء: لا ما تخافش، مازن واد شاطر ويقدر ينظم وقته كويس وانا مش قلقان عليه.

ثم عبس وجهه وهو يستأنف قائلا وقد خفض صوته وكأنه يحدث نفسه: انا قلقان من حاجة تانية خالص.

****

:طب وفيها ايه بس يا بابا لما اروح معاكم؟

رد محمود على سؤال ابنه الذي ظهر في عينيه بريق من التصميم على ذلك الأمر: مش هينفع يا مازن، لان اصلا الوقت اخر وانت لازم تروح تنام دلوقت عشان تستريح

وتقدر تشتغل بكرة، وكمان ممكن الطيارة تتأخر عن ميعادها.

مازن بتذمر: بس انا عاوز اشوف خالتي اديلي كتير اوي ما شوفتهاش.

فربتت عفاف على خده بحنان: يا حبيبي ماحنا هنحاول نقنعها هي وجوزها انهم يبيتوا عندنا النهاردة يعني لما تصحى بكرة ان شاء اللّه هتلاقيها هنا.

مازن وهو لايزال يصر على عناده: انا عارف ان عم مجدي مش هيوافق، هو اصلا مش بيحبنا.

:مازن!

كان هذا الصوت الغاضب هو صوت محمود الذي اشار الى ابنه محذرا: لما تتكلم عن اللي اكبر منك اتكلم باحترام.

فقال مازن وهو ينظر الى الارض خجلا: انا اسف يا بابا، ما كنتش اقصد.

وحاولت عفاف معاجة الموقف باقناع ولدها للعدول عن هذا الامر: يا مازن يا حبيبي، انت لازم تفضل هنا عشان دارين نايمة لوحدها ومش معقول كلنا نمشي ونسيبها، طب افرض هي صحت من النوم و ما لقتش حد في الشقة هيحصل ايه ساعتها؟

وكأنها كانت على علم بنقطة ضعفه حيث سرعان ما اقتنع مازن وقال وشبح ابتسامة

يداعب شفتيه: خلاص يا ماما انا هستنى معاها.

تفاجأ محمود من تقبله للأمر سريعا ، ذلك الشاب الصغير الذي كان يبدو من قبل وكأنه على استعداد لشن حرب في سبيل تحقيق مطلبه، فنظر الى زوجته متسائلا فأجابته بابتسامة ماكرة لتؤكد له شكوكه حول قوة العلاقة التي اصبحت تربط مازن بتلك الطفلة المتبناة والتي قد فسرتها عفاف بانها رباط الأخوة.

****

استيقظ مازن بصعوبة وهو يشعر بألم في جميع انحاء جسمه قد سببته تلك

الأريكة التي كان قد غفا عليها بينما كان يشاهد التلفاز في انتظار عودة والديه، فأخذ يفرك رقبته التي تيبست عروقها تقريبا ،ولكن رنين الهاتف المتواصل لم يتح له مزيدا من الوقت ليفعل وهو ايضا كان السبب في استيقاظه ذلك الوقت الذي لم يخطر في بال مازن ان يلقي نظرة الى ساعة الحائط ليعلم بأنه قد تجاوز منتصف الليل، لم يتوقف جرس الهاتف عن الرنين حتى رفع مازن السماعة وأجاب بصوت ناعس: السلام عليكم، مين معايا؟ ....

اه حضرتك دي شقته .... ايه؟ انت بتقول ايه؟

القى مازن بسؤاله الاخير وقد كان كمن استيقظ على كابوس مزعج قد تجلت اثاره على وجهه في هيئة الم - صدمة - خوف -، لم يعرف ايهم كان اقوى شعورا من الاخر؟ ولكن لم يكن لديه مزيدا من الوقت للتفكير فسأل على الفور: طب مستشفى ايه لو سمحت؟

****

*****

كان يحث الخطى في رواق المشفى حتى ان فؤاد لم يستطع مجاراته فقد سبقه بعدة امتار بعد ان أخبرهم موظف الاستقبال بأن قسم الحوادث يقع في هذا الجزء، وتوجه على الفور الى موظف الاستعلامات الخاص

بهذا الأمر وقد كان يلهث من اثر الجري طوال الطريق والدموع تهاجم عينيه بقسوة ولكنه كان عدوا شرسا لم يسمح لها بهزيمته بعد: لو سمحت عاوز اسأل عن محمود احمد الشرقاوي و عفاف عبدالحميد منتصر.

فنظر اليه الموظف للحظات، ثم تجاهل سؤاله ليلقي هو عليه سؤالا اخر: انت جاي مع مين يابني؟

في تلك اللحظة بالذات وصل فؤاد المكان حتى يرحم هذا الموظف من عقاب مازن الذي كان يستعد الان ليوقعه عليه، وها هو يظهر في عينيه شديدتي الاحمرار ووجنتيه

التي تلتهبان من الغضب، وقد ربت فؤاد على كتفه لتهدئته، ثم سأل الموظف بنبرة رزينة متماسكة: يا بني احنا جالنا اتصال من المستشفى هنا بيبلغونا بانهم استقبلوا تلات حالات اصابة في حادثة عربية ومنهم اخوية محمود احمد الشرقاوي ومراته عفاف عبدالحميد منتصر، واحنا عاوزين نعرف هما فين؟

الموظف بآلية قد اعتاد عليها: طب ثواني يا حاج.

ثم خذ يضغط على بعض ازرار لوحة المفاتيح الخاصة بالحاسوب الذي أمامه للحظات بدت كالدهر بالنسبة لمازن و

فؤاد، الى ان قال الموظف اخيرا: حقيقي يا حاج، الاسماء ادامي لكن المعلومات بتقول ان السيدة عفاف عبدالحميد منتصر وصلت للمستشفى فاقدة الحياة.

كانت كلمته تلك كفيلة بهزيمة كل حصونه وتكسير كل الدروع التي قد اتخذها ضد تلك الدموع التي بدات تنهمر الان من عينيه بلا هوادة بعد ان اطلق شهقة عدم تصديق، وفجأة شعر بقدميه تتراخى ولكن يد فؤاد التي أحاطت بكتفه أعطته بعض الدعم وسمعه يقول بنفس الثبات: انا للّه وانا اليه راجعون.

ثم سأل الموظف مجددا: طب والزوج محمود الشرقاوي؟

الموظف: لا يا حاج، دة حاليا في اوضة العمليات.

فؤاد: وفين اوضة العمليات دي؟

اشار له الموظف بيده الى الطريق امامه: هتمشي كدة على طول يا حاج وبعدين تحود يمين وهتلاقي اوضة العمليات في وشك.

فشكره فؤاد وتوجه الى حيث اشار وذراعه ترفض ان تترك كتف مازن الذي اصبحت الدموع تغشي عينيه حتى انه لم يعد قادرا على تمييز الطريق امامه، ووصلا الى غرفة

العمليات المغلقة فأجلس فؤاد مازن بجانبه على المقعد بالقرب من تلك الحجرة التي تحمل بداخلها اخر بريق امل لذلك الغلام الذي اخذ يجهش بالبكاء فأحتضنه فؤاد وهو يربت على ظهره بحنان ويقول محاولا ان يهدىء قليلا من روعه: مازن يا بني، انت مسلم وأكيد عارف ان الموت دة حق علينا وكل انسان فينا ليه عمر مهما طال او قصر فهو مسيره انه ينتهي، ادعيلها يا حبيبي ان ربنا يرحمها.

لم يكن مازن يستوعب كلمة مما قالها فؤاد فقد كانت عيناه الباكية مسمرة على هذا الباب بخوف وكأنه ينتظر مزيدا من الالام ستأتي من خلاله، وقد صدقت

توقعاته حيث فتح الباب وخرج الطبيب

بردائه الابيض الذي يوحي بالكثير من

معاني الامل والتفاؤل وهو ما ناقضته تعابير

وجهه المكفهر، وكان مازن اسرع من فؤاد

في النهوض من مكانه، وقد وقف امام

الطبيب والسؤال على طرف لسانه ولكنه

يخشى من الرد، ولكن فؤاد كان اشجع منه

حيث سأل الطبيب: خير يا دكتور؟

الطبيب: انت تقربله ايه يا حاج؟

فؤاد وهو يبذل مجهود خارق ليظل على

ثباته: انا اكتر من اخوه، ودة ابنه.

ثم اشار ناحية مازن الذي كان قد تجاهل

كل ما حوله تماما، وقد ركزت عينيه

بشفاه الطبيب متعلقا بأمل واه سرعان ما تلاشى حين انطلقت تلك الكلمات المدمرة من بينهما: شد حيلك يا حاج، البقاء للّه.

الفصل السابع

مرت الساعات التالية على مازن وكأنه يعيش حلم مزعج لا سبيل له للاستيقاظ منه، ففي لحظة واحدة فقد أعز شخصين على قلبه ليصبح وحيدا دون اهل يقفون بجانبه وقت الشدة يفرحون لفرحه ويواسونه في حزنه، حتى أعمامه تنكروا له قبل ان تتاح أمامه فرصة اللقاء بهم. حقا لم يعد لديه أحد الأن سوى.....دارين!

يا اللّه! فها هي هم آخر يضاف الى همومه. فكيف له ان يهتم بدراسته ويراعي مصالح عمله، وفي نفس الوقت عليه أن يعتني

بتلك الطفلة الصغيرة التي عليها مرة أخرى
أن تعاني فقدان الوالدين وهو الامر الذي
أصبح يقدر مدى صعوبته جيدا؟

:محدش عارف عمره هينتهي امتى يا مازن
عشان كدة عاوزك توعدني ان في غيابي
انت هتكون راجل البيت تراعي امك
وكمان دارين دي بقت في حكم اليتيمة
يابني، ماشي يا مازن؟

ظل صوت أبيه يتردد بداخله وهو يقف
ليتلقى العزاء بجانب فؤاد وزوج خالته
وكذلك صديقيه، ولكن هاهي أمه رحلت
معه ولا يمكنه تحقيق الجزء الأول من

الوصية ولكن يبقا أمامه الجزء الثاني الذي ربما يكون الأصعب.

انتهت فترة العزاء ثم صعد الى شقته حيث كان يقام فيها منذ قليل عزاء السيدات والتي كانت تتلقاه كل من سميرة و هويدا أخت عفاف،و بعد أن اطمئن الصديقان على مازن استأذن منه عبدالرحمن عندما وصلوا الى باب شقته: طب يا مازن نستأذن احنا بقا، مش عاوز أي حاجة قبل ما نمشي؟

مازن وقد غلب الحزن على صوته وهو يشد على يد صديقه: متشكر اوي ليكم، وربنا ما يحرمني منكم.

وجاء دور حسام الذي قال له: مازن، احنا ارقام تليفوناتنا عندك، وقت ما تحتاجنا اتصل على طول.

مازن وهو يحاول جاهدا رسم ابتسامة على وجهه: ان شاء اللّه.

ثم تحدث فؤاد إليهم: ربنا يبارك فيكم يا ولاد، كفاية انكم معانا من الصبح، وعلى فكرة بكرة عندكم اجازة من الورشة.

عبدالرحمن محاولا الاعتراض: لكن يا عمي احنا نقدر نشتغل بكرة بردو وكفاية ان الورشة اتقفلت النهاردة.

أكسب فؤاد صوته بعض الصرامة وهو يقول: اسمع الكلام يا عبدالرحمن واللي قولته هو اللي هيحصل.

فأومأ كل من عبدالرحمن وحسام برأسيهما وهما يقولان بخنوع: امرك يا عمي، السلام عليكم.

رد فؤاد ورفيقيه مازن و مجدي السلام ثم دلفا داخل الشقة ليجدا سميرة وهي تحاول مواساة هويدا تلك الأخت التي تبكي شقيقتها بحرقة وتقول بصوت متهدج: حبيبتي يا عفاف، كان نفسي اشوفك، ما كنتش فاكرة ان اليوم اللي هرجع فيه هو

اخر يوم في حياتك ، ياريتني ما رجعت ولا طلبت منك تستنيني في المطار.

سميرة وهي تربت على كتفها في محاولة يائسة لازالة بعض الحزن عنها: ما تقوليش الكلام دة يا ام مروان ، دة قضاء ربنا، استغفريه وادعيه انه يرحمها هي وجوزها ويصبر ابنها هو دلوقت محتاجلك اكتر من اي حاجة تانية.

وكانت لكلماتها وقع السحر حيث اتجهت نظرات هويدا ناحية مازن وتلاقت عيونهما معبرة عما يعتمر بداخلهما من احزان وألام يتشاركونها معا، مما دعاها أن تفتح ذراعيها له في دعوة صامتة له سرعان ما استجاب لها،

وكان هذا العناق هو ما يحتاجه في تلك اللحظة حتى تنهار كل قلاعه ويسقط القناع الجامد عن وجهه لتعبر دموعه وصوته الباكي عما كان يكبته بداخله من شجن وحسرة. ولوعة اشتياق لأشخاص ما كان يعد نفسه لفراقهم في هذا الوقت.

وبعد وقت قليل ومحاولات عدة استطاع كل من مجدي و كذلك فؤاد و زوجته تهدئة الاثنين،و استأذن فؤاد وزوجته للذهاب الى شقتهم حيث قالت الأخيرة مختتمة حديثها:

ع العموم انا ان شاء هجيلك الصبح بدري واشوف اذا كنتوا محتاجين حاجة، ودارين بقا مش ضروري نصحيها دلوقت، خليها نايمة مع غادة وبكرة يحلها حلال.

لم تكن تعلم انها بكلامها هذا قد ألقت بقنبلة على وشك الانفجار حيث علت الدهشة وجه كل من مجدي وزوجته التي قالت مطالبة بمزيد من الايضاح: دارين مين؟

سميرة بتردد: هي عفاف اللّه يرحمها ما كلمتكيش عنها؟

زاد كلامها من حيرة هويدا التي تساءلت: كلمتني عن مين؟ هي عفاف خلفت تاني بعد هدى بنتها ما ماتت؟

وهنا أدركت سميرة أنها لربما قد ارتكبت خطئا ما عن دون قصد لذا تبادلت نظرات قلقة مع زوجها حاولت فيها أن تأخذ رأيه

فيما اذا تكمل ما بدأته أم لا، ولكن كان مازن أسرع حيث حسم الأمر بالنيابة عن الجميع فنهض ليقول بصوت قوي وثابت:

دارين تبقا أختي بالتبني.

****

كان الصديقان في طريقهما الى البيت حين قال حسام وقد كان قلبه لايزال يعتمر بالحزن تأثرا بما تعرض له صديقهما المقرب: الحقيقة مازن صعبان عليا اوي، اللّه يكون في عونه.

عبدالرحمن موافقا: و صعبان عليا انا كمان، بس نعمل ايه بقا اهو قضاء ربنا ولا اعتراض على قضائه، ونقول بردو الحمد للّه ان اللي

حصل دة كان في الاجازة عشان ما يأثرش على دراسته.

حسام بقلق: صحيح هو عدى السنادي لكن لسة ادامة سنة تالتة ودي اصعب فما بالك بقا انه دلوقت هيبقا مسئول عن نفسه بالكامل وعن شغل الورشة وكمان انا عارف ان عنده اخت صغيرة دي كمان هتبقا هم اضافي على الهموم اللي هيشيلها.

عبدالرحمن وقد تذكر أمرا جعل ابتسامة حزينه تلوح على ثغره: عشان كدة عم محمود اللّه يرحمه كان مصر ان مازن ينزل معاه الورشة حتى في الدراسة.

حسام: اللّه يرحمه، بس تفتكر مازن دلوقت هيتصرف ازاي وهو بقا يتيم الام والاب؟

عبدالرحمن: اللّه أعلم، بس اعتقد انه مش هيبقا لوحده اوي يعني اهو عنده اعمامه وخالته وجوزها.

قال عبدالرحمن ذلك وهو لم يقتنع به اقتناعا كاملا حيث سبق وان اخبره مازن عن نتيجة زيارة أبيه لأعمامه ولكن عبدالرحمن كان يأمل من اجل صديقه ان يتغير موقفهم فقد صور له عقله الصغير الذي لايزال على فطرته أن صلة الدم دائما أقوى من اي شيء فهذا ما يغرسه الاباء دائما

في نفوس صغارهم على الرغم من أقتناعهم بأن لا وجود له في الواقع الا من رحم ربي.

****

البنت دي لازم تروح الملجأ في اقرب وقت:

كان هذا هو اول ما نطق به مجدي بعد أن اطلعهم فؤاد على قصة دارين وتبني محمود لها، اما هويدا فقد لاذت بالصمت وكأنها تحاول ان تستوعب ما سمعته منذ قليل.

حاول فؤاد ان يهدىء قليلا من ثورة مجدي الذي احتقن وجهه من الغضب استنكارا مما حدث: بالراحة طيب يا استاذ مجدي، ما تنساش كمان ان محمود اللّه يرحمه اتبناها رسمي وفيه وثائق بتثبت دة، يعني هي قانونا

دلوقت بقت بنت محمود الشرقاوي و عفاف عبدالحميد.

مجدي: كل دة نقدر نلغيه بقضية صغيرة، بس المهم ان البنت دي تمشي من هنا لاننا مش هنقدر نتحمل مسئوليتها دة غير انها هيبقا ليها نصيب في ميراث هي اصلا ملهاش اي حق فيه.

ولحنكته أدرك فؤاد ان هذا بالفعل هو السبب الحقيقي لمعارضة مجدي تبني محمود لدارين، انه الميراث! لذا قال له بنظرات ثاقبة: اطمن يا استاذ مجدي من الناحية دي، لان محمود اللّه يرحمه قالي ان هو وعفاف كتبوا كل حاجة لمازن تقريبا،

والكلام دة مذكور في وصية عند أحمد المحامي قريبكم.

تأكد صدق حدسه عندما رأى علامات الارتياح على وجه مجدي الذي قال على الفور: يبقا نبعت لأحمد بكرة عشان نعرف الوصية، لكن في كل الحالات احنا مش ملزمين بتربية طفلة ما نعرفش اصلها وفصلها، والبنت دي يا اما نسلمها لأي ملجأ او للبوليس وهو يعرف شغله معاها.

:دارين مش هتسيب البيت.

قالها مازن بعد صمت طويل يتابع خلاله الجدال القائم بين الرجلين من جهة وهو يتخيل المصير الذي قد تواجهه دارين اذا ما

ابتعدت عنه و يتذكر كلام والده له حين أخبره أنها أمانه يجب أن يصونوها ويعملوا على رعايتها من جهة اخرى، اتجهت اليه كل الانظار فجأة وكان قد استحوذ على انتباههم جميعا، وسأله مجدي مستوضحا:

يعني ايه؟

لم يتأثر مازن بنظرات التهديد التي رآها في عينيه، بل رد بنفس نبرة الصوت القوية:

بابا الله يرحمه قبل ما يموت اتبنى دارين عشان يحميها و يراعيها ووصاني ان لو جراله حاجة هتبقا دي مسئوليتي وانا مستعد اتحمل المسئولية.

مجدي بلهجة ساخرة تحمل القليل من الغضب: يا اخي مش تشيل مسئولية نفسك انت الاول، ما بقاش غير العيال كمان هما اللي هيخادوا القرارات.

بالطبع ثار مازن لنفسه ولكن استطاع ان يتحكم في صوته وهو يقول: انا مش عيل يا عمي و مصر اني انفذ وصية بابا اللّه يرحمه.

استطاع أن يرى فؤاد ببصيرته احتمال ان يحتد الامر بين هذا الشاب الثائر و زوج خالته ذلك الرجل الغاضب الذي على استعداد ان يفعل المستحيل لكسب تلك المعركة مما دعاه لان يتدخل قائلا: ياجماعة مش وقته الكلام دة، انتوا

دلوقتوا تستريحوا لان النهاردة كان يوم طويل بالنسبالنا كلنا وبكرة ان شاء اللّه نشوف ممكن نوصل لايه؟ عن اذنكم، ياللا بينا يا سميرة. السلام عليكم.

ردوا عليه السلام، ثم ذهب هو وزوجته الى شقتهم حيث كان يسود الصمت فقد نامت البنات منذ وقت طويل بعد ان استطاعت سميرة اقناع تلك الصغيرة الباكية دارين بأن تتشارك السرير مع غادة.

أعدت سميرة القهوة لزوجها فوجدته شاردا غارقا في تفكيره حتى انه لم ينتبه اليها وهي تقدم له فنجان القهوة مما جعلها تضع

يدها على كتفه وقد أجفل من ملامستها فقالت له بحنان: القهوة يا فؤاد.

أخذ منها الفنجان صامتا ، فقالت تواسيه وهي تعلم مدى الحب الذي كان يكنه لصديقه الراحل: فؤاد! اطلبله الرحمة، هو دلوقت في امس الحاجة لدعواتنا.

فهز فؤاد رأسه بأسى: اللّه يرحمه، ويغفرله ذلاته. انا بس كل اللي شاغل تفكيري دلوقت هو الواد اليتيم دة، اللي فجأة لقى نفسه في الدنيا لوحده يتيم الاب والام، اعمامه رفضوا انهم حتى يشوفوه، ما بقاش ادامه غير خالته اللي واضح جدا ان جوزها مش سهل.

سميرة: ماهو بردو يا فؤاد، مازن بقا راجل وما يتخافش عليه.

فؤاد: بس مازال قاصر ولازم يفضل تحت رعاية حد يراعي مصالحه و أمواله ومن حقه انه يتدخل في كل شئون حياته، وانا خايف ليكون مجدي هو الراجل دة.

سميرة: هو انت مش بتقول ان محمود اللّه يرحمه كتب وصية قبل ما يموت؟

فؤاد: فعلا، ودة اللي مخوفني اكتر، محمود الايام اللي فاتت كانت تصرفاته غريبة وبيقول كلام اغرب كانه كان حاسس ان نهايته قربت عشان كدة سافر لاخواته على امل انه ممكن يطمن على ابنه لو اصبح في

رعايتهم لكن للأسف هما خذلوه، ولانه ملوش حد تاني فخايف انه يكون فكر انه يوكل المهمة دي لخالة مازن وجوزها لانهم اقرب حد ليه دلوقت، واديكي شايفة ان مازن ومجدي من اولها مش متفقين.

سميرة وقد استطاعت ان تقدر مخاوف زوجها وقلقه، فحاولت ان تخفف عنه قليلا: يا فؤاد! دع الملك للمالك وان شاء اللّه هو اللي هيعدلها.

فؤاد بتنهيدة عميقة: ربنا يعدي بكرة على خير.

****
****

مر اليوم التالي بطيئا بسبب تلك الساعات الطويلة التي قضاها الجميع في الترقب والانتظار،اما مازن والذي كان يفوقهم توترا وقلقا ولكنه نجح في اخفاء ذلك فتظاهر طوال النهار بالبرودة واللامبالاة ولكنه كان يشتعل من الداخل في انتظار قرار لن يحدد مصيره وحده ولكن ايضا مصير فتاته الصغيرة التي اصبحت مرتبطة به ومرتبط بها ولم يعد لأي منهما بامكانه الاستغناء عن الآخر، وقد تأكد من ذلك عندما حل منتصف النهار فجاءت سميرة تخبره بأن دارين تبكي بحرقة و ترغب برؤيته، وخوفا من تعقيد الامور اكثر بينه وبين زوج خالته اقترحت عليه ان يأتي لرؤيتها في منزلهم،

وبالفعل ذهب مازن اليها فوجدها وقد احمرت عيناها من البكاء وانتفخت قليلا وهي ترفض اي محاولة من غادة واختها للعب معها او الترويح عنها.

دارين!:

رفعت دارين اليه عيون دامعة ولكن سرعان ما تحول هذا الوجه الكئيب الى سعادة غامرة وابتسامة ملأت وجهها وهي تصيح بفرح:مازن.

ثم نهضت على الفور تركض نحوه وترتمي بين زراعيه اللذين قد فتحهما لها ثم حملها بين يديه ليجلسها بجواره على الاريكة ويتأمل وجهها وقد تبلل بالدموع التي قد

مسح أخرها بيديه وهو يبتسم لها ابتسامة أعادت اليها الامان الذي شعرت بفقدانه منذ أمس:قوليلي بقا كنتي بتعيطي ليه؟

أجابت ولا يزال صوتها به أثر للبكاء: عشان طنط سميرة مش رضيت تخليني اروح لماما وبابا.

أثاره ذكرها لابويه الراحلين مجددا وقد هددت دموعه بمغادرة مقلتيه ولكنه كان اقوى منها فتمالك نفسه وسأل دارين وهو يجاهد لرسم ابتسامة صغيرة على شفتيه: طيب هو انتي عارفة بابا وماما فين؟

دارين ببراءة كانت دائما ما تعجبه فيها: طنط سميرة قالتلي انهم عند ربنا، ممكن بقا توديني عند ربنا عشان اشوفهم؟

احتار مازن في كيفية الرد على تلك الفتاة الصغيرة وقد التفت حوله عله يجد العون من سميرة الا انه لم يلحظ من البداية انها قد اخذت ابنتيها وغادرت الحجرة حتى تعطيهما بعض الخصوصية، وفي ظروف اخرى كان سيقدر لها ذلك اما الان فهو يشعر وكأنها تركته وحده وسط تيار لا يقدر على مواجهته مما جعله يفكر في حيلة تخرجه من هذا المأزق الى ان قال اخيرا: شوفي يا دارين،ماما وبابا سافروا عند ربنا وهيقعدوا هناك شوية، وكانوا عاوزين ياخدونا

معاهم بس انا قولتلهم لا انا وادرين الشطورة هنقعد نستناهم هنا ومش هنخاف نقعد لوحدنا، انتي هتخافي يا دارين؟

بدا على وجهها الصغير التردد مما اثار شفقته نحوها ولكن ليس بيده حيلة، وسألها مجددا: انتي هتخافي وانتي معايا يا دارين؟

فهزت دارين رأسها لتقول: لا.

ثم اكملت بضيق: بس انا عاوزة اشوفهم.

فأخذها مازن بين احضانه قائلا: ان شاء اللّه يا حبيبتي بس مش دلوقت.

تخلصت دارين من عناقه ثم نهضت فجأة ونزلت من فوق الاريكة لتمسك بيده وتحثه على النهوض: طب ياللا نروح بيتنا.

هذه مشكلة اخرى تضاف الى مشاكله، فكيف يقنعها ان البيت اصبح محرما عليها في هذه الفترة وعليها ان تمكث هنا قليلا حتى يتقرر مصيرهما معا؟

دعاه ذلك الى ان يلجأ للكذب عليها وهو يربت على وجنتها بحنان: طب ممكن تستنيني هنا شوية لحد ما اروح مشوار واجي؟

فزادت دارين تشبثا به وهي تقول له بتوسل: اروح معاك.

رفض مازن اقتراحها بلطف وبالابتسامة التي عمل على الا تفارق وجهه في هذا الموقف:
مش هينفع اخدك معايا.

وعندما وجد تلك التكشيرة تعتلي وجهها قال لها: بس انا مش هتأخر وكمان لما اجي هجيبلك معايا الشيكولاته اللي بتحبيها، ماشي؟

ولما رأى عينيها تلمعان بالعناد قال لها بجدية تحمل في طياتها المزاح: هو احنا مش قولنا العيال الحلوين بيقولوا حاضر وبس؟

فقالت دارين بخنوع: حاضر وبس.

علم مازن انها ما زالت لم تقتنع بكلامه وهذا ما سيتعامل معه لاحقا أما الان فأمامه معركة أخرى يجب ان يخوضها بذهن صافي.

****

جلس مازن بجوار خالته في مقابلة زوجها وولدهما مروان الذي كان لايزال في العاشرة من عمره، وقد مرت اللحظات ببطء بسبب ذلك الصمت الثقيل الذي غلف المكان الى ان قطعه صوت جرس الباب فنهض مازن ليفتحه بقلب مرتجف، وقد صدقت تكهناته عندما خمن ان الزائر ماهو الا أحمد المحامي قريبه من ناحية الام يقف

هناك بحقيبة الاوراق الخاصة به، وقد تعلقت بها عينا مازن وكأنه يريد ان يخترقها من الداخل ليقرأ ما تحتويه أوراقها فيطمئن باله، لاحظ أحمد الذي لايزال واقفا بالخارج ذلك فمد له يده وبادره بصوت هادىء رزين وقد كان شابا لا يتجاوز من عمره الثلاثين: السلام عليكم، ازيك يا مازن.

انتبه مازن اخيرا الى انه قد افتقد لاداب اللياقة، فحاول تصحيح الامر سريعا وهو يرحب بضيفه وقد صافحه ببشاشة تناقض ما يشعر به حقيقة: اهلا يا خالي ازيك، اتفضل.

لم يترك احمد يده حتى قال له مواسيا: البقاء للّه.

فرد مازن بصوت ثابت: ونعم باللّه.

ثم ادخله مازن الى حيث كان يجتمع الباقون وقد رحب أحمد بقريبته وزوجها وقدم لهما واجب العزاء، وبعد ان استراح على كرسيه قال لهم معتذرا بصوت مجهد: انا اسف واللّه يا جماعة عشان معرفتش الخبر غير النهاردة لاني كنت مسافر في قضية مستعجلة.

هويدا: ولا يهمك يا احمد، حمداللّه على سلامتك، تشرب ايه؟

احمد: ياريت فنجان قهوة لو سمحتي.

وبعد ان غادرت هويدا لاعداد القهوة، سأله مجدي: هو صحيح يا احمد، ان محمود اللّه يرحمه كتب وصية قبل ما يموت؟

فأومأ احمد برأسه مؤكدا: دة حقيقي، هو بعد ما اتبنى دارين على طول كتب كل حاجة بيمتلكها هو مراته لابنه مازن عشان ما يبقاش لدارين الحق في انها تورث فيهم لان دة طبعا مخالف للشرع.

فقاطعه مجدي وهو يقول ساخطا: وهو ما كنش يعرف ان التبني نفسه مخالف للشرع؟

وقبل ان يجيب احمد، تولى مازن مهمة الدفاع عن والده بقوة: بابا عمل كدة عشان

ماما ما تزعلش لانه كان خايف عليها وعلى صحتها.

وقبل ان يثور مجدي ضده مجددا، قال احمد مؤكدا على كلامه: دة صحيح، وبعد ما حولوا كل املاكهم لمازن، محمود اللّه يرحمه كتب وصية عشان يضمن انه لو مات هيبقا مطمن انه سايب ابنه في ايد امينة.

فسأله مجدي بشيء من اللهفة حاول يخفيها: طب وهي فين الوصية دي؟

احمد: معايا طبعا، بس مش هينفع افتحها غير في وجود استاذ فؤاد كامل عزالدين صديقه.

لم يتفاجأ احمد عندما رأى علامات الدهشة على وجوه الجميع فقد سبقهم في ردة الفعل هذه عندما طلب منه محمود ذلك،حتى ان هويدا والتي كانت قد عادت وتحمل في يدها صينية عليها فنجانين من القهوة قدمت احدهما لاحمد والاخر لزوجها، سألت قريبها باستنكار: طب وايه علاقة صاحب محمود بالموضوع دة؟

فمط احمد شفتيه دليلا على جهله بالامر وهو يقول: واللّه مش عارف، هو طلب مني كدة، وطلب ان الوصية ما تتفتحش الا في حضوره، دة انا حتى لسة معرفش الوصية فيها ايه؟

ثم وجه حديثه الى مازن قائلا له برفق:

ياريت يا مازن تروح تنادي استاذ فؤاد.

وبالفعل ذهب مازن تنفيذا للأمر وهو لايزال في حيرة من طلب والده الغريب والذي لا يجد له تفسيرا ، هو بالفعل على علم بالمكانة التي كان يحتلها ذلك الرجل في قلب والده لكنه لم يكن يعتقد ان الامر ممكن ان يبلغ الى تلك الدرجة فيزج به في امر في غاية الخصوصة كهذا.

فياترى بماذا كان يفكر والده حين كتب تلك الوصية؟ وماذا سيكون مضمونها؟ والكثير من الاسئلة سيحصل على اجابات لها خلال دقائق معدودة.

الفصل الثامن

عاد مازن اليهم مجددا بصحبة فؤاد الذي تفاجأ بدوره عندما أخبره مازن بطلب أبيه العجيب وبعد أن القى التحية على الجميع جلس وقد لاحظ نظرات مجدي مسلطة عليه كلية و لم يلمه على ذلك، ثم شرع احمد في عمله حيث فتح حقيبته وأخرج منه ملفا يحمل اسم محمود الشرقاوي، أخرج منه عدة أوراق، ثم سلم مظروفا لفؤاد وهو يقول:

المرحوم طلب مني اسلمك الظرف دة قبل ما ابدأ أقرأ عليكم الوصية.

استلم فؤاد منه الظرف ووضعه في جيب قميصه لحين يتسنى له الوقت لقراءته ثم استمع الى احمد وهو يحدث الجميع مباشرا عمله: في البداية يا جماعة ياريت نقرا الفاتحة على المرحوم ومراته.

وبالفعل امتثل الجميع لطلبه وشرعوا في قراءة الفاتحة وبعد الانتهاء من ذلك قال احمد: اولا اعتقد ان الكل هنا عارف ان المرحوم محمود الشرقاوي كتب كل حاجة لابنه قبل ما يموت، ولانه في الفترة الاخيرة كان بيراوده احساس ان اجله قرب فقرر ان يكتب وصية يحدد فيها اسم الشخص اللي هيخليه واصي على ابنه بعد وفاته وكان مقرر في البداية انه يكون

حد من اخواته، عشان كدة سافر الشرقية

لكن نتيجة لقائه باخواته ما كانتش

مثمرة زي ما كان متوقع عشان كدة غير

في الوصية قبل ما يموت بشهر، لكنه رفض

ان حد يعرف بمضمونها الا بعد وفاته وكان

من شروطه ان استاذ فؤاد لازم يحضر فتح

الوصية، نقول بقا باسم اللّه.

قال جملته الاخيرة وقد اخرج ظرفا كبيرا

من الملف ثم مزق أحد اطرافه ليجد بداخله

ورقة تحتوي على تلك الكلمات الصغيرة

التي استحوذت على انتباه الجميع:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد والشكر للّه، والصلاة والسلام على رسوله الامين.

أما بعد:

هذا ما أوصي به أنا / محمود أحمد عبدالعزيز الشرقاوي

وأنا في كامل صحتي وقوايا العقلية بأنني قد عينت صديقي فؤاد كامل عزالدين وصيا شرعيا على ابني مازن محمود احمد الشرقاوي وابنتي بالتبني دارين محمود احمد الشرقاوي في كل ما يتعلق بأمورهما المالية والقانونية حتى يبلغ مازن سن الرشد فيصبح مسئولا بالكامل عن نفسه وأخته.

أما في حالة ان رفض فؤاد ذلك وهو ما لا أرجوه فتنتقل الوصاية لخالة مازن السيدة هويدا عبدالحميد منتصر.

وفي الختام ارجو ان يسامحني الجميع ويطلبوا لي المغفرة لما اقترفته في حق نفسي وحق الغير.

إمضاء: محمود احمد عبدالعزيز الشرقاوي

:مستحيل! انا بطعن في الوصية دي.

قالها مجدي بقوة وقد تملك منه الغضب في حين تسمر الجميع في اماكنهم وقد اذهلتهم المفاجأة الغير متوقعة فما من احد كان بامكانه ان يتكهن بذلك حتى فؤاد نفسه لم يخطر في باله ان يقدم صديقه

على مثل هذا العمل حتى وان كان يعلم بمقدار المكانة التي يحتلها في قلبه، اما احمد فقد رد على مجدي بكل هدوء:
الوصية ماضي عليها اتنين شهود وموثقة في الشهر العقاري.

اما مجدي فما كانت تلك الكلمات هي التي يمكنها ان تعيد اليه هدوئه لذا فما كان منه الا ان قال وقد ملأ الحقد نبرة صوته وهو يشير باصابع الاتهام ناحية فؤاد:
ما هو دة معناه حاجة من الاتنين يا اما يكون محمود اتجنن قبل ما يموت يا اما تكون انت اللي اثرت عليه عشان يكتب وصية بالشكل دة.

لم يرد فؤاد على الفور، او ان مازن هو الذي
لم يعطه الفرصة لذلك حيث هب مدافعا
عن والده كما كان مستعدا دائما: انا بابا
ما كنش مجنون، واكيد هو كتب الوصية
دي لانه كان عارف ان عم فؤاد هو الوحيد
اللي هيقدر يحافظ علينا وعلى اموالنا.

لم ينتبه مازن الى انه كان يستخدم صيغة
الجمع في حديثه حيث اشار بها الى نفسه
وكذلك دارين التي اصبحت جزءا لا يتجزأ
عنه، ولكن كلامه زاد من حدة مجدي
وغضبه حيث اصبح صوته كالفحيح وهو
يسأله: قصدك ايه يا ولد؟ يعني انا
وخالتك اللي كنا هناكل حقكم؟

وقبل ان ينطلق لسان مازن بكلمات اخرى قد تضرم النار في قلب هذا الرجل فيحدث ما لا يحمد عقباه، لذا قال فؤاد اخيرا بصوت ضعيف: انا هرفض تنفيذ الوصية.

وكأنهم لم يسمعوا ما قاله بوضوح او انه قد صعب عليهم استيعابه وكان مازن هو اول من استطاع ان يفيق من صدمته التي كانت تفوقهم جميعا فبعد ان صعد بأحلامه الى السماء عندما سمع الوصية، فهو يعلم بأن فؤاد هو خير من يؤتمن فهكذا كان يردد والده دائما وكان درسا أخر يعلمه له أبيه عن المعنى الحقيقي للصداقة، ولكن عندما قال فؤاد ذلك قد تبخرت احلامه فجأة لتهوى بقوة الى الاعماق وتصدمه بأرض

الواقع فيصبح مرة اخرى عرضة لتحكمات زوج خالته القاسي.

اراد احمد ان يتحقق من الامر حتى يتم عمله كما يجب: انت واثق من رغبتك دي يا استاذ فؤاد؟

اجاب فؤاد بثبات: ايوة واثق، اهل مازن هما اولى الناس برعايته، وانا مهما كان مش اكتر من مجرد صديق لوالده اللّه يرحمه.

ثم نظر بعينين تشعان حنانا الى هذا اليتيم الذي قد افصحت عيناه عما يجيش في صدره من مرارة وهو يناشده بنظرات صامتة ان يغير رأيه: لكن بردو هفضل جنبه وقت ما يحتاجني.

ابتسم مجدي ليقول بسخرية لاذعة:
وكأنك بتمن علينا بحقنا! حتى لو كنت قبلت الوصية احنا ما كناش هنسكت على حاجة زي دي.

ولكن احمد والذي كان يهمه اولا واخرا ان يتم مهته على أكمل وجه، وجه حديثه الى فؤاد ليقول بجدية: ع العموم، زي ما تحب يا استاذ فؤاد، لكن ارجو من حضرتك قبل ما نقوم بأي خطوة رسمية في الوضوع دة انك تراجع نفسك مرة تانية وتقرا الرسالة اللي سابهالك المرحوم وانا هتصل بيك بكرة ان شاء اللّه عشان اعرف قرارك الاخير.

وغادر احمد تاركا حربا ضارية قد نشبت بين العيون وقد زادها مازن اشتعالا حين أمسك بذراع فؤاد الذي كان يستعد للرحيل، وهو يتوسل اليه بدموع رفضت ان تفضح ضعفه ولكن قد شعر بها فؤاد: عمي ارجوك، وافق ع الوصية.

توسله ضاعف من حيرة فؤاد الذي قال له وهو يربت على كتفه بحنان: يا مازن يا بني، ابوك اللّه يرحمه شيلني مسئولية انا مش ادها.

لكن لم يتخل مازن عن موقفه وحاول ان يمحي هذا التردد الذي يراه في عيني فؤاد بسؤاله: يعني لو بابا كان لسة عايش وطلب

من حضرتك انك تاخد بالك مننا وهو مسافر، كنت بردو هترفض؟

ولأن خبرته بالحياة قد ساعدته في التخلل الى عقل الغلام واكتشاف الحيلة التي يحاول بها ثنيه عن قراره ابتسم بسماحة وهو يجيب بحكمة: طبعا لا، بس الوضع هنا مختلف لان دول اهلك يا مازن ودة حقهم، وانا مقدرش اتعدى عليه.

مازن: بابا سبق وقالي ان الصديق في اوقات كتير ممكن يكون أحسن من الأخ وكان دايما يستشهد بحضرتك في الموضوع دة، فأكيد حضرتك مش ممكن تخذله بعد ما مات زي مانت عمرك ما عملتها في حياته.

ألجمت كلماته لسان فؤاد الذي لم يجد ما يمكنه ان يرد به على هذا الفتى الشاب وعندما استشعر مجدي تأثير كلام هذا الذي مازال يعتبره طفلا على فؤاد قرر ان الموقف اصبح يحتاج تدخلا منه فقال بصوت حازم لمازن: مازن! سيب استاذ فؤاد يرجع شقته، الموضوع خلاص منتهي.

وارادت هويدا ان تخفف من حدة كلماته فاحتضنت وجه مازن بكفيها وهي تسأله بحنان بالغ: هو انت يا حبيبي مش عاوز تعيش معانا؟ دة احنا حتى هنشتري فيلا جميلة نعيش فيها كلنا انا وانت وعمو مجدي ومروان.

:ودارين؟

القى مازن بسؤاله وهو يعلم مدى التأثير الذي سيحدثه، وبعد ان القت بنظرة سريعة ناحية زوجها الساخط، اجابته بهدوء في محاولة عقيمة لاقناعه: حبيبي، البنت دي لازم تروح الملجأ، مش يمكن اهلها يقدروا يلاقوها هناك.

بينما تحلى مازن بالمنطق حين قال: اهلها لو كانوا فكروا انهم يدوروا عليها قبل كدة كانت زمانها دلوقت عايشة معاهم.

سأم مجدي من متابعة هذا الحوار الممل من وجهة نظره، كما انه لطالما كره في هذا الفتى عناده و غروره لذا صاح فيه لينهره

بشدة: هو احنا مش قولنا الكلام في الموضوع دة انتهى خلاص، والبنت دي مش عاوز اسمع اسمها تاني؟

فقال مازن بتحدي: بس انا هفضل مع دارين، ومش هسيبها، وحضرتك لحد دلوقت ما ليكش اي كلمة في الموضوع دة لحد ما عمو فؤاد يقرر انه يتنازل عن الوصية.

اسود وجه مجدي من هذا الهجوم الذي لم يكن يتوقعه فهجم على مازن بوحشية قاصدا الشر وهو يقول: اما انت صحيح ولد قليل الادب و محتاج تربية.

بينما وقف فؤاد حائلا بينه وبين مقصده في حين ابعدت هويدا مازن قليلا عن متناول يد زوجها الباطشة.

وبعد عدة كلمات استطاع بها فؤاد تهدئة الموقف كما انه نهر مازن برفق، قال مجدي اخيرا وهو يرمق مازن بنظرات متوعدة: ع العموم احنا النهاردة هنروح نطمن ع الشقة، ومش هنيجي غير بكرة بعد الضهر عشان هنقابل الراجل اللي هيشتري الشقة، ولما نرجع عاوزك تكون شلت الموضوع دة من دماغك تماما لاني مش هقبل فيه اي كلام تاني.

ثم اشار الى هويدا ليقول لها بنبرة آمرة:

يااللا بينا يا هويدا.

فقالت له هويدا بنبرة يخالطها شيء من الرجاء: طب ما تخليني انا هنا يا ابو مروان، عشان ما اسبش مازن يبات لوحده.

رفض مجدي طلبها بشكل قاطع مستنكرا: واحنا مين يشوف طلباتنا انا وابنك الفترة دي؟

ثم وبنظرة هازئة كانت من نصيب مازن اكمل: وكمان مازن ما هو راجل اهو ويقدر يشيل مسئولية نفسه، مش كدة ولا ايه يا باشمهندس؟!

قال هذا اللقب وكان على علم بالطبع برغبة مازن في الالتحاق بكلية الهندسة، ولكنه كان حتى يستنكر عليه رغبته تلك، اما مازن فقد اجاب بصوت ثلجي باختصار: ايوة اقدر.

ثم وجه نظره ناحية خالته ليقول لها مطمئنا: اتفضلي انتي يا خالتي، وما تخافيش عليا.

فقالت له هويدا بنظرات ترجمها مازن بأنها مغلوب على امرها وكان يقدر ذلك: طب يا حبيبي مش عاوز حاجة قبل ما امشي، ولا احتى احضرلك عشا؟

وقبل ان يرد مازن سمعوا صوت مجدي وقد بدا نافذ الصبر وهو يقول لزوجته: ياللا بقا يا هويدا، مروان شكله هينام.

وبالفعل قبلت هويدا ابن اختها على جبينه ورحلت في اثر زوجها وابنها تاركين هذا اليتيم ليقضي ليلته يستشعر قساوة الوحدة التي جعلته يتهالك على أقرب كرسي له وقد اخفى وجهه بين يديه، وقد نسى تماما امر فؤاد الذي لم يكن قد غادر المكان بعد، ولم يشعر مازن به الا حين وجد يدا حانية تمسح على شعره جعلته يرفع عينيه الدامعتين الى هذا الذي قد اشفق على حاله، ولكنه قال له بهدوء يشد من ازره: معلش يا مازن يا بني، انا عارف ان اللي انت

بتمر بيه دة مش سهل لكن انت بردو اقوى من كدة وتقدر تتحمل.

مازن بصوت واهن يرفع يديه في الهواء بقلة حيلة: دة لما يبقا مصيري في ايدي يا عمي، لكن انا دلوقت حاسس اني زي الكورة في رجل كل واحد شوية، ومش عارف اخرتي فين؟

اندهش فؤاد من قوة التعبير الذي استخدمه مازن للتعبير عن حاله، فهو بخبرته الطويلة مهما حاول ما كان يمكنه ان يصل الى هذا الوصف الدقيق، ولم يجد له ردا مناسبا غير تنهيدة خرجت من اعماقه تعبر عن ذلك

الصراع الذي يدور بداخله حيال امر هذا الفتى.

طالت لحظات الصمت لم يبد اي منهما ادنى رغبة في قطعه حتى سمعا صوت جرس الباب وعندما هم فؤاد بالذهاب لفتحه، نهض مازن ليقول وقد عاد الى اتزانه مجددا:

خليك انت يا عمي، انا هروح اشوف مين؟

وماهي الا لحظات حتى عاد حاملا دارين بين ذراعيه وخلفه سميرة التي سألت وقد ساورها القلق: خير يا فؤاد هو ايه اللي حصل؟ انتوا اخرتوا كدة ليه؟ وكمان فين هويدا وجوزها؟

فؤاد: خير يا ام مروة. خير ان شاء اللّه، خدي انتي بس دارين وارجعي الشقة وانا هبات النهاردة مع مازن.

احتج مازن بتهذيب: لا يا عمي، اتفضل حضرتك روح شقتك.

ثم حاول ان يكسب لهجته بعض المرح: انا اكيد يعني مش هخاف اني اقعد لوحدي.

وعاد الى جديته ثانية: وكمان، مش هينفع تسيب طنط والبنات لوحدهم.

منطقه لم يترك مجالا امام فؤاد للاعتراض، لذا وافق كارها: طب يابني انت مش عاوز حاجة؟

حاول مازن ان يبدو بمظهر القوي الذي سرعان ما سيتهاوى فور رحيلهم وهو يجيب: لا ياعمي كتر خيرك.

فأشار فؤاد الى زوجته التي كانت لاتزال على جهل بالامر ولكنها ادركت ان زوجها لم يكن على استعداد للحديث الان فقررت الانتظار حتى يحين الوقت المناسب: ياللا بينا يا ام مروة.

واقتربت سميرة من مازن تمد يدها ناحية دارين التي كانت تلف ذراعيها حول رقبته وكأنها طوق النجاة بالنسبة لها: يا للا يا دارين عشان تنامي.

شعر مازن بذراعيها تشتدان حول عنقه وهي تهزرأسها برفض وقد قطبت جبينها: لا، انا هنام مع مازن.

حاولت سميرة مرة اخرى ثني الطفلة عما عزمت عليه، فقالت لها بابتسامة مشجعة: يا حبيبتي انتي مش عايزة تنامي مع غادة وسط العرايس والدباديب.

ولكن بدت ان طريقة الترغيب تلك لم تلق صداها عند دارين فاستمرت بهز رأسها بعناد وهي تقول: لا، انا مش عاوزة انام مع غادة، انا عاوزة انام مع مازن.

بدت سميرة خاوية اليدين من اي حيلة اخرى فنظرت ناحية زوجها ومازن بعجز،

فحاول هذا الاخير مساعدتها ليقول لدارين برقة: دارين، روحي مع طنط سميرة، وانا هبقا اجي اخدك بعدين.

لم تقتنع دارين ايضا بهذا الوعد وقالت متذمرة ببراءة الطفولة تلك الصفة التي تلازمها دوما: لا انا هقعد معاك، وهفضل ساكتة خالص مش هتكلم ومش هعيط، ماشي؟

لم يجد مهربا من الموافقة على طلبها، فأشار لسميرة بطريقة المغلوب على امره حيث لم يكن في حالة تسمح له العناية بتلك الطفلة الصغيرة في هذا الوقت ولكن ما باليد حيلة: خلاص يا طنط، سيبيها معايا.

سمية باشفاق: يا حبيبي هتتعبك.

فأسرعت دارين تهز رأسها بقوة وهي تهتف: لا يا طنط انا مش هتعبه.

هاهي الوحيدة التي استطاعت ان تغتصب منه ابتسامة في اصعب المواقف مما اراح فؤاد قليلا من تلك الناحية فلمس كتف زوجته وقال لها: يا للا بينا يا ام مروة وسيبي دارين مع اخوها.

و التفت ناحيتهما قبل ان يغادر ليقول لهما بابتسامة حنونة: تصبحوا على خير يا ولاد.

ثم غادر تتبعه زوجته، وما ان دلفا داخل شقتهما حتى تهالك فؤاد على أقرب كرسي أمامه وقد شعرت زوجته بهمه فجلست بجواره

ووضعت يدها على كتفه باشفاق وسألته:

فيه ايه يا فؤاد؟ ايه اللي حصل ومزعلك اوي كدة؟

وأعقب سؤالها فترة من الصمت شعرت فيها وكأنه يتجاهل سؤالها لذا تفجأت بصوته وهو يقول لها: محمود اللّه يرحمه عاوز يشيلني هم تقيل اوي انا مش حاسس اني هقدر عليه.

لم تعقب على كلامه وانتظرت منه التفسير وهو لم يبخل عليها به، حيث ما لبث ان استأنف يقول: كتب في وصيته ان بعد وفاته ابقا انا الوصي على ابنه.

الان فهمت مقدار ما يعانيه من صراع بين واجبه تجاه صديقه المتوفي وبين خوفه من الا يكون على قدر المسئولية. فحاولت بقدر الامكان ان تجد كلمات تواسيه بها الى ان قالت اخيرا: "لا يكلف اللّه نفسا إلا وسعها" يا فؤاد، يعني انت لو حاسس انك مش هتقدر تنفذ الوصية فممكن تتنازل عنها.

فؤاد: ما هو دة اللي انا فكرت فيه فعلا لكن الولد نفسه اترجاني اني اقبلها دة غير اني لو رفضتها الوصاية هتتنقل لخالته وجوزها و دة واضح جدا انه مش عاجب مازن وبصراحة انا شايف ان عنده حق.

لقد انتابتها الحيرة التي تملكت زوجها مما دعاها ان تسأله: طب وانت هتعمل ايه؟

فؤاد: مش عارف، بس استاذ احمد المحامي اداني فرصة لحد بكرة اراجع نفسي فيها وكمان اقرأ الرسالة دي.

قالها وهو يخرج الظرف من جيب قميصه، فنظرت اليه زوجته وعلى وجهها علامات استفهام عديدة خرجت على لسانها فورا وهي تقول: ايه الظرف دة يا فؤاد؟ ومين اللي بعته؟

فؤاد: استاذ احمد قالي ان محمود كتبهولي قبل ما يموت ووصاه انه يدهولي يوم ما يقرأ الوصية.

ظهر على وجهها الفضول وهي تطلب منه ان يسرع في فض الرسالة للاطلاع على محتواها: طب ما تفتحها وتشوف فيها ايه.

فانتظر قليلا قبل ان يهز رأسه موافقا وهو ينظر الى الظرف شاردا وكأنه يخشى مما قد يقرأه في تلك الورقة الصغيرة التي كتبها له صديقه: ان شاء اللّه.

ثم التفت الى زوجته ليكمل: المهم، انتي قومي دلوقت جهزي عشا لمازن ودارين الاول عشان ممكن تكون خالتهم ما عملتش حسابها. ولما تخلصي يبقا تيجي تعمليلنا العشا انا والبنات.

ثم التفت حوله يمينا ويسارا وكأنه يبحث عن أحدهم: الا هما فين صحيح؟

لاحت ابتسامة حانية على وجهها اثر ذكر قمريها، وردت تقول مازحة: هيكونوا فين يعني؟ في اوضتهم، مروة بتذاكر نظري وغادة بتذاكر عملي.

نظر اليها بتعجب وعدم فهم: يعني ايه بتذاكر عملي؟

فقالت سميرة بنبرة ضاحكة: ماسكة السماعة اللعبة وعمالة تكشف ع العرايس والدباديب بتوعها.

تبسم ضاحكا من قولها حيث تراءت امام عينيه صورة ابنته الصغرى وهي بالفعل

تمثل دور الطبيبة مع الدمى خاصتها، ثم قال ولا زالت الابتسامة تعلو شفتيه: ربنا يباركلنا فيهم، ياللا انتي قومي بقا قبل ما مازن و دارين يناموا على لحم بطنهم.

فقالت سميرة وهي تهم بالنهوض مرحبة بتلك المهمة التي وكلت بها، فما بالها لا تفرح وقد اختيرت لاطعام يتيمين: حاضر.

ذهبت سميرة لاعداد العشاء كما طلب منها زوجها الذي عاد مجددا الى شروده والى تلك الرسالة التي قرر اخيرا ان يفتحها.

****
****

جلس مازن في سريره يجافيه النوم بعد ان وضع دارين في سريرها واطمأن عليها ليغرق هو في احزانه مرة اخرى ناظرا الى تلك الصورة الصغيرة الموجودة على المنضدة بجوار سريره وتجمعه بوالديه اللذين تركا مصيره متعلقا في قرار يتخذه الغير، فآه لو كان اكبر قليلا وراشدا بما يجعله يملك مصيره بين يديه لاختلف الامر حتما عما هو عليه الان.

طرقا على الباب قطع عليه حبل افكاره، فحاول ان يعود الى الواقع ليرسم ابتسامة باهتة على شفتيه لاستقبال تلك الطفلة المشاغبة التي اصبحت الان هي كل عائلته، فتح الباب فوجدها تفرك عينيها

وعلى حاجبيها تكشيرة يعلمها جيدا، فجثا امامها وسألها مبتسما: دارين يا حبيبتي، مالك؟ عاوزة حاجة.

فهزت برأسها اي نعم وهي تقول: جعانة!

وكأنه لم يستوعب الكلمة على الرغم من يقينه انه سمعها جيدا ولكن اراد التحقق: نعم! عاوزة ايه؟

قالت دارين معنفة وقد زادت العقدة التي بين حاجبيها: عاوزة اكل.

يبدو ان الفتاة جائعة حقا، وعليه ان يتصرف اذن، فأمسكها من يدها قاصدا المطبخ: طب تعالي نشوف هنلاقي ايه في التلاجة؟

دخلا المطبخ سويا وأجلسها على كرسي امام الطاولة وكانت دميتها هناك فأخذت تلعب بها في حين فتح مازن الثلاجة وأخذ يتفحص محتوياتها وهو يقول بصوت عال تسمعه دارين: فيه بيض و جبنة و زيتون و برتقال.

ثم التفت اليها يسألها: تاكلي جبنة؟

فهزت رأسها رافضة: لا، انا عاوزة بيض وسلطة.

بدا ان اختيارها لم يلاق استحسانا لديه، فقال متأففا: ما تهزريش بقا يا دارين، انا مش فاضي اعمل الحاجات دي، كلي جبنة وخلاص.

ثم وضع طبق الجبنة امامها ليلمح نظرات الرفض والاحتجاج في عينيها، وبدأت تهز رأسها بعنف وعناد: لا، مش هاكل.

ثم طرحت الطبق جانبا، مما جعل امامه اختيارا واحدا، فزفر بشدة وأخرج البيض والخضروات من الثلاجة وبعد ان قام بغسلهم وضعهم في طبق امامها وتوجه ناحية الموقد لاعداد البيض، ولكنها كانت لاتزال تلعب بدميتها وفجأة وجدها بجانبه تشده من ثيابه وتقول له قبل ان يشعل الموقد: مازن مازن.

نظر اليها يسألها: ايه يا دارين؟

دارين: اعمل السلطة الاول وبعدين البيض.

مازن متعجبا: اشمعنا بقا؟

دارين: عشان البيض هيبرد.

نظر اليها مازن بتعجب وهو يقول لها: وانتي عرفتي منين الكلام دة؟

دارين: من ماما.

هزه ذكر سيرة والدته ولكنه تعمد الا يظهر ذلك، فأمسك بيد صغيرته وأعادها الى كرسيها ثم جلس في المقابل وشرع بتقطيع الخضروات، وفيما هو منهمك في هذا الامر لاحت منه نظرة ناحية دارين ليجدها منشغلة باللعب مع دميتها تحاول ان تضفر لها شعرها فافلتت منه ابتسامة محت في لحظة واحدة ما تراكم عليه من احزان

خلال اليومين الماضيين، واراد مشاكستها قليلا فقال لها مازحا: وانتي بقا مش ناوية تعملي حاجة عشان تساعديني في العشا دة؟

خبرتها المنعدمة تقريبا لم تسمح لها بمجاراته في مزاحه فقالت بتلقائيتها المعهودة: مانا بضفر للعروسة شعرها.

مازن وهو يحاول ان يكتم ضحكته: لا، عندك حق في دي،انا اسف لو كنت هعطلك،كملي شغلك يا دارين.

وبعد ان انتهى من اعداد السلطة، ذهب لاعداد البيض فاشعل الموقد،ثم سمع رنين جرس الباب، فقال لدارين وفي نبرته قليل من التهكم: معلش يا دارين هعطلك شوية،

ياريت بعد اذن سعادتك تروحي تفتحي الباب، اكيد دة عم فؤاد او طنط سميرة.

وعلى الفور تركت عروستها على الطاولة وذهبت لتفتح الباب، بينما كان مازن قد انتهى من اعداد الطعام ويضعه على الطاولة واذا سميرة امامه حاملة صينية طعام وتقول له مبتسمة: السلام عليكم.

رد مازن السلام، و عندما رات سميرة الطعام الذي اعده سألته: يا خبر! انت اللي عملت دة يا مازن؟ انا اسفة يابني اني اتأخرت عليكم.

ثم افسحت مكانا على الطاولة لتضع ما في يدها فسألها مازن: ايه دة يا طنط؟

سميرة: دة عشا يا حبيبي عشانك وعشان دارين.

مازن باحراج: طب ليه حضرتك تعبتي نفسك؟ انا اقدر اعتمد على نفسي في الموضوع دة.

سميرة وقد شعرت بحرجه فقالت تعالج الامر: يا حبيبي احنا مفيش بينا تكليف، انت عندي زي عيالي، شوف انتوا اتعشوا دلوقت والاكل اللي يفيض حطه في التلاجة عشان لو حد فيكم جاع تاني في الليل، ياللا بقا مش عاوزين حاجة قبل ما امشي؟

فابتسم لها مازن ابتسامة تدل على ما يشعر به من عرفان للجميل تجاه تلك السيدة الطيبة وزوجها: ربنا يخليكي لينا يا طنط.

وبعد ان رحلت سميرة وجلست دارين تتناول العشاء فكر مازن بأن هذه هي العائلة الحقيقية فرغم انه لا تربطهم صلة الدم الا انه يجد منهم اهتماما يفوق اضعافا ذلك الذي يلقاه من هؤلاء الذين هم من لحمه ودمه.

****

جلس فؤاد مستغرقا في قراءة الرسالة التي تركها له صديق مدمع العينين اشتياقا له كما ان تلك الكلمات التي بالرسالة قد

اعادت اليه كل الذكريات التي جمعته به

وجعلت صورته تتجسد امام عينيه وكأنه

لايزال على قيد الحياة وهاهو صوته يرن في

اذنيه يقرأ له ما جاء بالرسالة:

أخي العزيز: فؤاد

نعم، اخي وصديق عمري

عندما تصلك هذه الرسالة اكون انا قد

انتقلت الى الرفيق الاعلى دعواتك يا اخي

ان يكفر عني خطاياي ويقبلني في رحمته.

توقف فؤاد عن القراءة ليرفع يده بالدعاء

لصديقه وقد اغرورقت عيناه بالدموع، ثم

عاد ليستكمل الرسالة:

بما انك تقرأ تلك الرسالة الان، فهذا يعني بأنك قد علمت بالوصية التي تركتها، اعلم انك الان مترددا فيما اذا كنت ستقبلها ام لا؟ كما اعلم جيدا بأنني احملك عبئا ثقيلا، ولكنني على يقين من أنك على قدر المسئولية التي اكلفك بها، فلقد فكرت ان اولي الوصاية لاخوتي ولكنك تعلم ما حصل هناك، فلم يبق امامي سواك انت وخالة مازن وكما تدرك تماما فمازن ماكان ابدا على وفاق مع زوج خالته، لذا لا اضمن كيف سيتعامل معه مجدي؟

صديقي العزيز، انا لا اقول هذا لاجبرك ان تقبل ما لاطاقة لك به، ولكن صديقي

تخيل انك في مكاني، فكيف كنت ستتصرف حينها؟

سؤال ان وجدت له اجابة فوقتها ستتخلص من حيرتك تلك.

والسلام ختام

صديقك الراجي رحمة ربه: محمود الشرقاوي.

مازال يحدق في الرسالة التي بيده حتى بعد ان انتهى من قراءتها وقد ازداد الامر صعوبة بالنسبة له. انهماكه في التفكير جعله لا يشعر بعودة زوجته ولا يسمع ذلك الكلام الذي توجهه اليه حتى ارتفع صوتها تناديه

وقد انتابها القلق حيال صمته، فانتبه اليها اخيرا: هه، بتقولي ايه يا سميرة؟

اضطرت سميرة ان تعيد على مسامعه ما قالته سابقا: بقولك اني رحت لقيت مازن مجهز بنفسه العشا و صعب عليا اوي يا عيني لما حسيته محروج اني وديتلهم عشا وكان شكله متردد انه ياخده.

فقال فؤاد وقد سرح قليلا في افكاره: هنلاقيلها حل ان شاء اللّه.

لم تنتبه سميرة لذلك المعنى الخفي الذي تتضمنه كلماته فقالت: ع العموم خالته اكيد هتيجي ان شاء اللّه وتاخده يعيش معاها، بس اللي صعبانة عليا بجد هي البنت

المسكينة دارين، ياترى مصيرها هيبقا ايه؟ دة لاهي هتقدر تبعد عن مازن ولا مازن كمان هيقدر يبعد عنها دول خلاص تحس انهم بقوا حاجة واحدة زي ما هو كل عيلتها هي كمان بقت كل عيلته.

لمعت عينا فؤاد بتصميم عجيب وهو يقول فجأة: انا خلاص قررت اقبل الوصية.

الفصل التاسع

ذهب فؤاد الى المحامي ليبلغه بقراره وقد ابدى احمد سعادته بذلك الامر وقال معلقا: انا سعيد جدا يا استاذ فؤاد بقرارك دة، واكيد بردو محمود اللّه يرحمه كان بيتوقع دة منك كصديق اعز من اخ.

فقال فؤاد وهو يبدي بعض القلق الذي مازال يساوره حيال هذا الامر: ربنا يقدرني واكون اد المسئولية يا استاذ احمد، لكن مدام هويدا وجوزها.........

لم يدعه احمد يكمل جملته فقد علم بمخاوفه، لذا قاطعه ليقول مطمئنا: ولا

هيقدروا يعملوا حاجة يا استاذ محمود، احنا ماشيين قانوني مية في المية. فياريت تطمن، واي حاجة خاصة بالموضوع دة سيبها عليا انا، وركز معايا بقا عشان عاوز اطلعك على كل ممتلكات مازن.

فؤاد معترضا: مفيش داعي يا استاذ، لان دي حاجة ما تهمنيش، انا بس ربنا يقدرني اني اخد بالي من العيلين دول لحد ما مازن يتم سن الرشد ويبقا هو المسئول عن املاكه.

رغم اعتراض فؤاد الا ان احمد اصر ان يقوم بواجبه موضحا السبب: يا استاذ محمود انت هتكون وصي شرعي على مازن والمتحكم

الاول والاخير في كل ما يخصه بما في ذلك اموره المالية.

رضخ فؤاد لالحاح احمد واخذ يستمع اليه وهو يشرح له التفاصيل: اولا طبعا هو بقا يمتلك نص الورشة بتاع الموبيليا اللي حضرتك شريك فيها بالنص التاني، دة غير الشقة اللي هو قاعد فيها حاليا علاوة على مبلغ من المال اتحول لحساب باسمه في البنك والمبلغ دة طبعا زاد لما عفاف باعت دهبها وحطت فلوسه في نفس الحساب فوصل ل200 الف جنيه، طبعا لحضرتك الحق في انك تسحب من ارباح المبلغ دة عشان تصرف بيه على مازن واخته دارين.

قاطعه فؤاد رافضا بشكل صارم قائلا: حد اللّه بيني وبين فلوس الايتام يابني.

احمد محاولا اقناعه: لكن دة من حق الوصي فعلا يا استاذ فؤاد انه يصرف على الموصى عليهم من اموالهم.

فقال فؤاد اخيرا لينهي الحوار في تلك المسألة: لو احتجت لا قدر اللّه هبقا اعمل كدة.

ولكنه أسر في نفسه الا يقرب مال هذا الغلام حتى يبلغ اشده

****
*

عندما اخبره فؤاد بقبوله تنفيذ الوصية
كاد يطير من السعادة، فلقد شعر اخيرا بأن
الله قد استجاب دعواته التي عكف طوال
الليل يرددها حتى طلوع الفجر، فها هو الان
قد اصبح في رعاية رجل يعلم انه سيخاف
الله فيه وفي ماله، كما انه لن يتدخل
بشكل سافر في حياته والاهم من هذا
وذاك لن يبعده عن صغيرته تلك الشقية
دارين، فاحتضن فؤاد بشدة وهو يلقي على
مسامعه كلمات الشكر والعرفان
بالجميل،الى ان أبعده فؤاد عن حضنه قليلا
ونظر الى عينيه بجدية تامة ليقول له:
مازن! انا قبلت الوصية عشان خاطر ابوك

اللّه يرحمه وعشان كمان عارف انك راجل وعمرك ما هتصغرني.

مازن: اوعدك يا عمي انك عمرك ما هتشتكي مني وانك على طول هتفضل فخور بيا، وانا ان شاء اللّه هنزل الورشة من بكرة.

فربت فؤاد على كتفه: انا متأكد من كدة، لكن موضوع الورشة دة اجله شوية، استريحلك فترة وبعدين انزل براحتك.

مازن مصرا على موقف رافضا اقتراح فؤاد بتهذيب: لا معلش يا عمي، انا هنزل من بكرة ان شاء اللّه، بس هي المشكلة في دارين، ازاي اسيبها لوحدها في الشقة؟

فؤاد باستنكار: وليه تسيبها لوحدها؟ ما هي هتقعد مع طنط سميرة والبنات.

فقال مازن موجها نظراته ارضا وهو يشعر بمزيد من الحرج: بس كدة يا عمي احنا هنتقل عليكم اوي.

فنهره فؤاد برفق: عيب يابني تقول كدة، دة احنا اهل يا مازن ومش من دلوقت بس والمفروض انك عارف كدة كويس.

فاعترف مازن بابتسامة مشرقة: اكيد يا عمي.

فجذبه فؤاد من يده وأجلسه بجانبه على الأريكة ليقول وقد اكتست الجدية وجهه ولكنها لم تستطع ان تطغي على ذلك

الحنان الذي يشع من عينيه: اقعد بقا يا مازن جنبي عشان فيه حاجة عاوز اخد رأيك فيها، كنا اتكلمنا فيها انا وطنط سميرة لكن بردو رأيك انت الاهم.

وجلس مازن بجانبه ينصت اليه باهتمام وقد اعجبه كثيرا ان يكون رأيه من اولويات الوصي عليه، ثم سمع فؤاد يقول: احنا فكرنا اننا نشوف واحدة بالأجر تيجي كل يوم تشوف طلبات الشقة من تنضيف وترتيب وطبيخ....وغيره.

في الحقيقة طنط سميرة كانت عاوزة هي تقوم بالمهمة دي لكني رفضت عشان ما

اشوفش في عينيك نظرة الاحراج دي اللي انا لسة شايفها من شوية، قلت ايه؟

وهل هناك ما يقال، وهل هناك افضل من هذا الرجل الذي يجلس امامه ليتولى زمام اموره؟! فقط الحمد للّه هي ما رددها بقلبه عدة مرات ، وعندما نظر الى فؤاد بوجه مبتسم وجده لا يزال ينتظر منه ردا فقال له وقد اتسعت ابتسامته: اعمل كل اللي انت شايفه صح يا عمي.

****

و بالفعل نزل مازن الورشة في اليوم التالي كما كان متفق عليه فوجد ان صديقيه قد سبقاه اليها وكانا لم يتركاه خلال

اليومين الماضيين اما في الجنازة او فيما بعد من خلال الهواتف، واصر فؤاد ان يساعده مازن في ادراة الورشة وكان يطالعه على كل صغيرة وكبيرة بها استعدادا لليوم الذي يصل فيه سن الرشد ويكون هو المسئول بنفسه عن اداره ماله، ولكن مازن كان قد قسم وقته ما بين شغله في الورشة كعامل واداري، فقد اراد ان يستمر في العمل بيده كما كان قبل رحيل والده ولم يعترض فؤاد على ذلك.

وكان يومه ما بين الورشة ثم بعدها يختطف ساعة مع اصدقائه يذهبون معا الى صالة الالعاب الرياضية التي قد اقنعهما مازن بالاشتراك فيها، ثم يأتي اكثر وقت

محبب الى قلبه وهو ذلك الذي يقضيه
بجانب دارين بعد يوم طويل من التعب
والارهاق وهو ما يتناساه مع تلك الطفلة
الصغيرة التي مع كل يوم يمر عليها تزداد
سحرا وشقاوة، وكانت غالبا ما تشتكي له
من غيابه عنها طوال النهار فيعمل على
تعويضها عن هذا الامر بأن يخرج معها بعض
الوقت للتنزه وشراء ما يحلو لها من حلوى او
العاب.

ثم يأتي العام الدراسي الجديد ليضاف عبء
جديد على كاهله، ورغم محاولات فؤاد
العديدة ان يقنعه بترك العمل تلك الفترة
الا انه لم يستطع ان يثنيه عن قراره بالجمع
بين الدراسة والعمل كما كان يفعل العام

السابق، ولم يكن يدري بأن الوضع قد اختلف كل الاختلاف هذا العام.

ولكن اصرار مازن وعزيمته جعلته يبذل قصارى جهده في اثبات العكس فها هو يثبت جدارته في العمل بالورشة متابعا الاعمال الادارية لها وكذلك استمر تفوقه بالدراسة التي كان يساعده فيها صديقاه ولم ينس بالطبع ان يخصص وقتا لفتاته التي تولى مسئولية مساعدتها في دراستها، وها هي تجتاز امتحاناتها لتزيد نجاحا اخر الى قائمة نجاحاته، ثم يحين موعد امتحانات الثانوية العامة والتي تعد تحديا حقيقيا لكل الطلاب المصريين فما بالك بفتى في نفس ظروف مازن؟!

وقد تزامنت تلك الامتحانات مع اصابة دارين بنزلة شعبية حادة ليصبح هو بين نارين، ورغم تولي سميرة امر الاعتناء بالطفلة في تلك الفترة الا انه لم يستطع ان يبعدها عن تفكيره او ذلك الشعور بالذنب الذي اخذ يتآكله، فقد حمل نفسه مسئولية اصابتها بذلك المرض ظنا منه انه لم يستطع رعايتها كما يجب، وهذا ما شغل فكره كثيرا في تلك الفترة حتى بدأت دارين تسترد صحتها تدريجيا ولكن قد انتهت فترة الامتحانات وهو يعلم انه كان مقصرا فيها لذا لم يتفاجأ حين ظهرت النتيجة وكالعادة اختير حسام لتلك المهمة وقد عاد متجهم الوقت، فبعد ان

طمأنهم على نتيجة عبدالرحمن ونتيجته حيث كانا من الاوائل كالعادة حتى جاءت الصدمة للجميع حين أخبرهم بأن مازن قد حصل على اثنين وتسعون بالمائة من المجموع الكلي وهو بالطبع ما لن يسمح له الالتحاق بكلية الهندسة كما كان يأمل مازن وكل المحيطين به.

****
****

كلية التجارة:

فضربت سميرة على صدرها براحة يدها وهي تشهق من الصدمة: يا خبر! تجارة!

بالطبع فمن كان يصدق ان مازن ذلك الطالب المتفوق طوال سنوات الدراسة الماضية يكون في النهاية هذا هو حصيل تفوقه، فتلك هي عقلية الشعب المصري الذي يعتبر ان كلية كتلك لا يدخلها سوى الطلاب دون المستوى التعليمي الجيد ولا يعلمون ان اي طالب هو فقط الذي بامكانه ان يثبت نفسه في اي مجال يلتحق به فقط اذا اراد ذلك، فلكل دراسة اهميتها التي من شأنها ان تفيد الفرد وتفيد المجتمع وذلك كله يتوقف على كيفية استغلال الطالب لها.

أخبر فؤاد زوجته بخبر التحاق مازن بتلك الكلية وهو يجلس على الكرسي خلفه

بانهاك، فقد شعر لاول مرة منذ سنة كاملة بأنه قد أخطأ في تولي تلك المسئولية، وهذا ما عبر عنه لزوجته وهو يقول بنبرة حزينة يملؤها الندم: انا حاسس اني فشلت يا سميرة، لاول مرة اندم على اني قبلت الوصية اللي كتبها محمود الله يرحمه، انا ما كنتش اد المسئولية، ما عرفتش احافظ ع الامانة.

حزنت سميرة لحزن زوجها وجلست بجواره تحاول مواساته: طب وانت بس ذنبك ايه يا فؤاد؟ انت عملت اللي عليك واكتر، بلاش تشيل نفسك اكتر من طاقتها.

فنظر فؤاد اليها بعينين مليئتين بالدموع:
ابوه وامه اللّه يرحمهم كانوا بيحلموا
باليوم اللي يشوفوه فيه باشمهندس اد
الدنيا، اقولهم انا ايه دلوقت؟ اقولهم ان
حلمهم ضاع بسببي؟

ثم عاد ينظر الى الفراغ وقد اصبح صوته
باكيا وهو يقول متخيلا امامه صورة صديقه
الراحل: ليه كدة يا صاحبي؟ ليه تشيلني
حمل انا مش اده؟ ياترى بتقول عليا ايه
دلوقت؟ ياترى انا بقيت في نظرك خاين
للأمانة؟

ثم بدأ صوته يختلط ببكائه فأصبح من الصعب تمييزه: سامحني يا محمود، سامحني يا صاحبي.

وفجأة اخذته سميرة في حضنها ولسان حالها يقول: اه يا حبيب القلب!ليتني استطيع ان اخفف عنك بعض الاسى الذي تشعر به! لماذا دائما تحمل نفسك أكثر من طاقتك؟ لماذا يا طيب القلب تحن على كل الناس وتقسو على نفسك؟

****
****

خرج مازن مع صديقيه اللذين بالطبع قد حزنا لما آل اليه حاله فقررا أن نزهة صغيرة خارج البيت ربما تخفف من وقع الامر عليه،

وعلى عكس ما توقعاه تماما فقد كان مازن يستجيب لدعاباتهم ومزاحهم وكأن شيئا لم يكن ما دعا حسام يشك في الامر فسأله وقد علت الدهشة وجهه: بس غريبة يا ميزو انت شكلك لا زعلان ولا متضايق يعني، هو انت قررت تسمع بنصيحتنا وتعيد السنة ولا ايه؟

فنفى مازن الامر ذاكرا السبب وهو يقول مبتسما: لا طبعا، انا هكمل في تجارة لاكتر من سبب، اولا لانها كلية نظرية مش هتحتاج مني التزام في الحضور والمذاكرة ثانيا انا فعلا محتاج نوعية الدراسة دي في الوقت الحالي دة غير انها هتتيحلي الفرصة لاني اشوف شغلي وكمان

اخد بالي من اختي الصغيرة، بس تعرفوا بجد ايه اوحش حاجة في الموضوع دة؟

تحولت اعينهما اليه باستفهام وسمعاه يجيب على سؤاله بابتسامة ودودة ولكن لهجته نمت عن مدى الاسف الذي يشعر به: هو اننا هنتفرق عن بعض لاول مرة من ساعة ما اتقابلنا.

فقال عبدالرحمن نافيا تلك الفكرة بقوة: ومين اللي قال اننا هنتفرق يا مازن؟ يا مازن احنا اصحاب وهنفضل باذن اللّه اصحاب مهما حصل، ولو مش هنقابلك يعني في الكلية فانت كل يوم هتلاقينا بننطلك في الورشة.

وعلق حسام على كلامه مازحا: يعني هنفضل ملازمينك زي عملك الردي.

ففرد لهما مازن ذراعيه وهو يقول بابتسامة اشرق لها وجهه: بالعكس دة انا بقيت حاسس فعلا ان ربنا بيكافئني بيكم، ربنا يخليكو ليا.

وتعانق الاصدقاء ليسطروا هذا اليوم بندا جديدا في معاهدة الصداقة القائمة بينهم.

****
****

وتتوالى الايام سريعا، ثم الشهور وكذلك السنون ويظل الاصدقاء على عهدهم دائما ففيما يتعلق بالدراسة فلقد التحق كل من

عبدالرحمن وحسام بكلية الهندسة وتلك هي الساعات القليلة التي لا يستطيع مازن مشاركتهم فيها، وما عدا ذلك فمن لا يعرف بحقيقة الامر يرجح دائما انهم ثلاثة توائم من شدة توافق طباعهم وتواجدهم الدائم معا.

اما عن مازن فقد تأقلم سريعا مع تلك الدراسة التي كانت بعيدة كل البعد عن مبتغاه بل ورأى انها بالفعل ما كان بحاجة اليه وخاصة في عمله بالورشة والتي اصبح يمسك بزمام كل امورها بينما يكتفي فؤاد بمتابعته والتدخل احيانا اذا لزم الامر حيث رأى في مازن الولد الذي قد حرمته الارادة الالهية من انجابه وها هو مازن

استطاع ان يوسع عمل الورشة فازدادت اربحاها بشكل ملحوظ، ولكنه حاول بقدر الامكان التوفيق بين دراسته و عمله و دارين، تلك الزهرة المشاكسة التي تتفتح اوراقها يوما بعد يوم امام عينيه.

****

وبعد مرور عدة سنوات وكان قد تخرج الاصدقاء الثلاثة وقد اصبحوا رجالا طولهم متقارب الى حد بعيد ذوو أجسام رياضية وكل منهم يتحلى بنوع خاص من الجاذبية يميزه عن الاخرين، ذات يوم بينما كانوا قد خرجوا معا للتنزه، فقال حسام وهو يشعر بالضجر:وبعدين بقا؟ انا خلاص بقيت حاسس ان الايام شبه بعض.

فقال عبدالرحمن يعلق على كلامه ساخرا:
مش انتي يا فالح اللي كنت بتقول امتى
ييجي اليوم ونتخرج ؟ اديك اتخرجت.
اشرب بقا.

حسام بطريقة مسرحية: يا عم مانا كنت
فاكر ان يوم ما اتخرج هلاقي ابواب
الشركات مفتوحالي على مصراعيها، لكن
اهو،اديلنا سنة متخرجين ولا حد عاوز
يعبرنا دي حتى الشركة اللي اخوية شغال
فيها جات على حظنا ومش محتاجة
مهندسين دلوقت، دي ايه النحس دة؟

فتدخل مازن يقول محاولا تطيب خاطر
الاثنين: ما تيئسوش يا جماعة، بكرة ربنا

يفرجها ان شاء اللّه وادي الورشة موجودة وتحت امركم في اي وقت.

فقال حسام: ايوة يا ميزو بس ياحبيبي احنا خريجين هندسة دلوقت ونفسنا نشتغل في مجال تخصصنا بقا، بس اوعى تفتكر ان دة تقليل من الشغل في الورشة، لكن يا صاحبي لكل مقام مقال.

فقال مازن متفهما: انا عارف، ودة حقكم طبعا، بس دي مش مشكلتكم لوحدكم دي مشكلة كل الشباب تقريبا، يعني المسألة اكبر منكم انتوا الاتنين.

حسام متهكما: يعني ايه الحل دلوقت بقا؟ نجمع كل الشباب العاطلين امثالنا ونعقد

اجتماع البطالة الدولي عشان نناقش المشكلة دي مع بعض؟

سرح مازن قليلا ولم ينتبه لما قال صديقه كما انه توقف فجأة بجانب سور كورنيش النيل واسند ذراعيه عليه، فسأله عبدالرحمن: مالك يا مازن؟ بتفكر في ايه؟

مازن: فيه موضوع كدة في دماغي من فترة وعاوز اقولكم عليه وفيه حل لمشكلتكم.

فساله حسام مازحا: ايه هو يا عم جهبز؟

فأشار اليه مازن محذرا: اي تريقة منك انت بالذات مش هقول حاجة.

فأسرع عبدالرحمن يعالج الموقف مستسمحا صديقه: حقك عليا انا يا مازن، مانت عارف حسام.

حسام معاتبا بخفة: يعني ايه بقا مانت عارف حسام دي؟ انت شايفني بقطع هدومي ولا ايه يا عبده؟

عبدالرحمن بلهجة جادة: واللّه مش بعيد طول مانت مصاحب الشلة دي.

فهم حسام ما يرمي اليه صديقه فقال مدافعا: ومالها الشلة دي بقا يا عم عبده؟ ما هما اصحابي زيكم، انت بس اللي من زمان اوي وانت ممدوح مش نازلك من زور مش

عارف ليه قارش ملحته كدة كأنه قتلك قتيل.

فسأله عبدالرحمن بعيون متفحصة معاتبة: بقا مش عارف ليه بردو يا حسام؟

ارتبك حسام و حاول ان تبدو لهجته طبيعية وهو يرد: انا مليش دعوة باللي هما بيعملوه.

عبدالرحمن مبتسما بسخرية: اه ماهو واضح، بدليل السجاير اللي بدأت تشربها.

حسام بضيق: يا عم السجاير دي حاجة بطلع فيها زهقي، وانا في اي وقت لو عاوز ابطلها هبطلها.

فحاول عبدالرحمن ان ينصحه برفق: يابني انا خايف عليك، المرء على دين خليله، وسمعة ممدوح وشلته سابقاهم، يبقا ليه بقا تحط نفسك في موضع الشبهات؟

بدا حسام وكأنه ضاق ذرعا من هذا الجدال فحاول تغيير الموضوع حيث حول نظره ناحية مازن الذي كان يتابع حوارهما دون محاولة منه للتدخل فهو يعلم ان عبدالرحمن هو افضل منه في ذلك المجال فهو خير صديق ينصحك دون ان يكون له هدف من وراء ذلك سوى حرصا منه على مصلحتك فهو نفسه كثيرا ما كان يطلب منه النصيحة في عدة امور خاصة به، فيجد عنده الرأي الصائب، فقال حسام لمازن: ما

تقولنا يا عم ميزو، ايه الحل دة اللي انت فكرت فيه، والا انت غاوي تشوقنا وخلاص.

تضايق عبدالرحمن من محاولة حسام للتهرب منه ولكنه لم يعقب وانتظر رد مازن الذي قال لهما: هقولكم، بس في الاول لازم يكون عمي فؤاد موجود في الموضوع دة.

****
****

ساد الصمت بعد ان اخبرهم مازن بما فكر فيه وقد اجتمعوا بفؤاد في مكتبه بالورشة، فحاول مازن ان يستحث فؤاد على ابداء رأيه لذا سأله بقلق: خير يا عمي، سكت ليه؟ هي فكرتي ما عجبتش حضرتك ولا ايه؟

فؤاد: هي مش مسألة عجبتني ولا لا يا مازن، كل مافي الامر ان دي مش سكتنا يابني، مالنا احنا والعقارات، احنا تجار موبيليا، يعني العقارات دي بعيدة اوي عن مجالنا.

مازن بعزيمة طالما اعجبت فؤاد: وفيها ايه لما تبقا مجالنا يا عمي؟ مفيش حد اتولد مهندس او دكتور او نجار، كل الناس بتكتسب تخصصاتها بالتعليم والخبرة.

فؤاد: عندك حق في دي لكن، الموضوع بردو فيه مخاطرة كبيرة انا شايف اننا مش ادها.

مازن: ليه بس ياعمي؟ انا فكرت في الموضوع من كل الاتجاهات ودرسته

كويس، وكمان عملت دراسة جدوى للمشروع والمكسب بتاعنا هيبقا كويس ان شاء اللّه، دة غير اني بعد اذنك اخدت رأي استاذ احمد المحامي وهو شجعني جدا وقال ان المكسب مضمون.

من الواضح ان فؤاد لا يزال متردد حيال هذا الامر فقال: بس يابني، دة محتاج راس مال كبير، وافتكر اننا مش هنقدر عليه.

بدا مازن متحمسا جدا وهو يقول محاولا اقناع الجميع: انا سألت عن قطعة الارض اللي قولتلكم عليها ومطلوب فيها 500 الف جنيه هيتكلف بناها وتشطيبها بالشكل المعقول حوالي 300 تانيين والموبيليا على

حسب طلب الزبون هتكون من الورشة عندنا يعني دة بردو هيكون فيه شغل للورشة، وانا عندي حوالي سيولة في البنك 400 الف جنيه، يبقا احنا محتاجين 400 كمان.

ثم خص فؤاد بسؤاله: انت تقدر توفر كام يا عمي؟

فؤاد وقد بدأ يقتنع تدريجيا بالامر: يعني في حدود 200 الف جنيه.

مازن: يبقا باقيلنا 200.

واتجه الان ناحية عبدالرحمن وحسام: وانتوا ممكن تشاركوا بكام؟

فقال حسام مازحا وكأنه لا يصدق ما يعرضه عليه صديقه: نشارك في ايه يا عم ميزو؟ هو انت مش جايبنا هنا عشان نشرف على بنا المكان وبس؟

مازن مؤيدا: فعلا، دة اللي انا عايزه، لكن ايه يمنع انكم تكونوا مهندسين في مشروع انتوا شركا فيه؟

وهنا تبنى عبدالرحمن طريقة حسام في المزاح وهو يشير الى نفسه وحسام بسخرية: بقا دي بزمتك اشكال تنفع تكون اصحاب مشاريع؟ ما تركز يا اخ ميزو.

مازن باصرار: وليه لا؟ احنا مش هنطلب منكم فوق طاقتكم، شوفوا المبلغ اللي

هتقدروا توفروه وعلى اساسه هتتحدد نسبتكم في الربح دة غير كمان حقكم كمهندسين في المشروع.

تبادل عبدالرحمن مع حسام نظرات دلت على نوع معين من التفاهم بينهما الى ان قال حسام وقد امتلأت عينيه بالعزيمة والتصميم: انا معاك يا ميزو.

ثم مد كفه امامه لتتشابك مع كف مازن.

وعقبه قال عبدالرحمن وهو يضع راحته فوقهما بحماس اقل لانه يخشى الفشل في مشروع اللّه وحده يعلم كيف سيدبر المبلغ الذي سيشارك به في انشائه: وانا معاكم ان شاء اللّه يا مازن.

اتجهت نظرات مازن المتسائلة ناحية فؤاد الذي ما لبث ان ابتسم لهم وقد أعجبه اتحادهم واصرارهم على النجاح ثم احتضن تلك الايادي بين كفيه ليقول: على بركة اللّه.

الفصل العاشر

دخل مازن شقته ذات يوم وهو يشعر بارهاق شديد فقد كان المشروع الجديد يستهلك معظم جهده و وقته، سمع صوتا آتيا من حجرة المعيشة فعلم انه ينبعث من التلفاز، فهكذا اعتاد أن يجد اخته جالسة أمامه تشاهد أفلام الكرتون التي لاتزال تعشقها رغم أنها قد تجاوت الخامسة عشر من عمرها وعلى وشك الالتحاق بالمدرسة الثانوية.

توجه مازن اليها مباشرة فوجدها على الاريكة تغط في النوم وتحتضن اداة التحكم الخاصة بالتلفاز، فحاول الا يصدر

صوتا وهو يقترب منها وينتزع منها اداة التحكم ليضعها مكانها، ثم اغلق التلفاز وعاد اليها يحملها بين ذراعيه بكل رقة وعناية كأنها كنز ثمين يخشى ضياعه، وتوجه بها الى حجرة نومها .وفجأة وجد جفنيها يتفتحان ليكشفا عن تلكما العينين العنبريتين وهما تبتسمان له، وتقول له بعتاب رقيق وصوت ناعس: مازن! اخرت كتير.

فاعتذر لها مازن بلطف: معلش يا حبيبتي، واللّه غصب عني، الشغل بقا.

دارين بتذمر: شغل شغل، كل يوم شغل! انا زهقت من القعدة لوحدي.

كان قد دخل غرفتها فأجلسها على السرير ليرد عليها: طب ليه تقعدي لوحدك؟ مانتي ممكن تروحي عند طنط سميرة وتقعدي مع بناتها.

دارين برجاء: بس انا عاوزة اقعد معاك انت، وكمان انت اديلك فترة مش بتفسحني زي الاول.

مازن: خلاص حقك عليا، الجمعة الجاية ان شاء اللّه هنخرج سوا، ماشي؟

دارين بابتسامة راضية: ماشي.

ثم اتخذت وضعية النوم: تصبح على خير بقا.

وكعادته معها احكم للغطاء حولها وقبلها فوق جبينها وهو يرد عليها: وانتي من اهل الخير.

ثم خرج من عندها وهو يفكر فيما كان بامكان حياته ان تستمر اذا ما خلت من تلك الفتاة يوما!

****
****

قال حسام يملأه الحماس: كدة يبقا ادامنا اقل من اسبوع ونستلم المشروع جاهز.

مازن مهنئا نفسه وصديقيه: مبروك علينا يا شباب، وان شاء اللّه من يوم السبت انا هبدأ الدعاية زي ما اتفقنا.

عبدالرحمن: تمام كدة.

ثم نظر في ساعته ليستأنف: مش ياللا بيا بقا ولا ناويين تباتوا في الورشة النهاردة؟

حسام: لا يا عم، ورشة ايه؟ دة انا حتى معزوم النهاردة.

فنظر اليه عبدالرحمن نظرة خاصة وهو يسأله: مع ممدوح بردو؟

حسام بضيق: يا عبده ما تشيله من دماغك بقا؟

عبدالرحمن: اذا كان عليه هو فانا اصلا مش حاطه في دماغي عشان اشيله.

ثم غير الموضوع حتى لا يدخل في جدال اخر مع صديقه بهذا الشأن ربما يحدث فجوة

بينهما وهو مالا يريده: المهم بقا، على ميعادنا بكرة ان شاء الله؟

فاعتذر مازن: انا اسف يا جماعة مش هقدر ابقا موجود معاكم.

عبدالرحمن بقلق: ليه؟ خير يا مازن؟

مازن: خير ان شاء الله، بس وعدت اختي اني هفسحها بكرة ان شاء الله، يعني عمالة تشتكي انها على طول قاعدة لوحدها.

فاقترح حسام فجأة: طب ما تتجوز يا اخي.

وكأن هذا الامرلم يخطر على باله من قبل فأصابته الدهشة عند سماعه اقتراح صديقه: اتجوز!

فقال عبدالرحمن مؤيدا اقتراح حسام: وفيها ايه؟! دي اول مرة الواد حسام يقول اقتراح عليه العين، فعلا ما تتجوز واحدة تشوف طلباتك وفي نفس الوقت تاخد بالها من اختك بدل ما نت على طول قلقان عليها كدة.

فقال مازن بصدق: الصراحة انا عمري ما فكرت في الموضوع دة قبل كدة.

حسام بفكاهته المعهودة حاول ان يقنع صديقه قائلا: ليه بقا يا عم؟ وانت ناقصك ايه يعني عشان تفكر في الجواز؟ شاب اهو طول بعرض بارتفاع، وملو هدومك

وجيوبك وصاحب ورشة اد الدنيا ورجل نص اعمال، يعني كامل من مجاميعه.

فوكزه عبدالرحمن ينهره بلطف: يا اخي بطل طريقتك دي بقا.

ثم اعاد النظر الى مازن يقول بجدية: بس فعلا يا مازن حاول تفكر في الموضوع دة، دة الجواز نص الدين، والرسول قال" من استطاع منكم الباءة فليتزوج"

فقال مازن: عليه الصلاة والسلام، ان شاء اللّه هفكر.

ولكن في داخله قد شعر بالانزعاج لمجرد الخوض في هذا الموضوع، ولا يعلم لذلك سببا!!!!!!!!

****

****

وفى مازن بوعده لدارين وأخذها في نزهة لكل أماكن الترفيه التي طلبتها منه، وقد كان يوما غير اعتيادي لكليهما، فكان مليئا بالبهجة والسعادة، وفي رحلة العودة ارادت دارين ان تعبر عن تلك السعادة بالكلمات: بجد يوم كان تحفة يا مازن، ربنا يخليك ليا يارب عشان تفسحني كدة على طول.

فابتسم مازن لها وهو يقول مازحا: يا سلام! يعني ربنا هيخليني ليكي بس عشان الفسح؟!

فقال دارين متعمدة مشاكسته: لا طبعا، وعشان اللعب والشيكولا اللي انت بتجيبهالي.

فقهقه مازن ضاحكا وهو يضع ذراعه حول كتفها ويضمها اليه: ماشي يا غلباوية، بس اعملي حسابك، دي اخر فسحة ليكي لحد اجازة نص السنة الجديدة، خلاص بقا الدراسة هتبدأ بعد بكرة، ودي ثانوية عامة مش اي كلام.

فقال دارين بثقة: اطمن يا مازن، نحن لها.

فدفعها باصبعه بخفة وهو يقول معلقا على كلامها: اهي الثقة الزايدة دي هي اللي مخوفاني.

كشرت قليلا من شكه في قدراتها وقالت وهي تتصنع الغضب: ماشي يا مازن، طب بكرة تشوف.

ثم تخلصت من ذراعه سريعا وتقدمت امامه بضعة خطوات، فأسرع مازن خلفها يريد اللحاق بها وهو يصيح: استني يا هبلة.

ثم امسكها من رسغها وهو يقول معتذرا دون ان يقصد ذلك فعلا: خلاص يا ستي حقك عليا، بس ما تكشريش كدة.

وسرعان ما استطاع ارضائها ليكملا طريقهما في انسجام تام.

****

:يا هوووووو

صاح بها حسام ليعبر عن اغتباطه حين علم بمكسبه بعد انتهاء المشروع واستأنف يقول: واللّه ونجحنا يا شباب، انا كدة بقا اقدر ارجع للواد اخوية فلوسه عشان يسافر زي ما هو عايز وابدأ بقا اشتغل بحر مالي.

عبدالرحمن وهو يتنهد بارتياح: الحمد للّه، وانا كمان ان شاء اللّه هفك الرهنية بتاع ارض ابويا اللي في البلد.

ابتسم فؤاد وهو يرى علامات السعادة ترتسم بوضوح على هؤلاء الشباب فكان ذلك هو مصدر اغتباطه الحقيقي، ثم نظر الى مازن الذي لم تكن ملامحه تعبر عن شيء

فهكذا كان عهده به لذا سأله: وانت بقا يا مازن، ناوي تعمل ايه؟

مازن بجدية وقد بدا عليه التفكير للحظات: ان شاء اللّه هشتري عربية.

****

كان مازن في طريقه الى المنزل يصفر بسعادة فقد نجح مشروعه اخيرا وأثبت جدارته فيه كما اتفق مع شركائه على الخطوة التالية في عملهما الجديد التي ستكون فارقة في حياتهم العملية كما يتمنى. كان قد حل المساء عندما اقترب من مسكنه ولكن ذلك لم يمنعه من رؤية دارين الآتية من الجهة المقابلة تحمل في

يدها بعض الكتب، نعم هو يتذكر انها كانت في درس خصوصي في ذلك الوقت، ولكن ما لفت انتباهه هو ذلك الشاب الذي خلفها و يبدو انه يتعمد مضايقتها، فأسرع مازن نحوهما وقد استبد به الغضب وكانا قد وصلا الى البناية التي تحوي شقتهما، وعندها تفاجأت به دارين يتقدم ناحيتها وقد لمحت تلك الشرارات التي تطل من عينيه، تسمرت مكانها ولم تستطع ان تنطق سوى باسمه: مازن!

أشار لها مازن ناحية البناية وهو يحاول ان يتحكم بنبرة صوته الغاضبة: اطلعي فوق.

لم تنتظر المزيد حتى ركضت تختفي بالداخل لتترك مازن وذاك الشاب وحدهما، وعلى الفور امسكه مازن من ياقة قميصه وقال له مهددا، ليدب الرعب في شرايين هذا الشاب خاصة وهو يرى مدى تفوق مازن الجسماني عليه مقارنة بتلك البنية الضعيفة التي يمتلكها: اما انت بقا فحذار اشوفك هنا تاني في المنطقة، لا مش في المنطقة بس، دة انا اي مكان اروحه وانت تشوفني فيه حاول انك تختفي منه والا قسما باللّه العظيم لاحزن اهلك عليك دة اذا كان ليك اهل اصلا.

ثم دفعه بعيدا عنه حتى كاد يختل توازنه واكمل مازن: يلا غور من هنا.

وبالفعل ما ان تحرر الشاب من بين ايديه حتى اسرع يهرب من أمامه الى ان اختفى تماما.

صعد مازن الى شقته وكان لايزال يغلي من الغضب، وما ان فتح باب الشقة وأغلقه خلفه بعنف حتى رآها تجلس منكمشة على كرسي بالصالة وقد أفزعها صوت الباب وماهي الا لحظة حتى وجدها تهرع الى حضنه باكية وتقول بصوت متقطع اثر بكائها: والّله يا مازن ما عملت حاجة. هو اللي فضل ماشي ورايا طول الطريق وكان بيعاكسني.

فقط دموعها هي التي يمكنها ان تطفىء نيران غضبه المشتعلة فاستعاد هدوئه مجددا وأخذ يمسح على شعرها بلطف يردد على مسامعها كلمات حنونة تطمئن لها نفسها: خلاص خلاص، اهدي انا مصدقك، ووعد مني انه مش هيتعرضلك تاني.

ثم توجه بها الى حجرة المعيشة وأجلسها بجواره واكتسى وجهه بملامح الجدية وهو يسألها: انتي ما ينفعش تاخدي الدرس دة في مكان تاني بالنهار؟

دارين وهي تمسح دموعها بكفيها: مش هينفع. عشان انا بفهم من الاستاذ وهيب اكتر.

مازن: ع العموم مفيش مشكلة، من هنا ورايح انا هوديكي الدرس وهجيبك منه.

اعترضت دارين مبررة: بس دة تعب عليك يا مازن، وكمان انا عارفة انت اد ايه مشغول الايام دي.

مازن بنظرة ماكرة: مانا مش هوصلك مشي يعني؟

فسألته دارين ببلاهة: امال هنركب؟

مازن مؤكدا: ايوة، هنركب عربيتنا.

فقفزت دارين من مكانها وصفقت بيديها وهي تقول بفرحة: انت اشتريت عربية؟

مازن رغم هدوئه الا انه كاد يطير من الفرحة وهو يرى تلك الابتسامة الجميلة

تضيء وجهها: ايوة، كتبنا العقد النهاردة وهستلمها كمان يومين.

وتعبيرا عن سعادتها ارتمت في حضنه وقبلت خده سريعا: مبروك يا احلى اخ في الدنيا.

فرد عليها مازن: مبروك علينا يا اجمل دارين في الدنيا.

ثم جذبها من رسغها مجددا ليعيدها الى مكانها بجانبه: تعالي اقعدي بقا عشان فيه موضوع تاني عاوز اكلمك فيه.

جلست دارين بجوار اخيها بوقار حيث شعرت بأن ما يريد ان يحدثها فيه هو بالطبع موضوع في غاية الاهمية فقد دلت تعابير وجهه على ذلك: خير يا مازن؟

ابتلع مازن ريقه اولا وكأنه يعطي لنفسه مهلة ليرتب افكاره قبل ان يخوض في هذا الحديث معها فهو يعلم انها فتاة عنيدة ويصعب اقناعها حتى وان كان هو يحتل مكانا خاصا في قلبها، ثم بدأ يقول لها برفق: شوفي يا دارين، انتي معايا طبعا انك كبرتي وبقيتي زي القمر كمان.

تورتدت وجنتاها خجلا بتلك الابتسامة الهادئة التي طالما كانت من نصيبه كلما حاول ان يثني عليها في احد الامور، واستأنف حديثه ليدخل في الموضوع مباشرة: عشان كدة انا من رأيي انك تتحجبي.

توقعت منه اي شيء عدا هذا، مما جعلها تنظر اليه بذهول، فتلك هي المرة الاولى التي يفاتحها في هذا الامر،ففيما يخص ثيابها وطريقة اختيارها لها، كان متروكا لها بالكامل، ورغم ان سميرة هي التي كانت تصحبها الى محلات الملابس الا انها لم تحاول التدخل في اختياراتها، فما الذي دعا مازن الان الى الخوض في هذا الموضوع؟

انتظر منها اي تعليق، ولكن لم يحدث فأخذ يستحثها على الكلام: دارين! ايه؟ سكتي يعني؟

دارين: ليه؟!

لم يفهم قصدها في البداية فسألها: هو ايه اللي ليه؟

دارين: يعني ليه بتكلمني في الموضوع دة دلوقت؟

مازن: عشان زي ما قولتلك، انتي خلاص كبرتي، و اعتقد ان معظم البنات اللي من سنك تقريبا بيتحجبوا، يعني عندك مثلا غادة بنت عم فؤاد، اهي من سنك وعلى ما افتكر انها بدأت تلبس طرحة من اول ما دخلت اعدادي.

دارين بتذمر حيث كانت تكره ان يقارنها احد بغيرها: بس انا مش غادة، وكمان انا مش عاوزة اتحجب دلوقت.

ثم صمتت قليلا وقد لمعت فكرة في عقلها لتسأله: انت بتقول كدة بعد الموقف اللي حصل من شوية، بس واللّه يا مازن هو اللي بني ادم مش محترم وانا كنت ماشية في حالي.

قربت مازن على خدها وهو يقول: حبيبتي انا عارف، ان هو اللي غلطان. بس انا مش بتكلم عشان كدة ولو ان دة سبب من ضمن الاسباب، هو انتي مش بتصلي؟

فأومأت برأسها بالايجاب مما جعله يوجه اليها سؤاله التالي: بتصلي بالحجاب ولا من غيره؟

فأبدت دارين اندهاشها من سؤاله وهي تجيب: بالحجاب طبعا.

مازن: طب ليه بتلبسي الحجاب في الصلاة؟

زادت دهشة دارين، ولكنها قررت ان تجاريه حتى النهاية: عشان ربنا امرنا بكدة.

ها هو قد وصل لمبتغاه فلاحت على شفتيه ابتسامة وهو يقول لها: يعني ربنا امرك بالحجاب في الصلاة ومش امرك بالحجاب وانتي برة البيت؟

اخيرا قد استطاع ان يبطل حجتها و يقضي على كل اعتراضاتها ولكنها حاولت ان تتمسك بأمل ضعيف علها تستطيع ان تثنيه

عن التفكير في هذا الامر: طب خليها بعدين مش دلوقت.

فهز مازن رأسه نافيا وهو يقول باصرار: مادام اقتنعتي يبقا هنبدأ التنفيذ فورا.

وعندما رأى عيناها تلمعان بالتمرد، احتضن وجهها براحتيه وهو يقول لها مبتسما:
صدقيني يا دارين، اول ما هتلبسي الحجاب هتلاقي نفسك اجمل واجمل، هتحسي انك ملكة زمانك.

ثم ولأنه يمتلك كل مفاتيح عقلها وقلبها اكمل يقول لها: اوعديني بقا اننا اول ما هنستلم العربية يكون اول مشوار هنروحه بيها اننا هنلف على محلات اللبس نشتريلك

لبس جديد يليق على الحجاب اللي هتلبسيه، وكمان هنقضي باقي اليوم نتفسح برة البيت، ايه رأيك؟

اي رأي هذا الذي يتوقعه منها وقد سد أمامها كل ابواب الرفض؟ فقالت بعينان تشعان بهجة: موافقة.

****

انتهى اليوم الدراسي، وكالعادة حيث كانت دارين ترافق غادة في رحلة الذهاب الى المدرسة وكذلك العودة، كانت الطالبات تخرج من باب المدرسة ومن بينهما دارين ورفيقتها.

:دارين!

نطق اسمها بتلك النغمة التي تحفظها جيدا جعلها تتلفت حولها تبحث عن صاحب الصوت حتى رأته يقف هناك بطوله الفارع الذي طالما اشعرها بأنها تعد ضمن الاقزام، أما الشيء الجديد الذي لاحظته فهو تلك السيارة السوداء التي يلمع لونها بسبب تساقط اشعة الشمس على جسمها المعدني العملاق، كان مازن يرتكز بكوعه عليها وعلى ثغره ابتسامة مشاكسة زادته جاذبية، وبينما وهي تتأمل أخاها وتلك السيارة خلفه لم تغفل بالطبع عن نظرات زميلاتها له المحملة بالاعجاب، مما زادها

فخرا أنها تمتلك أخا مثله يفوق كل الرجال وسامة و أناقة.

اقتربت منه تقفز ناحيته بخطوات فرحة بينما رفيقتها تمشي بجوارها على استحياء، وما ان وصلت اليه حتى ارتمت في احضانه وهي تقول: مبروووووك يا احلى مازن في الدنيا.

ابعدها عن أحضانه برفق ليسألها: يعني عجبتك؟

فصاحت دارين بفرحة: اكيد طبعا.

:مبروك يا استاذ مازن.

جعلته جملتها يلتفت الى تلك الفتاة الخجول التي تقف بجانبه من الناحية

الاخرى فابتسم لها مازن وكأنه يراها للمرة الاولى: اللّه يبارك فيكي يا غادة، انا اسف لاني ما اخدتش بالي بسبب الغلباوية دي.

لاحظ تكشيرتها بسبب نعته لها بهذا اللقب، ولكنه تجاهلها فهو يعلم كيف يرضي فتاته في الوقت الذي يريده، بينما اكمل يقول لغادة: المهم بقا انتي عاملة ايه؟ انا حاسس ان بقالي كتير مشفتكيش.

فردت غادة وهي تحاول الا ترفع عينيها اليه: ما حضرتك اللي ما بقتش بتيجي عندنا كتير زي الاول.

فقال مازن مازحا وقد تملكته الدهشة: حضرتك! لا دة واضح بقا اننا فعلا اديلنا كتير ما شفناش بعض.

ثم قال لها معاتبا برقة: انتي نسيتي ان اسمي مازن ولا ايه يا غادة؟ من امتى يعني واحنا بينا الالقاب دي؟

فابتلعت غادة ريقها بصعوبة وقالت بارتباك: لا، ماهو اصل.........

وهنا تدخلت دارين لتنهرها قائلة: لا اصل ولا فصل يا بنتي.

ثم اشارت الى مازن لتقول وعينيها تشعان حب: اقدملك حبيب اخته مازن الشرقاوي.

ثم سألها مازن وكأنه يتأكد من استيعابها للكلام: سمعتي؟! انا اسمي مازن وبس، مفهوم؟

فأومأت غادة بالايجاب وقد زادت خدودها احمرارا، ثم ولتهرب من نظرات عينيه المسلطة عليها قالت بعجل: طب عن اذنكم انا بقا، سلام يا دارين.

فأشار لها مازن بيده ليمنعها من الذهاب: سلام ايه ؟ انتي هتركبي معانا نوصلك، دة حتى يبقا عيب في حقي واحنا الشقق قصاد بعض؟

فتذمرت دارين وهي تذكره قائلة: يعني ايه بقا؟ احنا هنروح ولا ايه؟ مش اتفقنا ان اول مشوار لينا بالعربية اننا هنتفسح؟

فشعرت غادة بالاحراج ولاخراج نفسها من هذا الموقف اسرعت تقول: طب انا همشي بقا عشان ما اعطلكمش.

ومرة اخرى يمنعها مازن من الذهاب وقد أدرك مدى حرجها فلاحت منه نظرة لائمة كانت من نصيب دارين: اولا مفيش عطلة ولا حاجة، ثانيا ايه رأيك بقا لو تيجي تتفسحي معانا ولا هتتكسفي مني؟ بما ان كان فيه حضرتك من شوية يعني؟

كادت ان تقول له بأن هذا فعلا هو سبب رفضها، ولكن بدلا من ذلك فضلت اختلاق عذر أخر: انا اسفة، بس مش هينفع لان محدش يعرف في البيت وممكن يقلقوا عليا.

مازن: هي دي كلها يا ستي.

ثم اخرج هاتفه من جيب سترته وهو يقول: انا حالا هتصل بعمي فؤاد وهستأذن منه، عشان ما يبقالكيش حجة تاني.

وبالفعل لم يبد فؤاد اي اعتراض على طلب مازن، فما من شخص افضل منه يمكن أن يستأمنه على ماله وعرضه، وهكذا اصطحب مازن الفتاتين واشترت دارين ما ارادت من ثياب جديدة تناسب حجابها كما وعدت

مازن وقد ساعدتها غادة في الاختيار وكانت تلك الاخيرة اعتادت على وجودها بجانب مازن ولكنها مازالت تحمر خجلا كلما تلاقت اعينهما او كلما وجه اليها حديثا، وفي نهاية اليوم بينما كانوا يمرون باحد محلات الصاغة تذكر مازن امرا، فقال لهما: انا افتكرت حاجة، ثواني يابنات، استنوني هنا.

ودلف داخل المحل وسط دهشة الاثنتين ولكنهما ظلا في مكانهما الى ان خرج لهما مازن بعد ما يقرب من ربع الساعة فسألته دارين بنفاذ صبر: ايه يا مازن؟ كنت بتعمل ايه كل دة؟

فاعتذر منهما مازن وأخرج من جيبه علبة قطيفة قدمها الى دارين وهو يقول لها: دي يا ستي سلسة بدل اللي صغرت عليكي عشان تركبي فيها الاسم بتاعك، اوك؟

غمرتها سعادة تكاد لا تستطيع وصفها، فهو دائما يهتم بأدق تفاصيل حياتها وقالت لها شاكرة وعينيها تلمعان بدموع الفرحة: ربنا يخليك ليا يا مازن.

ثم أخرج مازن علبة أخرى تقريبا بنفس الحجم و مدها الى غادة ليقول: الحقيقة انا احترت اجيبلك ايه؟ فما لقتش غير دي.

نظرت غادة الى العلبة بعدم تصديق وقد اتسعت عيناها وهي تسأل: دي عشاني انا؟

مازن: ويارب تعجبك بقا.

بلا وعي مدت يدها لتأخذ منه العلبة وتخرج تلك السلسة التي كانت بداخلها وتفاجيء بلفظ الجلالة يتدلى منها.

فقال مازن مفسرا وهو يرى نظرة الاندهاش تملأ عينيها: ايه؟ مش عجباكي؟ تحبي اغيرها؟

فقالت غادة نافية: لا عجباني، بس انا مش هقدر اخد السلسلة عشان ممكن ماما......

فقاطعها مازن وهو يعلم بالضبط ما هي بصدد شرحه: يا ستي لو عاوزاني انا اقولهم ان الهدية مني، مفيش مشكلة، وانا عارف انهم مش هيعترضوا، وياللا بينا نمشي بقا

عشان شكلنا بقا وحش اوي واحنا واقفين في الشارع كدة.

سارت غادة بجانبهما كالمغيبة وهي في عالم آخر ترسم فيه أحلاما وردية تتمنى لو تتحقق في القريب العاجل.

الفصل الحادي عشر

فتحت سميرة الباب لتجد أمامها ثلاثتهم، وكان مازن الذي يحمل بيده بعض الاكياس تحوي مشتريات أخته هو اول من تحدث حيث قال مبتسما: السلام عليكم، انا اسف يا طنط لاني اخرت غادة.

فردت سميرة تحيته مبتسمة وهي تقول له مرحبة: وعليكم السلام، ولا يهمك يا حبيبي، اكيد احنا كنا مطمنين عليها وهي معاكم، ياللا تعالوا ادخلوا ولا انتوا هتفضلوا واقفين برة كدة عندكم؟

فرفض مازن دعوتها بتهذيب: معلش بقا يا طنط، خليها مرة تانية.

ثم اشار الى دارين وهو يكمل: لان الهانم لازم تنام بدري عشان المدرسة، واكيد طبعا مش هيجيلها نوم قبل ما تقعد ساعتين تلاتة تجرب اللبس الجديد.

فمطت دارين شفتيها وهي تنظر الى مازن بحنق وترد على اتهامه: بقا كدة يا مازن؟

ثم اكملت مدافعة عن نفسها وهي توجه حديثها الى سميرة: هو مش من حقي يا طنط اني اراجع الحاجات اللي اشتريتها واشوف هي فعلا مناسبة ليا ولا لا؟

فاتسعت ابتسامة سميرة الهادئة وهي ترد عليها لتطيب خاطرها وتربت بحنان على خدها: اكيد يا حبيبتي من حقك، تدوبيهم في عرق العافية يا رب.

فقال مازن لها وهو يدفعها امامه ناحية شقتهما: طب ياللا بينا يا غلباوية، عن اذنك يا طنط. تصبحوا على خير.

فردت كل من سميرة وابنتها تحيته: وانتوا من اهله.

عادت سميرة الى الداخل وهي تضم ابنتها اليها متوجهة بها الى حجرة المعيشة حيث كان يجلس زوجها وابنته الكبرى التي تسبق غادة بخمس سنوات يشاهدان التلفاز،

وما ان رأت غادة والدها قفزت ناحيته بمرح

وتقول وهي تقبل خده: ازيك يا بابا،

وحشتني كتيييييييييير اوي اوي اوي.

ثم فردت ذراعيها لتعبر عن حجم اشتياقها

لذلك الاب الحنون الذي تصنع الجدية وهو

يقول لها لائما: بس يا بت يا بكاشة، ما

تاكلنيش بكلمتين زي كل مرة وقوليلي

اخرتي ليه لحد دلوقت؟

فاتخذت غادة دور الدفاع عن نفسها لتقول:

واللّه يا بابا دارين هي اللي اخرتنا.

ثم اكملت وهي تطلب العون من والدتها:

مانتي عارفاها بقا يا ماما، فين وفين عقبال ما

بتلاقي اللي هي عاوزاه.

فوقفت سميرة في صف ابنتها وهي تقول مؤيدة كلامها: بنتك معاها حق يا فؤاد، حقيقي دارين من الناحية دي متعبة جدا، وكمان اخوها لسة دلوقت معتذرلي ع التأخير، معلش سماح المرادي بقا.

لم يكن فؤاد يوما ابا فظا لذا سرعان ما ظهرت على وجهه علامات التسامح وهو يقول: خلاص، سماح المرادي.

سميرة: ياللا بقا يا غادة، روحي غيري هدومك عشان تيجي ونتعشا، لان بابا ما رضيش يتعشا غير لما انتي تيجي.

فقبلت غادة والدها فوق خده سريعا وهي تقول: حاضر يا بابا، ثواني واكون معاكم.

ولكن ما ان ادارت ظهرها لهم تذكرت امرا جعلها تقف مترددة للحظات قبل ان يلاحظها فؤاد الذي سألها بتعجب: مالك يا غادة؟ فيه حاجة؟

توجهت اليه غادة مرة اخرى وقد تشابكت اصابها في توتر وهي تقول: بصراحة يا بابا فيه حاجة كدة حصلت عاوزة اقولكم عليها وخايفة تزعلوا مني.

فقال لها فؤاد مطمئنا: واحنا من امتى بنزعل من اي واحدة فيكم يا بنتي، قولي وما تخافيش.

فأنزلت غادة تلك الحقيبة المدرسية من على ظهرها ثم فتحت سحاب احد الجيوب

بها وأخرجت منه العلبة القطيفة التي ناولها مازن اياها، وفتحتها امام أعين والديها وأختها مروة المندهشة لتظهر بداخلها السلسة وهي تقول لهم شارحة: دي سلسلة اشتراهالي مازن.

وعندما رأت نظراتهم تحولت الى الاستنكار، استدركت تقول مدافعة: انا مش رضيت اخدها بس هو اصر اني اخدها منه، وكمان هو اشترى واحدة زيها لدارين.

انتظرت ردود فعلهم بريبة، فمد فؤاد يده ناحية العلبة وأخذها من يد ابنته بهدوء وهو لا يظهر على وجهه اي تعبير ثم اخرج منها السلسلة وتطلع اليها لبرهة بغموض،

وهو يستمع الى ابنته التي استمرت تقول:

بابا، لو عاوز ترجعهاله، مفيش مشكلة، بس انا مش عاوزاك تزعل مني.

ولدهشتها وجدته يعيد السلسلة الى مكانها و يقدمها لها وهو يقول وقد القى نظرة جانبية نحو زوجته وشبح ابتسامة يلوح على شفتيه: وهو فيه حد عاقل ممكن يرجع هدية زي دي عليها اسم الله! خلاص يا غادة تقدري تحتفظي بيها.

التقطت غادة السلسلة من يد والدها ثم هرولت بها الى حجرتها بعد ان استأذنت والديها وقلبها يكاد يرقص من السعادة فهي حقا مازالت لا تصدق انها حصلت على اول

هدية منه الى ان علقتها في رقبتها وأخذت تتلمسها بأصابعها بمنتهى الرقة وهي في عالم آخر أفاقت منه فقط على صوت تلك المزعجة الكبيرة: احم احم، نحن هنا.

غادة: هه، بتقولي حاجة يا مروة؟

مروة بابتسامة خبيثة ولهجة مراوغة: لا ابدا، كنت بقول ان السلسلة جميلة اوي عليكي، هتاكل من رقبتك حتة.

كادت غادة تقفز من هول السعادة وهي تقول: بجد يا مروة! يعني هي حلوة؟

استمرت مروة في مراوغاتها وهي تجيب على شقيقتها: اكيد حلوة، ولو ما كانتش حلوة فكفاية ان حبيب القلب هو اللي جابها.

وكأن حية لدغتها اذ قفزت على الفور من مكانها لتغلق الباب وهي تقول هامسة في تأنيب لأختها: هسسسسس، اللّه يخربيتك، بابا و ماما ممكن يسمعونا.

لم تتأثر مروة بهذا التحذير بل على العكس حيث قالت: وايه يعني، وهو انتي فاكرة اصلا انهم مش عارفين؟

غادة بخضة: عارفين ايه؟ انتي اتجننتي؟

مروة بثقة: لا يا حبيبتي انا عاقلة جدا، وواثقة من كل اللي بقولهولك، يا بنتي انتي متعرفيش اصلا ماما وبابا بيحبوا مازن اد ايه؟ ونفسهم ومنى عينهم ان ييجي اليوم اللي يتقدم فيه ويطلب ايدك.

فقالت غادة وقد راودتها بعض الشكوك حيال ذلك: تفتكري ممكن ييجي اليوم دة؟

اقتربت منها مروة وضمتها الى صدرها كي تبثها بعض الطمأنينة: ان شاء اللّه يا حبيبتي، وهو هيلاقي احسن منك فين يعني؟ بس الاهم دلوقت انك تركزي في دراستك وبس عشان تدخلي كلية الطب وتحققي حلمك.

فقالت غادة بتمني: يارب.

****

وتمضي الايام تباعا وتنتهي السنة الثالثة من الثانوية العامة لكل من غادة ودارين حتى جاء يوم النتيجة الذي سيحدد مصير الفتاتين، لا بل سيحدد مصيره هو. فنجاحها دليل على نجاحه وفشلها لا قدر اللّه سيثبت انه لم يكن على قدر المسئولية التي حملها لنفسه.

:هه! بتقول ايه يا حسام؟

سأل مازن الذي كان شاردا بعد ان اعاد عليه حسام كلامه اكثر من مرة ولم ينتبه اليه، لذا قال هذا الاخير مازحا: لا، دة انت اللي واخد عقلك بقا.

مازن وقد كاد القلق ينهش عقله: معلش يا حسام، اصل نتيجة ثانوي عام النهاردة، ومستني اتصال من دارين تبلغني فيه هي عملت ايه؟

حسام: يا عم ان شاء اللّه خير، وتدخل الكلية اللي هي عاوزاها كمان.

مازن بقوة لم ينتبه اليها: هندسة ان شاء اللّه.

فسأله عبدالرحمن الذي كان يجلس امام المكتب يراجع بعض الاوراق: المهم تكون هي عاوزة كدة.

مازن: اكيد طبعا يا بني هي عاوزة كدة، امال اصرت تدخل علمي رياضة ليه؟ دة غير انها كانت مموتة نفسها من المذاكرة.

عبدالرحمن: ع العموم ربنا معاها ان شاء اللّه.

مازن: يارب.

ثم كانت لحظة حتى رن جواله فأسرع مازن والتقطه من فوق المكتب و وضعه على اذنيه ليقول بلهفة: وعليكم السلام، هه يا دارين عملتي ايه؟ طمنيني.....طب دقايق وابقا عندك.

فنهض من على كرسيه بعجلة وقال لصديقيه وهو يستعد لمغادرة المكان:

معلش يا جماعة، انا اجازة بقية اليوم.

وانطلق خارج حجرة المكتب وقد اغلق الباب خلفه قبل ان يتسنى لهما ان يسألاه عن حقيقة الأمر.

****
*

:98%

قالتها دارين وهي تعلم ان أخيها سيطير من السعادة فور ان يعلم بتلك الدرجة، وقد كان حيث وفور سماعه لها اسرع نحو أخته وحملها بين ذراعيه القويتين ليلف بها في

الحجرة وقد انشرحت اساريره وهو يحمد اللّه في نفسه على ان كلل جهوده بالنجاح.

ثم وبعد قليل ابتعدت دارين عنه وهي تشير باصبعها ناحيته وتقول بمشاكستها المعتادة: لاااااا، اوعى تفتكر ان الكلام دة هيأثر عليا ويخليني انسى الهدية اللي وعدتني بيها.

وبالفعل ادعى مازن النسيان وهو يسألها وقد بدا انه يحاول التذكر: هدية! هدية ايه؟ فكريني.

دارين وقد اصابتها خيبة الأمل وقالت تحاول انعاش ذاكرته قليلا: لا، ابوس ايدك، مش

وقت فقدان ذاكرة خالص. دي حتى الكنبة دي تشهد علينا.

ثم أجلسته على الاريكة التي اشارت اليها لتقول مستمرة في محاولاتها: مازن انت مش فاكر لما كنا قاعدين نفس القعدة دي من حوالي شهرين وقولتلك اني عاوزة اطلع رحلة المدرسة بتاع شرم وانت رفضت ووعدتني اني لو جبت مجموع فوق 95٪ هنروح انا وانت نقضي يومين هناك؟

اراد مازن ان يختبر صبرها فاستمر في ادعائه: انا قولت حاجة زي دي؟

كانت دارين على وشك الصراخ في وجهه لتخبره بأن هذا هو ما حدث بالفعل، ولكن

تلك الابتسامة الجانبية التي لمحتها على شفتيه جعلتها تدرك اللعبة التي يمارسها فقالت وهي تشعر بالغيظ تجاهه: على فكرة يا مازن، انت بتستعبط.

جعله كلامها يزداد تبسما وهو يقول لها بحنان بالغ: حبيبة قلب مازن وانا من امتى اصلا نسيت اي وعد اديتهولك؟

وأضاف مداعبا: وبعدين هو انا اطول اصلا اني اتفسح في شارم مع الباشمهندسة دارين الشرقاوي؟

فجأة اكفهر وجهها وهي تسأله: ومين قال اني هدخل هندسة؟

فقال مازن ساخرا: امال يعني واحدة جايبة المجموع دة وكانت علمي رياضة، المفروض انها تدخل ايه؟

دارين بجدية تختلف تماما عن ذلك الجو الذي كان يمتلىء بروح الفكاهة والدعابة منذ قليل: اه، بس انا عاوزة ادخل كلية تجارة.

:نعم ياختي!

كان هذا هو اول رد فعل يصدر عنه ثم وكأن أحدهم قد سكب على رأسه كوبا من الماء البارد حيث صدمه كلامها في البداية الى ان اعتقد انها ربما تمازحه كما فعل هو من قبل، فاستعاد الابتسامة التي

كانت اختفت من على وجهه فور سماعه لكلامها وهو يوبخها على ذلك التصرف ولكن برقة: دارين! الا مستقبلك، دي الحاجة الوحيدة اللي مفيهاش هزار. ردهالي في حاجة تانية احسن.

اما دارين التي لم تستجب لمزاحه ،قالت وهي تصر على موقفها ولا يبدو على وجهها اي من علامات الدعابة او المشاكسة: بس انا مش بهزر يا مازن، انا فعلا عاوزة ادخل كلية تجارة.

فانتفض مازن ونهض من مكانه وهو يحاول بقدر الامكان ان يحافظ على هدوءه لكن لم يستطع فقد ظهر غضبه جليا في نبرة

صوته العنيفة وهو يقول: يبقا اكيد اتجننتي، وانا عمري ما هسمحلك بحاجة زي دي.

ونهضت دارين بدورها لتقف في مواجهته وهي تقول بعناد: بس دة مستقبلي انا يا مازن، واعتقد ان من حقي يكون ليا رأي فيه.

كان مازن على دراية تامة بطباع تلك الطفلة عندما تتحول الى الشراسة حيث لن يستطيع اجبارها على ما لا تريده، لذا قرر استخدام اسلوب المهادنة ليتمكن من اقناعها بالتخلي عن تلك الفكرة البعيدة كل البعد عما كان يخططه من أجل

مستقبلها، فحاول السيطرة على اعصابه

مجددا وهو يسألها متحليا بالحلم: طب ليه؟

وجاء ردها المفاجىء ليخرسه للحظات:

عشان عاوزة ابقا زيك.

ظل يحملق فيها لبعض الوقت وقد اذهله

جوابها لدرجة انه لم يجد ما يمكنه ان

يضيفه، وأخذ يستمع اليها وهي تسترسل في

حديثها قائلة بفخر: مازن انت طول عمرك

بالنسبالي مثل أعلى وعشان كدة عاوزة

ادخل نفس الكلية اللي انت دخلتها.

وفجأة وجد نفسه يفقد السيطرة على

اعصابه وهو يصيح فيها: وعشان انا مثلك

الاعلى مش هسمحلك تضيعي مستقبلك.

دارين: وهو انت لما دخلت كلية تجارة كدة مستقبلك ضاع؟

للمرة الثانية تحاول ان تبطل حجته ولكنه لم يحتج الى الكثير من الوقت ليجد الرد على سؤالها وهو يحاول ان يكتم غيظه وربما رباطة جأشه التي هددت بالانهيار: انا لو كنت في مكانك يا دارين، ما كنتش هتردد لحظة واحدة اني اقدم في كلية هندسة، عارفة ليه؟ لان دي كانت امنية ابوية وامي اللّه يرحمهم. مش هقول ان الظروف هي اللي وقفت ضدي لان المستقبل بايد ربنا سبحانه وتعالى لكن جايز لو كان الحال غير الحال كان زماني دلوقت بقيت الباشمهندس مازن الشرقاوي دة اللقب

اللي كانوا طول حياتهم بيحلموا انهم يسمعوه.

ثم اخذ نفسا عميقا ينم عما يشعر به فعليا من اسى وحزن لدى حيال ذكرى والديه المتوفيان، ثم قال بصوت حازم ووجه تحول الى الجمود: الكلام في الموضوع دة خلاص انتهى، وموضوع انك تدخلي كلية تجارة دة انتي تنسيه خالص، انتي فاهمة؟

ولم ينتظر منها جوابا او اي رد فعل فقد تركها و اندفع خارج البيت سريعا حتى لا يصيبه الضعف وهو يرى تلك الدموع المتجمعة في عينيها وهي تهجر مقلتيها

لتتحول الى شلال على خديها يأبى الانحصار.

****
***

وفي الجانب الاخر كان العكس يحدث تماما، فها هي اسرة فؤاد تعمهم السعادة بسبب نجاح طفلتهم الصغرى غادة بالمجموع الذي كانت تحلم به وسألها فؤاد بغرض المشاكسة لا أكثر وهو يضمها الى حضنه حيث يعلم جوابها مسبقا: ها، قوليلي بقا يا غادة، ناوية على كلية ايه ان شاء اللّه؟

وقبل ان تجيب غادة سبقتها اختها وهي تهتف: ودي محتاجة بردو سؤال يا بابا؟ طب طبعا.

سميرة مازحة: بس انتي يا لمضة، السؤال مش ليكي اصلا.

ولكن تعنيفها لم يردع مروة عن التدخل لتقول مرة اخرى: ماهو احنا يا مامتي يا حبيبتي من زمان وعارفين ان غادة حابة تبقا دكتورة، دول حتى العرايس بتوعنا يشهدوا على كدة.

نظرت سميرة الى ابنتها بيأس وكأنها تقول لها لا فائدة من محاولة اسكاتك ايها المشاغبة الكبرى، اما فؤاد فأعاد سؤال ابنته غادة مرة اخرى ولكن بنبرة اكثر جدية: يعني خلاص يا غادة، دة اخر كلام عندك؟

اما مروة التي لم تنتبه الى ذلك التحذير الذي دل عليه تجاهل والدها لكلامها، انطلقت مرة اخرى تقول: اكيد طبعا يا بابا.

ولكنها تلك المرة تلقت نظرة من والدها اخرستها لتتيح الفرصة الى اختها التي استطاعت ان تجيب أخيرا مبتسمة: ان شاء اللّه طب بشري يا بابا.

ومرة اخيرة يغلب عليها طبعها لتقول معلقة على كلام اختها وهي تشير بفخر الى نفسها: مش قولتلكم!

****

كان عبدالرحمن يجلس في مكتب مازن بشركتهم الجديدة و يراقب صديقه بصمت وهو يروح ويجيء في حجرة المكتب بلا هوادة وكأنه ليث ثائر محبوس في قفص ويحاول ايجاد مخرج لنفسه بأي طريقة، فخلال تلك السنوات التي تعرف فيها على صديقه مازن لم يسبق ورآه على تلك الحال ولكنه يعلم بمقدار حبه لأخته وتعلقه بها لذا فهو يقدر ردة فعله جيدا ويلتمس له العذر، لذا حاول تهدئته وهو يقول له: انا نفسي اعرف انت عامل في نفسك كدة ليه؟ ما تسيبها يا اخي تختار المجال اللي هي عاوزاه، هو مستقبلك ولا مستقبلها؟

وكأن كلامه قد زاد تلك النيران المشتعلة بداخله تأججا لذا صاح دون وعي في صديقه ليقول: انت بتقول ايه يا عبدالرحمن؟! دارين دي جزء مني، مستقبلها يبقا مستقبلي وانا مش ممكن اسمحلها انها تضيعه.

فسأله عبدالرحمن باستنكار: وهو كل اللي يدخل كلية تجارة يبقا بيضيع مستقبله؟

فأجاب مازن بسأم: يوووووه، انت هتقولي نفس كلامها؟

عبدالرحمن: لان عندها حق، مانت اهو خريج كلية تجارة، وأديك بقيت صاحب

شركة معمار ليها اسمها في السوق وكتير من رجال الاعمال بقوا بيعملولك الف حساب.

لم يهدأ بل جاء رده بنبرة أكثر عنفا وقد اقترب من صديقه أكثر وازداد سواد عينيه:

وانت فاكر ان انا راضي عن كل دة؟ فاكر اني سعيد اوي لاني ما قدرتش احقق حلم ابوية وامي اللّه يرحمهم في اني ابقا مهندس. صحيح حياتي ما وقفتش بعدها، لكن فيه جوايا احساس بالنقص انا مش قادر اتخلص منه لحد دلوقت.

عبدالرحمن: بس الموقف هنا مختلف لان اختك هي نفسها اللي عاوزة الكلية دي.

مازن: هيجيلها يوم وتعرف ان اختيارها كان غلط.

عبدالرحمن: يبقا ساعتها هيكون دة اختيارها وعليها انها تتحمل نتيجته.

مازن باستهجان: وانت فاكر اني ساعتها هبقا مبسوط اوي وانا بقولها دة كان اختيارك؟

فنهض عبدالرحمن من مكانه ثم أمسك بكتفي صديقه ليقول له محاولا امتصاص غضبه وهو ينظر في عينيه بعمق وكأنه بهدوءه يحاول ان يطفىء تلك النيران التي تندلع شراراتها في حدقتيه: لا طبعا، بس ساعتها هي هتكون راضية لان ع الاقل دة كان اختيارها، سيبها مرة واحدة تختار يا

مازن، انا على حسب اللي بسمعه منك انت عمرك ما اديتها الحق دة.

ان كان عبدالرحمن قد نجح في شيء، فهو فقط اضفاء تلك النبرة الحزينة في صوت صديقه وهو يقول له: انت شايف اني غلط في دة؟ لاني بتمنالها الافضل؟

بالطبع لم يكن هذا ما قصده عبدالرحمن، لذا قال محاولا استرضاء صديقه واقناعه بوجهة نظره: اكيد لا، بالعكس دة واجبك، لكن ما تنساش بردو ان دي حياة اختك ومستقبلها ومن حقها ان يكون ليها رأي فيها.

ثم كانت لحظة صمت قبل ان يستأنف ليرمي بورقته الأخيرة: وما تنساش يا مازن بردو، ان اختيارها اصلا كان نابع من حبها ليك لدرجة انها عاوزة تبقا نسخة طبق الاصل منك، فما يكونش بقا جزاءها انك تقسى عليها وتوريها انها كانت غلط في شعورها دة، لان اكيد هي مش غلطانة لانها بتحبك لدرجة انها عاوزة تربط مستقبلها بمستقبلك، مش كدة ولا ايه؟!

هذا هو صديقه عبدالرحمن كما يعهده دائما، يستطيع ان يصل الى عقلك وقلبك في آن واحد، لذا كان مازن يعلم انه الوحيد الذي يمكنه ان يعيد السكينة الى قلبه ويتقبل ما كان يعتقده مستحيلا مما رسم

الابتسامة على وجهه وهو يومىء برأسه مؤكدا على استيعابه لرسالة صديقه.

****
***

وجدها كما توقع تماما، قابعة في مكانها بحجرة الجلوس تضم رأسها بين ركبتيها وتتشابك أصابع كفيها فوقهما.

:دارين!

لم يقصد ان يخرج صوته بتلك النبرة الرقيقة ولكن رؤيتها بهذا الشكل أذابت الجليد الذي كان يتعمد معاملتها به في البداية ليعلمها انه ليس راضيا عن اختيارها وان كان قد وافق عليه، أما تلك الدموع

التي كانت تغطي وجهها وعينيها المحمرتين جعلته يتخلى عن البقية الباقية من عناده ليذهب اليها ويجلس بجوارها، ثم أخذها تحت جناحه دون ادنى مقاومة منها فأمال عليها وقبل رأسها وهو يقول وقد اكتسب صوته الكثير من اللين: خلاص يا دارين اعملي اللي انتي عايزاه، بس تأكدي اني مش معارض اختيارك غير بس لاني خايف على مصلحتك، ومش عاوزك تندمي بعد كدة.

أخيرا رفعت نظرها ناحيته لتقول بعيون باكية: انا متأكدة من دة يا مازن، عشان كدة انا خلاص قررت اني ادخل كلية

الهندسة، وانا اسفة لاني عارضتك في الاول.

داهمه كلامها رغم أنه كان يراهن نفسه ان الفتاة التي قام بتربيتها سوف تخضع لمشيئته في نهاية المطاف حتى وان كان عن دون رغبة حقيقية منها لذا سألها مشككا: الكلام دة عن اقتناع؟!

تعمدت دارين تجاهل سؤاله فقالت بدلا من ذلك: مازن! انا مش عاوزاك تزعل مني مهما حصل.

ابتسم مازن ابتسامة لم تصل الى عينيه ولكنها كانت تملأ كيانه وقد علم ان صغيرته تحاول فقط ان ترضيه حتى وان

كان على حساب رغبتها الشخصية فهذا ما يزيد تعلقه بها.

الفصل الثاني عشر

أوقف مازن السيارة أمام البوابة الخارجية للجامعة وقبل ان تغادر دارين، قال لها: اي حاجة تحصل كلميني على طول، ماشي؟

اومأت دارين برأسها، فقبل مازن جبينها: خلي بالك من نفسك، واول ما تخلصي رني عليا هتلاقيني عندك في خلال ربع ساعة.

دارين: مش لازم يا مازن، مانا هاخد تاكسي وخلاص.

مازن بحزم ومشددا على كل كلمة يقولها: رني عليا يا دارين اول ما تخلصي.

حسنا! فلا فائدة من الجدال معه، لذا قالت باستسلام: حاضر.

ثم تركته دارين لتنطلق في عالمها الجديد الذي أبهرها بحق فقد أخذت تتفحص كل ما حولها بعين المستكشف، وفي نفس الوقت شعرت بالوحشة فما من أحد تعرفه في هذا المكان الواسع الغريب في حين تجد تجمعات من الطلبة هنا وهناك، ولكنها لم تلم أحد بقدر ما كانت تلوم نفسها فهي لم تحاول مطلقا ان تحتك بزميلاتها او تكون صداقات مع غيرها، فكل ما كان يربطها بالطالبات الأخريات لم يتعد علاقة الزمالة، وها هي الان تشعر بأنها في امس الحاجة لصديقة تؤازرها في

هذا الموقف، لا، بل هي في الواقع بحاجة
الى مازن فهو بالنسبة لها كل ما في الكون
الاب والام والاخ والصديق!

كانت تتجول بداخل مبنى الكلية وهي
تتلفت يمينا ويسارا بدون هدف، الى ان
اصدمت بأحدهم بشدة لتقع تلك المفكرة
التي تتمسك بها وكأنها الدرع الواقي لها
في هذا المكان الغريب على الارض.

:اوبس، انا اسفة اوي. ما كنتش واخدة
بالي.

قالتها تلك الفتاة التي اصطدمت بها وهي
تضع هاتفها الخلوي بجوار اذنها، و تنحني

ناحية الارض لتلتقط المفكرة وتعطها لدارين.

دارين بابتسامة متسامحة: لا ابدا ولا يهمك، انا بردو ما كنتش واخدة بالي.

فهتفت بها تلك الفتاة التي تزداد عنها قليلا في الطول بلهجة مرحة وقد ابعدت الهاتف عن اذنها حيث بدا انها نسيت تلك المكالمة التي كانت تشغلها منذ قليل: انت شكلك كدة لسة سنة اولى، صح؟

دارين: عرفتي منين؟

الفتاة: مش محتاجة ذكاء يا بنتي، شكلك كدة متوترة وقلقانة وتايهة، فأكيد دي اول مرة ليكي في الكلية.

دارين بحرج: يااااه، هو انا باين عليا كل دة فعلا؟ طب وهو انتي في سنة كام بقا؟

الفتاة: زمل بردو، سنة اولى زيك يعني؟

دارين: طب انت ليه شكلك لا متوترة ولا تايهة؟

الفتاة مازحة: لا، ما هو انا شواذ القاعدة، اصل دي مش اول مرة ليا في الكلية، جيت هنا كذا مرة قبل كدة عشان اخوية.

اوبس.

وضربت جبهتها براحة يدها وكأنها تذكرت امرا، ثم أعادت الهاتف الى اذنها لتقول: سوري يا عمر، اصلي عملت حادثة.

ثم اتسعت ابتسامتها وهي تردف: لا يا سيدي، اصطدمت في حائط بشري. لكن الحمد للّه مفيش اصابات .... ماشي يا ميرو، اشوفك هناك بقا......... ياللا سلام.

وأقفلت الهاتف، ثم قالت معتذرة لدارين: سوري يا قمر، اصلي كنت بكلم اخوية لما اتخبطنا في بعض ونسيته وانا بكلمك.

دارين: ربنا يخليكم لبعض.

الفتاة: امين يارب. المهم بقا جبتي جدول المحاضرات ولا لسة؟

دارين: لسة هروح اشوفه.

الفتاة مطمئنة: مفيش داعي، انا معايا الجدول، احنا عندنا النهاردة محاضرة واحدة

بعد نص ساعة يعني نكون شربنا اتنين عصير.

وأضافت بطريقتها المرحة التي اعجبت دارين وأشعرتها بالالفة ناحيتها: وما تخافيش، على حسابك.

خلال ذلك الوقت القصير تعرفت دارين على تلك الفتاة بشكل افضل، وعلمت انها تدعى سارة يوسف الهواري ابنة رجل أعمال يختص بتجارة الأخشاب، والديها على قيد الحياة بالاضافة لأخ يكبرها بسبع سنوات يدعى عمر قضت معظم حياتها بلبنان، ثم عادت منذ ثلاث سنوات تقريبا لذا لم تتح لها الفرصة بعد للتعرف على الكثير أي أن

لا اصدقاء لها بعد سوى أخيها مثل دارين تماما.

وجاء وقت المحاضرة الاولى لهما فاتجهتا ناحية المدرج الذي ارشدتها سارة اليه، وانتظر الطلاب لبعض الوقت وصول المحاضر، الى ان جاء أخيرا شاب وسيم في أواخر العشرينات بملامح جادة يرتدي بدلته الرسمية رمادية اللون ليعتلي منصة التدريس وقد تطلعت اليه كل العيون بعضها بالاهتمام والاخرى بالاعجاب، ثم بدأ يقول بصوته الرخيم: السلام عليكم.

انتظر حتى ردوا عليه التحية، ثم استأنف يقول: في البداية احب اعرفكم بنفسي،انا

المهندس عمر يوسف الهواري هديكم ان شاء اللّه مادة الإنشاء بالنيابة عن الدكتور كامل سلام.

بعد ذلك التعريف البسيط نظرت دارين الى رفيقتها بتساؤل فوجدتها تبتسم وهي تهمس لها بفخر: اخوية.

انتظر عمر قليلا وكأنه يدرس ردود الافعال من حوله، وحين وجد الهدوء يخيم على المكان ولا يوجد اي اعتراض من أحد اكمل يقول: نقول بسم اللّه الرحمن الرحيم.

ثم شرع في شرح ما كان اعده مسبقا لتلك المحاضرة وقد استحوذ اسلوبه وطريقته على

انتباه دارين، التي اخذت تدون خلفه بعض الملاحظات الهامة في مفكرتها، الى ان وصل لنهاية المحاضرة فشكر الطلاب على حسن استماعهم و أذن لهم بالخروج.

وبدأ الطلاب في مغادرة المكان ولم يبق سوى القليلين ومن ضمنهم دارين وسارة التي امسكت يدها واتجهت بها ناحية منصة الشرح حيث كان عمر لا يزال يرتب ادواته داخل حقيبته قبل أن يغادر المدرج ليفاجيء بصوت اخته المداعب: قمر يا اخواتي، قمر.

فنظر عمر ناحية اخته وصديقتها لتلاحظ دارين لون عينيه العسليتين البراقتين وهو

يؤنب شقيقته: سارة، لمي الدور، احنا هنا في الكلية مش في البيت.

فقالت سارة التي قد عقدت حاجبيها بانزعاج: يعني ايه بقا؟ انت هتبدأ تتبرى مني ولا ايه؟ وبعدين هو عيب يعني اني اتفشخر باخوية حبيبي الاستاذ الباشمهندس عمر الهواري؟ انتي مش معايا ولا ايه يا دارين؟

جذبه غرابة الاسم لتختص نظراته لاول مرة تلك الفتاة الصامتة التي تقف بجوار اخته فوجه اليها سؤاله المباشر: انتي مش مصرية؟

فاندفعت دارين تقول مدافعة وهي لم تكن المرة الاولى التي يوجه اليها احدهم نفس السؤال: مصرية طبعا.

فابتسم وقد ظهرت غمازتيه التي تشابهت مع اخته: طيب وانتي زعلانة ليه؟

دارين مبررة تصرفها: اصلها مش اول مرة حد يسألني السؤال دة.

فقال لها عمر معتذرا بابتسامة مشاكسة دلت على انه لم يقصد فعليا تقديم هذا الاعتذار: طب انا اسف يا ستي، بس لعلمك الناس بردو ليها حق، لان الاسم غريب شوية ومش مصري، ع العموم تشرفنا يا انسة دارين.

ثم وجه حديثه الى اخته متعجبا: بس غريبة يعني يا ست سارة، انا عمري ما شفتلك اصحاب في مصر.

سارة: ماهي هي دي الحائط البشري اللي اصطدمت بيه، لسة متعرفة عليها النهاردة.

ثم استأنفت وهي تضع ذراعها حول كتف دارين وتقربها منها: وان شاء اللّه هنبقا اصحاب، ولا ايه يا دارين؟

دارين بلهجة صادقة: ياريت،انا فعلا تقريبا معنديش اصحاب.

فقال عمر معلقا راجيا اغاظة أخته: ويوم ما تفكري تصاحبي ما تلاقيش غير سارة؟

يعني زي ما بيقولوا تصومي تصومي وتفطري

على.....

ولم تدعه سارة يكمل المثل حيث وضعت

يدها على خصرها وهي تقول له محذرة: هه،

ما تكمل يا باشمهندس.

اما عمر فقد قست عينيه فجأة وهو ينظر الى

اخته مستنكرا حركتها تلك في مكان

يضم العديد من الشبان مما جعلها تعدل من

وقفتها سريعا وتعتذر بصوت منخفض: اسفة.

لا تعلم لم ذكرها هذا الموقف بأخيها

مازن؟ فهكذا كان دائما حنونا وحازما معها

في ان واحد.

دارين! ايه رحتي فين؟:

فأجابت دارين بوجه مبتهج لدى تذكرها لأخيها: ابدا، انا معاكم.

سارة: طيب ما قولتلناش بقا هتتغدي ايه؟

تعجبت دارين من السؤال فنظرت اليهم بحيرة الى ان قال عمر وهو يشير ناحية اخته موضحا الامر بظرفه التي استطاعت ان تستشفه خلال تلك الدقائق القليلة التي أعقبت تعارفهما: اصل الانسة عازمة نفسها ع الغدا على حسابي النهاردة احتفالا ببداية العام الدراسي الجديد، فقررت بقا انها تتسول عليا.

فافتر ثغر دارين بابتسامة خجلى وهي تقول: مش عليك انت لوحدك.

فهتف عمر معلنا عن الاستنتاج الذي قفز الى عقله مباشرة: اوباا!، هي استلمتك قبلي؟

فأسرعت سارة تشرح له الامر مدافعة عن نفسها: واللّه دة كان مجرد عصير.

عقب عمر على كلامها موجها حديثه لدارين: مادام كدة بقا، يبقا لازم نردهالك في غدا النهاردة، قوليلي بقا يا دارين تحبي تتغدي فين؟

لا تعلم دارين لم قد انتابتها رعشة خفية اثر سماعها لاسمها يخرج من بين شفتيه بتلك الحميمية؟ وكانت مستعدة لقبول تلك الدعوة لولا تذكرها لذلك الذي

ينتظر اتصالا منها للاطمئنان عليها مما جعلها تعدل عن رأيها وهي تشعر بالاسف: معلش، مش هقدر.

وكأن اصابته خيبة الامل، فقال وهو يتظاهر بالتعاسة ويميل قليلا نحوها: امممممم، طب ولو عشان خاطري؟

شعرت دارين بالعجز أمام تلك النظرة العميقة التي اختصها بها، ولكنها وجدت القليل من القوة لتصر على رفضها: انا اسفة، بس بردو مش هينفع.

فاقتحمت سارة تلك اللحظة الرومانسية لتقول لدارين مشاكسة: انا فهمت، اكيد بقا الست ماما، مستنياكي على احر من

الجمر عشان تحكيلها اول يوم ليكي تحت قبة الجامعة، صح؟

فردت دارين وهي تنظر الى الارض بأسى: لا، انا بابا وماما متوفيين.

لحظة صمت خيمت عليهم،كان عمر هو اول من حاول ان يواسي تلك اليتيمة فقال معتذرا: احنا اسفين يا دارين، اللّه يرحمهم.

جاهدت دارين للحصول على تلك الابتسامة التي لاحت على وجهها وهي تقول: مفيش داعي للاعتذار وخصوصا انكم ما كنتوش تعرفوا.

نعم، وقد كانت على حق فيما قالت حيث لم تتح لها الفرصة للحديث عن نفسها

امامهما حتى تلك الفترة القصيرة التي قضتها بصحبة سارة اكتفت فقط بالاستماع الى تلك الفتاة المرحة كثيرة الكلام، وقد غلب عليها طبعها مرة اخرى لتقول بلهجة حاولت ان تضفي عليها القليل من المرح: خلاص ، يبقا بدل ما تروحي وتقعدي لوحدك في البيت يبقا قضي معانا الساعتين دول.

تهلل وجهها بابتسامة عفوية اعتلت شفتيها وهي تقول وقد زاغت عينيها قليلا وكأنها اصبحت في عالم اخر: انا مش لوحدي، مازن معايا.

****

بعد أن تركت سارة و عمر اتصلت على مازن

وأخبرته أنها مستعدة للعودة الى المنزل، وما

هي الا ربع ساعة كما وعدها حتى كانت

سيارته تقف أمامها عند سور الجامعة، وبينما

وهما في السيارة سألها مازن وهو لا يحيد

بعينيه عن الطريق أمامه: قوليلي بقا عملتي

ايه في اول يوم؟

دارين وقد تقلصت عضلات وجهها في

البداية: اممممممم، مش بطال، في الاول

كنت حاسة اني تايهة ومش فاهمة اي

حاجة.

ثم انشرحت اساريرها وهي تكمل مندفعة:

لكن بعد ما اتعرفت على سارة بدأت تفهمني

الدنيا ماشية ازاي وتعرفني على أماكن المدرجات دة حتى أخوها طلع معيد عندنا في الكلية.

استوقفها مازن فجأة و قد ضاقت عينيه وهو ينظر ناحيتها: لحظة واحدة، الاول تطلع مين سارة دي ومين اخوها؟

لم تلحظ دارين ذلك العبوس الذي تخلل ملامحه، فأجابت سؤاله باسمة: دي اول صديقة ليا اتعرفت عليها النهاردة، اسمها سارة يوسف الهواري بنت.......

أكمل مازن بالنيابة عنها التعريف الذي كان قد استنتجه سريعا كرجل أعمال محنك على معرفة تامة بأصدقائه

ومنافسيه: بنت يوسف الهواري تاجر الخشب المعروف؟

أكدت دارين قوله: ايوة، واخوها اسمه عمر معاه ماجيستير وحاليا بيحضر الدكتوراه، تعرف يا مازن؟ انا لما شفتهم مع بعض فكروني بعلاقتنا، واضح انهم اخوات متفاهمين اوي وكمان باين على عمر انه بيحب اخته وبيخاف عليها زي مانت بتحبني وبتخاف عليا.

فرفع مازن حاجبه بتساؤل: عمر! من غير ألقاب؟

دارين ببساطة: لا ماهو طلب مني اني اناديله باسمه زي سارة، بما اني خلاص بقيت صاحبتها يعني.

فاحتد صوته بعض الشيئ وهو يقول: واللّه! كدة من اول مرة بقت هي صاحبتك ومسموحلك انك تنادي اخوها اللي هو المعيد بتاعك باسمه من غير القاب؟

أخيرا أدركت انها قد أغضبته، فاستدركت تناشد عطفه: مازن، انت زعلت؟ طب انا اسفة.

ركن مازن سيارته بجانب الطريق ثم اوقف محركها وترك المقود ليلتفت الى اخته بعد ان تمهل قليلا وهو يرى تلك اللآلئ

تترقرق في عينيها، فربت على خدها وهو
يقول: دارين انا ما زعلتش، بس انا كل اللي
عاوزك تفهميه ان مش اي حد ممكن
يستاهل صداقتك وانك تثقي فيه
بسهولة، البنت دي انتي ما عرفتهاش غير
النهاردة فلازم تعاملك معاها يكون حذر
لحد ما تفهمي شخصيتها اكتر، اوك؟

فهزت دارين رأسها بالموافقة، ثم وجدته
يضيف بملامح جامدة: اما بالنسبة لأخوها،
فأنا بفضل ان علاقتك بيه تفضل محدودة،
يعني هو المعيد بتاعك وبس، فاهماني؟

ومرة اخرى تومئ برأسها دليلا على استعابها
لكلامه، فانطلق مازن بسيارته مجددا، وهو

لا يدري لما قد انتابه القلق حيال اخته دارين وعالمها الجديد الذي سيكون متواريا خلف أسوار تلك الجامعة وهو ما لن يستطيع أن يتصدى له الا بما تسمح له هي.

ظل كل منهما صامتا طوال الطريق الى أن قالت دارين أخيرا تنبه أخاها الذي بدا انه قد شرد بفكره قليلا: مازن! مش غادة اللي واقفة هناك دي؟

نظر مازن الى الاتجاه الذي كانت تشير اليه، فوجد غادة بالفعل تقف هناك بجوار احدى السيارات الأجرة، اتجه مازن بعربته نحوها، ثم ترجل منها لتفاجىء به غادة يقف أمامها

ويسألها وقد بدا وجهه قلقا: خير يا غادة؟ واقفة هنا ليه؟

فابتسمت له غادة ابتسامة مطمئنة تهدىء من قلقه الذي بدا في عينيه : ابدا، انا بس كنت راكبة التاكسي ومروحة فالتاكسي عطل بينا هنا.

فخرجت لهجته حادة وممتزجة ببعض السخرية اللاذعة التي لم يستوعبه عقلها: والمفروض بقا انك مستنية التاكسي يتصلح؟

وقبل ان تجيب عليه، اشار نحوها باتجاه سيارته آمرا: اتفضلي اركبي العربية عقبال ما اجيلك.

حاولت الاعتراض: بس.....

ولكنه لم يتح لها مجالا لقول المزيد: بدون نقاش يا غادة لو سمحتي.

وبالفعل اتجهت غادة نحو السيارة لتتركه مع سائق التاكسي ورأته بعد أن اتخذت موقعها في السيارة بالخلف وقد ألقت التحية على دارين يتحدث مع السائق ويعطيه بعض النقود، ثم عاد واستقل سيارته وانطلق بها.

وأثناء الطريق، جاء عتابه وهو يحاول ان يتحكم في اعصابه مسلطا عينيه على مرآة السيارة الداخلية التي تنعكس فيها صورة غادة تلك القابعة بالخلف: تاني مرة يا غادة، لو ركبتي تاكسي وعطل بيكي في

الطريق تحاسبي السواق وتشوفي غيره، مش تقفي تستنيه، ماشي؟

فقالت غادة مطيعة وهي تنظر لنفس المرآة: حاضر.

وفي داخلها تشعر بكيانها كله قد اهتز بسبب هذا الاهتمام الذي لم تكن تتوقعه منه.

دخلت الشقة وقد أشرق وجهها من شدة السعادة التي كانت تغمرها، وهو ما لاحظته أختها مروة الجالسة على سريرها تحتضن الوسادة وهي لم يكن يخفى عليها خافية فيما يتعلق بشقيقتها الصغرى، فطرحت الوسادة جانبا وسألت أختها بنظرات ماكرة:

امممممم، شكلك كدة قابلتيه النهاردة.

ادعت غادة جهلها بما ترمي اليه مروة، فسألتها: هه! قصدك مين؟

مروة وهي تلف حول اختها بخبث: وهيكون مين غيره يا حبيبتي؟ اكيد يعني استاذ روميو حبيب الدكتورة جولييت.

كانت تعلم أنه لايمكنها التمثيل على أختها أكثر من ذلك فسألتها مندهشة: وانتي عرفتي منين بقا؟

مروة بجدية: من لمعة عينيكي ياقمر، أصلك لما بتشوفيه عينيكي بيبقا فيها لمعة معينة كدة بقدر أميزها.

تعكر مزاجها وهي تقول بضيق: امال هو مش بيشوفها ليه؟

أرادت مروة تطييب خاطرها فقالت لها برقة: يا حبيبة قلبي ما تستعجليش، هو لو يستاهل الحب دة أكيد هييجي الوقت ويحس بيكي، ولو دة ما حصلش يبقا ما يستاهلكيش.

غادة بحزن: ويمكن لانه يستاهل أكتر من كدة فمش حاسس بيا.

سألتها مروة وقدا بدا عليها انها لم تستوعب ما قالته اختها: قصدك ايه؟

هي نفسها لم تدر ماذا كانت تقصد بكلامها ذلك لذا لم تدرك حينها بأنها

قد أصابت الحقيقة، ولكنها حاولت تغيير مجرى الحديث فسألت أختها: ما تاخديش في بالك، المهم بقا ايه اخبار روميو مدرس التاريخ؟ امتى بقا هياخد خطوة ايجابية في موضوعكم دة؟

ومع انها ارادت المراوغة قليلا الا انها لم تستطع فجاء ردها سريعا: هيقابل بابا ان شاء اللّه يوم الخميس الجاي.

بالطبع قد تسربت بعضا من السعادة التي تشعر بها اختها اليها فهبت من مكانها لتحتضنها وتهنئها وتتمنى لها السعادة التي ترجوها لنفسها ايضا.

****

استطاعت دارين ترضية أخيها مرة أخرى
فهي تعلم حق العلم انه مهما كانت اوامره
لها أو نواهيه فهي تصب في النهاية لصالحها،
ولكنها وافقت على كلامه هذه المرة دون
اقتناع تام فهي لم تجد اي ضرر نهائي من
صداقتها لسارة او التعامل مع أخيها عمر
ذلك الشاب الذي اول ما جذبها اليه أنه
كان يذكرها بمازن شقيقها.

الفصل الثالث عشر

اصطحب عمر أخته الى أحد المطاعم الفاخرة المطلة على النيل ليتناولا معا وجبة الغداء كي يبر بوعده لها، ولأنه لم يكن لديه شهية تسمح له بأكل الكثير من الطعام فاكتفى بمشاهدة تلك الشرهة وهي تتناول طعامها بنهم، فهذه كانت أخته تتناول كميات كبيرة مما يحلو لها من أنواع الطعام المختلفة دون أن يكون لذلك تأثيرا على وزنها ونحافتها وهو ما يحسدها عليه فتيات كثيرات.

كانت سارة رغم ما حصلت عليه من تدليل سواء منه هو نفسه أو من والديهما الا أن ذلك لم يؤثر بالسلب على شخصيتها، بل بالعكس فبالرغم من حبها للفكاهة والمرح الا أنك في اوقات معينة تجدها جادة وحاسمة وصاحبة قرارات صائبة بالإضافة لالتزامها من الناحية الدينية وهو ما يظهر جليا في حجابها واختيارها الدقيق للثياب التي ترتديها وكذلك في معاملتها للغير، وعلاوة على ذلك فهي مرتبطة بأخيها ارتباطا وثيقا رغم بعدهما عن بعض معظم الأوقات بسبب اقامتها في لبنان مع والدتها بينما عمر كان كثير التجوال

بصحبة والده بسبب أعماله التي تتفرع في الكثير من الدول.

انتبهت سارة أخيرا لتلك النظرات المسلطة عليها، فتركت الشوكة والسكينة من يدها وقالت محدثة اياه لإغاظته: احم احم، نحن هنا يا عم الرومانسي. سرحان في ايه يا باشمهندس؟

عمر: كلي يا سارة وانتي ساكتة.

فقالت سارة بانزعاج زائف: لا خلاص، نفسي اتسدت.

عمر بابتسامة ساخرة: ياااااه اخيرا، الحمدلله، دة مدير المطعم كان قرب

يبعتلي شكوى ان الاكّل اللي موجود في المطبخ خلص.

مطت سارة شفتيها مدعية الحزن: بقا كدة يا ميرو؟ طب مش هخليك تعزمني تاني.

فرفع عمر يده الى السماء بتمثيل وهو يقول: الحمد للّه.

فقالت سارة مبتسمة وكأنها تكمل حديثها السابق بنظرة تآمرية: الا كل اسبوع.

زفر عمر بشدة وهو ينظر الى أخته بسخط: أمري للّه.

سارة: طب ياللا بقا اطلبلنا اي حاجة نحلي بيها.

حدق بها عمر بدهشة وهو لا يصدق ما يسمعه: يا شيخة حرام عليكي، انتي لسة فيه عندك مكان تحلي كمان؟

فأنذرته سارة وهي تشير باصبعها باتجاهه: لاحظ يا ميرو انك كدة تقريبا بتهيني.

وقبل ان تسمح له الفرصة للرد عليها سمع صوت انثوي مغري يأتيه من الخلف: باشمهندس عمر!، مش معقول! تصدق وحشتنا.

نظرت سارة بازدراء الى تلك الفتاة من قمة رأسها التي يعلوها ذلك الشعر المجعد ذات الصبغات الاصطناعية مرورا بوجهها المليئ بمساحيق التجميل حتى تكاد لا تميز لون

بشرتها الحقيقي ثم جسمها المثير الذي

تظهر معالمه بوضوح من خلال ثيابها

الضيقة التي تلتصق بها، أما عمر الذي

لاحظ نظراتها وأدرك شعورها، ولكنه لم

ينس ما تحتمه عليه اداب اللياقة، فنهض

سريعا وقد استطاع رسم على وجهه علامات

البهجة وهو يمد يده لمصافحتها: اهلا يارا،

انتي ايه أخبارك؟

فردت تلك المدعوة يارا وهي تميل نحوه

بدلال: يعني انت كنت بتسأل؟

ألقى نظرة سريعة ناحية أخته ولم يستطع

أن يلومها على تلك النظرة العدائية التي

كانت توجهها ناحية صديقته والتي أخيرا

قد لاحظت أنه برفقة امرأة غيرها، فنظرت اليها بتعالي، ثم تحولت الى عمر لتسأله: سوري، ما كنتش واخدة بالي ان معاك حد، مش هتعرفنا ولا ايه؟

فأسرع عمر يقول وقد شعر ان الامر يزداد تأزما مع مرور الوقت لذا حاول أن يكون كلامه مختصرا لينهي تلك المقابلة بأسرع ما يمكنه: لا حد مين؟ دي سارة أختي.

واضطرت سارة الى مصافحة تلك اليد الباردة التي مدت اليها وسماع ذلك الكلام المعسول: معقول! ازيك يا سارة، ما كنتش متخيلة ان ليك اخت زي القمر كدة يا عمر.

فردت عليها سارة بابتسامة صفراء: ميرسي.

ثم التفتت ناحية عمر لتقول بنفاذ صبر وهي تقلد هذه الفتاة في نطقها لاسم أخيها: مش ياللا بينا بقا يا عمر؟

****

وفي السيارة لاتزال سارة منزعجة، وقد لاحظ عمر ذلك وهو يحول نظره قليلا عن عجلة القيادة ليرى تجهم وجهها فحاول ان يمزح معها قليلا حتى تنسى ما حدث منذ قليل: ما خلاص بقا يا سرسور، وهو انا يعني كنت اعرف ان كل دة هيحصل ولا كنت عامل حسابي انها هتختار المطعم دة بالذات عشان تتغدى مع اصحابها؟

فقالت سارة لائمة: بردو يا عمر، مش هية في الاول وفي الاخر معرفتك؟ انا اصلا مش قادرة اصدق لحد دلوقت انك تعرف الاشكال دي.

حاول عمر توضيح الامر حيث قال: يا حبيبتي واللّه انا عرفتها بس ايام الجامعة واول ما اتخرجنا روحت انا في طريق وهي في طريق لدرجة اني تقريبا نسيتها اصلا.

سارة بلؤم: بس واضح ان هي لسة فاكراك.

عمر: واللّه هي حرة، انا مش مسؤل عن تفكيرها او مشاعرها.

سارة: طب ومشاعرك انت يا عمر فين دلوقت؟ حاجة كدة زي يارا بردو؟

عمر: لاااا، انا اليومين دول تقدري تقولي كدة واخد اجازة.

أخذت سارة تحك بأطراف أصابعها فوق الحجاب بجانب أذنيها فكانت تلك عادتها عندما تواجهها مشكلة معينة تحاول البحث لها عن حل مناسب،وكان أخوها على علم بتلك العادة، فحين رآها كذلك سألها:

مالك يا سارة؟ بتفكري في ايه؟

فأجابت سارة بعد لحظات وهي تبدو مشغولة البال: امممممم، بفكر في حل لمشكلتك.

فقال عمر ضاحكا: ومين قال ان عندي مشكلة؟

سارة بجدية: عمر انا بتكلم بجد، تعرف انت ايه اللي ممكن يعالجك ويخليك تبطل تعرف البنات الغريبة دي؟

عمر هازئا: ايه بقا يا ام العريف؟

فأجابت سارة على الفور: الجواز، انت لازم تتجوز بسرعة بنت محترمة تنسيك جريك ورا البنات دي.

فقال لها عمر مصححا:اولا، هما اللي بيجروا ورايا مش العكس، ثانيا مين اللي قال اني عاوز اتجوز؟ انا كدة يابنتي عايش ملك، وكمان لسة ما قابلتش واحدة تستاهل لقب حرم الباشمهندس عمر الهواري.

فهتفت سارة دون وعي: دارين!

عمر: دارين مين؟

للحظات كان عمر قد نسى هذه الطالبة التي كان قد قابلها مع أخته منذ ساعات قليلة، فقالت هي تذكره بها: يابني صاحبتي دارين الشرقاوي، لحقت نسيتها أوام كدة؟

عمر مداعبا: وهي لحقت بقت صحبتك خلاص؟ ومن امتى اصلا وانتي بتتسرعي في اختيار اصدقائك؟ دة انتي لسة مقابلاها النهاردة

فقالت سارة بنبرة صادقة: بس قلبي ارتاحلها على طول، وكمان بما اني هستقر خلاص في مصر ،يبقا لازم يكونلي اصحاب فيها.

عمر بتهكم: اه طبعا، لدرجة انك عاوزة تجوزيني اول واحدة منهم.

سارة: واللّه يا بني دي ممكن تكون الحسنة الوحيدة اللي في حياتك، فكر انت بس في الموضوع كويس وانت هتعرف ان معايا حق.

فقال عمر رافضا الاقتناع بمنطقها: يابنتي افكر في ايه؟ دي واحدة انا لسة شايفها النهاردة؟ لا اعرفها ولا تعرفني، ازاي يعني انط معاها لخطوة الجواز كدة مرة واحدة.

فوبخته أخته وهي توكزه في كتفه بخفة: وهو انا قولت تروح تتقدملها دلوقت؟ هي في نفس الكلية اللي حضرتك معيد

فيها يعني ادامك خمس سنين تقدر تتعرف عليها فيهم، ولو اني يعني شايفة ان الموضوع مش مستاهل كل دة و هي البنت باين عليها طيبة وهادية وكمان واضح انها من عيلة كويسة.

فصاح بها عمر وكأنه تذكر أمرا فجأة: اه صحيح، انتي تعرفي عنها ايه؟

سعدت سارة لما رأته من بوادر اهتمام لديه بخصوص هذا الشأن: مش كتير، كل اللي عرفته ان اسمها دارين محمود الشرقاوي وزي ما قالتلنا هي يتيمة وعايشة مع اخوها وعلى حسب ما انا فاكرة ان اسمه مازن.

لحظات حاول فيها تنشيط ذاكرته وهو يكرر الاسم بأكثر من صيغة بصوت مسموع تقريبا: دارين محمود الشرقاوي، مازن محمود الشرقاوي، مازن الشرقاوي.

ثم صاح بذلك الاستنتاج الذي خطر الى عقله فجأة: دة تقريبا صاحب شركة الشرقاوي وشركاه.

لم تجبه أخته بالطبع حيث لم تكن سوى فتاة عادية لا تهتم بما يتعلق بأخبار سوق المال ورجال الاعمال، ولكن عمر لم يبال بالامر بل انه استمر يقول: اللي اعرفه ان شركته لسة بتحاول تشق طريقها في مجال المعمار والمقاولات لكن عقلية صاحبها

بتقول انها خلال سنتين او تلاتة احتمال تبقا من اكبر الشركات اللي موجودة في السوق.

فقالت سارة استنتاجا لكلام أخيها: يعني لو دارين طلعت فعلا اخته، يبقا هي حقيقي من عيلة كويسة وانت هتفكر في الموضوع، مش كدة؟

عمر: امممم، اولا دة احتمال بس مش اكيد، ثانيا مش دي الحاجة اللي ممكن اوقف عليها اختياري لشريكة حياتي. انا اول شرط عندي اني لازم اكون بحبها، يعني لازم تخطف قلبي من اول مقابلة.

سارة ساخرة: اااااه، الحب من اول نظرة!

فرفع عمر حاجبه وهو ينظر اليها مجيبا على سخريتها بجدية: رغم انك بتقوليها بهزار، لكن انا فعلا من اشد الناس المؤمنة بالحب من اول نظرة.

سارة: دة وهم.

عمر بتحدي: مسيري اثبتلك انه حقيقة.

سارة: وادارين!

هو يعلم أن أخته لن تتوقف عن الخوض في هذا الحديث حتى يعطيها قرارا نهائيا بخصوصه، لذا قال وهو يزفر بضيق: ماشي يا سارة، اوعدك اني هفكر في الموضوع.

ورغم أنه لم ينظر اليها الا انه شعر بتلك الابتسامة التي زينت ثغرها وهي تتنهد بارتياح.

****
*

عاد مازن الى شقته بعد أن انهى عمله بشركته التي كان قد ذهب اليها بعد أن قام بتوصيل اخته وغادة الى البناية التي يقطنون بها.

داري! انتي فين؟:

قالها مازن وهو يجول بعينيه في انحاء الشقة باحثا عنها حتى رآها تخرج من حجرة المطبخ تلف المريولة الخاصة بالطبخ حول

وسطها لأول مرة في حياتها وتحمل في يدها ملعقة كبيرة: ايوة يا مازن، انا هنا في المطبخ.

استغرقه استيعاب الامر عدة لحظات ظل يحملق فيها مشدوها، الى ان تمكن ان يقول أخيرا: انتي بتعملي ايه؟

دارين شارحة الامر: ابدا، اصل دادة فاطمة تعبت النهاردة فطلبت منها انها تروح بدري عشان تستريح وما كانتش لسة عملت الغدا.

ثم التمعت عيناها بنظرة تآمرية وهي كمل: فقررت اني احل محلها.

فأشار اليها مازن بسخرية وهو يقول هازئا:

انتي! استر يارب، ويا ترى بقا يا حضرة الشيف دارين، قررتي تغدينا ايه النهاردة؟

فرفعت الملعقة التي في يدها ناحية وجهه وهي تقول له مهددة: مازن! حذار انك تسخر من مهاراتي في الطبيخ.

ولكن مازن لم يرتدع بل استمر في سخريته وهو يقول لها: مهارات! ودي اكتسبتيها امتى ان شاء الله؟ يا بنتي دة انتي بتخافي تمسكي سكينة عشان تقطعي السلطة.

عبست دارين وهي تدعي الغضب لتقول له: شكلي كدة هحرمك من البيتزا اللي بعملها.

مازن ضاحكا ولم تفارق السخرية لهجته:
وكمان بيتزا! وسعت منك اوي دي يا دارين.

دارين: انا مش هرد عليك، لكن كلها
ثواني وتشم ريحة احلى بيتزا شوفتها في
حياتك.

وما ان اتمت جملتها حتى رأت أنفه يتحرك
وكأنه يحاول اشتمام رائحة ما، ثم ظهرت
تلك الابتسامة الساخرة على وجهه مجددا
وهو يقول: هو من ناحية اني هشم ريحة فدة
حصل فعلا لأني حاليا شامم ريحة.....

وامال نحوها قليلا وهو يقول: شياط.

وفي لحظة هربت دارين من أمامه لترى من
أين أتت تلك الرائحة؟ اما مازن فقد ذهب

خلفها بكل هدوء حتى وصل الى باب
المطبخ ليسده بطوله الفارع ويتكأ بكتفه
اليه وهو يعقص ذراعيه الى صدره ويراقبها
تخرج صينية البيتزا مصدر الرائحة التي
قد اسود لونها، وما ان رأتها دارين على تلك
الحالة حتى اكفهر وجهها ومطت شفتيها
وبان على وجهها آثار الحزن، ولكن مازن
الذي لم يحتمل هذا المشهد اقترب منها،
وأخذ الصينية من يدها وطرحها جانبا ثم
أحاط كتفيها بذراعه وهو يقول لها بحنان
في محاولة منه لمحو أثار الحزن من على
ملامحها الجميلة البريئة: ولا يهمك، احنا
دلوقت هنطلب احلى بيتزا دليفري هتجيلنا
في خمس دقايق.

ولكن كلامه لم يخفف من حزنها بل انها قالت له بصوت باك: بس انا كان نفسي اعمل البيتزا بايدي، واللّه يا مازن عملت كل الخطوات اللي قالتلي عليها طنط سميرة بالحرف الواحد، وكنت حاسة انها هتطلع حلوة، شكلي كدة هطلع ست بيت فاشلة.

ثم انخرطت في البكاء بصوت عال، فقربها مازن منه أكثر وطبع قبلة حنونة على رأسها وهو يعمل على طمأنتها بقوله: يا حبيبتي مين بس اللي قال كدة؟ دة انتي هتبقا احلى ست بيت في الدنيا، وبكرة تقولي مازن قال.

ومن أجل اغاظته فقط، قالت من بين دموعها التي حاولت أن تكفكفها بكفيها كالأطفال: مش مهم انت، المهم العريس.

وبالرغم من انه كان يعلم ان ما قالته كان فقط لمجرد المزاح الا ان ذلك لم يمنعه من ان يتضايق لتظهر على وجهه تكشيرة بسيطة وهو يعاتبها: بقا كدة بردة يا دي دي، يعني عاوزة تتجوزي وتسيبيني؟

فتخلصت دارين من ذراعه ووقفت في مواجهته ثم أخذت بعض لحظات من الصمت وكأنها تفكر قبل أن تجيب أخيرا، ومازن يقف ينتظر بنفاذ صبر ردها: امممممم

ولكنها لم تستطع ان تتركه يتعذب في انتظار ردها اكثر من هذا، فطمأنته بابتسامة عذبة وهي تهز برأسها نافية ثم هرولت لترتمي بين ذراعيه وكان ذلك هو أبلغ رد على سؤاله.

****

وجاء اليوم التالي، وذهبت دارين الى الجامعة وبالطبع فقد قام مازن بتوصيلها بنفسه. وما ان اقتربت من مبنى كليتها حتى رأت سارة تلوح لها بيدها وهي بصحبة اثنتين من الفتيات التي كانت لم تتعرف عليهما دارين بعد ،اقتربت منهم ملبية دعوة سارة: السلام عليكم.

ردوا جميعا: وعليكم السلام ورحمة اللّه وبركاته.

اما سارة فلم تكتف بتلك التحية التي اعتبرتها فاترة بالنسبة لصداقتهما الحديثة، لذا فقد قامت بعناقها بحرارة وهي ترحب بها بسعادة: ازيك يا دار عاملة ايه يا قمر؟ وحشتيني كتير كتير من امبارح لحد النهاردة.

رددت دارين الاسم الذي دعتها به سارة بدهشة: دار!

فقامت سارة بتفسير الامر لها بلهجة مرحة: ايوة هو انتي مش اسمك دَارَين؟

وأشارت ناحيتها باصبعيها السبابة والوسطى وهي تكمل: انا بقا بدل ما اخليه مثنى استخدمت المفرد وهناديلك بدار واحدة ونركن الدار التانية ممكن نحتاجها بعدين عشان أزمة الشقق وكدة يعني.

ابتسمت دارين رغما عنها من تلك الطريقة البسيطة التي تتعامل بها الفتاة وكذلك اسلوبها المرح الجذاب في الوقت نفسه، ثم قامت سارة بالتعارف بين دارين و الفتاتين الاخريتين: اسمحولي بقا يا بنات اقدملكم دارين الشرقاوي صاحبتي من امبارح، ودول يا دارين نسرين الفوال وطبعا هناديلها نسر بس والتانية بقا نورهان توفيق والدلع نور صاحباتي من النهاردة.

سلمت دارين على البنتين اللتين بادلتاها

التحية بابتسامة مشجعة وقد بدتا في غاية

اللطف وكانت ثيابهما البسيطة

والمحتشمة تدل على انهما من اسرتين

ميسورتا الحال، كما ان لطفهما ومرحهما

دعاها للتخلي عن حرصها في التعامل معهما

لتكتسب دارين صداقات جديدة تدفعها

دون ان تدري تخرج رويدا رويدا من تلك

الدائرة المغلقة التي كانت تعيش بداخلها

هي ومازن وحدهما.

****

****

:يالله يا دارين بسرعة عشان هنتأخر.

كان مازن يقف في مدخل الشقة وينظر الى ساعته بنفاذ صبر وهو ينتظر اخته تخرج من حجرتها التي جاءه صوتها يقول: طب يا مازن خلاص جاية اهو.

مازن بضيق: انا نفسي اعرف انتي كل دة بتعملي ايه؟ يعني نص اليوم بنلف ع المحلات عشان تختاري فستان يعجبك و النص التاني عشان تلبسيه؟

ثم أتى صوتها مرة اخرى ولكنه كان اكثر ارتفاعا عن السابقة ليدل على اقتراب صاحبته: اللّه يا مازن مش بجهز، انت عمرك ما كنت بنت قبل كدة ولا ايه؟

جحظت عيناه وهو يعلق مستنكرا: كنت بنت!

ثم أسرع نحو حجرتها مغتاظا وقد تملكه نفاذ الصبر والضجر بالفعل: يا بنتي ما تركزي انتي بتقولي ايه؟

وما ان اقترب من حجرتها حتى شهق من المفاجأة حينما رآها تخرج هي اليه بهذا الشكل!

الفصل الرابع عشر

وما ان اقترب من حجرتها حتى شهق من المفاجأة حينما رآها تخرج هي اليه بهذا الشكل، حيث كانت ترتدي فستانا طويلا من الساتان ذي اللون الوردي في الجزء الأعلى واللون اللأزرق بالأسفل يفصل بينهما حزام عند الوسط تزينه لؤلؤة كبيرة زاهية تعطي أشعة ذات ألوان مختلفة في الضوء والفستان ككل مزين باللآلىء الصغيرة عند أساور الأكمام أما الطرحة فكانت قصيرة من نفس قماش الفستان وتتدرج بين

لونيه وهي كذلك مزينة باللآلىء عند الأطراف.

لم يكن ذلك ما فاجآه حقا فقد كان بصحبتها وهي تشتري ذلك الفستان، بل ما أصابه بالذهول فعلا هو تلك الهيئة الجديدة التي وجدها عليها والتي جعلته لأول مرة يراها أمامه كإمرأة قد تخطت مرحلة الطفولة كما يبدو من سنين طويلةعلى عكس ما كان يعتقد وخاصة بعد أن استخدمت أدوات التجميل هذه لتزيين وجهها والتي قد استعملتها لأول مرة من الكحل و احمر الشفاة وكذلك البودرة الخفيفة التي زادت من حمرة خديها لتبدو كعروس على وشك أن تزف لبيت زوجها.

وقف ينظر اليها بضعة لحظات لم يجد فيها صوته حتى استوعب الأمر أخيرا ليلقي عليها أول سؤال قد خطر بباله: ايه اللي انتي عاملاه دة؟

أسعدها ذلك التعبير الذي رأته على وجهه، فإذا كانت ردة فعل أخيها كذلك فما بالك بالآخرين؟! وكرد على سؤاله دارت حول نفسها عدة دورات كدليل على ما تشعر به من بهجة مستمتعة بمظهرها الجديد: ايه رأيك؟ مش حلو؟

كان على وشك ان يخبرها بأنه لم ير حقا أفضل أو أجمل من ذلك، ولكنه تراجع في اللحظة الأخيرة ليكسو وجهه تعبيرا

غاضبا وهو يندفع فجأة ليقول لها معنفا بصوت حاد، وهو يشر لها بيده ناحية حجرتها: اتفضلي ادخلي اوضتك وامسحي الهباب اللي انتي عاملاه في وشك دة.

ها هي تصدم لردة فعله الغير متوقعة وها هو يرى تلك التكشيرة تعلو وجهها وكذلك هذه اللآلىء التي تملآ عينيها وتهدد باقتراب سيل من الدموع وكان صوتها المتحشرج خير دليل على ذلك وهي تقول له: بس يا مازن كل البنات بتعمل كدة، وكمان احنا رايحين حفلة خطوبة، والشقة جنبنا.

ولكن تلك الملامح الجامدة لم تلن ورفضت ان تعبر عما يشعر به بالفعل، وما كان منه الا انه اصر على رأيه واستمر يقول بنفس الصوت الحاد: دارين! مش هعيد كلامي مرة تانية، في ظرف خمس دقايق بالظبط تكوني غسلتي وشك وجاهزة عشان مش عاوز نتأخر اكتر من كدة.

لم يكن هناك بالطبع أفضل من دارين على دراية بتلك الشخصية التي يتمتع بها مازن، فرغم حنوه وطيبته، الا انه في أوقات يصبح التعامل معه صعبا وعندما يتخذ قرارا معينا من المستحيل ان يعدل عنه لأي سبب أو من أجل اي شخص، لذا فما كان منها الا ان دخلت حجرتها ساخطة لتنفذ الأمر الذي

وجهه اليها تتبعها عيون مازن القلقة

ومشاعره المضطربة التي لم يكن هو نفسه

على علم بحقيقتها.

****

أما في الشقة المجاورة نجد المكان قد أعد

على أكمل وجه لحفل خطبة الابنة

الكبرى، وقد حضر معظم المدعوين

والكل في انتظار العروسين، أما فؤاد وسميرة

زوجته فكانوا يرحبون بالحضور هنا

وهناك والدنيا تكاد لا تسعهما من شدة

الفرحة، الى ان جاءت شابة تهرول ناحية

سميرة وهي تهتف بسعادة: طنط، طنط

العريس جه،امال فين مروة؟

سميرة وعينيها تشعان بابتسامة مبهجة: في اوضتها يا حبيبتي ، ياريت تروحي تستعجليها.

الفتاة: حاضر.

****
**

أما في حجرة البنات فقد أتمت مروة زينتها بمساعدة أختها غادة التي قد نالت هي الأخرى حظها من شراء ثياب جديد واستعمال ادوات التجميل، كانت مروة تبدو قلقة ومتوترة بعض الشيء وهي تنظر الى المرآة لتطمئن على مظهرها وبالرغم من أنه قد راق لها ألا ان بعض الشك ظل يساورها

حيال ذلك لذا سألت أختها: ايه رأيك يا غادة؟

فأجابتها غادة وهي تطوق عنقها من الخلف بكلا ذراعيها وتطبع قبلة على خدّها: زي القمر يا مرمر ماشاء اللّه عليكي.

اما مروة التي أخذت تفرك يديها بقلق: بس مش عارفة انا متوترة اوي وخايفة كدة ليه؟

غادة: وليه القلق بس يا حبيبتي؟ وهي دي يعني اول مرة العريس يشوفك فيها؟ ابعدي بس الاوهام دي من دماغك وان شاء اللّه ربنا هيتمملك على خير.

فقالت مروة تؤمن على دعائها: يارب يا غادة يارب.

ثم فكت ذراعي أختها من حول عنقها وأدارتها لتصبح في مواجهتها لتقول لها بنظرات تشع حنانا وقد أسرت وجهها بين كفيها: ويارب يفرح قلبك ياغادة، ويحققلك كل اللي بتتمنيه.

والتمعت عيناها بنظرات ماكرة وهي تقول: واللي انا طبعا عارفاه كويس.

انتابها الحزن لفهمها ماترمي اليه أختها: مش باين يا مروة.

مروة: هو ايه دة اللي مش باين؟

غادة: مش باين انه هييجي اليوم اللي هيحس فيه بيا.

مروة: ليه بتقولي كدة؟

غادة بحيرة: مش عارفة يا مروة ليه حاسة ان قلبه في حتة تانية وعمره ما هيبقا ملكي ابدا.

فابتسمت مروة وهي ترد على اختها بمرح: مش دة لما يكون عنده قلب اصلا يا بنتي، بصراحة انا دايما بحس ان مازن دة عبارة عن ماكنة شغل مفيش في حياته غير شغله ودارين، يعني لو فيه حد مستحوذ فعلا على مشاعره فيبقا اخته اللي ما ينفعش تغيري منها لان هييجي عليها اليوم وتتجوز ويكون

ليها حياتها الخاصة بيها وساعتها هتكون زي اللي بتقدملك مازن على طبق من دهب.

لم يكن هناك متسع امام غادة في ذلك الوقت كي تفكر فيما قالته اختها حيث اقتحمت المكان مجموعة من الفتيات اللاتي في سن الشباب يقفزن داخل الحجرة بمرح وسعادة وهن يرددن كلمتين فقط:

العريس جه، العريس جه.

ثم اختطفوا مروة من بين اختها وسط الضحكات والتهاني تتبعهم غادة وهي تحاول الانخراط في هذا الجو السعيد مؤجلة موضوع مازن ودارين الى وقت لاحق.

****

وقف مازن أمام باب شقة جاره يضغط باصبعه على الجرس، وبجانبه دارين التي حاولت جاهدة ان تداري ذلك الغضب نتيجة لطلب أخيها بأن تزيل كل اثار الزينة من على وجهها وقد تم الأمر ولكنها اكتفت باستخدام مرطب الشفاة وكذلك قلم الكحل بشكل خفيف يكاد لا يرى، كان مازن يعلم انه قد أغضب صغيرته ولكن ما الضير في ذلك ان كان يعلم كيف ومتى يمكنه أن يصالحها؟!

لذا فضل في ذلك الوقت تجاهل الأمر، انتظرا بضعة لحظات اخرى حتى فتحت لهما سميرة الباب لترحب بهما بنبرة معاتبة

رقيقة: ايه دة يا ولاد؟ معقول الشقة ادام الشقة وتكونوا اخر اللي يوصل؟

بالطبع تركت دارين لمازن مسئولية الرد، وبالفعل أسرع مازن يقول بلباقة: اولا الف مبروك يا طنط ثانيا انا اسف واللّه.

ثم اضاف وهو يقوم بحركة مباغتة ليحتضن دارين بذراع واحدة ليقربها منه اكثر: اصلك اكيد عارفة دلع البنات.

لم يخف على دارين ذلك الاتهام الغير مباشر الذي وجهه لها بالرغم من انه كان السبب الأساسي لهذا التأخير، ولكنها اثرت الصمت تجنبا لاي مشكلة اخرى قد تقع الأن.

ولأن سميرة لم تلحظ تلك الأجواء المكهربة التي تحيط بالاثنين، لذا جذبت دارين من يدها وهي تقول بنبرة قصدت بها التدليل: دارين دي تتدلع براحتها، و ياللو ادخلوا بسرعة بقا عشان اصحابك عبدالرحمن و حسام وصلوا من بدري يا مازن وسألوا عليك.

دلف الاثنان خلف سميرة داخل شقتها ليجدا أن الاحتفال قد بدأ حيث تجلس مروة بجوار خطيبها ووجهها تعلوه حمرة الخجل الممزوجة بتلك الفرحة حيث شاءأن يجمعها في الحلال بالرجل الذي تتمناه.

لمح مازن رفيقيه وسط المدعوين فاستأذن من رفيقتيه وذهب اليهما فاستقبلاه بمزاحهما المعتاد، حيث هلل حسام وهو يقول له ساخرا: مازن باشا! يا مرحبا يا مرحبا، اخيرا وصلت؟ وياترى سبب التأخير دة ايه؟ اكيد طبعا حدوة العربية فرقعت منك في الطريق.

مما جعل مازن يلكمه برفق في كتفه وهو يقول: بطل يا خفة، مش ناقصاك، كفاية الكلمتين اللي هاخدهم من عمي فؤاد.

:وهما هيبقوا كلمتين بس يا مازن؟

لم يصعب على مازن التعرف على ذلك الصوت اللائم حتى قبل أن يدير وجهه

ناحيته، ويبدأ في تقديم أعذاره: واللّه يا عمي انا اسف جدا وعارف اني مهما قولت اكيد مش هتسامحني، بس صدقني كان غصب عني، وع العموم الف الف مبروك وربنا يتمم بخير ان شاء اللّه.

كان من العسير على فؤاد الا يقبل اعتذار هذا الشاب الواقف امامه والذي اصبح على مشارف الثلاثين وقد وهبته الطبيعة بكل ما يمتاز به الرجل الحق من عضلات مفتولة ووسامة طاغية وقوة يصعب على اي احد التصدي لها، وبالرغم من كل تلك الهالة التي تحيط به الا أنه يراه الان كتلميذ المدرسة الصغير يقف أمام استاذه يساوره القلق والارتباك في انتظار العقاب، وما لبثت

أن لانت ملامح وجه فؤاد كما كان يتوقع منه مازن دائما فارتمى في أحضانه وسط كلمات التهنئة التي تنساب من بين شفتيه بكل سهولة ويسر.

فغمز حسام لعبدالرحمن قائلا: وقال انا اللي كنت ناوي اولعها حريقة؟ مش عارف الواد مازن دة ساحر لعم فؤاد ولا ايه؟

وردا على ما سمعه فؤاد فابتسم وهو يجيب: اكتر من السحر يا حسام يا بني، وربنا يعلم من ساعة ما شفتكم انتوا التلاتة عرفت ان ربنا اد ايه كريم، وان الانسان مش لازم يستعجل رزقه لان هيجيله هيجيله بس في الوقت وبالشكل اللي ربنا يحدده، يعني انا

مثلا كان نفسي ربنا يرزقني بولد اقدر اعتمد عليه في البيت والشغل و بعد كدة لو جرالي حاجة هبقا مطمن وانا سايب البنات وامهم في حمى راجل يقدر يراعيهم ويحاجي عليهم، فطلع ربنا اكرم مما كنت متخيل وبدل الولد رزقني بتلاتة، انتوا يا ولاد، عشان كدة لو ربنا اذن وأخد امانته هبقا ميت وانا مرتاح البال ان ورايا رجالة شايلين المسئولية من بعدي.

فقال الثلاثة بتأثر وهم يحيطون بفؤاد من كل جانب: بعد الشر عليك يا عمي، ربنا يخليك لينا.

فؤاد: هييييييييه، دعوة لا بتطول عمر ولا تقصره، انا كل اللي طمعان فيه دلوقت ان ربنا يمد في عمري شوية كمان لحد ما اشوف البنتين متهنيين في بيت اجوازهم، وبكدة ابقا اديت رسالتي خلاص.

ولأنه لم يرد ان ينتهي الحديث بتلك الكلمات المؤثرة قرر حسام ان يتدخل ليعيد الى الجميع المزاج المرح والذي يتناسب مع تلك الاجواء المفرحة: طب واحنا يا راجل يا عجوز، مش عاوز بردة تشوفنا متهنيين في بيت مراتاتنا؟

علم فؤاد مبتغاه فأراد مشاركته وفي نفس الوقت قرر ان يدير تلك اللعبة بطريقته:

طب ما تقولوا لنفسكم الكلام دة، اديكم اهو كل واحد فيكم قرب ع التلاتين ولسة ماحدش فكر بس انه حتى يخطب.

لم يعجب كل من عبدالرحمن ومازن المسار الذي اتجه اليه الحوار فوقف احدهم على يمين حسام والاخر على يساره الول يضربه بكتفه الايسر ليتلقاه الاخر بضربة معالجة بكتفه الايمن وهم يصرون على اسنانهم يحثونه على الكلام.

عبدالرحمن: عاجبك كدة.

مازن: ما ترد يا فالح، واللا القطة كلت لسانك في الحتة دي؟

وقد لاحظ فؤاد ذلك واستطاع ان يمنع نفسه في الابتسام وهو يقول لهم بجدية: بجد يا ولاد. انتوا مش بتغيروا ولا ايه من اصحابكم؟ منهم اللي اتجوز واللي بقا عنده عيال وانتوا لسة واقفين كدة محلك سر.

ولم يجد اي منهم مفرا للرد كل بطريقته.

عبدالرحمن: واللّه يا عمي كل شيء نصيب. وزي مانت قولت كل واحد له رزقه اللي ربنا مخصصهوله ومخصص كمان الميعاد اللي هيبعتهوله فيه.

حسام: ايوة يا عمي، يعني خلينا نعيش حياتنا الاول كدة شوية وبعدين ندخل في مرحلة الجواز وسد النفس بقا.

ولم ينتظر فؤاد رد مازن بل استعجله هو بسؤال اخر: وانت بردو يا مازن شايف ان الجواز سد نفس؟

قبل ان يجيب مازن ألقى بنظرة ناحية صديقيه بتردد وكأنه يطلب منهما العون، ثم اخيرا ابتلع ريقه قبل ان يقول: واللّه يا عمي انت عارف انا ظروفي كانت مختلفة شوية عن حسام وعبدالرحمن، عشان كدة يمكن انا اكتر واحد فيهم محتاج احس بجو البيت والاستقرار ودة طبعا اللي بيمثله الزوجة والاولاد، لكن دة بالنسبالي بيتوقف على حاجتين. الاول اني اطمن على دارين ومستقبلها والتاني ان طبعا مش ناوي اتجوز اي واحدة وخلاص، لا دة انا لازم احس

ان هي دي الانسانة اللي هقدر اكمل معاها حياتي واللي صعب اعيش من غيرها، يعني لازم تحرك فيا مشاعر انا نفسي أكون مش عارف انها موجودة اصلا فيا.

لم يدع حسام الفرصة تفوته دون ان يلقي بأحد تعليقاته الفكاهية على كلام مازن، لذا فقد مثل وكأنه يعزف على الكمان وهو يقول: دة ايه الرومانسية دي يا سيدي؟ انا ما كنتش اعرف ياد انك شاعر كدة.

فقال له مازن بتهديد مازحا: واللّه انا اللي شاعر ان ايدي بتاكلني وعايز اضربك دلوقت.

وفجأة انطفأت الأضاءة لتتوقف الألسنة عن الكلام وينتبه ذلك الشعاع الوحيد المضيء والساقط على العروسين ثم تعزف الموسيقى بالاغنية المحببة "يا دبلة الخطوبة" ليقوم العريس بوضع تلك الدبلة الذهبية علامة الملكية في اصبع خطيبته وهي تفعل المثل مع دبلته الفضية ثم ترتفع الحناجر بالزغاريط وتعود الاضاءة من جديد تعم المكان.

وبينما تقف سميرة تتلقى التهانىء من الحاضرين يقترب منها شاب مهندم ببدلته الأنيقة ويحيط بها من الخلف ثم يقول لها بابتسامته العريضة الدبلوماسية: مبروك يا خالتي.

فأجابته سميرة وهي تدير وجهها اليه والابتسامة اصبحت جزءا من وجهها في ذلك اليوم الذي تتمناه كل ام: اللّه يبارك فيك يا عيون خالتك، وعقبالك.

الشاب: يارب يا خالتي يارب، ادعيلي كدة بقلب جامد.

سميرة: مالك يا واد مسروع ع الجواز كدة ليه؟

الشاب: مسروع ايه بس يا خالتي؟ مانا ادامك اهو شاب زي الورد ميسور الحال قربت ع الخمسة وعشرين و ملازم أول اد الدنيا، ناقصني ايه بس غير العروسة؟

فقالت سميرة تطيب خاطره: واللّه يا واد معاك حق، بس قول لنفسك الكلام دة مش لينا احنا، دة انت امك بتقولي ان لسانها اتبرى من كتر ما بتكلمك عن عرايس زي القمر وحسب ونسب وانت عامل ودن من طين وودن من عجين، يبقا انت بقا اللي عليك الخطوة الاولى يعني تشاور على بنت الحلال اللي تختارها واحنا نروح نخطبهالك فورا، وعندك اهو الشقة مليانة ببنات يحلوا من على حبل المشنقة بس انت قول اه.

فقال هذا الشاب وهو يضع يده على قلبه بطريقة مسرحية وعينيه تزوغان في اتجاه اخر: آاااااه.

فوكزته سميرة بأطراف اصابعها في صدره وهي تقول له بحسم: جاك اوا، مالك يا واد؟

فأجاب الشاب وهو يتألم متحسسا بيده مكان الضربة: آه، بالراحة شوية يا خالتي مش كدة، هو انتي مش قولتيلي شاور على اي واحدة وقول اه؟ أديني قولت آآآآآآآآاااااااه بالعشرة اهو.

فسألته سميرة وهي تكاد لا تصدق ما سمعته وقد بدت على وجهها السعادة وهي توجه نظرها ناحية تلك النقطة التي سلط ابن اختها عينيه عليها وكانت تقف عندها ابنتها غادة وبجوارها بعض البنات ومن

ضمنهم دارين: بجد! فين هي دي يا واد يا علاء؟

فوجه علاء نظرها ناحية تلك المجموعة المرافقة لابنتها وهو يهمس في اذنيها: شايفة الواقفة هناك دي على يمين غادة؟

سميرة بحيرة: انهي واحدة يا بني ما الواقفين جنب غادة كتير؟ قصدك مين فيهم؟

علاء: يا طنط، القمر دي اللي لابسة فستان روز وازرق.

وعلى الفور تعرفت سميرة على تلك الشابة التي تقف بجوار ابنتها وتتمايل على أنغام

الموسيقى بطريقة تكاد لا تلاحظ كباقي رفيقاتها: دارين!

لم يتبين علاء الاسم في البداية لذا سأل خالته مستوضحا: ايه يا خالتي؟! بتقولي اسمها ايه؟

سميرة وقد انطفأت فرحتها قليلا لدرجة لم يلاحظها علاء: اسمها دارين.

ردد علاء الاسم مرة وكأنه يستطعم طريقة نطق لسانه به وقد علت الدهشة وجهه: دارين! هي مش مصرية ولا ايه؟

سميرة: لا مصرية وساكنة في الشقة اللي قصادنا.

فصاح علاء فور سماعه ذلك الخبر وهو يحتضن سميرة: حبيبة قلبي يا خالتي، اهو هو دي الكلام.

ثم جذبها الى مكان هادىء وبدأ استجوابه: هه بقا يا خالتي؟

لم تفهم سميرة مراده لذا سألته: هه ايه يا علاء؟

علاء: ما تركزي معايا بقا يا سمسم، انا عاوز اعرف كل حاجة عن الانسة دارين، اه صحيح، هي مش آنسة بردو؟

سميرة بتعجب: انت بتتكلم جد؟

علاء: وهي المواضيع دي فيها هزار بردو يا خالتي؟

سميرة: واشمعنا يعني دارين دي اللي اخترتها.

فأشار علاء ناحيتها باصبعه وهو يقول مقاطعا: لا عندك يا سمسم، انا لسة ما اخترتهاش، الموضوع دة متوقف عن اللي هعرفه عنها سواء منك او من غيرك، انا لحد دلوقت تقدري تقولي في بدايات الاهتمام بيها، والصراحة انا متابعها من مدة لاني حسيت اني مشدود لها....هه بقا قوليلي هي تطلع ايه وبنت مين وايه ظروفها بالظبط؟

لم تجد سميرة مفر من الاجابة على اسئلة ابن اختها لانها تعلم انه لن يسمح لها بغير

ذلك، لذا أجابت على مضض: هي اسمها دارين محمود، يتيمة الاب والام وعندها تقريبا 19 سنة وفي سنة اولى كلية هندسة.

علاء وقد اتخذت ملامحه وضع الجدية: امال هي عايشة مع مين حاليا؟

فغلبت لهجة الاعجاب على صوت سميرة وهي تجيب: مع اخوها مازن، دة اللي شال مسئوليتها في وقت هو نفسه كان محتاج لحد يشيل مسئوليته، على فكرة، وهو حاليا شريك عمك فؤاد في الورشة دة بجانب شركة مقاولات كمان فتحها من قريب.

ثم زفرت بضيق ونفاذ صبر وهي تستأنف:

هه، عايز حاجة تاني، ولا خلاص نويت تطلق سراحي عشان افضى بقا لضيوفي؟

وقبل ان تخطو خطوة واحدة مبتعدة استوقفها علاء مترجيا: حاجة واحدة بس اخيرة يا خالتي معلش.

فعقصت سميرة ذراعيها فوق صدرها لتسأله:

ايه تاني؟

فلفت علاء انتباهها الى ناحية اخرى منعزلة حيث وقف مازن بصحبة دارين ومن ملامحهما المتجهمة بدا أنهما يتتشاجران: مين اللي معاها دة؟

سميرة: دة مازن أخوها، شكلهم كدة بيتخانقوا، مع ان دة نادر لما بيحصل بينهم، استر يارب.

وقبل أن تتجه سميرة ناحيتهما للوقوف على سبب الخلاف استوقفها علاء للمرة الثانية: خديني معاكي يا خالتي، وبالمرة اتعرف عليهم.

لم تبد سميرة أي اعتراض على اقتراحه او أن الموقف لم يسمح لها بذلك حيث كان كل ما يشغل تفكيرها في ذلك الوقت تلك المشكلة التي نشأت بين الاثنين وما ان اقتربت منهما وبجانبها علاء حتى اتاهما صوت مازن وهو يقول مصرا على أسنانه

بصوت حاول الا يبدو أعلى من الطبيعي: خلي الليلة دي تعدي على خير أحسن يا دارين.

دارين بغضب لم تستطع كتمانه: انا ما عملتش حاجة غلط يا مازن، كل البنات كانوا بيغنوا ويرقصوا قدامك وانا مجرد بس كنت بصقف و بحرك راسي معاهم.

مازن: كل البنات اللي بتتكلمي عنهم دول مفيش فيهم ولا واحدة تهمني غيرك.

وهنا تدخلت سميرة لتقول بلطف في محاولة منها لفض النزاع: مالكم بس يا ولاد؟ ايه اللي حصل؟

فكانت دارين من تولت الرد عليها وهي على وشك البكاء: اسألي مازن يا طنط، هو النهاردة عاوز يتخانق بأي طريقة وخلاص، في الاول قالي مفيش مكياج قولت حاضر وجاي هنا يزعقلي لمجرد انه شافني واقفة بغني واصقف مع البنات.

سميرة: ليه بس كدة يا مازن يا بني؟ اختك ما عملتش حاجة غلط، ماتخليها على راحتها تفرح زي البنات اللي في سنها.

أنا بردو من رأي خالتي.:

جذب انتباهه ذلك الدخيل الذي كان يقف بعيدا نسبيا ثم اقتحم الحوار فجأة رغم أن الأمر لا يعنيه في شيء، لذا كان

سؤال مازن المباشر الذي يدل على مدى رفضه لذلك التدخل: مين حضرتك؟

نظرته لسميرة دلت على أنه في مأزق ويطلب مساعدتها، فسارعت سميرة تقدم ابن أختها لذلك الثائر أمامها: دة علاء ابن اختي سلوى اللي قاعدة في اسكندرية.

بدا ان هذا التعريف البسيط لم يرق لعلاء لذا قرر هو أن يقوم بتلك المهمة بنفسه: انا الملازم أول علاء الملاح، والدي يبقا مختار الملاح صاحب شركة صغيرة للنقل البحري في الاسكندرية، لكن حاليا أنا عايش لوحدي بالقاهرة حسب شغلي يعني.

فهز مازن رأسه وهو يقول ببرود وكأنه يحاول أن يوضح له بأن كل ما قاله لم يعنه في شيء: تشرفنا.

لمست سميرة تلك البرودة في صوته، فحاولت تدارك الموقف وهي تكمل التعارف سريعا مبتدأة بمازن: ودة مازن محمود جارنا وشريك عمك فؤاد في الشغل.

ثم أشارت ناحية دارين وهي تقول باختصار: ودي دارين اخته.

فمد علاء يده بثقة مبتسما لمصافحة مازن ذلك الذي لم يستطع تجاهلها لمجرد أنه لم يرد تعدي حدود اللياقة: تشرفنا يا استاذ مازن.

ثم اتجه ناحية دارين فاعلا المثل: فرصة سعيدة يا انسة دارين.

اما هذه الأخيرة فترددت قليلا وهي تنظر الى تلك اليد الممدودة ثم إلى أخيها بحيرة الذي أسرع يصافح تلك اليد مرة أخرى وهو يقول معتذرا دون أن يبدو عليه وكأنه يقصد ذلك فعليا: أسف، اختي مش بتسلم.

فقال علاء مندهشا وهو ينظر الى دارين باعجاب بعد أن تخلص من تلك الأصابع الفولاذية التي أطبقت على كفه منذ قليل: معقول!

وقد اكتفى بتلك الكلمة وكأنه أراد أن يقول هل من المعقول أن ذلك النوع من

الفتيات لايزال موجودا في عالمنا حتى الآن؟

أما مازن فوجد نفسه يحيط أخته بذراعه بشكل لاارادي وكأنه يحاول أن يحميها من خطر يجهله.

الفصل الخامس عشر

أما الايام التالية فقد مرت بسلام وبشكل طبيعي غير ان جميع محاولات سارة للتقريب بين عمر و دارين تقريبا قد باءت بالفشل،

فبالنسبة لدارين لم يترك مازن اي مساحة خالية في حياتها تتسع لشخص آخر، اما عمر فلم يكن لديه ادنى اهتمام بهذا الامر ، فهو لا يحبذ ذلك النوع من الزواج.

وفي تلك الفترة كان علاء منهمكا في جمع المزيد من المعلومات عن دارين وأخيها، وما علمه زاد من حماسه لهذا الموضوع وفاتح سميرة في الأمر فلم تعطه رأيا صريحا حيث انتظرت كي تتحدث مع زوجها اولا عله يستطيع ان يبدد حيرتها، وقد انتهزت فرصة انفرادهما سويا في المنزل حيث كانت غادة لاتزال في الجامعة اما مروة فقد خرجت مع خطيبها لشراء بعض احتياجاتهما الخاصة بتجهيز شقة الزوجية، وما ان اخبرت فؤاد

بنوايا ابن اختها تجاه دارين حتى تهلل وجهه مما عبر عن رأيه قبل ان يصرح به: واللّه يا زين ما اختار، دارين بنت هادية وطيبة وكلنا عارفين اخلاقها.

فقالت سميرة معبرة عن مخاوفها: ايوة يا فؤاد عندك حق، بس دي لحد دلوقت احنا مش عافين اصلها وفصلها.

بدا على فؤاد الانزعاج وهو يقول ويضرب كفا بكف: استغفر اللّه العظيم، لازمته ايه بس الكلام دة يا ام البنات؟ وهو كان ذنبها يعني انها تاهت من اهلها وهي صغيرة، والحمد للّه اهو ربنا عوضها بناس كويسين ربوها احسن تربية وعاملوها افضل معاملة،

دة حتى مازن ما افتكرش ان لو اخته هدى اللّه يرحمها لسة عايشة كان عاملها زي ما بيعامل دارين دلوقت.

ثم اشار لها بيده مبتسما في تشجيع: ياللا ياللا يا ام مروة خلي ابن اختك يتوكل على اللّه وانا واثق انه مش هيندم على اختياره دة.

ولكن لا يزال يساورها بعض القلق حيال هذا الامر ولم تخف ذلك عن زوجها، فسألته وهي تفرك كفيها بتردد: طب انت شايف يعني اننا نقوله ع الحقيقة، انها يعني مش بنت محمود الشرقاوي؟ واننا مش عارفين اهلها؟

ومرة اخرى نرى فؤاد يردد الاستغفار بصوت منخفض قبل ان يجيب زوجته وكأنه يستعين بربه من خلاله كي يلهمه الصواب: واللّه يا ام مروة انا شايف انك تسيبي الامور ماشية زي ماهي ماشية احسن.

فارتف صوت سميرة باحتجاج: ازاي بقا يا فؤاد؟ دة ابن اختي، ودة جواز مش لعبة يعني لازم تكون الامور كلها واضحة ادامه بخصوص البنت اللي هيختارها عشان تشيل اسمه وتبقا ام عياله؟

فؤاء مهادنا: في دي انتي معاكي حق، بس انا شايف انه لو كان لازم يعرف الحقيقة يبقا مازن هو اللي المفروض انه يقوله لانه حاليا

هو ولي امرها، فلو شايف ان دة هيكون في مصلحتها او انه هيأثر على جوازها بعد كدة سواء بالايجاب او بالسلب لا قدر اللّه يبقا هو بردو ساعتها اللي يقرر اذا كان هيقوله ولا لا؟

لم يعجبها هذا الرد المراوغ وظهر ذلك في نبرة صوتها الغير راضية: وافرض بقا انه شاف ان دة مش في مصلحتها مش واجب عليا انا بقا ساعتها اني انور اختي وابنها؟

فؤاد: واللّه انا شايف ان لو كان علاء واثق من اختياره كويس لدارين فمش هيهمه ساعتها اذا كانت بنت محمود الشرقاوي او غيره ويكفي ان مازن معتبرها فعلا اخته

ومقرر انه يشيل مسئوليتها للنهاية لحد ما يطمن عليها.

هذا الحديث جعل تفكيرها يتجه لناحية اخرى حيث تحولت نبرة صوتها الى الشفقة:

واللّه عندك حق يا فؤاد، الواد مبديها عن نفسه وانا ظني بردو انه رافض فكرة الجواز دي عشان دارين.

فؤاد مؤيدا كلامها: هو بردو تقريبا قالي حاجة زي كدة.

سميرة بلهفة: هو كلمك في حاجة؟

فاستوضحها فؤاد سائلا: حاجة بخصوص ايه يعني؟

سميرة بمراوغة: يعني يكون فاتحك في حاجة بخصوص غادة، اصلي الصراحة شايفة ان البنت عينها منه، واحنا طبعا مش هنلاقيلها عريس احسن منه.

وقد كان ذلك بالفعل ما يتمناه فؤاد، ولكنه يعلم أن الزواج قسمة ونصيب، لذا قال بوجه سمح: سيبيها على اللّه يا ام البنات، هو اللي بايده انه يوفق بين القلوب، وبخصوص ابن اختك قوليله يتوكل على اللّه وييجي يقابل اخوها بكرة في الشركة وانا ان شاء اللّه هكون موجود معاه.

****
******

جلس مازن بقاعة الاستراحة المتصلة
بمكتبه فهو المدير العام بالشركة بينما
صديقاه يتوليان العمل الميداني حسب
تخصصهما، كان مازن قد تفاجأ بفؤاد الذي
جاء الشركة منذ نصف ساعة تقريبا
ليناقش معه بعض المساءل الخاصة بالعمل
حيث أن فؤاد لا يذهب الى الشركة الا نادرا
ولكن هذا الأخير فسر الأمر بأن هناك
بعض الأمور التي لا يمكن تأجيلها ويجب
الفصل فيها على الفور.

فقال فؤاد مستأنفا حديثه: طب وبالنسبة
للخشب اللي لسة ما وصلش لحد دلوقت
واحنا ادامنا طلبيات ميعادها قرب؟!

مازن بعد التفكير للحظات: واللّه يا عمي انا شايف اننا احسن نغير التاجر اللي بنتعامل معاه، لان دي مش اول مرة يأخر فيها مع اننا عمرنا ما اخرنا عليه فلوس.

فؤاد مستحسنا هذا الرأي: واللّه يا بني معاك حق، مع ان اسعاره كانت كويسة لكن دة مش معناه انه يأخرلنا شغلنا، بس انت ادامك حد افضل ممكن نتعامل معاه؟

مازن: سيبلي انا الموضوع دة، وبعد يومين ان شاء اللّه هرد عليك.

وصل الى مسامعهما طرقا على الباب، ثم دخلت فتاة محتشمة ووقورة وتبدو في العشرينات من عمرها: مستر مازن! فيه واحد

برة طالب يقابل حضرتك اسمه علاء الملاح.

ردد مازن الاسم وهو يرمق فؤاد بنظرات متسائلة يملؤها الدهشة : علاء الملاح! عاوزني انا!

فرد عليه فؤاد بنفس نظرته وكأنه يجهل السبب، ولكن مازن لم يكتف بذلك بل وجه اليه سؤالا صريحا بما يدور في خلده: تفتكر هيكون عاوزني في ايه يا عمي!

ولكن فؤاد قرر ان يستمر في ادعاء الجهل فرد قائلا: يا خبر النهاردة بفلوس.

لم يقتنع مازن كليا بهذا الرد، ولكنه قال لسكرتيرته: خليه يدخل.

****

وفي احدى محاولات سارة التي ارادت فيها ان تستميل دارين لفكرة الزواج عموما ولأخيها على وجه الخصوص، كانت تقف معها في فناء الكلية وهي تلح عليها بالسؤال: ياللا بقا يا دارين، جاوبي.

دارين وقد نفذ صبرها بالفعل فهي لا تريد الخوض في هذا الموضوع بأي شكل: اجاوبك على ايه بس يا بنتي! اتي جرالك ايه؟ اتجننتي؟

فتظاهرت سارة بالحزن: بقا كدة يا دارين! كل دة عشان سألتك عن مواصفات شريك حياتك؟

دارين: لا، كل دة عشان شايفاكي من فترة مش بتتكلمي اصلا غير في الموضوع دة.

فقالت سارة بنظرات ماكرة: مين عارف؟ مش يمكن اكون شايفالك عريس!

لم تعط دارين لنفسها اي فرصة للتفكير قبل ان تجيب سريعا: لا يا ستي يفتح اللّه، قوليله يشوف واحدة غيري.

سارة بالحاح محاولة اقناعها: يا بنتي طاوعيني، دة عريس لقطة ما يترفضش.

دارين باصرار: بردو لا.

بدا انها اوشكت على استنفاذ كل الحيل لديها فسألتها: طب ليه طيب؟ اقنعيني.

دارين معددة تلك الاسباب على اصابع يدها:
اولا عشان انا لسة صغيرة، ومش عاوزة افكر
في الموضوع دة دلوقت، ثانيا لان انا لسة
ادامي كتير عقبال ما اخلص دراستي ومش
عاوزة اي حاجة تشغلني عنها، ثالثا ودة
الاهم بقا مش متصورة ان ممكن ييجي
اليوم اللي اعيش فيه بعيد عن مازن.

فقالت سارة وهي تضع يدها في وسطها
مستنكرة وكانت تلك من عاداتها السيئة
التي لم تستطع الاقلاع عنها: يعني ايه بقا،
عمرك ما هتفكري في الجواز ابدا عشان
خاطر اخوكي؟

دارين بابتسامة راضية: انا فعلا بفكر اني لو ما لقتش واحد زي اخوية مازن في طيبته وحنيته وتحمله لمسئوليات كتيييييير اوي ومنهم انا وكمان قسوته في بعض الاوقات عشان مصلحتي، يبقا عمري ما هفكر في الجواز ابدا.

فقالت سارة وقد بدا انها لم تقتنع ولو قليلا بما تفوهت به صديقتها للتو: يا سلاااام! يعني انا لو مش لقيت واحد زي عمر اخوية يبقا الاحسن اني ما اتجوزش، دة ايه الهبل دة؟

دارين محاولة توضيح الامر: يا سارة انتي ليه مش قادرة تفهمي اني علاقتي بمازن مختلفة

تماما عن علاقة اي اخت تانية باخوها، لان مازن مش بس اخوية دة كمان هو بالنسبالي الاب والام والاخ والصديق، باختصار مازن مالي عليا حياتي لدرجة ان مفيش اي مساحة فيها لحد تاني.

وهنا لمعت في عقل سارة فكرة قررت ان تأخذ حجة دارين لصالحها فقالت بلهجة مشككة: دة بالنسبالك انتي، لكن بالنسباله هو..........

لم تتركها دارين تكمل ما بدأته بل سبقتها هي لتقول: انا بالنسبة لمازن زي ما هو بالنسبالي، والدليل على كدة انه لحد دلوقت ما فكرش ولو مرة واحدة في الجواز.

سارة: مش جايز مستني الفرصة مش اكتر؟

اساءت دارين فهم ما تلمح اليه صديقتها فقالت بناء على ما فهمته: فرصة ايه يا بنتي؟ هي اي بنت في الدنيا ممكن تلاقي عريس زي مازن فين؟ دي تبقا امها داعيالها اصلا اللي اخوية يفكر فيها.

سارة موضحة كلامها اكثر: انا كان قصدي، يمكن يكون هو مستني لما يخلص من مسئوليتك انتي الاول ويطمن عليكي وبعدين يبدأ هو بقا يشوف نفسه، ما هو لو زي مانتي بتتكلمي عنه كدة يبقا اكيد هييجي وقت ويفكر في الجواز والاستقرار دة ان ما كنش جه الوقت دة فعلا.

استطاع كلامها هذه المرة ان يتسلل الى خلايا عقلها حيث استغرقت وقتا قبل ان تقول وقد ارتسمت على وجهها تكشيرة صغيرة: استحالة مازن يفكر انه يبعد عني.

ولكنها لا تنكر انه قد راودتها بعض الشكوك حيال هذا الأمر.

****

بعد ان رحب مازن بالزائر وأجلسه في الوسط بينه وبين فؤاد ثم طلب له مشروبا ساخنا اراد ان يدخل في صلب الموضوع مباشرة ولكن دون ان يتخلى عن اسلوبه اللبق: في الحقيقة يا استاذ علاء انا فعلا استغربت لما

السكرتيرة بلغتني انك طالب تشوفني انا تحديدا، فخير؟

علاء بابتسامة ودودة لم تلق صداها عند مازن ومع ذلك لم يتردد او يهتز صوته وهو يقول: في البداية انا بعتذر لحضرتك اني جيت النهاردة من غير ميعاد.

ثم انتظر قبل ان يكمل عله يستشف ردة فعل مازن على كلامه ولكنه لم يجد سوى ابتسامة زائفة كثيرا ما يراها على شفاه رجال الاعمال هؤلاء خلف شاشات التلفاز: وثانيا انا سعيد طبعا اني لقيت عمي فؤاد هنا لاني بعتبره في اللحظة دي بديلا عن

والدي اللي ما كنش هيقدر ييجي معايا النهاردة.

لاحظ فؤاد نظرات مازن المملوءة بالريبة ونفاذ الصبر لذ قال يستحث علاء على الاختصار: اكيد يا علاء يا بني انت عندي في منزلة الابن، لكن لحد دلوقت انت ما قولتلناش سبب الكلام دة كله ايه؟

فقال علاء وهو ينظر مباشرة الى عيني مازن وهو يلفظ بالكلام دفعة واحدة: بصراحة انا جيت النهاردة عشان اطلب القرب من الاستاذ مازن في اخته الانسة دارين.

لحظات صمت رهيبة اكتفى فيها فؤاد وعلاء بمراقبة ردود فعل مازن على ذلك

الخبر ،بل تلك الصدمة فهي لم تكن سوى ذلك بالنسبة لمازن، صدمة اوقفت عقله عن العمل، صدمة سارعت من ضربات قلبه، صدمة افقدته القدرة على النطق في تلك اللحظات التالية، صدمة جعلته ينتفض من مكانه فجأة وكأن قد لدغته أفعى وقد ثبت نظرة عينيه اللتين ضاقتا بشكل خطيرعلى علاء وكأنه عدو يخشاه ولا يفكر سوى في الخلاص منه.

استطال علاء هذه اللحظات فقال يستعجل رده: ما سمعتش رأيك يعني يا استاذ مازن.

واخيرا نطق هذا التمثال ليقول بابتسامة باردة خالية من اي ود عكس ما كان يتظاهر: شكلك مستعجل اوي.

علاء: واللّه انا بسمع الناس دايما يقولوا خير البر عاجله.

مازن: اه بس افتكر انت سألت كويس وعرفت ان دارين صغيرة دة غير انها لسة بتكمل دراستها.

يبدو انه شعر بالنقص او بتفوق الاخر عليه لذا نهض من مكانه هو ايضا ليجيب: فيه بنات كتير بيتجوزوا وهما بيدرسوا، دة غير اني ما طلبتش ان فرحنا يكون بكرة يعني

دة لسة هيكون فيه فترة خطوبة نعرف فيها بعض اكتر، ولا ايه يا عمي؟

حتى الان لم يكن فؤاد يريد ان يتدخل، فهو يعلم مازن جيدا، وقد لاحظ انه وصل لمرحلة من الغضب يصعب فيها النقاش معه، ولكنه في نفس الوقت لم يرد ان يخذل هذا الشاب لذا قال مؤكدا بنبرة ضعيفة: معاك حق يابني.

لكن مازن لم يكن في حالة تسمح له بأن يصغي لأحد فقال مصرا على رأيه: بس انا مش ممكن اسمح لاي حاجة انها تشغل دارين عن دراستها دلوقت. انا اسف يا استاذ علاء، طلبك مرفوض.

ولكنه لم يعتد القبول بالهزيمة سريعا لذا كان كلامه الذي فجر البركان: دة رأي حضرتك، بس افتكر ان الانسة دارين من حقها يكون ليها رأي في الموضوع دة وانا حابب اسمعه.

هل هناك اكثر من العداء يمكن ان يشعر به تجاه هذا الشخص؟! هذا هو لسان حال مازن الآن وقد ازدادت عيناه ضيقا واشتد سوادهما لتصبحا اكثر خطورة كادت تؤثر على نبرة صوته الذي نجح في الحفاظ على ثباته وهو يقول بثقة تامة: انا أؤكدلك ان دة رأي دارين بردو.

علاء: طب ممكن اسمع الكلام دة منها هي شخصيا.

كاد ان يقول له" لقد تعديت كل الحدود، واني لم اعد اطيق صبرا على وقاحتك اكثر من ذلك"

ولكن عوضا عن ذلك بعد ان حافظ على رباطة جأشه قال بتلك النبرة الرزينة الواثقة: استاذ علاء، واضح انك مش فاهم الموضوع كويس، دارين اختي مستحيل ان يكون ليها رأي بعد رأيي، ودة مش تحكم او ديكتاتورية مني، لا طبعا، السبب في كدة انها واثقة مليون في المية ان اي قرار باخده

يخصها هو في الاول والاخر بيكون عشان مصلحتها هي. فهمت بقا انا كان قصدي ايه؟

يبدو ان كلامه بدلا من ان يثنيه فقد زاده اصرارا لمعارضته: بس دة مش اي قرار يا استاذ مازن، دة قرار بيتوقف عليه مستقبلها وعمرها كله اللي جاي. عشان كدة مهما كان ارتباطها بيك واعتمادها الكلي على حضرتك بحيث انها مخلياك المتحكم الاول والاخير في حياتها، فدة القرار الوحيد اللي لازم هية تاخده بنفسها بدون تدخل اي حد سوى بالنصيحة مش اكتر.

مازن: يعني ايه؟

علاء متحديا: يعني لو كان طلبي مرفوض فعلا فأنا بعد اذنك بفضل اني اسمع الرفض دة منها هي.

أمام هذا التحدي الصريح نظر مازن ناحية فؤاد يطلب منه التدخل، فقال فؤاد محاولا ان يكون محايدا بقدر الامكان: واللّه يا مازن يا بني كلنا عارفين اد ايه دارين مرتبطة بيك وعمرها ما كسرتلك كلمة، لكن زي ما قال علاء دة قرار بيتوقف عليه عمرها كله اللي جاي ومن حقها ان يكون ليها رأي في اختيار الانسان اللي هتقضي معاه الفترة دي زي ما هي اختارتك انت عشان تقضي معاك كل السنين اللي فاتت.

لم يلهمه عقله للمزيد من الحجج للاستمرار في الجدال، ورغم انه لم يقتنع تماما بوجهة نظرهما الا انه قرر مجاراتهما في هذا الامر وهي واثق من ان صغيرته لن تخذله كعادتها معه دائما.

****

الفصل السادس عشر

")الحب والأنانية" قد يعتقد البعض أن لا علاقة لهذا بذاك، ولكن كم هم مخطئون! فمن وجهة نظري المتواضعة الحب والأنانية وجهان لعملة واحدة، فقط جرب أن تحب أحدهم حبا حقيقي ستجد نفسك تلقائيا تعتبره ملكية خاصة لك، حيث لن تسمح لأحد بأن يشاركك حبه أو يشاركه حبك(

كان باله مشغولا طوال الطريق بتوقع ما قد يكون عليه رأيها، ورغم يقينه بحبها له وتعلقها به وهذا ما أكسبه تلك الثقة التي

كان يتكلم بها امام علاء، الا ان تفكيره قاده الى ذلك اليوم الذي سيتحتم عليهما الفراق، فليس من العدل ان يطالبها بملازمته طوال عمرها، فهو يعلم ان من حقها يوما ما ان تكون لها حياتها الخاصة التي ستبنيها وحدها مع ذلك الشخص الذي ستختاره شريكا لحياتها، ولكن التفكير في هذا الأمر حاليا يكاد يصيبه بالجنون.

أوقف سيارته أمام البناية التي يسكن بها ، ثم ترجل منها وانتظر فؤاد وعلاء حتى يتبعاه، صعد معهما درجات السلم حتى وصل الى شقته وكان الاتفاق ان ينتظرهما علاء في شقة خالته، دلف مازن داخل شقته وبصحبته فؤاد، وما ان أغلق الباب خلفهما

حتى نادى بصوت مرتفع على دارين وهو في نفس الوقت يخبرها بهوية مرافقه.

خرجت لهما دارين من غرفتها بثياب البيت العادية التي تستطيع بها استقبال الضيوف ولكنها لم ترتد الحجاب فهي لم تعتد ارتداءه في حضرة فؤاد ولم يعلق مازن على الأمر، استقبلتهما دارين بابتسامة واسعة: حمدالله ع السلامة، ازيك يا عمي.

قبل فؤاد جبينها وهو يرد على ترحيبها: الله يسلمك يا دارين، عاملة ايه يا بنتي؟

دارين: الحمد الله.

ثم ابتعدت عنه قليلا وقبل ان تدير ظهرها وهي تقول: ثواني والسفرة تبقا جاهزة، هتتغدى معانا طبعا يا عمي.

ولكن صوت فؤاد الجاد استوقفها: استني يا دارين، انا عاوزك في موضوع مهم.

نظرت اليه دارين بانتباه كامل: خير يا عمي.

امسك فؤاد يدها وجذبها خلفه الى حجرة الجلوس ومازن يتبعهما صامتا في ترقب: خير يا بنتي ان شاء اللّه، بس تعالي نقعد الأول.

وبعد ان استراح الجميع في مجلسهم، ابتدأ فؤاد الحديث: شوفي يا دارين، قبل اي حاجة، لازم تعرفي انك خلاص كبرتي

وبقيتي في سن بيخليكي مسئولة عن تصرفاتك واختياراتك، وفيه قرارات مهمة تخصك ولازم تاخديها لوحدك.

بدا الكلام مبهما لدارين وبالطبع لم تتردد في طلب العون من أخيها فتوجهت نظراتها اليه ولكن ما زاد من حيرتها ذلك الوجوم الذي رأته يملأ وجهه مما اشعرها بخطورة الموقف، ولكن استرعى انتباهها مجددا استئناف فؤاد لحديثه: بصي يا بنتي، من الاخر كدة وبدون اي مقدمات ملهاش لازمة، فيه واحد متقدملك وطلب ايدك من أخوكي والموضوع حاليا متوقف على رأيك انتي.

لا تعلم لم وفي تلك اللحظة بالذات

تذكرت كل ما قالته لها سارة منذ ساعات،

فهل يعقل ان مازن قد بدأ حقا بالتفكير في

طريقة للتخلص منها كي يبدأ حياته

الخاصة؟! ثم انتابها فجأة احساسا بالضياع

وهي تتخيل حياتها بدونه

:دارين! دارين! رحتي فين يا بنتي؟

رفعت رأسها لتنظر الى فؤاد بنظرات مبهمة،

ولكن بدا انه لم يلحظ ذلك فألح عليها

بسؤاله: ايه رأيك؟

استغرقت دارين المزيد من الوقت لتلتفت

ناحية مازن ذلك الشارد الذي لم ينطق

بكلمة منذ وصوله حتى انها لم تستطع

ترجمة تلك النظرات الحزينة التي رأتها في عينيه، ثم قالت بصوت مرتفع نسبيا حتى يستطيع مازن سماعه جيدا: طيب هو مازن رأيه ايه؟

اخيرا أفلحت في جذب انتباهه عندما نطقت باسمه، اما فؤاد فقد قال لها: سيبك من رأي مازن دلوقت، الاهم رأيك انتي، هه، قولتي ايه؟

حتى هي نفسها استغربت صوتها وهي تقول تلك الكلمة القاطعة "لا" حيث لم تعلم حقا ما الذي كانت تعترض عليه بالتحديد؟ أمسألة تلك الزيجة التي تفاجأت بها ام ابتعادها عن عالمها الذي

تعشقه والذي لا يضم سواها هي ومازن ولا يقبل بشريك ثالث؟

اما بالنسبة لرد فعل مازن وهذا ما كانت متلهفة لمعرفته فلم تعلم حقا اكان ما رأته على وجهه هذه شبح ابتسامة سرعان ما اختفت ام ماذا؟

لم يتعامل فؤاد مع رفضها هذا كرد نهائي بل حاول معها مجددا ليقول: طب مش تحبي تعرفي الاول مين العريس؟

ولكن لم تكن دارين تهتم لذلك لذا اجابت سريعا: مش مهم.

ثم أكملت بنظرة تحد وجهتها لمازن: انا مش هفكر في الجواز قبل ما اخلص دراستي الاول.

****

:يا برودك يا اخي، قاعد كدة ولا على بالك، وكمان ليك نفس تاكل؟

قالتها سميرة موبخة بها علاء وهي تقدم له القهوة عندما رأته يتناول واحدة من الكعك الذي كان امامه على الطاولة، اما هو فقد رد مبتسما: امال عاوزاني اصوم يا خالتي؟

فقالت سميرة وهي تجلس في مواجهته وتتناول فنجان القهوة الاضافي الذي قد

اعدته لنفسها: لا، بس ع الاقل كان بان عليك التوتر والقلق، المفروض يعني انك قاعد دلوقت مستني اهم قرار في حياتك.

فقال علاء بعد ان قضم قطعة اخرى من الكعكة في يده بلا مبالاة: وليه اتوتر او اقلق طالما عارف النتيجة؟

تفاجأت برده المحير، مما جعلها تستنتج الباقي بطريقتها: عارف النتيجة؟! واد يا علاء، انت فاتحت دارين في حاجة قبل كدة؟

علاء مضاعفا من حيرتها: افاتحها ازاي يا خالتي اصلا وانا ما قابلتهاش غير يوم خطوبة مروة؟

سميرة بغيظ: امال معنى كلامك دة ايه يا روح خالتك؟

وكانت ابتسامته غامضة حين أجابها وهو يرتشف بعض القهوة: هتعرفي دلوقت يا خالتي.

وكأنه كان على اتفاق مسبق مع فؤاد الذي لم يعط لسميرة اي فرصة للتفكير في ذلك المعني الخفي الذي يكمن خلف كلمات ابن اختها، حيث وجداه يدخل من باب الشقة بعد ان استعمل مفاتيحه الخاصة، ثم القى السلام عليهما، فردا عليه التحية، ولم تمهله سميره وقتا حتى يستريح بل اسرعت تسأله: هه يا فؤاد؟ عملت ايه؟

فهز فؤاد رأسه نافيا: ما وافقتش.

سميرة: طب وما قالتش ايه السبب؟

فؤاد: قالت انها مش بتفكر دلوقت غير في دراستها وبس.

لم تعلق سميرة بل نظرت الى علاء مباشرة لتجده منهمكا في شرب قهوته دون ان يبدو على وجهه اي اهتمام بما قاله فؤاد مما اغاظها و دفعها لسؤاله : وانت يا حضرة الظابط مالك؟ ساكت ليه؟ كأنك يعني مش متفاجىء من قرارها دة.

علاء: مممممم، يعني زي ما تقولي كدة.

فتدخل فؤاد ليسأله: ما تفهمنا يابني تقصد ايه؟ يعني انت كنت عارف ان دارين

هترفض؟ طب ليه كنت بتتحدى مازن بالشكل دة وراسك والف سيف انه ياخد رأي اخته في الموضوع وكأنك متأكد من موافقتها؟

علاء: انا صحيح اصريت ان مازن يسأل دارين عن رأيها رغم اني متأكد انها مستحيل تعارض رأي اخوها.

وعندما رأى عيونهما تتسع من المفاجأة، فقال يفسر لهما الامر: من المعلومات اللي عرفتها عن دارين واللي انتم نفسكم اكدتوهالي قدرت احدد هي اد ايه مرتبطة باخوها وصعب تاخد قرار بدون ما ترجعله وهو يعتبر المتحكم الاول والاخير في حياتها ودة

بيتم طبعا برضاها، وانا كان كل اللي يهمني من الموضوع دة كله هو اني اكسر عندها الحتة دي عشان لما ارجع اعيد الكرة تاني يكون الموضوع اسهل ودارين اتعودت انها تاخد قراراتها بنفسها.

سميرة: هو انت ناوي تتقدملها تاني؟

علاء: يا خالتي، صعب في الايام دي انك تلاقي حد تتعلق بيه من اول نظرة ويخطفك مرة واحدة ببراءته بالشكل دة، عشان كدة انا مش ناوي اتنازل عن دارين بسهولة.

ثم اضاف بغموض: بس الموضوع محتاج صبر وانا مش ورايا حاجة.

****
*

بعد ان حكت دارين لصديقتها عما حدث بالامس، علقت سارة وهي تشير الى ما حذرتها منه سابقا: مش انا قولتلك يا دارين ان كل دة هيحصل وانتي ما سمعتيش كلامي؟

دارين بشعور من الحزن ابى ان يفارقها منذ الليلة السابقة: ما كنتش فاكرة ان ممكن ييجي الوقت اللي مازن هيزهق فيه مني.

سارة: يا حبيبتي دي سنة الحياة، وما ينفعش تلوميه على تفكيره دة، بس لازم انتي كمان تبدأي تخططي لحياتك الجاية، وانتي الف من يتمناكي بس انتي تشاوري.

ردت عليها دارين بابتسامة باهتة لا تحمل اي اثر للمرح الذي لم تكن تشعر به بالفعل.

****

سارة! فكك مني بقا.:

قالها عمر بضيق بعد ان تعب من الحاح اخته المتواصل للتفكير في موضوع زواجه من صديقتها. هو في الواقع لا ينكر اعجابه بشخصيتها وأخلاقها ولكنها على حد قوله لم تخطف قلبه حتى الان.

فقالت له سارة باصرار: طب قولي ايه اللي مش عاجبك فيها؟

عمر: يا ستي كلها عجباني، بس بردو لحد دلوقت مش قادر اقتنع انها ممكن تكون الانسانة اللي هتكون شريكة حياتي.

وفجأة انفتح باب الحجرة حيث كانا يتجادلان في غرفة النوم الخاصة بعمر والتي تحوي في نفس الوقت مكتب يستخدمه في الاستذكار الى جانبه مكتبة صغيرة تضم العديد من الكتب التي يحتاج لمطالعتها، ولكن الحجرة ككل تمتاز بالطابع الرجولي، دخلت امرأة في الخمسينات من عمرها وقورة لا تزال تحتفظ ببعض مظاهر الجمال الذي كانت تتمتع به في شبابها، وعيناها تشعان دفئا

وحنانا: مالكم يا ولاد؟ صوتكم مسمع لبرة، انتوا بتتخانقوا ولا ايه؟

وبعد ان قبل عمر يدها، قال لها شاكيا: تعالي الحقيني يا ماما من زن بنتك اللي ملوش اخر.

فاتجهت نظراتها نحو تلك الناقمة التي تقف بعيدا وسألتها: مزعلة اخوكي ليه يا سارة؟

سارة: يعني انا عشان عاوزة مصلحته ابقا بزعله يا ماما؟

عمر محتدا: يا بنتي ركزي، انا الكبير يعني المفروض انا اللي انصحك مش العكس.

سارة معترضة: مش بالسن على فكرة يا باشمهندس.

حاولت وداد التدخل لفض هذا النزاع: طب ما تفهموني يا ولاد ايه الموضوع؟

انتظر عمر حتى تمالك اعصابه وهدأت نبرة صوته ليقول لها: الموضوع يا ماما ان الست سارة جايبالي عروسة ومصرة اني لازم اتجوزها عشان هي صاحبتها.

احتجت سارة ثانية لتقول: لا، عشان هي بنت كويسة وانت عمرك ما هتلاقي زيها.

اخيرا نفذ صبره فقال وهو يهم بالخروج ويقبل جبين امه: يوووووووووه، مفيش فايدة، سلام يا ماما.

ثم رحل، فاقتربت سارة من والدتها ووجهها تعلوه التكشيرة: شايفة ابنك وعمايله يا وداد هانم؟

كانت وداد اقرب ما تكون الام لاولادها فقد حاولت قدر امكانها ان تكون لهما الام والاخت والصديقة تعويضا عن غياب الاب المستمر بسبب عمله المتواصل لذا لا تكترث اذا استعملا القابا كتلك في بعض الاحيان، فاحاطت ابنتها بذراعها وهي تحاول تطييب خاطرها: ما هو بردو يا حبيبتي عنده حق، هو كبير بدرجة مناسبة تخليه قادر انه يختار شريكة حياته بنفسه بدون مساعدة حد.

سارة: يعني انا غلطانة يا ماما اني عاملة على مصلحته، ونفسي بقا ان ربنا يهديه بدل ماهو عمال يجري ورا بنات استغفر اللّه العظيم يعني.

وداد: لا يا حبيبتي انتي مش غلطانة ولا حاجة، بس المهم قوليلي، هي البنت دي حلوة، ومن عيلة مين؟

سرت سارة كثيرا لانها قد وجدت حليفا اخر في هذا الدار يساندها في قضيتها التي لن تتنازل عنها حتى يتحقق مرادها.

****

وفي مركز التجميل حيث تتجهز العروس مروة لليلة زفافها وبرفقتها والدتها وشقيقتها

الى جانب دارين التي قد طلبت منها سميرة مرافقتهم ولم يمانع مازن بالطبع.

كانت العروس قد اوشكت على الانتهاء، وقد نالت غادة ايضا حظها من تلك الزينة كوصيفة للعروس وقد ازدادت جمالا ورقة، فقد كان جمالها من النوع الهادىء الخجول الذي يخشى الظهور للعلن منتظرا بصبر ذلك الخبير القادر على تمييزه ومستعدا للاعتناء به، اما دارين فقد امتنعت عن استخدام ايا من ادوات الزينة رغم الحاح الجميع عليها، وكمحاولة اخيرة من غادة لاقناعها قالت لها: يا بنتي مفيهاش حاجة على فكرة، دة فرح وعادي جدا مانا ادامك اهو، وكل البنات اللي في الفرح هيكونوا

حاطين ميك اب بردو ومش لازم يكون اوفر يعني، حاجة بسيطة بس محدش هيلاحظها، ياللا خلصي بقا.

احتاجت دارين ثوان قليلة لتفكر في كلام غادة وفجأة يتجه تفكيرها الى مازن وما يدبر لها من خطط جديدة للتخلص منها على حد اعتقادها، وفجأة ارشدها عقلها الصغير الى حيلة قررت على الفور اللجوء اليها، فأومأت براسها موافقة: اوك.

كان الكثير من الناس بانتظار العريس يخرج من مركز التجميل وفي ذراعه تتعلق يد عروسه الجميلة حتى يتجهوا الى قاعة الافراح التي تم حجزها مسبقا.

وقف مازن ورفيقيه مستندون على جسم سيارته، فقال حسام ممازحا: هيييييه، عقبال عندكم يا شباب.

عبدالرحمن ساخرا: طب ما تقول الكلام دة لنفسك الاول يا فالح.

حسام: ما ينفعش يا بني، لان دة يبقا اسمه تعدي على حقوق الغير، لازم الكبار

مشيرا ناحية صديقيه ليكمل: هما اللي يتجوزوا الاول

ثم اشار الى نفسه ليضيف: ثم يأتي دور الصغيرين.

فدفعه عبدالرحمن بخفة قائلا: دول ما كنوش شهرين هتذلنا بيهم.

حسام: بالنسبة ليك شهرين وبالنسبة لمازن اربعة.

فغمز له عبدالرحمن بطريقة ماكرة وهو يقول: قصدك يعني ان الدور على مازن؟

كان مازن يتابع الحوار صامتا، وكان يفضل ذلك الصمت كثيرا ولكنه خشى ان يلاحظ صديقيه شروده فحاول مجاراتهما في مزاحهما: عاوز ايه ياد انت وهو؟

حسام باشمئزاز: ياد! يا مان واطي انت. بس تصدق انت تفضل عازب كدة احسن، لان مفيش واحدة هتقدر تستحمل رخامتك دي، دة احنا اللي اسمنا اصحابك مش طايقينك يا اخي.

وفجأة دوى صوت الزغاريط في المكان لتعلن عن خروج العروسين، فأشار لهما مازن ان يلتزما الصمت، واجتمع الناس حول العروسين تتعالى اصواتهم بالتهنئة، حتى ادخل العريس زوجته في السيارة بمساعدة وصيفتيها غادة ودارين ثم اتجه هو الى الناحية الاخرى من السيارة حتى يأخذ مكان السائق مستعدا للانطلاق.

اما مازن ورفيقيه فقد اكتفوا بمتابعة المشهد من بعيد حتى لفتت انتباههم تلك الفراشة القادمة نحوهم تتبختر في ذلك الثوب الذي يجعلها تبدو كحورية البحر الاسطورية وقد ساعدها ذلك مساحيق التجميل التي استعملتها والتي اضافت اليها

المزيد من التألق والابهار، وبالطبع سرعان ما غض عبدالرحمن بصره في حين استمر حسام في التحديق لها باعجاب ومازن بالغيظ، انتظرت دارين حتى وصلت اليهم لتخبر أخيها بصوتها الرقيق الناعم: معلش يا مازن، طنط سميرة طلبت مني اني اركب معاهم العربية، اشوفك في الفرح بقا.

ثم كما جاءت ابتعدت دون ان تنتظر رأي مازن وهي بداخلها تعلم كم أغضبته، وتعلم انه حتما ينتظر الوقت ليعاقبها على فعلتها تلك، ولكن ايا يكن الامر فلن يستطيع ان يفعل ذلك الان.

الفصل السابع عشر

بدأ الجميع في التحرك خلف سيارة العروسين متجهين الى قاعة الافراح، وقد استقلت دارين سيارة فؤاد بجوار غادة بالخلف وهي تشعر بعيون مازن التي لم تفارقها منذ أن رأها على تلك الحال وقد بلغ غضبه الى قمته كما توقعت او لنقل كما ارادت.

لم يتبق من المدعوين سوى الاصدقاء الثلاثة وبدا ان هذا ما لم يلاحظه ذلك الشارد ذو العينان المشتعلتان من الغضب لا يفكر سوى في تلك الجنية التي كادت تذهب عقله من تصرفاتها الطائشة، حاول

حسام لفت انتباهه وهو يحرك كف يده امام عينيه: هيييه، انت يا اخ، احنا مش هنمشي ولا ايه؟ زمان الفرح خلص.

حاول مازن السيطرة على انفعالاته وهو يتجه ناحية باب سيارته الامامي وهو يقول لصديقيه: ياللا بينا.

تفاجأ حسام من رده الجاف ولكنه لم يبال بالامر كثيرا وأشار الى عبدالرحمن وهو يتجه ناحية سيارته: ياللا يا عبده.

وقبل ان يفتح باب السيارة وضع عبدالرحمن اصابعه على يده يمنعه وهو يقول: لا يا حس، انا مش مستغني عن عمري، انا اللي هسوق المرادي.

حسام: فيه ايه يا عبده؟ انت مش واثق فيا ولا ايه؟ مانا اللي سايق واحنا جايين.

عبده مبتسما: اه مانا فاكر، بأمارة ما نشفت دمي، وعشان كدة مش ممكن اسمح بان دة يتكرر، ياللا روح من الناحية التانية.

فزفر حسام بغيظ وهو يتجه الى الناحية اليمنى من السيارة ويقول: امري لله. انا اول مرة اشوف واحد يتمنع من سواقة عربيته.

فرد عليه عبدالرحمن بعد ان استقرا في السيارة ويستعد للانطلاق خلف سيارة صديقهما التي لم يعد لها اثر في الطريق: تستاهل، مانا قولتلك اجيب عربيتي انت

اللي اصريت انك تعدي عليا ونركب مع بعض.

وانطلق عبدالرحمن بالسيارة، وبعد مرور ما يقرب من ربع الساعة نظر عبدالرحمن بطرف عينيه الى جانبه بتعجب حيث لم يعهد صديقه صامتا طوال هذه المدة الا ان كان هناك ما يشغل باله حقا لذا سأله:

مالك يا حسام؟ ساكت يعني؟ بتفكر في ايه؟

وكأنه كالمنوم اجاب دون تفكير ودون ان يعمل حساب لما قد يترتب على ما سيتفوه به: تصور يا واد يا عبده، ان اخت مازن طلعت حلوة اوي.

وبدون سابق انذار او اي استعدادات وجد صديقه يضغط على مكابح السيارة بقوة لتزعق عجلاتها بتمرد لتلك الحركة المفاجأة من قائد السيارة والتي من الممكن قد تؤدي الى حادث ما في حالات اخرى، كاد حسام ان يصطدم بزجاج السيارة الامامي ولكنه تفاداه في اللحظة الأخيرة، ثم نظر الى صديقه وقد تملكه الغضب وهو يقول له بحدة: ايه دة يا عبدالرحمن؟ انت اتجننت ولا ايه؟ مش تحاسب يا أخي.

فنظر اليه عبدالرحمن بعينين باردتين كالثلج وهو يقول له بنبرة مخيفة لم يسمعها منه حسام من قبل: اسمع يا حسام، انا وان كنت لسة لحد دلوقت باقي عليك

رغم البلاوي السودة اللي اعرفها عنك فدة لانك اعز اصحابي وبعتبرك اخويا وبدعيلك دايما ان ربنا يهديك، لكن انها توصل لدرجة انك تبص لاخت مازن اللي هو صاحب عمرنا فدة اللي عمري ما هسمح بيه ابدا، وقسما باللّه لو ما شلت الموضوع دة من دماغك نهائيا ما هيقفلك غيري وساعتها انا هعتبر ان ما كنش ليا اي صاحب اسمه حسام.

لم يصدق حسام ما يسمعه من صديقه،فلم يتوقع ان هناك سببا مهما يكن بامكانه ان يهدم تلك الصداقة التي ظلا يشيدانها منذ اكثر من عشرين عاما.

وهذا ما دفعه الى ان يسأله: يااااه، كل دة عشان قولتلك......

ولكن لم يدعه عبدالرحمن يكمل عبارته حيث هتف به صائحا بتحذير لا يمكن لاحد في مكان حسام ان يتجاهله: حسام!

فقال حسام معتذرا حتى يسترضي صديقه: خلاص يا عبده انا اسف، مش هتتكرر تاني، واوعدك اني هنسى الموضوع دة خالص، ممكن بقا نمشي عشان ما نتأخرش؟

زفر عبدالرحمن بضيق وهو يستأنف قيادة السيارة حتى يلحق بموكب العرس ويقول: ربنا يهديك يا حسام.

كان هذا هو الدعاء الذي يختص به عبدالرحمن صديقه طوال الوقت وهو لا يعلم ان وقت الهداية لم يحن بعد، وأنه سيكون طرفا فيها.

****

كانت القاعة تعج بالمدعوين وصوت الموسيقى والأغاني يصدح في ارجائها والكل يشارك العروسين في فرحهما الذي لا تسعه الدنيا نفسها، فهي ليلة العمر كما يسميها البعض يتمناها كل شاب وفتاة ممن يريدون الحلال ولا يرضون بسواه بديلا.

اما خارج القاعة وقف علاء مع ابنة خالته يحاول اقناعها بأمر ما بدا انها ترفضه

بشكل قاطع وهي تقول له بحزم: قولتلك لا يا علاء. انا مليش دعوة.

علاء وقد ضاق ذرعا من اصرار ابنة خالته: يا بنتي افهمي بقا، هو انا بقولك هاتهالي المقطم؟ بطلي غباء يا غادة وافهميني بالراحة، كل اللي انا عاوزه اني اقرب منها واخليها تعرفني اكتر.

غادة: انا نفسي اعرف مش هي رفضتك وخلاص، يبقا لازمته ايه بقا كل دة؟

علاء بترفع: اولا هي ما رفضتنيش، هي رفضت فكرة الجواز نفسها، ثانيا مش يمكن لما تتعرف عليا ونفهم بعض تغير رأيها؟

غادة: ولو محصلش؟

علاء: اولا فال الله ولا فالك، وثانيا هكون ع الاقل اسمي حاولت ويبقا اسمك ساعدتيني وخلاص يا ستي، وتتردلك كدة في صحتك وعافيتك يارب.

ابتسمت غادة رغما عنها من اسلوب علاء المازح مما جعل شعاعا من الامل يتسرب الى قلبه وقد ازداد اضعافا حين اومأت غادة برأسها موافقة ثم قالت: خلاص، اوعدك اني هحاول اعمل اللي عليا.

اشرق وجهه بالتفاؤل وهو يقدم لها الشكر: ربنا يخليكي ليا يا بنت خالتي ويرزقك بابن الحلال اللي زي ابن خالتك كدة، بس

اياكي تدوخيه وراكي زي ما بيحصل دلوقت معايا.

كانت ابتسامتها هذه المرة باهته وهي تفكر ان موافقتها على هذا الامر ربما يكون سببه هو رجائها بأن تتحقق هذه الدعوة بالفعل.

****

كانت دارين تجلس امام نفس الطاولة التي يجلس بها فؤاد وزوجته فهي لم تفارقهما منذ المجيء الى ذلك المكان وكأنها تخشى ان تضل الطريق فلم يكن ايا من الوجوه التي تراها امامها بالمألوفة لديها سوى هذا الوجه الذي يقف هناك بأحد اركان القاعة

بالخلف بجانب صديقيه وهي تخشى ان تلتفت الى تلك الناحية ولكنها تشعر بوجوده يغلفها وكأنه كما اعتادت منه دائما يحميها من تلك العيون التي تتطلع اليها بفضول وتشعرها بالخجل.

اما هو فكان يغالب ذلك الشعور الذي كاد يدفعه الى الذهاب اليها ليأخذها ويخرج بها بعيدا عن أعين كل هؤلاء المتطفلين، ثم يخفيها في مكان لا يستطيع احد غيره ان يراها فيه، ولكن لم يلقي باللوم على الآخرين وقد نهاها من قبل عن تلك الامور ولكنها لم تستمع له؟ بل يجب ان يلوم نفسه ايضا لانه لم يتخيل يوما ان صغيرته

ستصبح شابة يافعة تمتلك هذا القدر من الجمال!

:مازن! مازن! انت رحت فين؟

هزه عبدالرحمن برفق ليخرجه من افكاره تلك، فحاول مازن التركيز مع اصحابه فيما يقولون: ايوة يا عبدالرحمن معاكم.

حسام ساخرا: لا، ماهو واضح.

رغما عنه خرج صوته حادا وهو يقول: حسام! بقولك ايه؟ انا مش ناقصك.

وقبل ان يرد حسام بتعليق اخر يزيد من حدة الموقف سأله عبدالرحمن بلطف: ملك يا مازن؟ انت عصبي اوي ليه النهاردة؟

استعاد مازن هدوءه وهو يجيب: مفيش يا عبدالرحمن، انا بس مرهق شوية.

ثم نظر الى حسام ليقول له معالجا تلك الفظاظة التي تحدث بها منذ ثوان: انا اسف يا حسام ما تزعلش مني.

حسام: عيب يا مازن، دة احنا اخوات.

مازن محاولا تغيير دفة الحديث والانخراط في اي امر يلهيه عن هذه القابعة هناك غير مبالية بتلك النيران التي تشتعل بداخله: هه! كنتوا بتقولوا ايه بقا؟

فأجابه عبدالرحمن مازحا: كنا عاوزين يا سيدي نشوف عروسة لحس، يمكن ربنا يهديه على ايديها.

فاتسعت ابتسامة مازن وهو يقول معلقا: اللي زي حسام دة مش محتاج عروسة، دة محتاج بوليس الاداب يلمه ونخلص منه، وساعتها يقول حرمت.

ولكن حسام لم يتضايق من كلامهما بل حاول مسايرتهم ليقول: طب بقولكم ايه ما تيجوا قبل ما بوليس الاداب يطب نهيصلنا شويتين.

عبدالرحمن وهو يهز رأسه ولسان حاله يقول ان لا فائدة من نصح هذا الشخص: اعوذ بالله، يا اخي حرام عليك.

فتجاهله حسام، ليوجه حديثه الى مازن: وانت يا اخ مازن، حابب تعيشلك يومين ولا

ناوي تدخل سلك الدروشة مع الشيخ عبدالرحمن؟

رفع مازن كفه معارضا وهو يقول: لا يا عم، اللّه الغني، انا مليش في سكتك.

وقبل ان ان يفكر حسام في الابتعاد، رن هاتف عبدالرحمن، فأجاب في الحال حين علم بهوية المتصل وظهر على وجهه الاهتمام: السلام عليكم.

ثم اكمل بخضة: ايوة يا حجة، طب ثواني وهبقا عندك، مع السلامة.

ثم انهى المكالمة،فسأله مازن على الفور: خير يا عبدالرحمن؟ ايه اللي حصل؟

عبدالرحمن وهو يستعد للرحيل: والدي تعب فجأة وامي لوحدها مش عارفة تتصرف.

مازن: لا حول ولا قوة الا بالله، خير ان شاء الله، طب انا جاي معاك.

عبدالرحمن: لا خليك انت يا مازن عشان اختك، انا هاخد حسام معايا. يالا بينا يا حسام.

حسام دون تردد: ياللا يا عبده.

وقبل ان يرحلا طلب منهما مازن ان يتصلا به حالما يطمئنان على صحة الشيخ سليم.

وبعد رحيلهما عاد نظره من جديد يتجه الى تلك الطاولة ذاتها والتي لاحظ أن عددها قد ازداد فردين آخرين احدهما غادة ابنة

فؤاد، والاخر ما ان تعرف مازن عليه حتى تجهم وجهه خاصة عندما رأى ذلك الانسجام يغلف كل المحيطين بالطاولة ليبدون وكأنهم عائلة واحدة.

واذا عدنا بالزمن قليلا عندما كان مازن منشغلا في الحديث مع صديقيه واتجهنا ناحية دارين ورفيقيها، نجد ان غادة قد وصلت اليهم وبصحبتها علاء فسألتهما سميرة باهتمام: كنتوا فين يا ولاد؟

نظرت غادة ناحية علاء تطلب منه العون، وقد أسرع هو يقول: كنت بفرج غادة على منظر النيل من هنا، شكله تحفة يا خالتي، تحبي تشوفيه؟

سميرة بلهجة خاصة: لا يا خويا احنا خلاص كبرنا على المشاهد دي، البركة فيكم انتوا بقا.

وكأنه كان بحاجة الى فرصة ليفتتح حديثا مع تلك الصامتة الخجول التي انكمشت قليلا فور ان جلس بجوارها ليسألها مبتهجا بعينين تكاد تلتهمانها وكأنه لم يلحظ انزوائها: وانتي كمان كبرتي ع المشاهد دي يا انسة دا...ريــن؟

نطق اسمها بتلك الطريقة الممطوطة جعلها تنظر مباشرة اليه بدهشة ولكن سرعان ما ندمت على تلك الحركة فقد رأت في عينيه نظرة أخجلتها أكثر، وقالت

لها سميرة وهي تنظر الى ابن اختها بلوم لم يلحظه احد سواه: دة علاء ابن اختي يا دارين، انتي مش فاكراه ولا ايه؟ هو دايما كدة بيحب الهزار.

لم تجد دارين ما ترد به، اما علاء فلم يستسلم حيث استمر في محاولاته لكسب ودها، وقال ردا على سؤال خالته لدارين وكأنه موجه اليه هو: بس انا فاكر الانسة كويس وبالأمارة كمان فاكر انها تقريبا قالتلي انها في كلية هندسة.

فقالت دارين نافية: بس انا ما قولتش لحضرتك انا في كلية ايه؟

هو بالطبع يتذكر انها لم تخبره بذلك،

بل انهما لم يتبادلا حتى الان كلمة واحدة،

ولكنه استخدم تلك الاكذوبة لتكون

مدخلا يستطيع من خلاله اختراق حصنها

المنيع، فتظاهر بأنه يفكر قليلا وهو يقول:

ولا حتى قولتيلي ان عمرك 19 سنة و

ساكنة في الشقة اللي قصاد خالتي مع

اخوكي مازن اللي هو اصلا شريك في ورشة

الموبيليا مع جوز خالتي؟

انفرجت شفتاها عن ابتسامة حلوة زادت من

خفقان قلبه وكانت تلك الابتسامة هي

التي رآها مازن اول ما التفت ناحيتهم.

لم يتحمل مازن رؤية المزيد بل حث الخطى متجها اليهم والشرر يتطاير من عينيه، ولكن لسوء الحظ استوقفه رجل يبلغ من العمر ما يقارب الخامسة والثلاثين يعمل لديه بالشركة: مازن بيه! لوسمحت عاوز حضرتك في موضوع.

اجابه دون ان يرفع عينيه عن وجهته: مش وقته يا حمدي،بعدين.

ولكن بدا على ملامحه الاصرار الشديد وهو يقول: معلش يا مازن بيه، الموضوع مستعجل.

فوقف مازن يستمع اليه مجبرا وكان من الواضح ان الموضوع غاية في الاهمية

بالفعل حيث جذب انتباهه بعيدا عن دارين ورفقتها.

دوى صوت الميكروفون بعد ان هدأت الموسيقى يقول: ودلوقت نطلب من العروسين انهم يقفوا على ال stage وكمان اي كابلز تانيين يحبوا انهم يشاركوا العروسين رقصة العمر.

وقد امتلأ المسرح بالأزواج محيطين بالعروسين ليتهادى كل منهم مع رفيقته على أنغام الموسيقى الساحرة والآخرون من ينظر اليهم بسعادة او رجاء او حسد او شرود كما كان الحال مع دارين التي انتبهت فجأة

على صوت علاء وهو يطلب منها بابتسامته العذبة: تحبي تجربي؟!

لم تفهم مقصده في البداية الى ان اشار بيده ناحية المسرح، فترددت لحظات ثم نظرت حولها طالبة الغوث من احدهم ولكنها وجدت الجميع في غفلة عنهما يتابعون ذلك المشهد الجذاب، وعندما اعادت النظر الى علاء وجدته لايزال في انتظار ردها على طلبه، فنظرت الى تلك اليد الممدودة قليلا وفجأة لاح شبح ابتسامة ماكرة على شفتيها، ثم نهضت عن كرسيها لتقول لعلاء الذي تعجب من موقفها قبل ان تغادر: عن اذنك.

كان مازن لايزال يتحدث مع هذا الموظف حتى بعد ان خفت الاضواء وتركزت معظمها على المكان الذي يتواجد به العروسين حتى سمع صوتها يناديه: مازن! مازن!

التفت ليجدها خلفه، فسألها باهتمام: خير يا دارين فيه حاجة؟

وقد كان قد انهى كلامه مع الموظف تقريبا لذا قال هذا الاخير له قبل ان يغادر المكان: طب عن اذنك انا بقا يا مازن بيه؟

فأومأ له مازن برأسه، ثم صب اهتمامه مجددا على دارين، وقد تذكر فجأة انزعاجه منها

لذا اعاد سؤاله بلهجة اكثر حدة: فيه حد ضايقك؟

فهزت دارين رأسها بالنفي وهي تقول له وتلك الابتسامة الماكرة تصل الى عينيها اللتين تشعان سرورا: انا عاوزة ارقص معاك.

مازن : نعم يا ختي!

وان كان قد اعتاد منها على المفاجآت فحتما تلك كانت أشدهم، ولكنها لم تبال بردة فعله تلك ، بل كررت طلبها بوجه اكثر انشراحا: عاوزة ارقص معاك.

فقال مازن معلقا على كلامها بسخرية: والمفروض بقا اني اروح دلوقت عشان اتحزم؟

دارين وهي تشير ناحية المسرح: لا، انا عاوزة ارقص زي دول.

مازن محذرا: دارين!، دة مش وقت هزار، وبعدين انتي لسة ليكي حساب معايا، فلمي الدور احسنلك، ثم دول فيهم اللي متجوزين واللي مخطوبين، واللي بيحبوا بعض.

فباغتته دارين بالسؤال وهي تتصنع الغضب و تكتم ضحكتها: وهو انت مش بتحبني؟

ولكنه علم بلعبتها فقال بغيظ: دارين انتي أكيد فاهمة قصدي، ما تستعبطيش.

فقالت دارين وهي تلعب دور المغلوبة على امرها: طيب، مادام انت مش موافق اروح بقا

ادورلي على حد تاني يكون بيحبني وارقص معاه.

قالت جملتها وهي تشير ناحية علاء الذي كان يتطلع اليهما بفضول فجذبها مازن ناحيته بخشونة وهو يقول لها مهددا: اقسم بالله يا دارين لو حصل ما هيكفيني فيها عمركم انتو الاتنين.

ولكن لم يخيفها تهديده، بل نظرت له بتحدي تسأله: يعني هتيجي معايا؟

لم يستغرقه الامر سوى لحظة حتى دفعها امامه بخفة: انجري ادامي، لما نشوف اخرتها.

وقف مازن بجوارها على المسرح مرتبكا يتطلع الى من حوله بانتباه شديد، فقد

كان بالطبع لا يجيد الرقص ولا حتى يعلم اساسياته وقد لاحظت دارين ذلك، فتلك اول مرة تراه هكذا، فلطالما كان اخوها الذي تتعلم على يده كل شيء، وها قد حان الوقت الذي ستتبدل فيه الادوار، وبدأت تلقي بتعليماتها اليه وهي تمسك بذراعيه تضع احدهما حول خصرها والاخر ممسكا بكفها: اولا لازم تهدى خالص وبلاش التوتر دة، وثانيا ما تفكرش غير في الموسيقى اللي بتسمعها وحاول انك تتحرك على انغامها.

فسألها مازن بشك: انتي اتعلمتي دة كله فين؟

فأجابت دارين على الفور: من الأفلام طبعا يا ميزو.

وهاهي حصلت على مكافأتها أخيرا، فقد نالت تلك الابتسامة التي كانت تسعى اليها مما ادخل السكينة الى قلبها وقد ارتاح بالها من تلك الفكار التي كانت تراودها في الاونة الاخيرة، مما جعلها تستند برأسها على كتفه ذلك الدرع الذي كان يقيها من كل الأمور التي تعلمها والتي تجهل حقيقتها حتى الان.

وهو ايضا ربما راوده نفس شعورها ، وقد تأكد لديه بأن صغيرته لاتزال تحتاجه كما يحتاج وجودها بجواره دائما، وهناك

دافع جعله يشدد من قبضته حولها وكأنه بحاجة الى ان يخبر الجميع بأنها فتاته هو فقط ولن يتنازل عنها لاي كان، هو يعلم ان تلك انانية منه ولكن هناك شيء بداخله يرفض عكس ذلك، هناك شعور بداخله يخبره انه لن يستطيع ان يعيش بدونها، فقد عاش ما فات من عمره لأجلها ولن يتردد في ان يهب لها بقيته مع الوضع في الاعتبار ان لا خيار امامها سوى القبول.

أيقظه رنين هاتفه الذي ظل يتصاعد من خلال جيبه، ليتوقف ذلك الصراع الذي كان يدور بخلده وتهدأ تلك الاحاسيس العاصفة التي شعر باهتياجها لاول مرة في حياته، فاستأذن من دارين وطلب منها ان

تنتظره مع فؤاد وعائلته خاصة وان الموسيقى قد توقفت وكل عاد الى مكانه، ثم خرج هو الى الشرفة حيث الهواء المنعش ومنظر النيل الفريد، وقد اخرج هاتفه وأجاب: السلام عليكم، ايوة يا عبدالرحمن.....طب وعمي عامل ايه دلوقت؟..... تمام .....ربنا يطمنا عليه دايما..... طب انت مش عاوز اي حاجة؟..خلاص ماشي مع السلامة.

انهى مكالمته وقد جذبه سحر النيل الذي تغنى في وصفه الشعراء ليجعله يستعيد ذكرى تلك اللحظات التي عاشها منذ قليل وهي بحضنه ليكتشف الكارثة ثم يقول وهو لا يكاد يصدق نفسه: معقول!

الفصل الثامن عشر

:اهو دة اللي انا كنت خايف منه.

بدا على وجه فؤاد العبوس وقلة الحيلة بعد ان اتاه مازن في الورشة في اليوم التالي وأخبره بكل ما يدور بخلده، واستمر يقول بأسف وفي نبرة صوته شيئا من اللوم: يا ما قولت لمحمود اللّه يرحمه بلاش، دة تحليل لما حرمه اللّه لكن الشيطان يا بني لما بيتملك من البني ادم في لحظة ممكن تكون هي الفرصة الوحيدة اللي بيضيعه فيها.

فقال مازن محاولا الدفاع عن أبيه وهو يعلم تمام العلم ان حجته ضعيفة: بابا زمان يا عم فؤاد كان بيحاول انه يرضي جميع الاطراف، يعني كان بيحاول يعمل لمصلحة دارين وفي نفس الوقت بيرضي والدتي اللي حياتها كانت شبه مرتبطة بالموضوع دة.

فؤاد: وانت يا مازن!

لم يقو مازن على ان يرفع عينيه اليه، فلأول مرة يشعر بالخجل من مواجهة أحدهم، مما جعل فؤاد يشفق على حاله ويزداد حنقا على صديقه وخطئه الفادح الذي أوقع هذا الشاب في تلك الورطة: كان لازم فؤاد يعمل حساب اليوم دة، لكن الغلطة مش غلطته

وحده، احنا كمان غلطانين اننا سمحنا لدة يستمر.

اخيرا وجد لديه الشجاعة لينظر الى عيني فؤاد مباشرة وقد ضاق ما بين حاجبيه والدموع عزيزة في مقلتيه: ياااااااه! انت للدرجادي مش واثق فيا يا عمي؟

نهض فؤاد من كرسيه ثم ربت على كتف مازن الذي كان يقف عاقدا ذراعيه أمام صدره مهموما: لو كنت مش هثق فيك انت يا مازن امال هثق في مين؟ لكن يا بني القلوب ملهاش حاكم بتحب بمزاجها وتكره بمزاجها.

فسأل مازن غاضبا ربما من نفسه: طب اشمعنا دلوقت بالذات؟ واللّه يا عمي انا طول عمري ببص لدارين وبعاملها على انها اختي، لحد فترة قريبة بدأت أحس ان مشاعري ناحيتها بتتبدل وبقت تتعدى علاقة الأخوة.

فرد فؤاد بابتسامة سمحة: المشاعر عمرها ما بتتبدل يا مازن، هي يا اما بتنمو يا اما بتدبل وبتموت.

لم يفهم مازن مقصده، لذا سأله مستوضحا:
قصدك ايه يا عمي؟

فؤاد: قصدي ان اللي انت حاسس بيه دلوقت بيأكد ان مشاعرك ناحية دارين من الاول ما كانتش مجرد اخوة، يمكن انت كنت

بتحاول تقنع نفسك بكدة لكن الحقيقة

هي اللي انت حاسس بيه دلوقت.

مازن وقد بدا عليه الانهاك الشديد، حيث

انه لم يذق طعم النوم في الليلة السابقة،

فقد ظل طوال الليل يحلل تصرفاته و

أحاسيسه المتضاربة تجاه دارين الى ان

توصل الى تلك النتيجة النهائية، فلقد بدأ

يحبها، او لنقل انه بدأ يكتشف حبه لها

ليس كأخ وانما كرجل نظر اليها لاول مرة

كامرأة أسرت فؤاده واستحوذت عليه وهذا

لم يكن يخطر يوما على باله: طب والحل؟

قالها بصوت ضعيف كاد لا يتعرف عليه،

فرد فؤاد وهو يرقع ذراعيه ثم يتركهما

تسقطان ثانية كمن خرج الأمر من يده: مش عارف واللّه يا بني اقولك ايه؟

ثم سمعا طرقا على الباب فقال فؤاد: ادخل.

دخل عبدالرحمن وبيده ملفا: السلام عليكم.

فؤاد ومازن: وعليكم السلام ورحمة اللّه وبركاته.

وما ان وقعت عيناه على مازن حتى اندفع ناحيته بلهفة قائلا: اخيرا!!! لقيتك! خد يا عم دة ورق لازم تمضيه النهاردة والسكرتيرة فضلت ترن على حضرتك بس موبايلك مقفول وفي الاخر اتصلت بيا.

لم يجبه مازن سوى بنظرة تائهة استطاع ان يستشف منها عبدالرحمن مدى المعاناة التي يعيشها صديقه، فنحى الملف جانبا، وسأله باهتمام وقد انتابه القلق حيال ذلك الصمت الذي يغلفه: مالك يا مازن؟ فيه ايه؟

وعندما لم يحصل منه على رد ازداد قلقه، فالتفت الى فؤاد يطرح عليه نفس السؤال:

فيه ايه يا عم فؤاد؟ ماله مازن؟

بعد ان تبادل فؤاد ومازن النظرات وضع فؤاد ذراعا على كتف عبدالرحمن واتجه به ناحية الأريكة الموجودة بالمكتب وهو يقول له: اقعد يا بني وانا هقولك الحكاية.

فجلس عبدالرحمن وبجواره فؤاد بينما ظل مازن واقفا يدير لهما ظهره يستمع اليهما في صمت.

بعد ان استمع عبدالرحمن الى فؤاد بانصات ظل يردد: لا إله الا اللّه، أستغفر اللّه العظيم.

ثم قال باستنكار: تبني! ازاي عمي اللّه يرحمه يعمل كدة؟

فؤاد: شوف يابني انا مش عاوز ادافع عن محمود اللّه يرحمه لاني متأكد طبعا ان اللي عمله دة حرام، الا اني اوقات بحاول التمسله العذر بسبب الضغط النفسي اللي كان فيه.

عبدالرحمن: ايوة يا عمي بس الحرام
والحلال مفيهوش فصال، ربنا لما حرم التبني
لانه سبحانه عارف ان له اضرار كتير
الانسان في غنى عنها، وادي النتيجة اللي
حصل مع مازن.

فؤاد: طب وانت يا بني شايف الحل ايه؟

فقال عبدالرحمن وهو ينظر ناحية صديقه:
الحل في ايد مازن يا عمي.

مع هذا الرد أدار مازن وجهه لهما وهو ينظر
الى عبدالرحمن بتساؤل، فنهض صديقه
واتجه اليه ناظرا الى عينيه بعمق: انت
بتحبها بجد يا مازن؟

صمت مازن وبدا عليه التردد، ولكن صديقه لم يخف عليه ذلك اللمعان الذي غزا عينيه فاستنتج منه الاجابة، لذا قال: يبقا مفيش حل غير انك تتجوزها.

أصابت صدمة الكلام الذي قاله كل من مازن وفؤاد في ان واحد، ولكن فؤاد كان اسرع في ردة فعله، فسأل عبدالرحمن بنبرة لا تخلو من التعجب: يتجوز اخته يابني، طب ازاي؟

عبدالرحمن وهو لم يحول عينيه عن صديقه: طب وهو كان ينفع انه يبص لاخته بالشكل دة؟

جملته اصابت مازن بالخجل فنظر الى الارض بطريقة جعلت عبدالرحمن يبتسم بمرح:
لكن دة لما تكون اخته فعلا.

فؤاد: ماهي شهادة الميلاد بتاعتها بتقول كدة.

وكان رد عبدالرحمن هو ما اراح مازن حقا:
دة الوضع القانوني اللي سهل التعامل معاه، لكن بالنسبة للدين فما بني على باطل فهو باطل، وبما ان التبني دة من الامور الحرام يعني الباطلة، فأي علاقة مبنية عليه بتكون باطلة يعني ملهاش وجود، وسيدنا محمد (صلى اللّه عليه وسلم) لما تبنى زيد وسماه زيد ابن محمد، ونزلت اية تحريم

التبني واصبح يدعى لأبيه حارثة، وبعد ان طلق السيدة زينب بنت جحش نزلت الآية الكريمة بسم اللّه الرحمن الرحيم "فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولا"

فلو كانت علاقة التبني مازال لها تأثير ما كنش ينفع ان عليه الصلاة وسلم يتجوز زوجة ابنه، وبناء عليه فمش حرام لو مازن اتجوز دارين لانها مجرد اخته بالتبني والمحرمات هي الاخت من الدم او من الرضاعة، وهي لا دي ولا دي.

بدا ان فؤاد قد اقتنع بكلامه، فقال: واللّه معاك حق يابني.

وهنا اخيرا تحدث مازن ليقول: طب ودارين، ازاي ممكن تتقبل الوضع دة خصوصا وهي ما تعرفش غير انها بنت محمود الشرقاوي وأختي؟

عبدالرحمن مقترحا: يبقا لازم تقولها الحقيقة، والنهاردة مش بكرة.

فهز مازن رأسه نافيا وهو يقول معترضا: انا مش هقدر، مش هقدر اقولها حاجة زي دي، مش ضامن رد فعلها ممكن يكون ايه؟

عبدالرحمن وهو ينظر الى فؤاد: خلاص، يبقا خلي عمي يقولها.

مازن: طب مش دلوقت ع الاقل، دارين لسة صغيرة وممكن ما تقدرش تستوعب صدمة زي دي، وكمان دة ممكن يأثر على دراستها، ع الاقل لما تخلص تعليمها.

نهض فؤاد من كانه مصدوما: خمس سنين يا مازن! هتستنى خمس سنين بحالهم؟!

فرد مازن بتصميم وعينان تلمعان بأمل: هستناها العمر كله يا عمي.

لم يجد فؤاد المزيد ليضيفه فهو يعلم ان مازن حالما يصر على شيء فإنه حتما سيحققه دون ادنى شك، اما عبدالرحمن فكان لابد له ان يبدي ملاحظته حتى يبريء نفسه امام ربه: زي ما تحب يا مازن،

بس فيه حاجة اخيرة لازم تاخد بالك منها.

فأصغى اليه كل من مازن وفؤاد باهتمام،فقال ليكمل كلامه: ما بقاش ينفع انك تعيش انت ودارين تحت سقف واحد لوحدكم.

النظرة التى حصل عليها من الاثنين جعلته يضيف ليبرر قوله: دة كان وضع غلط من الأول ومش لازم يستمر اكتر من كدة غير لما تبقا حلالك، لان الرسول بيقول(ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان(

مازن: عليه الصلاة والسلام

ثم استغرق في التفكير حتى تجلت الحيرة على وجهه وهو يقول: بس احنا بعد وفاة بابا وماما عمرنا ما افترقنا، بصراحة انا مش ممكن اطمن عليها وهي بعيدة عني.

فجاء فؤاد باقتراحه: خليها تعيش معانا الفترة دي يا مازن يابني وافتكر انك مش هتقلق عليها وهي معانا يعني لحد ما ربنا يريد ويجمعكم على خير.

لم يجد مازن مبررا للرفض، ولكنه في نفس الوقت لم يكن متأكدا من اتخاذه لهذا القرار، لذا قال: طيب ازاي نقنع دارين بحاجة زي دي؟ ازاي مرة واحدة كدة اقولها

انه ما بقاش ينفع ان انا وهي نعيش في شقة واحدة مع بعض؟

عبدالرحمن: مش لازم تقولها كدة بالظبط.

مازن: امال ايه؟

وكانت القنبلة الأخيرة التي قرر أن يلقي بها عبدالرحمن حيث قال: ايه رأيك لو تسافر يا مازن؟

فتفاجأ مازن: أسافر! فين؟ طب وشغلي؟!

وكان عبدالرحمن مستعدا بالاجابة:

هتسافر الغردقة مع حسام تشرف على القرية السياحية اللي هنعملها هناك، انت عارف حسام لازم حد يتابعه دة غير انه ما

كنش موافق على موضوع السفر اصلا لكن وجودك معاه ممكن يشجعه.

مازن: طب وشغلي هنا؟

عبدالرحمن: انا همسك الشغل في الشركة لحد رجوعك وهشوف مهندس تاني يتولى العمل الميداني. افتكر كدة بقا تبقا كل حاجة اتحلت وضربنا كذا عصفور بحجر واحد، ومن حسن الحظ ان حسام مسافر النهاردة فانت تقدر تلحقه وتسافر معاه.

مازن متردد: النهاردة! صعب، صعب يا عبدالرحمن مش هلحق اجهز نفسي، خليها بكرة ان شاء اللّه.

حاول عبدالرحمن ان يلتمس العذر لصديقه، لذا تراجع عن موقفه قليلا وقال موافقا: مفيش مشكلة، بس فيه حاجة لازم تخلي بالك منها، دارين بالنسبالك دلوقت فهي امرأة أجنبية ولازم تتعامل معاها ع الاساس دة، يعني زي ما انت بتخاف عليها من الناس فالاولى انك تخاف عليها من نفسك، فاهمني يا مازن؟

فقال مازن وهو يحلل نصيحة صديقه في عقله: فاهم يا عبدالرحمن فاهم.

****

حسام متذمرا: طب ولازمته ايه انا اسافر بقا؟

كان هذا رد حسام بعد أن أبلغه عبدالرحمن بقرار مازن المفاجىء بالسفر الى الغردقة، اما عبدالرحمن فقد أجابه بهدوء: عشان مازن مش مهندس و لان دة اول مشروع كبير بالنسبة للشركة يا حسام وخاص بيها يعني مش مسموح فيه باي غلطة، ومحتاج اشراف هندسي على اعلى مستوى ومش هينفع نثق في حد تاني غيرنا، ولولا ان حالة والدي الصحية مش مستقرة الايام دي كنت سافرت انا.

حسام: طب وايه اللي خلى مازن يقرر السفر كدة فجأة وهو اصلا كان رافض الموضوع دة عشان اخته ولا هو ناوي ياخدها معاه؟

لم يرد عبدالرحمن ان يخبر صديقه بالحقيقة فلقد وعد مازن بأنه لن يفشي هذا السر لأحد حتى يقوم هو نفسه بذلك، ولكن كان هناك مبرر أخر اخبره به: مازن صحيح كان رافض موضوع السفر عشان اخته لكنه خلاص اتفق مع عم فؤاد انه ياخد باله منها اثناء غيابه.

ثم وقبل ان يطرح حسام سؤالا اخرا قد لا يجد عبدالرحمن جوابا له، قال له وهو يتجه خلف مكتبه منهيا الحديث: بقولك ايه بقا سيبني اشتغل، وانت روح جهز نفسك عشان ميعاد سفرك.

فقبل حسام بالامر الواقع وقال مستسلما: امري للّه،انت طبعا هتيجي توصلني.

عبدالرحمن: رن عليا اول ما تبقا مستعد.

حسام: طب ومازن؟

فنفى عبدالرحمن الامر متعللا: لا سيب مازن النهاردة، هو لسة عنده حاجات كتير هيرتبها لان موضوع سفره دة جه فجأة.

تظاهر حسام بالاقتناع، ولكنه في الحقيقة شك في ان في الامر سرا لا يريد صديقه ان يخبره به في ذلك الوقت الحالي، ولكن حتما سيأتي اليوم الذي سينكشف فيه كل شيء.

****

جلست دارين خلف مكتبها تقلب صفحات أحد الكتب امامها وهي تحاول التركيز على ما تقرأه ولكن دون جدوى فقد كان عقلها مشغولا بأمر اخر، فمازن منذ الامس لم يتفوه بكلمة معها تقريبا منذ ان عادا من حفل الزفاف، وعلى عكس ما توقعت تماما فلقد كان هادئا بشكل يثير الريبة، فلماذا لم يتشاجر معها؟ لماذا لم يعاقبها على مخالفتها أوامره؟ ألأن الامر لم يعد يهمه؟ ام انه يرتب لها عقابا أخرا لن تقوى على تحمله؟

سمعت صوت اغلاق الباب الخارجي للشقة، فعلمت بأن شقيقها قد عاد من عمله فخرجت لاستقباله كعادتها، وجدته بحجرة الصالون

يجلس على احد الكراسي يعبث بسلسلة مفاتيحه: مازن انت جيت؟

تطلع مازن اليها مليا مما جعل الشكوك تعود مرة اخرى اليها حيال ما يفكر به، فأرادت الهرب من تلك المواجهة الوشيكة وهي تدري ظهرها مستعدة للرحيل: ثواني والعشا يكون جاهز.

مازن: لحظة واحدة يا دارين لو سمحتي.

هاهي اللحظة الحاسمة التي كانت تخشاها والتي شلت حركتها لفترة وجيزة مترددة ما بين ان تتجه اليه او ان تهرب الى حجرتها خشية مما سيحدث، ولكنها أخيرا حسمت

امرها و دارت وجهها اليه لتسأله بقلق: خير يا مازن؟ فيه حاجة؟

مازن محاولا السيطرة على الوضع: فيه موضوع مهم عاوز اكلمك فيه، تعالي اقعدي الاول.

اتجهت ناحيته وجلست حيث اشار على الاريكة بجواره، انتظر لحظات قبل ان يبدأ حديثه و التي قد مرت على دارين بمثابة أعوام: دارين ، انا هسافر.

في البداية حسبت ان اذنيها قد خانتاها او انه ربما قد أخطأ مازن في التعبير فاستخدم صيغة المفرد لذا سألت مبتسمة بتلقائية: هنسافر دلوقت فين يا مازن؟

فصحح لها مازن الكلام، وهو يقول بثبات:
دارين انتي مش هتسافري معايا، انا هسافر لوحدي.

اي عقاب ذلك الذي قد اختاره لها؟! فمنذ متى وهو يقرر السفر وحده مفارقا اياها؟

بالطبع لم تصدق دارين اذنيها، وقد حملقت فيه بعض الوقت بعينين تغشيهما الدموع وكأنها تستعطفه ان يكذب ما سمعته للتو، ولكن بدا ان الامر حقيقيا ولا مزاح فيه:
لوحدك! طب ليه؟

مازن محاولا شرح الامر لها: فيه مشروع قرية سياحية لينا بالغردقة والمفروض اني اتابعه

خطوة بخطوة وعشان كدة لازم اكون قريب منه.

لم تستغرق وقتا في التفكير او تحليل الامر بل أسرعت تقول: خلاص، يبقا اسافر معاك.

وبالطبع لم يلق اقتراحها عنده سوى الرفض: انتي بتقولي ايه بس يا دارين؟ طب ودراستك؟

بالنسبة لدارين لا يوجد في حياتها ما هو اهم من بقائها بالقرب من اخيها، واي شيء اخر يأتي في المرتبة الثانية، لذا لم تتهمل حتى اجابت من بين دموعها: مش مهم، ممكن احول او اءجل السنة او الغيها خالص، المهم ابقا معاك.

كيف له ان يحافظ على ثباته امام تلك العينين الدامعتين، لذا خرج صوته مملوءا بالشجن: مش هينفع يا دارين، هناك معظم الوقت هبقا في شغلي ومش هفضى غير نادرا يعني مش هتشوفيني غير فترات قليلة.

ارتفع نشيجها وهي تقول: ولو ما سافرتش معاك، يبقا مش هشوفك خالص.

ثم اختنق صوتها بالبكاء وهي تشد على يده تترجاه: عشان خاطري يا مازن خدني معاك، ورحمة بابا وماما سيبني اسافر معاك، هما مش بابا وماما وصوك عليا، يبقا انت ليه بقا مش عاوز تعمل بالوصية دي؟ خدني معاك وانا اوعدك اني هسمع

كلامك على طول وعمري ما هخالف اوامرك، واللّه العظيم ما هكسر كلامك تاني.

لم يستطع مازن الاستمرار في مقاومته اكثر، فتلك الدموع وذلك النحيب قد اضعفا من عزيمته، فأخذها في احضانه يحاول ان يهدىء من روعها وحتى يبثها بعض الطمأنينة: حبيبتي واللّه انا اسف بس غصب عني، انا مضطر اعمل كدة، لكن اوعدك اني لما ارجع من سفريتي دي عمري ما هسمح ان فيه حاجة تانية تفرقنا.

الفصل التاسع عشر

وفي الحرم الجامعي حيث جلست دارين مع صديقتها سارة امام طاولة بكافيتريا الجامعة تتناولان مشروبا ساخنا، وقالت دارين تجيب على سؤال سارة بنبرة حزينة: صحيح هو سافر اديله شهر بس وتقريبا بيكلمني كل يوم عشان يطمن عليا دة غير اني عايشة دلوقت مع انكل فؤاد وطنط سميرة وبنتهم الا اني حاسة بوحدة فظيعة وكأني في صحرا، لكن مازن كان مالي كل حياتي يعني على الرغم انه كان بيبقا في شغله طول النهار ومش بشوفه غير

بالليل والاجازات طبعا الا ان مجرد احساسي انه موجود قريب مني وسهل اوصله في اي وقت دة لوحده كان مطمني.

ثم نظرت الى صديقتها التي طال صمتها بشكل مريب وسألتها: سارة. مالك؟ ساكتة يعني وبتبصيلي كدة ليه؟

سارة: اصل اللي يسمعك كدة ما يقولش انك بتتكلمي عن اخوكي، يقول انك بتتكلمي عن جوزك او خطيبك او حبيبك.

فابتسمت دارين من تأويل صديقتها لكلامها وردت قائلة: اصلك مش عارفة، انا حتى مش فاكرة بابا وماما غير من صورهم، انا

مش فاكرة غير مازن هو لوحده اللي مشاركني في كل ذكرياتي عشان كدة صعب اتخيل حياتي من غيره لاننا عمرنا ما افترقنا....

ثم اضافت بنبرة حزينة: غير المرادي.

فوضعت سارة يدها على كتف دارين تواسيها قائلة: حبيبتي ربنا ما يحرمكم ابدا من بعض، وبعدين انتي بردو مش لوحدك يا دارين مانا اهو جنبك.

:وانا كمان.

لم يكن صاحب هذا الصوت سوى عمر الذي ظهر أمامهما فجأة، فسألته اخته التي بدا عليها السعادة لظهوره: عمر! تعالى اقعد.

فجلس عمر على الكرسي الثالث بجوار الطاولة وهو يقول باسلوب مرح: طبعا هقعد، مانا كدة كدة اللي هدفع الحساب.

ثم أمال برأسه قليلا ناحية دارين ليقول: ازيك يا دارين.

فأجابته بابتسامة خجلى: اللّه يسلمك.

فردت عليه أخته بغضب مصطنع: واضح كدة ان الموضوع مش عاجبك يا باشمهندس، وهو انت تطول اصلا ان يبقا ليك اخت قمر زيي وتدفعلها الحساب؟

فقال عمر يستسمحها: لا طبعا يا حبيبة قلبي بس انا كدة مرتبي مش هيكفي تلات ايام في الشهر.

سارة: عيب اوي الباشمهندس عمر الهواري يقول الكلام دة.

عمر مذكرا اياها: بس الباشمهندس عمر الهواري موظف وبياخد مرتب.

سارة وهي تغمز بعينيها باتجاه دارين: طب ما تقولش كدة بقا احسن دارين تصدق انك بخيل.

فأمال عمر مرة اخرى برأسه ناحية دارين بتلك الابتسامة التي لم تفقد سحرها بعد: يا سلام! دة احنا عنينا للانسة دارين، وعلى وشها الحلو دة فيه واحد صاحبي كلمني على شغل كدة في شركة لسة ما عرفتش تفاصيلها، ادعولي بقا بالتوفيق.

فرفعت سارة يدها عاليا بالدعاء: ربنا يوفقك يا عمر يا خويا واشوفك عريس اد الدنيا.

كان عمر ذكي بالدرجة التي تسمح له بفهم المغزى من ذلك الدعاء وخصوصا في حضرة دارين فقال مغيرا الموضوع: طب بطلي غلبة ويالا عشان نروح.

لم تقبل سارة بالهزيمة كعادتها بل اندفعت لتقول له: نروح ايه؟ انت مش ناوي تعزمنا ع الغدا بمناسبة الوظيفة الجديدة؟

عمر: يا بنتي انتي وقعتي على ودانك وانتي صغيرة؟ بقولك لسة صاحبي قايلي عليها، يعني ممكن اقبل وممكن لا.

سارة بثقة: انا اخويا ما يترفضش ابدا وهتشوف، ياللا بقا اعزمنا عشان ندعيلك بضمير.

وكان رده ان وقف في مكانه وهو يقول باستسلام: امري للّه، ياللا بينا.

وعلى الفور نهضت سارة وهي تشع فرحة وحيوية: ايوة كدة، هو دة عمر اخويا، ياللا يا دارين.

ترددت دارين وهي تنهض متمهلة: لا معلش اتفضلوا انتم وانا هروح بقا.

فاعترضت سارة بشدة: تروحي فين؟ انتي هتيجي تتغدي معانا.

دارين معتذرة: لا معلش،مش هينفع.

بالطبع لم تقبل سارة اعتراضها فقالت بالحاح: لا لا لا، شكلك كدة فعلا صدقتي ان عمر بخيل.

ثم اكملت تحث أخيها على التدخل: ما تتكلم يا باشمهندس، وحاول تصلح الفكرة اللي زي الزفت دي.

لم تترك له أخته خيار اخر مما دعاه الى ان يقول لدارين بتلك الطريقة التي لا تستطيع انثى رفضها وخاصة ان كانت مثل دارين التي لم تختبر من الحياة شيء سوى عن طريق أخيها: طب ولو قولتلك علشان خاطري يا دارين، بردو هترفضي؟

كانت من قبل تملك القوة التي تجعلها ترفض دعوة كهذه، ولكن ليس بعد الان فقد شعرت بأن قواها بدأت تخور، فقالت محاولة التمسك بالقليل من التعقل الذي يدفعها للهروب من ذلك السحر الذي وجدته في عينيه: لكن انا كدة هتأخر وطنط سميرة هتقلق عليا.

وكان الحل السريع الذي اقترحته سارة متمسكة بتلك الفرصة بكل قوتها: اتصلي بيها وانا هكلمها واقولها انك هتتغدي معانا.

بذلك استطاعت سارة ان تبطل كل حججها لتجد دارين لاول مرة في حياتها

مستمتعة في قضاء وقتها مع اناس اخرين غير مازن.

****

جلست اسرة فؤاد يتناولون الغداء امام طاولة الطعام في صمت قطعه فؤاد الذي سأل زوجته: طب وهي دارين ما قالتش هترجع امتى؟

سميرة: لا، بس هي قالت انها مش هتتأخر.

فقال فؤاد ويبدو على وجهه الاستياء: بس بردو يا سميرة ما كنش ينفع انك توافقي كدة على طول لما صاحبتها كلمتك.

فقالت سميرة مبررة فعلتها: واللّه يا فؤاد، انا قولت ان مفيهاش حاجة يعني، البنت على

طول محبوسة في البيت ومش بتخرج غير على كليتها، فقولت انها فرصة تفك على نفسها شوية مع صاحباتها.

وهنا تدخلت غادة لتسأل فؤاد وهي تبدي ملاحظتها لغرابة موقف فؤاد: ودي فيها ايه يا بابا، مانا ساعات بخرج بردو مع اصحابي وحضرتك بتوافق على طول؟

فقال فؤاد معللا موقفه وهو يشعر في داخله بقلق ما: دة لاني عارف اصحابك كويس يا بنتي ومتأكد من اخلاقهم، لكني معرفش صاحبة دارين دي شكلها ايه؟ ولا هي بنت مين؟ ولا هي حتى متربية ازاي؟ وانتوا

عافين دارين دي عندنا امانة لحد ما يرجع مازن بالسلامة.

عند ذكر اسمه وجدت خفقان في قلبها واشتياق ليس له حدود لصاحب الاسم لدرجة انها حاولت ان تخفي نظراتها التي خافت ان تفضحها عندما سألت والدها: هو هيرجع امتى يا بابا؟

رد فؤاد على سؤالها بسؤال غيره وقد كانت لهجته جافة قليلا: يهمك اوي انك تعرفي؟

صدمها سؤاله، فارتبكت قليلا وهي تقول: عادي يعني يا بابا، مانت عارف ان مازن امره يهمني، قصدي يعني يهمنا كلنا.

تعمد فؤاد التدقيق على كل كلمة يخرجها وهو يقول لابنته: اكيد طبعا، ماهو المفروض ان مازن زي اخوكم الكبير.

لم تستطع غادة الاعتراض على كلام والدها او ان تخبره بحقيقة شعورها ناحية مازن الذي يتعدى الاخوة بكثير، لذا قالت بتردد قبل ان تحمد ربها وتنهض قاصدة حجرتها: طبعا، طبعا يا بابا، عن اذنكم.

وبعد ان تأكدت سميرة من رحيل ابنتها التي اشفقت عليها من هذا الهجوم المباغت، سألت فؤاد: ايه الكلام اللي انت قولته للبنت دة يا فؤاد؟ مانت عارف انها بتحب مازن ازاي؟

فقال فؤاد الذي لم يكن قد اطلع زوجته على حقيقة الامر بعد كما وعد مازن: مش عاوزها تتعلق بسراب يا سميرة.

سميرة: سراب! هو مازن كلمك في حاجة؟ يعني قالك انه مرتبط بواحدة تانية؟

اما فؤاد فكان رده على السؤال غير مباشر: بس ما قالش انه عايز بنتي يا سميرة.

****

قالت سارة بسخط وهي تدخل من باب الفيلا أمام اخيها: موقف زي الزفت.

عمر: خلاص بقا يا سارة، اهو اللي حصل حصل.

زاد غضبها وهي تواجه أخيها: لا مش خلاص يا عمر، مانت لو كنت وقفت البنت دي عند حدها من الاول، ما كنش حصل اللي حصل. شفت كانت بتعامل دارين ازاي؟

عمر بأسف: انا عارف انه كان موقف بايخ وان شاء اللّه هحاول اقابل دارين بكرة واعتذرلها.

سارة: مش كفاية يا عمر.

عمر متسائلا: يعني ايه؟

سارة موضحة: يعني البنت دي شكلها كدة مش ناوية على خير معاك، دة انا تقريبا كل ما بروح اي مكان معاك بلاقيها في وشنا وكأنها بتراقبك.

عمر وهو ينفث في ضيق: طب وانتي شايفة ايه الحل؟

سارة: الحل انك تسد عليها الطريق وتقطع عنها اي امل من ناحيتك ودة مش هيحصل غير لما تعرف انك بقيت تخص واحدة غيرها، يعني باختصار تتجوز يا عمر.

كانت دائما تردد على مسامعه هذا القول ولكن لم يكن بهذا الاصرار وتلك الحدة، ورغم علمه بأنها ربما تكون على حق الا انه لم يعترف لها بذلك، بل قال هازئا: واظن طبعا انك بتقترحي تكون العروسة دي هي دارين، مش كدة ولا انا غلطان؟

لم تنكر سارة بل انها اكدت كلامه بقولها: انت نفسك ما تقدرش تنكر ان اختيارها مناسب ليك، وبمقارنة بسيطة بينها هي والست يارا تقدر تشوف كفة مين اللي ممكن ترجح ولو ان الموضوع مش محتاج تفكير دة غير ان مفيش اصلا وجه للمقارنة.

لم تنتظر رده، فهي تعلم كم ضغطت عليه وكم كان كلامها قاسي بعض الشيء، لذا اقتربت منه ووضعت يدها على ذراعه وهي تقول بلهجة حانية: صدقني يا عمر انت مش ممكن تلاقي واحدة زي دارين ابدا، ودة واللّه مش عشان هي صاحبتي، لا، دة لاني اول مرة اشوف بنت مشاعرها خام بالشكل

دة، ما تعرفش في حياتها غير اخوها بس، دة حتى حب المراهقة اللي يمكن نكون كلنا جربناه هي ما عرفتوش، تخيل بقا واحدة زي دي لما تيجي تحب و تتجوز، أقدر أؤكدلك انك هتلاقي معاها الحب اللي انت بتدور عليه واللي مش هتلاقيه غير عندها، بس انت حاول تبصلها من المنظور دة.

نظر عمر الى اخته باندهاش وسألها: انتي جبتي الكلام دة كله منين؟ اللي يسمعك بتقولي كدة ما يتصورش انك لسة ما كملتيش العشرين.

فأجابت سارة ببساطة: يمكن عشان انا

زيك يا عمر، بدور على حب يملى حياتي

كلها ويغنيني عن اي حد تاني.

وعندما رأت تلك النظرة المحذرة في

عينيه، استطردت تقول مبتسمة: بس في

الحلال طبعا يا ميرو.

ثم استأنفت حديثها السابق: اوعدني انك

هتفكر في الكلام اللي انا قولته كويس.

فأومأ لها عمر برأسه وقبل جبينها وهو يقول:

تصبحي على خير يا سارة.

سارة: وانت من أهله.

ثم صعد عمر الى حجرته وهناك هاتف

بداخله بدأ يدعوه الى التفكير فيما قالته

سارة بجدية ولكنه حاول قدر امكانه ان يطرده من داخل عقله، حتى توهم بأنه قد نجح في اسكاته الا انه قرر ان اول ما سيقوم به في الغد حين يذهب الى عمله هو الاعتذار عما بدر من مضايقات صدرت من يارا تجاهها ولم يكن يعلم انه بذلك يفسح المجال امام قلبه للتلاعب به على هواه.

****

وقفت دارين ترن جرس الشقة وهي في عالم اخر يملأه الغضب والسخط، فقد كان الوقت في بدايته يمر سعيدا ومبهجا حتى جاءت تلك المدعوة يارا بنظراتها المقيمة من أعلى رأس دارين حتى أصابع قدميها

وتعليقاتها اللاذعة من حين لآخر، ودارين خلال كل ذلك تجهل سبب هذا العداء الذي ظهر من أول لقاء بها، وبينما كانت تنتظر ان يفتح لها أحدهم فلقد اصبحت شقة فؤاد هي منزلها بعد رحيل مازن.

:هو محدش جوة ولا ايه؟

لم تقصد دارين ان تكون نظراتها التي وجهتها لهذا الدخيل متفحصة هكذا، اما علاء الذي دلت ابتسامته على انه يروق له ذلك فلم يدع الامر يمر مرور الكرام دون ان يترك تعليقه المرح: ما كنتش اعرف اني جذاب اوي كدة.

تنبهت دارين اخيرا الى نظراتها التي اخفضتها سريعا وهي تعتذر شاعرة بالخجل من نفسها: انا اسفة، ما كنتش اقصد.

حمرة الخجل التي يرى اثارها الان على خديها هي التي تزيد من جاذبيتها لذا فقد تعمد استمرارها لبعض الوقت وهو يقول: يا ريتك كنتي تقصدي.

وقد كان له ما اراد، ولم ينقذ دارين من هذا الموقف سوى غادة التي فتحت الباب في تلك اللحظة وتتفاجأ بالاثنين يقفان عند الباب: دارين! علاء!

كان علاء يبدو ساخطا على ابنة خالته بسبب ظهورها المفاجيء، ولكنه حاول

اخفاء ذلك خلف ابتسامته المزيفة وهو يقول لها: طب ندخل الاول، وبعدين اتفاجئي براحتك.

فتنحت غادة جانبا لتفسح لهما حتى يتمكنا من الدخول وقد اشار علاء الى دارين كي تتقدمه هي اولا، ثم قامت غادة باغلاق الباب خلفهما.

كان فؤاد وزوجته يجلسان في الصالة، هو يتصفح كتالوج خاص بورشته، اما سميرة فتمسك ابرة صغيرة وبكرة صوف لتصنع بهما بعض الاعمال اليدوية، فور ان رأتهم دارين القت التحية: السلام عليكم.

فردا عليها: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

بينما تابع فؤاد وقد ارتاحت تعبيرات وجهه بعض الشيء: الحمد للّه انك جيتي يا بنتي، كنت خايف انك تتأخري، بعد كدة يبقا عرفي طنط سميرة على صاحباتك واديها ارقام تليفوناتهم.

فهزت دارين رأسها في طاعة: حاضر يا عمي.

ثم ظهر علاء الذي أخره مكوثه بعض الوقت للتحدث مع ابنة خالته: السلام عليكم.

علت الدهشة وجه فؤاد بينما السرور وجه سميرة: وعليكم السلام ورحمة اللّه وبركاته.

واقترب علاء من فؤاد يسلم عليه: ازيّك يا عمي.

فؤاد: اللّه يسلمك يابني، حمداللّه ع السلامة.

ثم توجه الى سميرة ليقبل جبينها: ازيك يا خالتي عاملة ايه.

سميرة: الحمد للّه بخير طول ما انتو بخير، انت جيت امتى؟

علاء: لسة واصل من ساعة.

سميرة: وازي مامتك عاملة ايه؟

فعبس وجهه وهو يقول: اهي سلوى دي هي اللي مغلباني يا سمسم.

فانشرحت تعابير وجهها من اسلوب ابن اختها وهي تضربه في كتفه برفق: يا واد عيب ايه سمسم دي؟ ثم اختي مغلباك في ايه؟

فرد علاء وهو يتجه بعينيه ناحية دارين ويقول بلهجة ذات مغزى معين: كل ما تشوفني تسألني هتتجوز امتى؟ هو انا صحيح مستعجل زيها بس مستني لما الاقي بنت الحلال وتوافق.

اما دارين فلم تطق صبرا على سماع المزيد لذا قررت الهرب بعيدا عن تلكما العينين

اللتين تحاصرانها، فقالت تستأذن: طب بعد اذنكم هدخل استريح شوية.

فقال لها فؤاد والذي لم تعجبه طريقة علاء المراوغة خاصة وهو يعلم ان لا فائدة من محاولاته تلك ولكنه لا يستطيع ان يخبر علاء بذلك لان ليس لديه اي استعداد ليطلعه على السبب في الوقت الحالي: اتفضلي يا بنتي.

وبعد ان غابت دارين عن انظارهم، قالت غادة لعلاء توبخه وهي تقترب منه: انت ايه اللي هببته دة؟

وقد كان لسميرة نفس الرأي حيث اكدت على كلام ابنتها وهي تقول له معاتبة: حقيقي يا علاء انت زودتها اوي.

علاء: بالعكس يا خالتي، انا شايف ان دي احسن طريقة اقدر افك بيها السور اللي بنته هي واخوها من غير ما تقصد حوالين نفسها.

غادة محتجة: بس بردو مش بالطريقة دي.

ثم نظرت الى والدها منتظرة منه تأييدا لكلامها: ولا انت ايه رأيك يا بابا؟

وكانت تلك فرصته حتى يخبرهم بجزء من الحقيقة موجها حديثه الى علاء: واللّه

انا شايف انك تسيبك منه الموضوع دة،
لان واضح كدة ان مفيش فايدة.

علاء متشبثا برأيه: واللّه يا عمي انا لو في
كل قضية صعبة همسكها اقول سيبني
منها ومفيش فايدة يبقا عمري ما هبقا ظابط
ناجح ويا بخت المجرمين بواحد زيي.

بعد سماعه لهذا الكلام، لم يضف فؤاد
المزيد، خاصة وهو يرى ذلك الاصرار الذي
يشع في عيني هذا الشاب الواقف امامه، ثم
شملت نظرته ابنته التي يتوقع انها تبني
امالا على انجاز ابنة خالتها لخطته، وهو
يقف مكتوف اليدين غير قادر على
مصارحتهم بالحقيقة، فماذا سيقول لهم؟

أسيخبرهم بأن تلك الفتاة القابعة في غرفتها الان هناك قلب اخر يخفق بحبها وهو احق واولى الناس بها، وصاحب هذا الفؤاد ليس سوى ما يظنونه في الواقع شقيقها؟!

الفصل العشرون

كان حسام يحزم حقائبه استعدادا للسفر وتغمره سعادة لا تضاهى عكس مازن الذي كان يقف هناك مستندا على باب الشرفة ينظر بصمت قاتل الى السماء بنجومها المضيئة التي تنير ظلام الليل وهو يتخيل وجهها المبتسم على صفحات السماء ويغالب شوقه اليها يتساءل ماذا تراها تفعل هذه اللحظة؟ هل اشتاقت اليه كما يفعل هو؟

حسام: يابني ما تنزل معايا احسن اهو منك تاخد اجازة تستريحلك فيها يومين من

دوامة الشغل اللي احنا فيها دي ومنها تشوف اختك وتطمن عليها.

قال له حسام ذلك بعد ان كان قد انتهي من توضيب اغراضه واقترب منه، وكانت حجته التي يحاول ان يقنع بها نفسه قبل اي احد حتى لا يضعف امام اغراء ان يراها عن قرب مرة اخرى: انت عارف يا حسام ان ما ينفعش انا وانت ننزل ونسيب الشغل هنا لوحده.

رأى حسام ان معه حق لذا لم يحاول ان يجادله في هذا الامر، بل سأله: طب مش عاوز حاجة من هناك؟

اغتصب ابتسامة على وجهه وهو يقول لصديقه: سلملي على اللي تقابله.

حسام مراوغا: طب مش عاوزني اوصل حاجة لاختك او اروح اطمنلك عليها؟

مازن: لا، انا مطمن عليها وهي عند عمي فؤاد.

كان يكذب على نفسه، فهو لا يمكنه ان يطمئن على حبيبته الا وهي بين احضانه، قريبة منه كما كانت دائما وكما ستكون الى الابد، ولكن صبرا فلن يطول الفراق حتى يجتمعا مجددا.

****

كانت غادة تهز رأسها بشده في اعتراض وهي تقف أمام علاء بالقرب من سيارته عند سور الجامعة: مش ممكن يا علاء، انا استحالة اوافقك على حاجة زي دي وسبق وقولتلك الكلام دة.

علاء وهو يحاول التحكم في عصبيته: يا بنتي مانا قولتلك قبل كدة ان كل اللي عاوزه هو اني اقرب منها اكتر عشان اخليها تعرفني يمكن تغير رأيها.

ولكن ظلت غادة على عنادها وهي تقول: بردو يا علاء صعب، وكمان مازن لو عرف حاجة زي دي ممكن يقلب الدنيا.

علاء: ومين بس هيقوله؟

غادة: دارين مش بتخبي اي حاجة عن اخوها، يا علاء انت مشكلتك انك مش مقدر مدى ارتباط دارين باخوها.

علاء بضيق: يعني ايه؟ عمرها ما هتتجوز ابدا؟

غادة: انا ما قولتش كدة، بس اعتقد انها لما تيجي تتجوز يبقا ساعتها هتتجوز واحد من اختياره هو.

علاء: بس دة مش عدل، لازم يكون ليها حرية الاختيار وكمان يكون ادامها فرصة انها تتعرف على الناس وتخرج من الدايرة دي اللي اخوها قفلها عليها بالضبة والمفتاح.

ثم اكمل بتصميم: وانا عاوز اكون البطل دة اللي هيقدر ينقذها.

بدت غادة رافضة لطريقة تفكيره لذا قالت له قبل ان ترحل وتتركه بمفرده: يبقا انقذها بقا لوحدك وخرجني انا من لعبتك دي، سلام.

لم يؤثر فيه كلام ابنة خالته او تهديدها له باحتمال ابلاغ دارين لاخيها، بل كل ذلك زاده اصرارا وعنادا، وها هي الفرصة أمامه لبدء تنفيذ مخططه، فهذه دارين تخرج من باب الجامعة في انتظار سيارة اجرة كما اعتادت بعد سفر اخيها، فاتجه ناحيتها بسيارته ثم خرج ليقترب منها راسما

ابتسامة دهشة على وجنتيه: معقول! انسة دارين! يا محاسن الصدف! انتي ايه اللي وقفك هنا؟

بدت دارين منزعجة من رؤيته، لذا اجابته بضيق: والله المفروض انا اللي اسأل حضرتك السؤال دة بما انك خلصت دراستك.

فخرجت منه ضحكة مرحة وهو يصدق على كلامها: اه معاكي حق، انا كنت جاي عشان اوصل غادة، انتي ما شفتهاش؟

فهزت دارين رأسها بالنفي: لا.

علاء مقترحا: طب ما تتفضلي نستناها في العربية وبعدين اوصلكم انتو الاتنين بما انه مشوار واحد يعني.

لكن دارين رفضت وهي تقدم اعتذارها: انا اسفة، مش هينفع اركب مع حضرتك العربية لوحدنا.

علاء كاذبا: طيب ماحنا هنستنى غادة.

دارين: لما غادة تيجي الاول.

في تلك اللحظة نقم علاء على ابنة خالته التي بتصرفها الاحمق ستضيع منه تلك الفرصة الغالية، ثم سأل دارين: طب افرضي غادة ما جتش او مثلا انها روحت بدري.

دارين بعفوية: يبقا انا هاخد تاكسي.

لم يقبل علاء بالهزيمة سريعا، بل ظل متمسكا بتلك الفرصة يرفض ضياعها من بين يديه، فقال لها محاولا اقناعها: طب ليه تاخدي تاكسي وانا موجود؟ ولو مصرة يعني تقدري تعتبريني سواق تاكسي لو تحبي.

ولكن كانت دارين اكثر اصرارا منه: انا اسفة يا استاذ علاء، بردو مش هينفع.

في هذه اللحظات كان عمر خارجا من الجامعة وبجواره اخته سارة التي سرعان ما رأت دارين التي يبدو عليها الانزعاج برفقة هذا الشاب المجهول بالنسبة اليها، فنبهت اخاها اليهما: عمر! بص هناك، شكل الشاب دة بيضايق دارين.

وعندما رآهما عمر اتجه ناحيتهما وخلفه اخته، وما ان وصل اليهما سأل علاء بغلظة:

فيه حاجة يا حضرة؟

فنظر اليه علاء شذرا وسأله: نعم! انت مين اصلا؟

فتجاهل عمر سؤاله، ونظر الى دارين يسألها: الشخص دة بيضايقك يا دارين؟

وقبل ان تتفوه دارين بأي رد، بادر علاء يقول له بغضب: وانت مالك انت؟ بتدخل ليه؟

لم يخش عمر ثورانه بل قال له بثبات:بقولك ايه يا حضرة، احسنلك تتفضل دلوقت وتبعد عن هنا والا هنادي لحرس الجامعة وهما يتصرفوا معاك.

فابتسم علاء بسخرية وهو يقول له بنبرة متعالية: انت هتجيبلي انا حرس الجامعة، طب اتفضل وريني هيعملوا ايه؟

وجدت دارين ان الموقف سيشتد تأزما وخصوصا بعد ان احاط بهم مجموعة من الطلبة يشاهدون ما يحدث، لذا حاولت ان تحسم الامر وهي تقول لعلاء بشبه رجاء: ارجوك يا استاذ علاء اتفضل امشي وكفاية لحد كدة بقا.

وعندما رأته يصر على موقفه ويتبادل نظرات التحدي مع عمر قالت له بنبرة اكثر توسلا: ارجوك.

وبالفعل انسحب علاء بعد نظرة نارية ألقاها على عمر تؤكد له ان التحدي بينهما لم ينته عند تلك النقطة، ثم صعد الى سيارته وانطلق بها.

وبعد رحيله، قال عمر للشباب المحيطين بهم بثبات: خلاص يا جماعة، الموضوع انتهى، ياريت تتفضلوا.

وبعد ان انفض التجمع من حولهم، ورأى عمر ما اصاب دارين من توتر وربما ذعر بسبب ما حدث وهي بين ذراعي اخته تحاول تهدئتها، فاقترح عليها بشكل لا يقبل الجدل: ياللا يا دارين، انا هوصلك.

حاولت دارين استجماع شتات امرها وهي ترفض عرضه بتهذيب: لا معلش يا استاذ عمر، انا هركب تاكسي.

فكان من سارة ان تدخلت وهي تقول لها قاضية على كل اعتراضاتها: مش ممكن طبعا نسيبك لوحدك وانتي في الحالة دي، احنا لازم نطمن عليكي بنفسنا، ياللا يا عمر.

فلم تتمكن دارين من ابداء المزيد من الرفض، فصعدت السيارة برفقة سارة واخيها الذي تولى القيادة بينما جلست هي بجوار اخته في الكراسي الخلفية وبعد ان مرت بضعة دقائق وهم في طريقهم الى مسكن

دارين، سألها عمر من خلال المرآة الامامية:

انتي كويسة دلوقت يا دارين؟

دارين: اه ، الحمد للّه.

عمر بحذر: طيب ممكن اسألك دلوقت مين الشاب دة؟

دارين: دة قريب انكل فؤاد وطنط سميرة اللي انا عايشة معاهم.

سارة مندفعة: يبقا لازم تبلغيهم باللي حصل عشان اللي دة ما يتكررش تاني.

دارين ببراءة: لا، هو اكيد ما كنش يقصد انه يعمل مشكلة، دة غير اني مش عاوز اسبب مشاكل في البيت.

سارة: طب لو اتعرضلك تاني؟

دارين: مفتكرش ان دة هيحصل، وكمان لو اتكرر الموضوع دة يبقا ساعتها هقولهم.

عمر: ع العموم يا دارين لو حسيتي لا قدر اللّه انك واقعة في مشكلة او محتاجة لحد جنبك اوعى تترددي انك تقوليلي، طلعي تليفونك واكتبي رقمي.

وفعلت دارين ما طلب منها وهما لا يشعران بتلك الابتسامة الخفية التي ارتسمت على شفتي سارة وهي ترى بعينيها ذلك التقارب الذي بدأ يظهر بينهما وكأن مخططها قد اوشك على نجاحه، اما عمر فقد كان تصرفه هذا تلقائيا فقد شعر فجأة بأنه يحمل قدرا من المسئولية تجاه هذه الفتاة،

وبالنسبة لدارين فلأول مرة ايضا بعد سفر اخيها تشعر بالامان الذي تحقق بالقرب من عمر وحده.

****
****

كانت غادة تتحدث هامسة في هاتفها الخلوي ويبدو عليها السخط: معقول اللي انت هببته دة يا علاء؟ طب افرض انها قالت لماما ع اللي حصل.

وظهر علاء في الجهة الاخرى يجلس امام مكتبه ليرد عليها بغضب: المهم دلوقت مين الشاب دة؟ ودارين تعرفه منين؟

غادة: معرفش، انا ودارين مش اصحاب اوي يعني عشان كدة ما بتقوليش اي حاجة عن حياتها.

علاء: يعني تفتكري ان فيه حاجة بينها وبينه؟

فنفت غادة كلامه بتأكيد: لا طبعا، دارين مش ممكن تعمل حاجة زي كدة، اللي يعرف دارين كويس هيعرف ان مفيش في حياتها شاب غير اخوها مازن.

علاء: طيب دي مهمتك بقا يا غادة، اعرفيلي ايه علاقتها بالبني ادم دة، وما تنسيش تبلغيها اعتذاري عن اللي حصل لحد ما اكلمها بنفسي، ماشي؟

فهزت غادة رأسها موافقة: ماشي هحاول، بس ما تطلبش مني حاجة تانية، اوك؟

فابتسم علاء برضا وهو يقول: اوك يا اجدع بنت خالة في الدنيا، ياللا سلام.

غادة: سلام.

وانهت المكالمة وهي لا تفكر سوى في رد فعل مازن ان علم بما يحدث الان وأن لها يدا في هذا الموضوع، حتى وان رفضت ان تشارك علاء في مخططه فيكفي كتمانها للأمر!

:السلام عليكم.

لم تكن قد انتبهت لدخول دارين الى ان سمعت صوتها، فرفعت عينيها اليها لترد

تحيتها: وعليكم السلام ورحمة اللّه وبركاته.

ثم نهضت من مكانها لتمسك بساعدها وتجلسها بجانبها لتقول لها بحرص ونبرة منخفضة حتى لا يسمعها احد بشكل ارتابت منه دارين: على فكرة يا دارين علاء لسة متصل بيا دلوقت وبيعتذرلك على سوء التفاهم اللي حصل بينكم.

فردت دارين بنبرة رزينة: خلاص يا غادة، ما حصلش حاجة.

لم يرض هذا الرد فضول غادة، فأعادت المحاولة بنبرة ماكرة: هو قالي ان الشاب

اللي كان موجود دة هو اللي استفزه، هو مين دة يا دارين؟

لم تجد دارين مفرا من اشباع فضول رفيقتها في الحجرة: دة معيد عندنا في الكلية وكمان أخو صاحبتي الوحيدة تقريبا.

فعلقت غادة بنبرة ذات مغزى لم تكن دارين في حالة تسمح لها بتفسيرها: باين عليه شهم اوي.

****

في منزل يوسف الهواري وخاصة في حجرة الطعام حيث كان يسود الصمت اثناء تناول وجبة الغداء بين الثلاثة عمر وسارة

ووالدتهما، بدا ان هذا النوع من الصمت لم يرق لسارة فكانت اول المتحدثين حيث ارتفع صوتها وهي تقول لوداد بينما تغمز بعينيها ناحية اخيها: تعرفي يا ماما، اما الباشمهندس عمل النهاردة حركة جدعنة انما ايه؟ مفيش زيها.

فابتسمت وداد بحنان الى ابنها تمتدحه كأي أم: عمر طول عمره شهم وراجل من صغره.

ثم نظرت الى ابنتها تسألها: بس قوليلي هو حصل ايه النهاردة؟

لم تبال سارة بتلك النظرة النارية التي تلقتها من اخيها فور ان افتتحت الموضوع، بل

أجابت بابتسامتها الواسعة: النهاردة كان فيه واحد بيعاكس دارين صاحبتي اللي كلمتك عنها، بس اول ما عمر شافه جري على طول وخلصها منه.

ومنعا لاي فكرة خطأ قد تخطر في عقل وداد قال عمر مبررا تصرفه: اي حد مكاني كان هيعمل اللي انا عملته.

سارة بنبرة خبيثة وهي تتظاهر بانشغالها بالطعام امامها: اه طبعا، بس ما افتكرش ان اي حد بردو كان هيوصلها لبيتها زي مانت عملت.

وعنما علم ان لا مهرب من هذا الموقف حاول تغيير الموضوع فسأل والدته: هو بابا ما قالش هييجي امتى يا ماما؟

وداد بجمود: هو باباك من امتى بيقول هو هيسافر او هييجي امتى؟

فتدخلت سارة تلوم أخاها: ماهو انت لو كنت اشتغلت معاه كان زمانك عرفت كل اخباره، وما كنتش انا اضطريت ادخل هندسة ارضاء لكل الاطراف.

عمر بجدية وثقة: دي حياتي يا سارة وانا عاوز ابني نفسي بنفسي من غير ما اعتمد على فوس بابا وسمعته، اه وعلى فكرة انا عندي ان شاء الله مقابلة بكرة في

الشركة اللي قولتلك عليها والمفاجأة بقا انها طلعت شركة اخو صاحبتك.

فهتفت سارة صائحة: دارين! مش معقول! دة ايه الصدف دي؟

ثم غمزت اليه قاصدة اغاظته: تحب اقول لدارين عشان تتوسطلك؟

لم يجب عمر بل كانت نظرته وحدها كفيلة باخبار اخته بأنه لم يتقبل مزاحها، ولكن ذلك لم يكن رادعا لها، فقد اكملت: بس انت مش شايف يا عمر ان القدر قاصد يقربكم من بعض اكتر؟

بدا ان عمر قد اكتفى من تلميحات اخته المستفزة، فحمد ربه واستأذن من امه ثم

رحل، فقالت وداد تعاتب ابنتها: مش كدة يا سارة، خفي شوية.

سارة ببراءة مصطنعة: وهو انا عملت ايه بس يا ماما؟

فابتسمت وداد رغما عنها، ثم قالت لها بنبرة تآمرية: طب قوليلي بقا هتوريهاني امتى؟

تظاهرت سارة بجهلها بما ترمي اليه امها فسألتها: هي مين دي يا ماما؟

وداد بنظرة تحذيرية: بنت!

سارة بابتسامة واسعة: خلاص خلاص حرمت، بس ان شاء الله قريب اوي.

****

كانت غادة تقف مع صديقاتها يتحدثن في بعض الامور حتى اقتربت منهن فتاة ذات ملامح هادئة ترتدي ثيابا اكثر احتشاما ولكنها لم تفتقر الى الذوق والجمال الى جانب طرحة طويلة، فبدأت حديثها: السلام عليكم.

فرد الجميع: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

الفتاة بابتسامة زادت وجهها ضياء: ممكن يا غادة لحظة؟

غادة باندهاش وهي تسألها للتأكد مما سمعته: عاوزاني انا؟

الفتاة مؤكدة: لو سمحتي.

فاستأذنت غادة من صديقاتها وذهبت مع الفتاة الى مكان ليس ببعيد عن الاخرين، فقالت احدى الفتيات متسائلة: هي مين دي؟

فردت اخرى وهي تهز كتفيها بالنفي: مش عارفة، انا اول مرة اشوفها.

وقالت الثالثة: طب تفتكروا هي عاوزة غادة في ايه؟

الاولى: يا خبر النهاردة بفلوس كمان شوية هيبقا ببلاش.

الفصل الحادي والعشرون

نقطة تحول

لكل انسان منا في عمره لحظة وربما لحظات يعتبرها نقطة تحول في حياته، وربما يكون هذا التحول بسبب تعرفه على شخص ما، او ربما اكتشافه خفقان قلبه نحو شخص بعينه، ومن الممكن يكون هذا التحول سلبيا او ايجابيا وسواء كان هذا او ذاك ففي الحالتين سنخرج من تلك اللحظات وقد تعلمنا درسا ما لن ننساه مهما طال بنا العمر(

وقفت غادة بترقب امام تلك الفتاة المجهولة بالنسبة اليها تنتظر ان تبدأ حديثها، ولم يطل انتظارها حيث قالت الفتاة سريعا معرفة نفسها: اولا اسمحيلي اعرفك بنفسي، انا وفاء محمد زميلتك في الكلية.

قد اثار كلامها دهشة غادة اكثر، فقالت لها: هو صحيح انا معرفش كل الدفعة، بس مفتكرش اني شفتك قبل كدة.

وفاء: دة احتمال، لاني ما جيتش الكلية غير اول اسبوع بس وبعد كدة بابا تعب واضطريت اني اقعد جنبه لانه تقريبا ملوش غيري، ودة كان اول يوم ليا بعد ما اطمنت على بابا.

غادة: لا، الف سلامة عليه، بس انتي كدة فاتك كتير اوي والامتحانات قربت.

وفاء: مانا بعد ما رجعت حاولت اني الم المحاضرات اللي فاتتني من اصحابي بس تقريبا كلهم نصحوني باني اخدها منك لانك بسم الله ماشاء اللّه طبعا مش بتغيبي وبتكتبي كل حاجة ورا الدكتور.

وكانت غادة قد تأثرت بما اخبرتها به وفاء، لذا لم يكن هناك مجال للرفض، فكان ردها وهي تمد لها الدفتر الذي كان بيدها: كشكول المحاضرات بتاعي تحت امرك واي حاجة ممكن ما تفهميهاش قوليلي عليها.

فاستلمت منها وفاء الدفتر وهي تشعر بالامتنان تجاهها وتقول: متشكرة اوي اوي يا غادة، انتي بجد طيبة اوي، وانا عمري ما هنسالك الخدمة دي، وبتمنى بعد اذنك اننا نكون اصحاب.

لم تجد غادة مبررا للرفض خاصة وان وفاء تبدو لها فتاة محترمة وعاقلة، لذا مدت لها يدها مصافحة بابتسامة ودودة: طبعا دة يبقا شرف ليا.

وبعد ان تصافحتا، طلبت منها وفاء ان يتبادلا ارقام الهواتف فقبلت غادة، وفي ذلك الوقت تناهى الى مسامعهما صوت الاذان فلاحظت غادة تحرك شفتي رفيقتها بالترديد وراء

المؤذن، ثم رأت غادة ان الوقت قد حان للانصراف فقالت تستأذن من صديقتها الجديدة: طب مش عاوزة حاجة تاني يا وفاء؟

ولكن رفضت وفاء ان تدعها تذهب لتقول لها: رايحة فين؟ مش هتيجي تصلي معايا الضهر؟

شعرت غادة بقليل من الخجل وهي تجيبها: لا معلش مش هينفع، انا مش متوضية، يبقا هصليه بقا في البيت لما ارجع.

ولكن كانت وفاء اشد اصرارا اذ قالت لها: لما تروحي يكون العصر اذن، وهتضطري تجمعي ما بين الصلاتين، الافضل انك

تيجي معايا تتوضي ونصلي في مسجد الجامعة واهو كدة كدة احنا لسة ادامنا على المحاضرة الجاية وقت كفاية.

لم تدع لها وفاء فرصة للرفض كما انها قد اقتنعت بمنطقها واعترفت في داخلها بأنها على حق، فهذا بالفعل افضل من ان تؤخر الصلاة للتي تليها، فقالت لها مبتسمة:

معاكي حق، بس ثواني هقول لاصحابي عشان ما يقلقوش عليا.

وفاء: ياريت تقنعيهم بردو بانهم ييجوا يصلوا معانا.

غادة: اوك.

واستطاعت غادة ان تقنع احداهن

بمصاحبتهما، اما الاثنتين الاخريين فقد

كانتا اكثر عنادا حيث رفضتا بناء على

حجج لا تغني عن الصلاة، فاتجهت غادة

وصديقتها برفقة وفاء الى مسجد الجامعة

لاداء الفريضة لتكون هذه او خطوة نحو

حياة جديدة قد تحدث فارقا في حياتها

وربما مشاعرها كذلك.

****
*

اما في الناحية الاخرى نجد دارين تجلس

على احد مقاعد الجامعة تدون بعض

الملاحظات في دفترها باهتمام شديد حتى

انها لم تنتبه لتلك الخطوات التي تقترب

منها الى ان وصلها الصوت الرجولي الذي قد اعتادته بكل نبراته: ازيك يا دارين.

رفعت دارين عينيها اليه لترد عليه بابتسامة مشرقة: ازيك يا استاذ عمر.

جلس عمر بخفة على نفس المقعد محافظا على مسافة معينة بينهما وعلى الرغم من ذلك شعرت بحرارة تسري بداخلها وعلمت بأن خديها قد توردتا في تلك اللحظة حاولت اخفاء ارتباكها حين سمعته يقول: طيب عشان نقدر نتعامل مع بعض، اولا بلاش استاذ دي.

دارين دون ان تستطيع اخفاء اثار الصدمة التي بدت على وجهها: امال هقول لحضرتك ايه.

عمر: ناديني باسمي عادي زي سارة ع الاقل خارج قاعة المحاضرات وهناك يبقا استذيني براحتك.

طريقته المرحة راقت لها وقد خففت من ارتباكها الذي دائما ما تشعر به في حضوره، اما هو فعندما لاحظ ، حاول جذب انتباهها مجددا: قولتي ايه؟ مفيش استاذ؟

فردت دارين محاولة تجنب النظر اليه بنبرة اكثر انخفاضا تكاد لا تسمع: اوك يا عمر.

لم يطلب منها عمر تكرار ما قالته بصوت اوضح حتى لا تزداد خجلا على الرغم ان ذلك الخجل وتورد وجنتيها كان من الاوقات المحببة لديه التي يحب ان يراها فيها، ولكنه تحول الى موضوع اخر فسألها: قوليلي بقا، هو الشاب دة حاول يضايقك تاني؟

فهزت دارين رأسها بالنفي وهي تقول: لا، انا اصلا ما شفتوش من يومها.

عمر: ع العموم رقم تليفوني معاكي، اتصلي بيا في اي وقت تحتاجيني فيه زي ما اتفقنا.

دارين: ان شاء اللّه.

عمر وهو يلتفت حوله وكأنه يبحث عن احدهم: امال فين سارة؟ مش شايفها معاكي يعني.

دارين: راحت تجيبلنا عصير.

:انا جيييييت.

لم تكد دارين تتم كلامها حتى وجدا سارة امامهما وفي يديها زجاجتين من العصير، فقال لها عمر مشاكسا: انتي كدة على طول زي القطط، ما بتصدقي حد يجيب في سيرتك؟

سارة وهي تغمز الى اخيها بابتسامة ماكرة: عادي يا باشمهندس لو عاوزني امشي همشي، شكلي كدة جيت في وقت مش مناسب.

فنهض عمر من مكانه وهو يستعد للرحيل:

لا يا ختي انا اللي همشي، سلام.

وذهب عمر لتأخذ سارة مكانه في المقعد لتناول احدى زجاجتي العصير الى دارين التي لا تزال الابتسامة تعلو وجهها جراء مشاكسة الاخوين، فسألتها سارة وهي تقترب منها قليلا: هه، قوليلي بقا كنتوا بتقولوا ايه؟

دارين ببساطة: ولا حاجة، هو كان بيطمن عليا مش اكتر.

سارة بغير رضا: بس؟

دارين دون ان تشعر بحاجة لقول المزيد: اه بس

****
*

وننتقل مرة اخرى الى غادة ورفيقتيها وقد كن يتجهن الى المدرج حيث ستكون المحاضرة التالية، فقالت غادة ببهجة وهي تشعر بنوع من السعادة بداخلها لم تعهده من قبل: بجد ملك دي جميلة جدا وكلامها عسل ومريح اوي، انتي تعرفيها منين يا وفاء؟

وفاء: دي صاحبتي من اولى ابتدائي وكنا اعدادي وثانوي مع بعض لكن هي بقا دخلت اداب لغة عربية لانها بتعشق اللغة جدا وانا دخلت طب.

منى صديقة غادة: هو انتوا على طول كدة؟

لم تحتج وفاء الى توضيح لسؤالها، فقد فهمت ما تشير اليه، لذا اجابت: احنا متعودين دايما ان بعد اداء الصلاة بنقعد شوية نقول ذكر ولو فيه اي واحدة فينا عندها معلومة جديدة في الدين او غيره من امور الدنيا بتقولها للباقيين، دة غير اننا في ايام الاجازة بنحضر دروس فقه في الجامع اللي جنبنا، تحبوا تبقوا تيجوا معايا؟

فقالت غادة بتردد: مش عارفة، بس احنا كدة هنضيع كتير من وقتنا واحنا على ابواب الامتحانات.

وفاء: مفيش تضييع للوقت ولا حاجة على فكرة، اولا طبعا انتوا مش كل الوقت

بتقضوه في المذاكرة، اكيد بتدوا

لنفسكم راحة، وقت الراحة دة بقا هو اللي

انا بستغله في الموضوع دة. المفروض ان

علوم الدين لا تقل اهمية عن علوم الدنيا

عشان كدة لازم نتفقه في الناحيتين،

قولتوا ايه؟

منى: خلاص انا ممكن اجي.

اما غادة فقد اعطت لنفسها فرصة اطول

للتفكير قبل ان تقول: وانا هفكر

وابلغك.

****

****

عادت دارين الى مسكنها لتجد علاء بانتظارها عند مدخل البناية، ولانها لم تكن قد نسيت ما فعله معها، فقد حاولت تجاهله واتجهت الى السلم، ولكنه كان اسرع منها حيث سد عليها الطريق، وقبل ان تحتج على فعلته، سبقها باعتذاره: انسة دارين انا بجد اسف على اللي حصل، ياريت تقبلي اعتذاري وصدقيني دة مش هيتكرر تاني، انا من ساعتها وانا مش قادر اسامح نفسي، ارجوكي ما تحسسنيش بالذنب اكتر من كدة.

رغم ان كلامه قد اثر بها، الا انها حاولت ابداء غضبها وهي تقول له: استاذ علاء، اللي

انت عملته دة صعب اني انساه بصراحة،

كفاية انك فرجت عليا كتير من زمايلي.

فأمسك علاء باذنيه كدليل على الاعتراف

بذنبه وهو يقول لها بطريقة الطفل الذي

ينتظر العقاب: انا عارف اني غلطان، وتقدري

تعاقبيني بالطريقة اللي تشوفيها الا انك

تزعلي مني، ارجوكي.

منظره المضحك لم يدع اي اثر للغضب

على وجهها لتحل محله ابتسامة صافية:

خلاص مش زعلانة.

لم يكن علاء ليدع تلك الفرصة من يديه

دون ان يستغلها لصالحه، حيث قال لها: طيب

اثبتيلي.

دارين ببراءة: ازاي يعني؟

علاء: انا النهاردة عازم خالتي وجوز خالتي وغادة على السينما، وكنت عملت حسابك في تذكرة،لو قبلتي تيجي معانا هعرف كدة انك بجد مش زعلانة مني.

ثم بان على وجهه الحزن وهو يكمل: اما لو رفضتي بقا يبقا دة معناه انك لسة زعلانة، وساعتها هتلاقيني وراكي في كل حتة عشان اطلب السماح، وانا مجنون واعملها بصراحة.

فقالت له دارين بمرح: لا وعلى ايه، انا موافقة، اسمحلي بقا اعدي عشان ما ينفعش نفضل واقفين كدة.

فافسح لها علاء المكان وقد عد موافقتها تلك كأول خطوة في طريق فك الحصار المحيط بقلبها.

****

جلس عبدالرحمن بحجرة المكتب الخاص به في شقته يطالع بعض الاوراق باهتمام شديد حين رن هاتفه الخلوي فأشرق وجهه عندما رأى الشاشة تضيء باسم صديقه فأجاب على الفور: السلام عليكم، ازيك يا حس عامل ايه؟

ظهر حسام على الجانب الاخر يجلس على احد الكراسي في صالون شقته وبجانبه على الارض يلعب طفلان بقطار صغير، كانا

توأمان ولد وبنت قد قاربا على السادسة من عمرهما، قال حسام بطريقته المرحة المحببة: ايه يا عم دة؟ انا قربت امشي خلاص.

عبدالرحمن مندهشا: تمشي؟! بسرعة كدة؟

حسام: اه اصلي جيت يومين كدة ع السريع عشان اسلم على اخوية قبل ما يسافر هو ومراته.

عبدالرحمن: طيب هشوفك امتى؟

حسام: ايه رأيك تجيلي بالليل ع الساعة ستة ونشوف ممكن نعمل ايه بعدها؟

عبدالرحمن موافقا: خلاص ان شاء اللّه هكون عندك مش هتأخر.

حسام: طيب ياللا مع السلامة عشان الحق العب شوية مع ولاد اخوية، انت خدت اكتر من وقتك.

عبدالرحمن ضاحكا: عمرك ما هتتغير يا حس، سلام.

وانهى المكالمة وهو يهز رأسه من تصرفات صديقه الصبيانية، في حين سمع طرقات خفيفة على الباب الذي بعد اذنه دخلت من خلاله تلك الفتاة ذات الغمازتين والعيون الزمردية باللون الأخضر والوجه الذي على هيئة قلب صغير وقد اظهره بوضوح ذلك

الحجاب الرقيق الذي ترتديه بابتسامتها الصافية وهي تحمل بين يديها صينيه عليها فنجان من القهوة: السلام عليكم.

تلك البحة الخفيفة في صوتها كانت هي المكملة لهذه اللوحة الفنية الجميلة التي تمثلها هذه الفتاة.

فرد عبدالرحمن بابتسامة مرحبة: وعليكم السلام ورحمة اللّه وبركاته.

وبعد ان وضعت الصينية امامه على المكتب وقدمت له فنجان القهوة، قال لها عبدالرحمن شاكرا: دايما كدة تاعبينك معانا يا ايمان.

بالطبع لست بحاجة لاخبركم بأن الاسم قد زادها رونقا، فأجابته لائمة: اللّه يسامحك يا عبدالرحمن، دة انت كدة بقا بتعتبرني غريبة، هو لو كانت شيماء يعني مكاني كنت قولتلها كدة؟

فأمسك عبدالرحمن بكفها وضغط عليه برقة: ما تقوليش كدة يا ايمان، انتي عارفة انتي اد ايه غالية عندي ويمكن اكتر من شيماء كمان.

ولان هذا الوجه لا يليق به الحزن، فقد داواها كلامه سريعا وقد حلت محل التكشيرة تلك البسمة الجذابة لتظهر

غمازتاها الرائعتان: ربنا يخليك ليا يا عبدالرحمن.

ثم اكتسى وجه عبدالرحمن بالجدية وهو يقول لها: طيب فيه موضوع مهم كنت عاوز اكلمك فيه.

ايمان بود: انا تحت امرك.

ثم تغيرت لهجتها الى اخرى مليئة بالتحذير: لكن لو نفس الموضوع اللي بنتكلم فيه كل مرة يبقا بلاش احسن.

فنهض عبدالرحمن وهو يتنهد بضيق، ثم وضع ذراعه حول كتفها: ليه بس يا ايمان؟ انتي من حقك تعيشي حياتك اللي ملحقتيش تعيشيها.

ايمان بابتسامة كذبتها تلك الدموع المتجمعة في مقلتيها: مانا الحمد للّه عايشة كويس جدا ومبسوطة اوي اهو، ولا انتوا زهقتوا بقا مني؟

خوفا من ان تنفجر باكية ككل مرة يتم فيها فتح هذا الموضوع اخذها في حضنه واخذ يهدهدها كالطفل الصغير قائلا لها: ربنا وحده يعلم ان البيت دة دبت فيه الروح اول ما دخلتيه، بس انا عاوز اطمن عليكي.

فنظرت اليه بتلك الابتسامة الكاذبة التي لم تخدعه: اطمن يا عبدالرحمن، انا الحمد للّه راضية باللي كتبهولي ربنا، ياللا اسيبك بقا عشان تشوف شغلك.

وغادرت الحجرة تاركة اياه يزداد سخطا على من كان سببا في تحويل تلك الفتاة الشقية المشاكسة والمرحة الى ذلك الجسد الذي يخلو من اي روح.

****
*

اما حسام فبعد ان انهى مكالمته مع صديقه جلس على الارض وتحول الى اللعب مع الصغيرين اللذين احباه على الفور لاجادته الكثير من الالعاب التي يعشقانها، وهذا ما علق عليه اخوه الذي جلس خلفه على الكرسي وهو يربت على ظهره مداعبا:

هتفضل طول عمرك طفل يا حسام مش هتكبر ولا تعقل ابدا.

حسام دون ان يلتفت الى اخيه فقد كان منهمكا في تركيب احدى الالعاب: سيبنالك انت العقل يا باشمهندس.

فنهض ايهاب اخوه من مكانه ليجلس بجانبه يساعده في تركيب اللعبة وهو يسأله: طيب مادام انت بتحب الاطفال بالشكل دة، ما تتجوز يا اخي.

حسام بضيق: وليه السيرة دي بقا؟ وطي صوتك احسن ماما تسمعك وهي ما هتصدق وتبدأ رحلة الزن ع الودان.

ايهاب: ماهي عندها حق بردو، انت مستني ايه عشان تكون اسرة خاصة بيك يعني؟

حسام: اه ونبدأ بقا في الهموم الزوجية والمشاكل اللي ما بتخلص وبعدين مسئولية العيال، لا يا عم انا احسن كدة خليني اتفرج من بعيد.

ايهاب: يعني انت مش عاوز تتجوز عشان ما تشيلش مسئوليات؟ طب اديني هسيب الاولاد عشان دراستهم وريني هتعمل معاهم بقا ايه؟

حسام مازحا: مش انا اللي هعمل يا فالح، دة الحاجة هي اللي هتعمل، انا اصلا مسافر بكرة عشان شغلي ما يتعطلش اكتر من كدة، ثم انك ليه يعني ما دخلتش الاولاد مدارس هناك؟

ايهاب: يا بني انا مش ناوي اقيم هناك للأبد هما سنتين تلاتة بالكتير وخلاص ارجع ، فعاوز الولاد بقا يتعودوا ع العيشة هنا وفي الاجازات هبقا اخدهم او انا وحنان نيجي زيارات.

حسام: يبقا ربنا يقدر الحاجة بقا عليهم.

ايهاب: دة هيبقا على قلبها زي العسل يابني، مش بيقولوا اعز الولد ولد الولد، ياللا انت اتشطر بقا وجيب اللي اعز منك.

رمى حسام اللعبة التي كانت في يده بعد ان يأس من تصليحها وهو ينهض هاتفا بانزعاج: يوووووه، دة احنا باينا مش

هنخلص من الموال دة، اديني سايبلك المكان كله وماشي.

ورحل بالفعل تاركا اخاه يتعجب من حاله.

****
****

اشرقت شمس يوم جديد وقد فتحت وداد الستائر لتسمح بأشة الشمس تتخلل حجرة ابنتها التي كانت لاتزال في سريرها وعندما شعرت بحرارة الشمس وضايقها ضوء نورها، فقالت وهي ترفع الغطاء الى وجهها: يووووووه، اقفلي الستاير يا ماما ، عاوزة انام شوية.

تجاهلت وداد طلبها واقتربت منها وهي تقول: تنامي ايه؟ الساعة تسعة وانتي وراكي

محاضرة النهاردة الساعة عشرة، مش ناوية تحضريها ولا ايه.

فأجابت سارة من تحت الغطاء: لا، مش هروح النهاردة.

وداد: ليه بقا ان شاء اللّه، دة انتي عمرك ما غبتي.

سارة: مرة من نفسي بقا يا ماما.

ورن هاتف سارة الذي كان على المنضدة بجوار السرير، ولدهشة وداد نحت سارة الغطاء بعيدا والتقطت الهاتف بسرعة لتجيب بنبرة منخفضة مليئة بالاعياء مما زاد وداد تعجبا: الو...... وعليكم السلام...... في البيت يا دارين..... لا مش

هقدر اجي النهاردة اصلي تعبانة شوية........

وممكن كمان ما جيش بكرة....... معلش

يا دارين هتعبك معايا يا حبيبتي، بس

تقدري تجيلي وتجبيلي المحاضرات؟........

اوك يا قمر مستنياكي......... اكتبي

العنوان...........

واملتها العنوان ثم شكرتها وانهت

المكالمة، وكانت وداد تهز رأسها بتعجب

من الحيلة التي استخدمتها ابنتها: بقا كل

دة عشان تجيبيها هنا؟

فطوقت سارة رقبتها وهي تسألها: ايه رأيك

بقا في تفكير بنتك حبيبتك؟ بس

المهم فين الباشمهندس؟

وداد: خرج من الصبح.

سارة معاتبة: ليه بس ياماما تخليه يخرج؟

وداد: وهو انتي كنتي قولتيلي على ترتيبك دة؟

سارة: مش مهم.

ثم ظهرت نظرة شيطانية في عينيها وهي تقول: انا هعرف اجيبه ازاي على ملا وشه.

****
*****

الفصل الثاني والعشرون

وقفت دارين مترددة امام الباب الداخلي لفيلا الهواري، فرغم حصولها على اذن من سميرة بزيارة صديقتها المريضة الا انها كانت المرة الأولى التي تدخل فيها منزل غريب وحدها، ولكنها في النهاية رنت الجرس لتفتح لها خادمة شابة سألتها: عاوزة مين حضرتك؟

فاستقامت دارين في وقفتها بثبات مظهرة الجزء الضئيل من الثقة الذي حافظت عليه وهي تقول لها: سارة موجودة؟!

الخادمة: اقولها مين حضرتك؟

وقبل ان تجيبها دارين ظهرت سارة من خلف الخادمة تقول لها مرحبة: دارين! اهلا وسهلا اتفضلي واقفة ع الباب ليه؟

وبعد ان صرفت الخادمة جذبت دارين من ذراعها واغلقت خلفهما الباب، فقالت دارين: الف سلامة عليكي يا سارة، قلقتيني بجد.

سارة: اللّه يسلمك يا روح قلبي، وشكرا انك جيتي.

فأبدت دارين ملاحظتها وهي تنظر الى صديقتها باندهاش: بس شكلك كدة تمام يعني، امال صوتك كان تعبان اوي كدة ليه؟

فردت سارة مازحة: اصل رؤياكي بتشفي العليل يا دار.

ثم سحبتها خلفها متقدمة ناحية الصالون: تعالي بقا اعرفك على ماما.

ثم بدأت تنادي الى ان دخلت الحجرة: ماما ماما.

فقالت وداد بسخط التي كانت منشغلة بشرب قهوتها: فيه ايه يا غلباوية؟

دخلت سارة وخلفها دارين وهي تقول: اللّه يسامحك، دة جزاتي اني عاوزة اعرفك على صاحبتي دارين.

وضغطت على الاسم بطريقة معينة لم تخف على وداد التي ما ان رأت دارين وضعت

الفنجان الذي بيدها على الطاولة امامها، ثم قالت مبتسمة لضيفتها الشابة وهي تنظر اليها نظرات متفحصة: اهلا اهلا يا بنتي، نورتي الفيلا.

فأجابت دارين بتهذيب: ميرسي يا طنط.

فقالت وداد وهي تشير الى المساحة الخالية بجوارها على الاريكة: تعالي يا حبيبتي اقعدي جنبي.

رغم ارتباكها الى انها لم تستطع رفض الدعوة، ثم قالت وداد لابنتها في محاولة لصرفها من المكان: جرى ايه يا سارة، مش تشوفي صاحبتك تشرب ايه؟

اعترضت دارين على الفور: لا ميرسي اوي يا طنط انا مش عاوزة اشرب حاجة، انا اصلا كنت جاية اطمن على سارة واديها كشكول المحاضرات وهمشي على طول، عشان مش هينفع اتأخر.

فاحتجت وداد، لتقول بنبرة حازمة غير قابلة للنقاش: مفيش الكلام دة، انتي هتتغدي معانا لانك طبعا جاية من الجامعة على هنا على طول ما لحقتيش تاكلي حاجة.

حاولت دارين الاعتراض مرة اخرى: مش هينفع يا طنط، اصل.......

فقاطعتها سارة لتقول بلهجة تحذيرية: لا اصل ولا فصل، وداد هانم ما دام قالت انك هتتغدي معانا يبقى هتتغدي معانا.

وقبل ان تنبس اي منهن بكلمة اخرى، اندفع عمر مقتحما المكان فجأة وهو يقول ويبدو عليه الفزع: ماما، ماما.

ثم اتجه مسرعا ناحية والدته غير عابىء بتلك الضيفة الجالسة بجوارها والتي بدا انه لم يلحظ وجودها من الاساس، فركع عند قدم والدته وقبل يدها وهو يسألها بلهفة: مالك يا ست الحبايب؟ فيكي ايه؟

تعجبت وداد من موقف ابنها وهي تجيبه: انا الحمد للّه يا حبيبي بخير، مفييش حاجة.

فبدت عليه الحيرة وهو ينظر الى اخته ويقول: امال سارة اتصلت بيا ليه وقالتلي انك تعبانة؟

فابتلعت سارة غصة في حلقها وهي تختلق اكذوبة جديدة اسمتها بالكذبة البيضاء: لا، ماهي الحمد للّه دلوقت بقت تمام، هي بس ما كانتش عاوزاني اتصل بيك عشان ما تقلقش.

وهنا قالت دارين التي تابعت المشهد في صمت وقد زادها ما رأت اعجابا وانبهارا بشخصية عمر المرح المحب لاسرته والبار بوالديه كما هو واضح امامها: الف سلامة عليكي يا طنط، انا اسفة ما كنتش اعرف.

وداد بعد ان تلقت تلك الاشارة الخفية من ابنتها فاستوعبت هذا الجزء من خطتها: اللّه يسلمك يا حبيبتي.

وكانت تلك اول مرة قد لاحظ فيها عمر وجود دارين، فسأل وقد بدا مشدوها: دارين! انتي هنا!

وقبل ان تحدث اي اثارة للشكوك عند احد، سارعت سارة لتقول بالنيابة عنها: اه، دارين كانت جايبالي كشكول المحاضرات بتاعها عشان انا مقدرتش اروح الكلية النهاردة لاني كنت تعبانة شوية.

وكان عمر قد نهض من مكانه لينظر الى اخته مشككا: انتي كمان؟

سارة وقد شعرت بالارتباك من نظرات اخيها

حاولت اخفائه وراء تلك الابتسامة الزائفة:

تقول ايه بقا؟ شكلها عين وصابت كل اللي

في البيت، خلي بالك من نفسك انت بقا يا

ميرو.

فقال لها عمر ساخرا وقد بدأت الحقيقة

تتكشف لديه: بقا كدة؟!

علمت سارة ان اخاها لم تنطلي عليه حيلتها،

فكان اذكى من ان يصدق كل تلك

الاكاذيب دفعة واحدة، ولكنها قالت

لنفسها بصوت لا يسمعه غيرها: ياللا، اهي

علقة تفوت ولا حد يموت.

****

****

بعد ان تناولت دارين الغداء مع اسرة صديقتها ثم رحلت برفقة عمر حيث اصرت وداد ان يقوم بتوصيلها الى منزلها، وعاد عمر الى الفيلا مجددا وقبل ان يصعد الى حجرته اتاه صوت والدته من الصالون: عمر ، انت جيت؟

عمر: ايوة يا ماما.

وداد: طب تعالى يا حبيبي، عاوزاك.

فذهب عمر اليها، وجلس على كرسي بجوارها وهو يسألها باهتمام: خير يا ماما، عاوزاني في ايه؟

اثناء جلوسها وحدها قبل عودته كانت تحاول ان تتوصل لطريقة فضلى لتفاتحه بها

في هذا الموضوع، ولكنها وجدت ان ليس هناك افضل من الطريق المختصر: قولي يا حبيبي، انت ايه رأيك في دارين؟

لقد توقع مثل هذا السؤال بعد ما حدث، لذا لم يحتج وقت للتفكير قبل ان تنساب الكلمات سهلة بين شفتيه: دارين بنت جميلة وبسيطة وبريئة جدا واخلاقها عالية جدا جدا، و ممكن تكون فتاة احلام اي شاب بس مش انا يا ماما.

وداد: ليه بقا يا عمر وهي فيها كل الصفات دي اللي انت قولتها بنفسك؟

كان يعلم انه من الصعب تفسير موقفه، ومن الاصعب ان يفهمه الاخرون ومع ذلك لم

يمل المحاولة حيث اجابها: يا ماما انا لحد دلوقت مش قادر احس ناحيتها باي حاجة، انا بحبها وبتعامل معاها على انها اخت ليا زي سارة بالظبط، لكن النوع التاني من الحب اللي المفروض يكون بين اي اتنين مرتبطين مش موجود بينا.

وداد: دة يابني يمكن لانك ما حاولتش تقرب منها بجد، صدقني انا رغم الوقت القصير اللي قعدته معاها الا اني اقدر اقولك لو كنت هتمنى اشوفلك زوجة فمش هتكون غير دارين.

ثم بدأت تستخدم تأثير الام الذي يصعب على اي ابن مهما كانت شخصيته وتفكيره

الا يستسلم له: عمر يا حبيبي انا زي أي أم نفسي افرح باولادي واشوفهم سعدا في بيوتهم وعيالهم بيلعبوا حواليا، ويمكن الحب اللي انت مستنيه دة ييجي بالعشرة، المهم ان الود والرحمة يكونوا موجودين، ويمكن يا سيدي الحب الاخوي اللي انت حاسه دة يكون مفتاح لمشاعر تانية انت لسة ما اكتشفتهاش.

فكان سؤاله الصادم الذي لم تكن تتوقعه وداد: ويا ترى يا ماما هي دي نفس المشاعر اللي انتي وبابا مش عارفين تكتشفوها؟

ظهر الالم على وجهها الذي احتاج بعض الوقت ليعود الى طبيعته الهادئة مرة اخرى

وكانت هي نفس الفترة التي احتاجتها للبحث عن اجابة ترضي فضول ابنها ولا تفتح مجالا للحديث في هذا الامر مجددا:

اللي انت ما تعرفوش يا عمر ان انا وباباك اتجوزنا عن حب، كان هو بالنسبالي فارس الاحلام اللي مش قادرة اشوف في الدنيا غيره لكن تقدر تقول بقا ان بسبب بعض المشاكل اللي حصلت بينا وكمان طبيعة شغل باباك وسفره المتواصل حصل شرخ في الحب دة ما قدرناش نعالجه عشان كدة قررنا انه يبقى الوضع على ما هو عليه.

عمر: عشان كدة انتي اخترتي انك تبعدي انتي و سارة؟

وداد: دي كانت فترة انا كنت محتاجاها عشان اقدر اتعامل مع الاوضاع الجديدة.

وقبل ان يلقي بسؤال اخر لحقته بقولها: المهم انا بقولك كدة، عشان ما تفتكرش ان الحب وحده كافي انه يخلق علاقة اسرية ناجحة، لازم كمان يكون معاه تفاهم وود واحترام لمشاعر الاخر عشان الحياة تستمر، وافتكر ان لحد دلوقت الحاجات دي موجودة ودة سبب يخليك تفكر كويس قبل ما تلاقي نفسك في الاخر كنت بتدور على سراب، بس ساعتها هيكون فات الاوان؟

****

صعدت دارين الدرج وصولا الى شقة فؤاد وهي تشعر بنوع من السعادة لم تجربه من قبل كانت سببها تلك الالفة التي وجدتها مع اسرة صديقتها ثم بعد بصحبة عمر الذي يظهر اهتماما من نوعا ما تجاهها مما هون عليها غياب أخيها عنها، دخلت الشقة بعد ان القت التحية على سميرة التي فتحت لها الباب، فوجدت فؤاد جالسا بصحبة علاء الذي وقف فور ان اقتربت منهما والقت عليهما التحية، فمد لها يده قائلا: ازيك يا انسة دارين، عاملة ايه؟

شعرت دارين انها ربما قد تتسبب في احراجه ما اذا تجاهلت يده الممدودة، لذا صافحته سريعا وهي تقول: ازيك يا استاذ علاء.

فقال لها علاء مازحا وقد لاحظ انها سحبت يدها بسرعة اكبر مما هو معتاد ولكنه لم يعلق: بردو استاذ؟! ماهو شوفيلك حل بقا يا اما تقوليلي يا حضرة الظابط، يا اما تستسهلي وتقوليلي علاء وبس، اما استاذ دي فبتحسسني كاني نجيب الريحاني في غزل البنات.

فشعرت دارين بالاحراج لتقول معتذرة: انا اسفة اوي بجد يا حضرة الظابط ما كنش قصدي.

علاء متداركا خطأه: اسفة على ايه؟ انا كنت بهزر، وكمان علاء دي اجمل بكتير، اتفقنا؟

بعد ان نظرت الى سميرة وفؤاد بارتباك

قالت: اتفقنا.

وهنا قالت لها سميرة: طب يا حبيبتي ادخلي

غيري هدومك بسرعة عقبال ما احضرلك

الغدا.

دارين: لا معلش يا طنط، انا اتغديت مع

صاحبتي ومامتها، هي غادة جات؟

سميرة: اه هي رجعت من الكلية، بس

خرجت بعد الغدا راحت لصاحبتها تذاكر

معاها.

وكانت تلك فرصتها لاخبارهم بالامر الذي

كان يشغل تفكيرها طوال الطريق وهي

تحاول ان تتوقع ردة فعلهم: اه على فكرة يا

طنط، ماما سارة اقترحت علينا بما ان الامتحانات يعني قربت نبقى نذاكر مع بعض مرة هنا ومرة هناك، ايه رأيكم؟

وبالطبع تعمدت دارين الا تذكر لهم، انها اثناء وجودها في بيت سارة سيكون عمر يشرح لهما ما يصعب عليهما فهمه، فقد شعرت انهم ربما لن يقبلوا بأمر كهذا، كما انها متأكدة في داخلها بأن عمر ليس بالانسان السيء الذي يجب ان تخشاه ولكن فؤاد وزوجته لا يعلمان ذلك.

لا تعلم ان كانت نظرة الاستهجان التي رأتها في عيني علاء حقيقية ام انها تخيلت ذلك، ولكن ليس رأيه هو ما يهمها، بل انها

كانت تنتظر رأي كل من سميرة وفؤاد،
فقالت لها سميرة بعد اشارة خفية بينها وبين زوجها تفاهما فيها: وماله يا حبيبتي؟ مفيش مشكلة وطبعا صاحبتك تشرف في اي وقت.

ارتاحت ملامحها القلقة فور ان سمعت ذلك وقالت لسميرة شاكرة: ميرسي اوي يا طنط.

وهنا سمعت صوت رنين هاتفها، فأضاء وجهها بابتسامة مشعة لا تظهر الا في حالة واحدة ومع شخص بعينه قد علم فؤاد بهويته حتى قبل ان تنطق باسمه: دة مازن.

فأومأ فؤاد برأسه وهو يقول لها: يبقا سلميلنا عليه.

فقالت دارين تفتتح المكالمة بلهفة واشتياق وهي تتجه الى حجرتها: السلام عليكم، ازيك يا مازن، وحشتني اوي.

انتهز علاء فرصة رحيلها ليقول لخالته لائما: انتي ازاي يا طنط تقبلي انها تروح تذاكر مع صاحبتها دي في بيتهم، هو انتي تعرفيها اصلا؟

ولكن سميرة على عكسه فلم تحتد، بل كانت نبرتها اكثر هدوءا وهي ترد عليه: اولا يا حبيبي دارين دي زي غادة بنتي بالظبط، فاللي بقبله على بنتي بقبله عليها والعكس، فزي ما بسمح لبنتي انها تذاكر مع صاحباتها في بيوتهم ما كنش ينفع اني

ارفض نفس الموضوع مع دارين، واما بخصوص معرفتي لصاحبتها واهلها فانا عندي فكرة عامة عنها وطبعا هحاول اتعرف عليهم اكتر منها بس ما كنش ينفع اني استجوبها ادامكم.

علاء: ع العموم يا طنط، يبقا اعرفيلي اسم صاحبتها دي بالكامل وانا هعرفلك عنها كل حاجة.

فابتسمت سميرة وهي تقول مداعبة اياه محاولة ان تهدىء من حدته وقلقه: مش للدرجة يا حضرة الظابط، خف شوية.

****

ثم نذهب الى تلك المكالمة الهاتفية اليومية الخاصة جدا والتي تحمل كل معاني الاهتمام والحب والاشتياق، فقالت دارين ترد على سؤال قد القاه عليها: انا الحمد للّه واموري كلها كويسة حتى الدراسة وزي ما وعدتك ان شاء اللّه مش اقل من جيد جدا، المهم يا مازن هشوفك امتى؟

فظهر مازن على الجهة الاخرى يجلس على سريره وقد الانت تلك الابتسامة العذبة ملامح وجهه الحادة: قريب ان شاء اللّه يا دارين.

دارين بتذمر: انت كل يوم تقولي كدة؟

فرد مازن بتلك الحجة المعهودة التي دائما ما يكررها على مسامعها وهو يشعر وكأن هناك يد تعتصر قلبه فهي تلومه وكأن الامر بيده ولا تعلم انه يتمنى هذا اللقاء اكثر منها: معلش يا دارين، ما هو الشغل كتير ومش هينفع اسيبه.

دارين بصوت باك والدموع تتجمع في عينيها: بس انا بسمع عمي بيقول ان صاحبك حسام اللي مسافر معاك بينزل اجازات، انت ليه مش بتنزل زيه؟ ولا انت مش عاوز تشوفني بقا؟ هو انا مش وحشتك يا مازن؟

وهنا قد تحررت دموعها من سجنها لتنزل سيولا تحرق وجنتيها، وقد شعر مازن بها، فكان قلبه يتحرق شوقا لان يأخذها في حضنه في تلك اللحظة كما كان يفعل دائما، كما كان غاضبا من نفسه ويلومها بشدة لانه كان سببا في تلك الدموع ولكنه حاول التماسك وهو يسألها محاولا بعث الطمأنينة اليها: طب انتي ليه بتعيطي؟

فقالت دارين وهي تحاول ان تكفكف دموعها براحة يدها ولكن تأبى الدموع ان تتوقف: انا مش بعيط.

مازن معاتبا: من امتى وانتي بتكدبي عليا يا دارين؟

فكان رد دارين سريعا: من ساعة مانت بدأت تكدب عليا وبتقولي هتنزل وما بتنزلش.

مازن: واللّه غصب عني يا دارين صدقيني، طب هو انا مش بكلمك كل يوم، وكمان انتي قاعدة مع طنط سميرة وعمي فؤاد وهما بيحبوكي زي بناتهم بالظبط، مش كدة؟

دارين: مش كفاية، انا عاوزاك انت يا مازن، عاوزة احس انك قريب مني، مش بحس بالامان غير وانت معايا.

ثم تذكرت انه ربما يكون غيابه هو الذي سمح لشاب كعلاء يتعرض لها امام الجامعة، فان كان موجودا بجانبها ما كان ليسمح بحدوث مشكلة كتلك، مما جعلها تنهار

اكثر وهي تقول له متوسلة: ارجع بقا يا مازن عشان خاطري.

يا الله! فما يتحمله الان يفوق طاقة كل البشر، ولكنه ابى ان تشعر هي بذلك، فقال لها بثبات: طب خلاص يا دارين، اوعدك انك اول ما تخلصي امتحانات هكلم عمي فؤاد يجيبكم تقضوا الاجازة هنا، ايه رأيك؟

ولكن بدا ان هذا العرض لم يكن مرضيا لها بالحد الكافي، فقالت: بس لسة الامتحانات باقي عليها ييجي اسبوعين واسبوعين كمان عقبال ما تخلص يعني

فاضل مش اقل من شهر لحد ما تيجي الاجازة.

مازن مهونا عليها الامر: معلش يا دارين، فات الكتير ما باقي الا القليل، خلاص اتفقنا؟

دارين مرغمة فلم يكن بيدها غير ان توافق: اتفقنا.

مازن: واوعديني انك مش هتعيطي تاني، ماشي؟

دارين: اوعدك.

مازن: وانك هتخلي بالك من نفسك.

دارين نافية: لا، انا اتعودت دايما انت اللي بتخلي بالك مني.

مازن: طب لحد ما تيجي بس.

دارين مطيعة: ماشي.

مازن: طب اسيبك بقا عشان تذاكري، لا اله الا اللّه.

دارين: محمد رسول اللّه.

انهى مازن المكالمة التي قد انهكته عاطفيا وهو يتذكر أغنية أم كلثوم أغدا ألقاك كلمات الشاعر الهادي آدم:

اغدا القاك

أغداً ألقاك يا خوف فؤادي من غدٍ

يالشوقي وإحتراقي في إنتظار الموعد

آه كم أخشى غدي هذا وأرجوه إقترابا

كنت أستدنيه لكن هبته لما أهابا

وأهلت فرحة القرب به حين استجابا

هكذا أحتمل العمر نعيماً وعذابا

مهجة حرة وقلباً مسه الشوق فذابا

أغداً ألقاك

أنت يا جنة حبي واشتياقي وجنوني

أنت يا قبلة روحي وانطلاقي وشجوني

أغداً تشرق أضواؤك في ليل عيوني

آه من فرحة أحلامي ومن خوف ظنوني

كم أناديك وفي لحني حنين ودعاء

آه رجائي أنا كم عذبني طول الرجاء

أنا لو لا أنت لم أحفل بمن راح وجاء

أناأحيا لغد آن بأحلام اللقاء

فأت أو لا تأتي أو فإفعل بقلبي ما تشاء

أغداً ألقاك

هذه الدنيا كتاب أنت فيه الفكر

هذه الدنيا ليال أنت فيها العمر

هذه الدنيا عيون أنت فيها البصر

هذه الدنيا سماء أنت فيها القمر

فإرحم القلب الذي يصبو إليك

فغداً تملكه بين يديك

وغداً تأتلف الجنة أنهاراً وظلاًّ

وغداً ننسى فلا نأسى على ماضٍ تولّى

وغداً نسهو فلا نعرف للغيب محلا

وغداً للحاضر الزاهر نحيا ليس إلا

قد يكون الغيب حلواً .. إنما الحاضر أحلى

أغداً ألقاك

****

كان عمر جالسا في مكتبه امام طاولة الرسم الخاصة به يقوم بانهاء مشروع ما

حين سمع صوت طرقات خفيفة على باب حجرته، فقال دون ان يحول عينيه عن الورق امامه: ادخل.

دخلت والدته وهي تقول: انت لسة صاحي يا عمر؟

فالتفت عمر اليها بكرسيه الدوار: اصلي بخلص مشروع ادامي يا ماما خاص بالشركة اللي اشتغلت فيها، فعاوز اوريهم الهمة من البداية.

وداد مراوغة: قصدك الشركة بتاع اخو دارين؟

عمر مصححا: اه يا ماما الشركة اللي اخو دارين شريك فيه.

فقالت والدته وهي تستعد للرحيل بخطوات مترددة: طيب يا حبيبي اسيبك انا بقا تكمل شغلك.

فأوقفها صوت عمر وهو يقول: ثواني يا ماما، هو حضرتك كنتي عاوزة حاجة.

فتلجلجت وداد وهي ترد: لا ابدا يا حبيبي سلامتك، انا كنت بس بطمن عليك.

عمر بمكر دل على استيعابه لما يدور في عقل امه: اطمني يا ماما انا كويس، وعلى فكرة انا فكرت في الموضوع اللي اتكلمنا فيه.

ثم صمت قليلا ملاحظا ملامح وجهها المترقبة، ولكنه لم يدع التفكير ينهش

في عقلها كثيرا محاولة توقع ما هو قادم على البوح به فأكمل بما يرضيها: انا فعلا اقتنعت بكلام حضرتك وشايف ان دارين هي فعلا انسب انسانة ليا.

وكما توقع تماما فقد اسعدها الخبر كثيرا وقد ظهر ذلك في كلامها وهي تقول: عين العقل يا عمر، هه؟ تحب بقا اكلمها امتى؟

عمر: لا معلش يا ماما، سيبيلي الموضوع دة، انا هفاتحها بطريقتي.

فأقبلت عليه والدته ومنحته قبلة فوق جبينه وهي تقول له: زي ما تحب يا عمر، وربنا يسعدك يا بني، ياللا تصبح على خير بقا.

عمر: وانتي من اهله يا ماما.

وخرجت وداد من عنده تتهادى في خطواتها وقد ارتاح بالها من ناحية اكثر امر كان يشغلها في هذه الفترة، اما عمر فقد اتخذ قراره عن شبه اقتناع، فالزواج من فتاة لها نفس مميزات دارين ليس بالامر السيء ع الاطلاق، وعلى اقل تقدير فانه افضل من الجري وراء سراب اسمه الحب كما قالت والدته.

الفصل الثالث والعشرون

خرجت غادة وصديقتيها وفاء ومنى من المحاضرة وهن ينفثن بغيظ، فقالت غادة: انا مش عارفة ايه الدكتور دة؟ دة كان ناقص يدينا محاضرات لحد يوم الامتحان.

منى: لا وايه؟ مفيش حاجة ملغية.

وفاء بشيء من الرضا: سيبوها على اللّه يا بنات، المهم بقا مين هتيجي الدرس معايا بكرة؟

منى: هو هيتكلم عن ايه؟

وفاء: عن درس جميل جدا اسمه الحب.

وكأنها قد لمست وترا حساسا عند غادة،
فقد هزتها الكلمة من الاعماق، لذا قالت
بلا تردد على امل ان تحصل على علاج
لمرضها المستعصي: انا جاية معاكي ان شاء
اللّه.

****
*

اما دارين، فبعد ان حصلت على اذن سميرة
وفؤاد، ذهبت الى صديقتها سارة لتتذاكران
سويا، ولان عمر كان معهما ففضلوا ان
يستخدموا حجرة الطعام، فجلس هو في
المنتصف بينهما وبدأ يشرح لهما النقاط
التي يصعب عليهما فهمها، وكل منهم كان
يحمل بداخله مشاعر مختلفة عن الاخر،

فعن عمر فكان ينظر الى دارين بين الحين
والاخر دون ان تلاحظ وكأنه يتأكد من
صحة قراره، ومن ناحية دارين فكانت
تحاول ان تركز اهتمامها على كل ما
يشرحه عمر حتى تستطيع ان توفي بوعدها
لاخيها وهي تنتظر بفروغ صبر يوم تلقاه
فيه، اما فيما يتعلق بسارة فكانت نظراتها
التي تشع بهجة منقسمة بين عمر ودارين،
فقد اخبرتها وداد بقرار أخيها ومنذ تلك
اللحظة وهي تحاول ان تتخيل دارين
كزوجة لاخيها بل تحاول ان تتخيلهما وهما
يجلسان جنبا الى جنب في ليلة عرسهما
بثياب الزفاف، ثم فجأة قالت لهما مقاطعة ما
كان يقوله عمر وهي تنهض وتدلك

عضلات رقبتها: لا انا مش قادرة،مين فيكم هيشرب حاجة معايا؟ دارين؟

فردت دارين بشيء من الخجل: لا، مش عاوزة، نكمل احسن عشان ما اتأخرش.

فقال لها عمر بشيء من الاهتمام: ما تخافيش انا هبقا اوصلك، وانا شايف بصراحة ان سارة عندها حق احنا لازم ناخد رست شوية، اعمليلنا معاكي عصير فرش يا سارة.

سارة بابتسامة ماكرة: من عيوني يا باشمهندس.

وخرجت سارة مندفعة لتجد وداد امامها فسألتها هذه الاخيرة: ايه يا سارة؟ خلصتوا؟

فوضعت سارة اصبعها على فمها وهي تقول لها هامسة: هسسسسس، لا لسة، بس انا اتحججت اني هعمل حاجة نشربها عشان اسيبهم مع بعض شوية يمكن ربنا يفك عقدة لسان ابنك.

وداد بثقة: عمر مادام اقتنع بينفذ على طول، انا متأكدة من كدة.

فقالت لها سارة بلهجة مرحة: نفسي يا وداد هانم يكون عندي نفس شخصيتك القوية دي.

فابتسمت وداد بمرح وهي تقول لابنتها: طب ياللا روحي شوفي كنتي هتعملي ايه؟

اما امام طاولة الطعام فحاولت دارين التظاهر بالانشغال في الكتاب الذي امامها فقد شعرت بالخجل من وجودها وحدها مع عمر وخصوصا وهو يركز نظراته عليها بهذا الشكل.

وفجأة ولدهشتها، اخذ عمر الكتاب من امامها ونحاه جانبا، وردا على نظراتها الدهشة قال لها: دارين! انا كنت عاوزة اكلمك في موضوع مهم.

دارين: خير يا عمر؟

عمر وقد اعد ما سيقوله لها سابقا ورغم ذلك شعر بالتردد في البداية الى ان قال اخيرا لها: بصراحة انا بعد ما فكرت كتير

وطبعا بعد زن ماما عليا وكمان سارة لقيت اني لازم أتجوز، وانا شايف انك أنسب انسانة ليا.

في البداية لم تستوعب المعنى الذي يريد ان يوصله اليها من خلال كلامه، لذا سألته مستوضحة: قصدك ايه؟

عمر: دارين انا عاوز اتقدملك.

احتاجت بضعة ثوان حتى تتمالك نفسها من الصدمة، وقد اعطاها عمر العذر لذلك فربما لم تكن تتوقع شيئا كهذا او انها لم تفكر فيه بهذا الشكل كما لم يفعل هو منذ وقت ليس ببعيد، اما دارين فكان الامر بالنسبة لها مختلفا تماما عن كل هذا، فلقد

كانت مفاجأتها نابعة من شدة سعادتها التي لم تستطع ان تظهرها علانية، فلقد كان عمر بشخصيته التي احبتها هو فارس الاحلام الذي ودت ان يكون من نصيبها ولكنها لم تتوقع ان يكون الامر بهذه السرعة المذهلة وهذا ما جعلها لم تلحظ انه لم يذكر شيئا مطلقا عن الحب او تعلقه بها، لذا قالت متلعثمة وهي تتجنب النظر اليه حتى لا يلاحظ وجنتيها شديدتي الاحمرار: عمر، انا........

فقاطعها عمر قائلا بتفهم: انا مش طالب منك رد دلوقت، انا عارف ان الموضوع جه فجأة عشان كدة انتي من حقك تاخدي وقتك وتفكري براحتك، ولو رفضتي

تأكدي ان مفيش حاجة بينا هتتغير انتي هتفضلي بردة اخت عزيزة انا بحبها وبحترمها، اما لو وافقتي فتقدري تحدديلي ميعاد مع اخوكي عشان اقابله بعد ما يرجع من السفر، هو مش هيرجع قريب ان شاء اللّه؟

فقالت دارين بحزن: مش عارفة هو بيقول انه مشغول جدا دة حتى في الاجازة احنا اللي هنروحله.

عمر: ع العموم مفيش مشكلة،يرجع بالسلامة ان شاء اللّه، واول ما ييجي بلغيني بس دة طبعا مش قبل ما تكوني قررتي انتي عاوزة ايه؟

فيما يتعلق بها فلقد قررت حتى من قبل ان

تعلم بنواياه من ناحيتها، المهم في الموضوع

هو ما سيكون عليه قرار اخيها مازن!!!!

****

وبمرور الوقت ازدادت دارين تعلقا بعمر وبدأ هو نفسه يقتنع تماما بأنها بالفعل ستكون الزوجة المناسبة له وقد اخبرته هي بموافقتها عليه ولكنها في انتظار الوقت المناسب حتى تخبر اخاها وقد شرحت له كم ان الامر صعب بسبب تعلق مازن الشديد بها حيث انه ربما يرفض الارتباط لهذا السبب، اما عمر فقد كان متفهما لأكبر درجة تجاه هذا الامر لذا وافق على الا

يستعجلان في اخباره بالامر، وتمر السنون وتزداد علاقتهما عمقا لدرجة ان شعر عمر او توهم بأنه يحبها وربما كانت بذور ذلك الحب انغرست في فؤاده منذ اللحظة الاولى التي رآها فيها ولكنها لم تؤت ثمارها الا مؤخرا، اما مازن فقد حاول توسيع عمله في الغردقة مما اعطاه حجة اكبر للابتعاد عن دارين في تلك الفترة وكان يطلب من فؤاد ان ياتي بها وبأسرته في اوقات الاجازات، وحتى في هذه الاوقات حرص ان يكون مشغولا معظم الوقت حتى يقل اجتماعه بها تنفيذا لنصيحة صديقه، فهو يحافظ عليها حتى من نفسه.

اما عن غادة فقد اصبحت صداقتها بوفاء متينة للغاية وواظبت معها على حضور دروس الفقه و التحفيظ وكذلك مشاركتها في بعض الاعمال الخيرية التي كانت تقوم بها، وقد اصبحت ثيابها اكثر اتساعا عن ذي قبل كما انها اطالت طرحتها بعض الشيء مما اعجب والدها كثيرا حتى نصحها بأن تزداد تقربا من تلك الصديقة، ولكن مع ذلك كان هناك ما ينغص تلك الحياة المليئة بالراحة والسكينة وكان ان باحت لصديقتها بما يجول في خاطرها ذات يوم وهما تذاكران سويا في بيت وفاء، وقد ترددت قليلا قبل ان تبدأ: وفاء! انا كنت عاوزة اخد رأيك في حاجة كدة، بس مش

عارفة ابدأ منين؟ ولا اقولهالك ازاي؟

بصراحة انا محرجة جدا.

شعرت وفاء بالقلق من تلك الدباجة

فسألتها: قولي يا غادة، مالك؟ فيه ايه؟

غادة: فاكرة الدرس اللي احنا حضرناه في

سنة اولى اللي كان بعنوان الحب؟

وفاء: اه فاكراه، ماله؟

غادة: الدرس دة بجد اثر فيا جدا ومن

ساعتها حاسة بذنب كبير لاني... لاني.....

وتوقفت لا تعلم كيف تنطقها، فحثتها وفاء

على ان تكمل: لانك ايه يا غادة؟ كملي.

غادة: انا بحب.

وفاء مصدومة: بـ...ايه؟ بتحبي ازاي يعني؟

فقالت غادة شارحة: مش عارفة، هو كان اول ولد عيني تقع عليه اخو دارين اللي انتي شوفتيها، من ساعة ما وعيت ع الدنيا وانا حاسة بمشاعر انجذاب كدة ناحيته مش قادرة افسرها غير بكدة، هو انسان كويس جدا وراجل جدا جدا جدا بيشيل مسئولية اي حاجة واي حد، ومع انه دلوقت بعيد بس مش قادرة ابعده عن تفكيري وبيوحشني اني اشوفه اوي، بس المشكلة اني بقيت حاسة ان دة كله حرام ومش عارفة اعمل ايه؟ مش بايدي.

وفاء وهي تحاول ان تحلل كل ما تسمعه من صديقتها بموضوعية: طيب هو بيبادلك نفس الشعور؟

غادة: مش عارفة، بس اللي اعرفه انه مش بيفكر غير في اخته دارين ومستقبلها.

وفاء: طيب تفتكري حبك دة ممكن يكون اخره ايه؟

غادة بحيرة: بردو مش عارفة، انصحيني يا وفاء، هو انا بجد ممكن اكون برتكب ذنب بشعوي دة؟

وفاء: اللّه اعلم احنا ممكن نسأل الاستاذة عائشة المرة الجاية بس اللي اعرفه ان ربنا عمره ما هيحاسبنا على حاجة ملناش يد

فيها ومعروف ان القلب صعب ان الانسان يتحكم فيه او يوجهه وعشان كدة الرسول قال (اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك) والفقهاء بيقولوا ان الرسول هنا كان يقصد بما لا يملك هو الميل القلبي وكان دايما بيدعو ويقول(اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك(

اما اللي احنا نملكه بقا اننا ننفذ تعاليم الدين يعني حبنا دة ما يخليناش نعصي ربنا، انا قبل كدة حضرت درس تقريبا كان عن نفس الموضوع وساعتها الشيخ قسم الحب نوعين محرم ومحلل وقال : ان الحلال منه هو إذا كان مجرد مشاعر أما لو تحول الحب إلي

سلوك كلمسة وقبلة والكلام اللي بنسمع

عنه دة ففي الحالة دي يكون حكمه

حرام، وانا شايفة انك اعقل من انك

توصلي للمرحلة دي مهما كانت المغريات،

مش كدة؟

فقالت غادة وهي ترد عليها بابتسامة راحة

بعد ما سمعته: صدقيني ولا حتى مازن

نفسه.

****

****

وجاءت السنة الدراسية النهائية لدارين وقد

توطدت علاقتها بعمر واصبح حتما على

كل منهما ان يرى الاخر كل يوم مرة

واحدة على الاقل في وجود سارة بالطبع

والتي في بعض الاحيان تتذرع باحد الاسباب لتتركهما وحدهما بضعة دقائق، وفي يوم ما قام عمر بدعوتهما على تناول الغداء في احد المطاعم وبعد ان طلبوا الطعام الذي يودون تناوله قالت سارة تستأذن من كليهما: خمس دقايق بس هروح الحمام واجي.

ثم اشارت باصبعها لهما محذرة: اياك حد فيكم يمد ايده ع الاكل بتاعي فاهمين؟

ثم تركتهما وهما يضحكان بمرح، وما ان رحلت قالت دارين معلقة: سارة دي ملهاش حل.

فسألها عمر مداعبا: طيب وبالنسبة لاخو سارة؟

لم ترد دارين بل اكتفت بابتسامة خجولة وردت وجنتيها، لم يلح عمر في سؤاله، بل قال عوضا عن ذلك: هو مازن بردو ما قالش هييجي امتى؟

دارين: مش عارفة هو من ساعة ما سافر لحد دلوقت مجاش ولا مرة احنا بس اللي بنروحله في الاجازات.

عمر: ع العموم مفيش مشكلة، بعد امتحانات السنادي ان شاء الله لو هو مجاش، لما تسافريله قوليله اني عاوز اقابله ولما يوافق انا هسافرله.

دارين: طب لو ما وافقش؟

عمر: و ايه اللي هيخليه ما يوافقش؟
تفتكري ممكن يعترض عليا مثلا؟

دارين موضحة: لا، هو ممكن يعترض على فكرة جوازي في حد ذاتها، انت ما تعرفش علاقتي بمازن شكلها ايه؟ احنا مش زي اي اخ واخت، مازن دة هو اللي مربيني وزي ما هو بالنسبالي الاخ والاب والصديق انا بالنسباله كل حاجة وصعب انه يتخلى عني بسهولة.

فقال عمر معترضا: دة بيتهيألك، لو هو صحيح زي ما بتقولي، فأكيد هيكون كل امانيه انه يشوفك سعيدة مع الانسان اللي اختارك واخترتيه وبكرة تشوفي.

وفي تلك اللحظة دخلت المطعم غادة وصديقتيها، حيث قد قررت وفاء فجأة دعوتهما لتناول العصائر في احد المطاعم المتميزة بمناسبة اطمئنانها على استقرار حالة ابيها الصحية، فقالت غادة بلهجة مرحة: ربنا يخليك لينا يا عمي محمد يارب عشان بنتك الغالية تعزمنا كدة على طول ونشوف المطاعم الشيك دي.

فقالت لها وفاء مشاكسة: ايوة ياختي، بس ما تاخديش على كدة.

وفجأة اختفى المرح من وجه غادة وهي تنظر الى تلك الطاولة هناك وقد تحققت من تلك الفتاة التي تجلس عندها، فاستأذنت

من صديقتيها وقد بدتا مندهشتين من تصرفها: ثانية واحدة يا بنات.

اما دارين فقد كانت منشغلة في حديثها مع عمر كما انها كانت تولي ظهرها لهن لذا لم تر غادة الى ان سمعت صوتها اتيا من الخلف: دارين!

بدا وجه دارين شاحبا حين رأتها، وقد ظهر عليها الارتباك وهي تقول: غادة! انتي بتعملي ايه هنا؟

فردت غادة ببساطة: انا هنا مع صاحباتي.

ثم سألتها وهي تشير بعينيها ناحية عمر: انتي بقا اللي بتعملي ايه هنا؟

وقبل ان ترد دارين، فقد تولى عمر زمام الامور واجاب هو بالنيابة عنها: دارين هنا بتتغدى معايا انا واختي سارة، اسمحيلي اقدملك نفسي، انا الباشمهندس عمر يوسف الهواري معيد في كلية دارين واخو صاحبتها، وسارة اختي في الحمام وجاية دلوقت، اتفضلي اتغدي معانا.

فتجاهلت غادة تلك اليد الممدودة اليها وهي تجيب: شكرا يا باشمهندس، عن اذنكم عشان اصحابي مستنييني.

ثم رحلت تاركة دارين تندب حظها الذي اوقعها في موقف كهذا، وقالت معبرة عن قلقها: ربنا يستر، اكيد هتقول لباباها

ومامتها وطبعا هيوصل الموضوع لمازن وتبقى مشكلة.

فقال لها عمر محاولة بث الطمأنينة اليها: ما تقلقيش احنا ما بنعملش حاجة غلط.

ثم اكمل وهو ينظر الى شيء خلفها: ادي سارة جاية ودة هيأكدلها كلامنا، حتى لو وصلت الموضوع لحد فبردو مش مشكلة ويبقا دة سبب ادعى اني اتقدملك بسرعة.

لا تعلم لم دائما يريحها كلامه وتطمئن له؟؟ وبالفعل جاءت سارة وتناولوا غداءهم وقد لاحظ عمر نظرات غادة اليهم بين الحين والاخر والتي كانت تدل على

الاهتمام والفضول وليس غير ذلك مما جعله لسبب لا يعلمه يطمئن من ناحيتها.

****

عادت دارين الى المنزل قد بدأ القلق يراودها من جديد حيث قد لاحظت مغادرة غادة ورفيقتيها المطعم قبلهم، وقد شكت في انها ربما سبقتها الى المنزل لتخبر والديها، وعكس ما توقعت فقد استقبلتها سميرة ثم زوجها فؤاد بنفس الطريقة التي اعتادتها كل يوم مما جعلها تعتقد ان غادة لم تعد الى البيت بعد، ولكن لدهشتها عندما دخلت حجرتهما وجدت غادة منكبة امام مكتبها على احد الكتب، وبعد ان ابتلعت ريقها، ألقت بالتحية: السلام عليكم.

فردت غادة بنبرة طبيعية دون ان ترفع عيناها عن الكتاب: وعليكم السلام ورحمة اللّه وبركاته.

وضعت دارين دفترها وحقيبتها على مكتبها والذي كان يخص مروة من قبل، ثم بدأت تفك حجابها امام المرآه وهي تتوقع بين الحين والاخر ان تقوم غادة بفتح الموضوع ولكن لم يحدث شيء من هذا، لذا وبعد ان ابدلت ثيابها، جلست على السرير المقابل لها وقالت بتردد: غادة!

فنظرت اليها غادة متسائلة: نعم يا دارين؟

دارين: انتي قولتي لعمي وطنط ع اللي حصل؟

غادة بمراوغة: وهو ايه اللي كان حصل؟

فقالت دارين وهي تشعر بالحنق من تلك المراوغة: انك يعني شوفتيني في المطعم مع سارة واخوها.

فوجهت اليها غادة سؤالا مباشرا: دارين! هو انتي ايه بينك وبين اللي اسمه عمر دة؟ في البداية يدافع عنك ضد علاء ودة كان من اربع سنين، ودلوقت يعزمك ع الغدا.

فقالت دارين بصراحة: في الحقيقة عمر عاوز يتقدملي من زمان بس كل شوية نأجل الموضوع لحد ما مازن يرجع من السفر.

غادة: وهتفضلوا مأجلينه كدة على طول؟

فاندفعت دارين تقول مدافعة: لا، هو قالي لو مازن ما نزلش السنادي فهو هيسافر الغردقة عشان يقابله.

فابتسمت لها غادة باحتواء تقول لها وهي تقترب منها وتجلس بجوارها: دارين! ربنا يعلم اد ايه انا بحبك وبتمنالك الخير وعشان كدة بخاف عليكي وانتي كمان لازم تكوني واثقة ومتأكدة من ان الشخص دة بيحبك لدرجة انه يخاف عليكي حتى من نفسه ويتقي ربنا فيكي، وما يحاولش انه يعمل معاكي اي شيء ممكن يغضب ربنا فيه عشان ربنا يكافئكم في النهاية ويجمعكم مع بعض في الحلال.

فقالت دارين بثقة: دي حاجة انا متأكدة منها جدا يا غادة، والله من ساعة ما عرفت عمر وهو ما حاولش انه يتعدى حدوده في اي حاجة ولا حتى بالكلام، والله هو انسان كويس جدا.

غادة: ع العموم ربنا يسعدكم.

ونهضت لتعود مرة اخرى الى مذاكرتها ولكن استوقفها سؤال دارين المباغت: غادة! انتي عمرك ما حبيتي؟

احتاجت غادة لبعض الوقت كي تستجمع شتات عواطفها وهي تتذكر صورته والتي كانت تحاول بكل قوتها ان تبعدها عن ذاكرتها ولكن قلما تنجح في ذلك.

ولما طال صمتها قد استنتجت دارين الجواب،

فكان سؤالها التالي: طب هو مين، حد اعرفه؟

وهنا لم تجد كلمات ترد بها سوى بتلك الابيات لنزار قباني:

لا تسألوني ما اسمه حبيبي أخشى عليكم ضوعة الطيوب

واللّه لو بحت بأي حرف تكدّس الليلك في الدروب

ترونه في ضحكة السواقي في رفّة الفراشة اللعوب

في البحر في تنفّس المراعي وفي غناء كلّ عندليب

في أدمع الشتاء حين يبكي وفي عطاء الديمة السكوب

محاسن لا ضمّها كتاب ولا ادّعتها ريشة الأديب

لا تسألوني ما اسمه كفاكم فلن أبوح باسمه حبيبي

****

وتتوالى الايام سريعا حتى كان اخر يوم في الامتحانات، وقد جلس مازن بجوار عبدالرحمن في سيارته وعلى وجهه سعادة لا تستطيع الكلمات وصفها، فقال عبدالرحمن الذي كان يتولى عجلة القيادة: حمدالله ع

السلامة يا مازن، كل دة غياب يا راجل؟ دة احنا حسينا انك نسيتنا خلاص.

مازن بصوت مليء بالشجن: انت عارف انه كان غصب عني يا عبده، وربنا يعلم الايام هناك كان بتعدي عليا ازاي؟

فقال عبدالرحمن متفهما: عارف يا صاحبي، قولي هو حد يعرف انك جاي النهاردة؟

علم مازن انه يقصد شخصا بعينه فأجاب مبتسما: لا هي ما تعرفش، عاوز اخليهالها مفاجأة.

عبدالرحمن: انت مش شايف انها كفاية عليها مفاجأة واحدة؟ بقولك ايه؟ انا اشتريت شقة وشبه متجهزة كمان، ايه

رأيك تروح تستريح فيها النهاردة وبكرة بقا يبقا يعدلها ربنا؟

كان يعلم مازن غرض صديقه من عرض هذا الاقتراح، فهو يريد تأجيل تلك المواجهة العاصفة بينه وبين دارين كما يتوقع، ولكن مازن كان له رأي آخر: كفاية تأجيل بقا يا عبدالرحمن، انا بصراحة ما بقتش مستحمل بعدها عني اكتر من كدة.

عبدالرحمن: المهم انك ما تبقاش متوقع انك اول ما تقولها الحقيقة وتعترفلها بمشاعرك تقوم هي تترمي في حضنك وتوافق ع الجواز على طول.

مازن: انا عارف انها طبعا هتتصدم في البداية، لكن اعتقد لما تعرف اننا مش هنبعد عن بعض واني هفضل دايما جنبها دة هيخفف من وطأة الخبر.

عبدالرحمن بدعاء: ربنا يقدملك اللي فيه الخير يا صاحبي.

****
****

عادت دارين الى بيتها تغمرها السعادة فلقد انتهت الامتحانات، بل انتهت الدراسة بأكملها، وحان الوقت لتبدأ حياة جديدة تقتصر عليها وحدها هي وعمر، ولكن قبل ذلك عليها ان تجتاز اكبر عقبة في طريقها الا وهي اخبار مازن بذلك، لذا فلم

تتجه الى شقة فؤاد ككل يوم بل ذهبت الى الجهة المقابلة حيث شقتها هي ومازن، فقد ارادت ان تحادث اخاها هاتفيا وحدهما بعيدا عن اي اذان اخرى، وفتحت الباب بمفتاحها الخاص، وكانت الشقة كما هي فقد كانت تأتي امرأة كل اسبوع تتولى نظافتها وترتيبها، وتوجهت دارين على الفور الى حجرتها واغلقت بابها لمزيد من الحرص رغم انه لا يوجد غيرها بالمكان، و اخرجت الهاتف من حقيبتها وضغطت على عدة مفاتيح به ثم وضعته على اذنها تنتظر الرد، وما ان حصلت عليه حتى قالت وهي تبتسم بسعادة: وعليكم السلام، ازيك يا مازن عامل ايه؟......... اه انا الحمد للّه

تمام...... ايوة النهاردة كان اخر يوم امتحانات........ انت جاي ولا هنجيلك زي كل مرة؟ .... ايه بتقول ايه؟

ولدهشتها التي الجمت لسانها لدقيقة او دقيقتين، وجدت ان باب حجرتها يفتح على اخره ليظهر مازن نفسه امامها بهيئته الساحرة يبتسم لها ويقول وهو لا يزال واضعا الهاتف على اذنه، بينما سقطت يدها الممسكة بالهاتف بجانبها: لا المرادي بقا يا دارين انا اللي هاجي.

الفصل الرابع والعشرون

مشاعر كثيرة مختلطة داخلها لا تستطيع وصفها فور رؤيته أمامها ولكن كلها تعبر عن السعادة والشوق واللهفة، وما ان استوعبت المفاجأة حتى القت بهاتفها على السرير وجرت نحوه ترتمي في حضنه وهي تهتف باسمه: مازن! وحشتني اوي اوي.

اما مازن الذي كان يتوق بشدة الى مبادلتها العناق الا انه كان يتحلى بالقوة التي تجعله يقاوم تلك الرغبة منذ اللحظة التي علم انه لا يحق له ذلك، ثم وبرفق استطاع ان يبعدها عن ذراعيه واطال النظر اليها وهو

يلاحظ كم تغيرت فتاته الصغيرة كثيرا واصبحت انثى بكل ما في الكلمة من معنى، بل انها تعد الانثى الوحيدة التي في حياته والتي لا يتمنى غيرها وقريبا جدا ستكون له وللأبد، ثم تحدث اخيرا ليقول لها وعيناه تشعان دفئا وحنانا: عاملة ايه يا دارين؟

دارين بصدق: بقيت بخير اول ما شفتك، مازن ارجوك ما تسافرش تاني.

كم يسره كلامها هذا كثيرا! فقال لها: انا فعلا مش هسافر تاني خلاص..

ثم اكمل بنبرة خاصة: غير وانتي معايا.

ابهجها هذا الخبر كثيرا، ليس فقط لان اخيها قرر الا يبعد عنها مجددا ولكن ايضا لانه يمكنها الان ان تخبره بذلك التغير الذي طرأ على حياتها والذي يتلخص في كلمة واحدة وهي "عمر"، فقالت له بارتباك وهي تفرك اصابعها بشدة: مازن! انا عاوزة اعترفلك بحاجة.

فقال لها مازن وقد اصبح وجهه اكثر جدية: وانا كمان يا دارين عاوزة اعترفلك بحاجة.

ماذا؟! يعترف لها؟ معقول؟ فهل وجد هو ايضا شريكة حياته كما فعلت هي؟! ان كان الامر كذلك بالفعل فقد حلت مشكلتها وسيتقبل مازن امر زواجها بسهولة، هكذا

كان لسان حالها في تلك اللحظة، فسألته وهي تحاول اخفاء سعادتها: خير يا مازن؟

قول.

فأخذ مازن بيدها واجلسها بجواره على السرير وهو يقول لها: لا، قوليلي انتي الاول عشان انا الموضوع اللي هكلمك فيه هياخد وقت طويل ومحتاج ان عقلك يكون صافي مش مشغول بحاجة تانية.

فقالت دارين لنفسها لا ضرر في ان تبدأ هي اولا فلعله يخشى اخبارها بالامر لانه يعلم بمدى تعلقها به وربما لن تتقبل أمر زواجه ولعلها ان اخبرته بأنها ايضا ستتزوج سيسهل عليه الامر اكثر لذا استجمعت شجاعتها

لتقول له ووجهها يشع بهجة: مازن! انا فيه واحد عاوز يتقدملي.

مازن: ايه؟!!!!!!!!!!!!

صاح بها وهو لا يصدق ان ما سمعه صحيح، فهل هي حقا تخبره بأن هناك شخصا ما سينتزعها منه؟! هل ذلك الوجه الباسم امامه يدل على انها ارتضت بالابتعاد عنه؟! هل توافق ان تكون مع اخر سيسلب منه حقوقه عليها، بل سيكون له حقوقا اكبر؟!!!!!!!!!!

اما دارين التي كانت تتوقع صدمته في البداية فلم تلحظ ان ردة فعله كان مبالغا فيها لذا استمرت تقول شارحة الامر: هو اخو

واحدة صاحبتي ومعيد عندنا في الكلية افتكر اني كلمتك عنه قبل كدة، بصراحة هو كان عاوز يقابلك من زمان بس كان مستني انك ترجع من السفر، مازن! مازن! انت سامعني؟

بالطبع كان يسمعها جيدا ولكنه لا يستطيع ان يتقبل فكرة انها ستكون ملكا لشخص اخر سواه، ملامحه الصلبة الباردة كانت اكبر دليل على ذلك، لذا كان رده القاطع العنيف وهو يهم بالخروج من حجرتها حتى لا يحدث منه ما لا يحمد عقباه: مش هيحصل يا دارين، مش هيحصل ابدا.

وخرج ليغلق الباب خلفه بعنف لدرجة ان

دارين لم تتحمل ذلك الصوت فوضعت يديها

على اذنيها وهي لا تعلم ما سبب ذلك؟ فهو

حتى لم يكلف نفسه لمناقشة الامر معها؟

الا يعلم انها لم تعد تلك الطفلة الصغيرة

التي تتقبل اي امر يخبرها به دون ان يكون

لها حق الاعتراض؟ فمتى سيستوعب اذن

حقيقة انها اصبحت راشدة يمكنها ان

تحكم على الامور بموضوعية ومن حقها

حرية الاختيار؟!

****

جلس عبدالرحمن خلف مكتبه في

الشركة منهمكا في العمل في حين رن

الهاتف فرفع السماعة ورد قائلا: السلام عليكم..... ايوة يا مازن.... في المكتب يعني هكون فين؟..... لا الموبايل فصل مني وحاطه ع الشاحن ونسيت أفتحه.

ثم تغيرت تعابير وجهه الى القلق: اللّه! فيه ايه يا مازن؟ مالك؟ طيب نتقابل بعد ربع ساعة ان شاء اللّه في شقتي خد العنوان.

وأملاه العنوان ثم ما انهى المكالمة حتى وضع السماعة مكانها على عجل ونهض من كرسيه وهو يلم اشياءه سريعا واتجه ناحية الباب وفتحه ليجد حسام امامه فيصطدم به، فقال حسام له معنفا: جرى ايه يا اخي؟ ما تفتح؟ مالك عامل زي القطر كدة؟

فاعتذر منه عبدالرحمن سريعا دون ان يهتم ليسأله عن سبب عودته من السفر في هذا الوقت: معلش يا حس، اشوفك لما ارجع، خلي بالك من المكتب،ياللا سلام.

فعلق حسام بعد ذهابه مازحا وهو يتجه ناحية المكتب ليأخذ مكانه: اما عالم مجانين صحيح.

وبعد ان جلس خلف المكتب اغلق الملف الذي كان يراجعه عبدالرحمن قبل ذهابه، ثم اسند ظهره الى الكرسي واخذ يلف به هنا وهناك قاصدا الاسترخاء، وفجأة وقعت عيناه على الهاتف الخلوي الخاص بعبدالرحمن وكان موصلا بالشاحن، فمد

يده ناحيته وهو يقول بمرح: وكمان سايب تليفونه؟ ويا ترى بقا عليه العاب ولا لا؟

لم يتردد حسام في فتح الهاتف واخذ في تصفح محتواياته من البرامج وفي نفس الوقت رفع سماعة الهاتف الداخلي للمكتب وقال من خلاله: ايوة يا أمل ابعتيلي فنجان قهوة مظبوط لو سمحتي.

ثم اعاد السماعة الى مكانها مجددا واستمر في البحث في الهاتف، ثم وفجأة هتف بصيحة فرح: اللّه! اخيرا شطرنج؟

ثم اكمل بعد ان اختفت فرحته: بس انا ما بعرفش العب شطرنج.

وما لبثت ابتسامته الحماسية ان عادت مرة اخرى وهو يقول: بس مفيش مانع اني اجرب.

وقبل ان يقوم بفتح اللعبة اهتز الهاتف في يده وتصاعدت رناته، فنظر حسام الى شاشته في حيرة وتردد، ولكنه استقر على الا يرد الى ان توقف الرنين، ولم تمر لحظات حتى رن مجددا ومجددا قد تجاهله، اما في المرة الثالثة أحسن بأن الامر ربما يكون هاما، لذا فتح المكالمة ووضع الهاتف بالقرب من اذنه وتعمد الا يكون هو مفتتح المحادثة، فأتاه ذلك الصوت الانثوي ذات البحة الخفيف وهو يقول وقد بدا قلقا:

السلام عليكم،ايوة يا عبدالرحمن الحقنا والدك تعبان اوي.

حسام بلهفة: ايه؟ طب انتوا فين؟

ايمان: في البيت

حسام: طب ثواني وهبقا عندكم

لم ينتظر حسام لسماع المزيد، حتى انه لم يهتم بتعريف نفسه او بالتوضيح انه ليس عبدالرحمن بل قفز من مكانه حاملا في يده الهاتف ثم اندفع خارج المكتب.

****
****

كان مازن يتحرك في قاعة الاستقبال بشقة عبدالرحمن الخاصة كالأسد السجين خلف قضبان القفص وهو في احدى حالات هيجانه الشديدة، اما عبدالرحمن

كان يجلس ويراقبه بنظرات قلقة وقد يأس من محاولات تهدئته فقال اخيرا بصوت حاد قليلا: ما تهدى شوية بقا يا مازن وتخلينا نعرف نفكر كويس.

وقف مازن ينظر اليه بغضب، وهو يقول ثائرا: نفكر في ايه يا عبدالرحمن؟ بقولك دارين عاوزة تتجوز حد غيري، انت مستوعب كويس اللي انا بقوله دة؟

عبدالرحمن محاولا السيطرة على نبرة صوته قليلا: ايوة يا مازن مستوعب، وانا مش شايف انها غلطانة على فكرة.

وكأنها الشرارة التي اشعلت النيران في قلبه ليقول وقد ازداد غضبه: مش غلطانة؟ مش

غلطانة انها اختارت غيري؟ مش غلطانة انها عاوزة تعيش مع انسان تاني وتبعد عني؟

لم يفقد عبدالرحمن هدوئه وهو يرد عليه:
ايوة يا مازن دي مش غلطتها دي غلطتك انت، انت اللي اجلت لحظة المصارحة دي ودة اللي خلاك لحد دلوقت في نظرها الاخ اللي بتحبه وبتقدره وبتعتمد عليه وحاسة ان هو هيبقا الضهر اللي هتستند عليه ويدعمها في اليوم دة اللي هتيجي تصارحه وتقوله انها اختارت خلاص شريك حياتها.

هزه كلام صديقه بشده وقد استبدل غضبه بحزن عميق في داخله وهو يقول بينما يتهاوى جسده على الاريكة التي

كانت أقرب اليه: كنت عاوز اديها فرصة عقلها يكبر وتقدر تستوعب الحقيقة كويس، ما كنتش عاوز اصدمها في فترة هي محتاجة فيها اكتر للهدوء والسكينة، بس ما كنتش فاكر ان كل دة هيحصل وانها ممكن تفتح قلبها وعقلها لحد غيري.

فانتقل عبدالرحمن من كرسيه الى جواره على الاريكة ليربت على كتفه وهو يشعر بالشفقة تجاهه: اهدى بس يا مازن، طيب انت تعرف الشخص دة؟ قابلته قبل كدة؟

فقال مازن بحنق وهو يصر على اسنانه: لا، بس لو شفته انا ممكن اقتله.

عبدالرحمن برزانة: استغفر ربك يا مازن وما تسمحش للشيطان انه يلعب بعقلك.

مازن وهو يحاول ان يستعيد رباطة جأشه: استغفر اللّه العظيم، بس مش قادر يا عبدالرحمن، ومش عارف اعمل ايه؟

عبدالرحمن: تسمع نصيحتي؟

فقال مازن على الفور كالغريق الذي يتعلق بقشة: قول يا عبدالرحمن.

عبدالرحمن وهو يتردد قليلا خشية من رد فعل مازن: انا من رأيي انك تقابله الاول ولو تأكدت انه انسان كويس وتقدر تأتمنه على دارين يبقا توافق ع الجوازة.

التفت مازن ينظر اليه مصدوما وقد تفاجأ مما قاله: انت بتقول ايه يا عبدالرحمن؟ انت اكيد بتهزر.

فقال عبدالرحمن الذي لم تدل اي عضلة في وجهه على المزاح: لا يا مازن مش بهزر، دة اللي مفروض انه يحصل فعلا، اذا مقدر ان دارين تخسرك كزوج فبلاش كمان تخليها تخسرك كأخ ملهاش غيره في الدنيا.

فقال مازن و هو يكافح ان يخفي تلك النبرة الحزينة عن صوته ولكنه لم يفلح: مش هقدر يا عبدالرحمن، مش هقدر اشوفها مع واحد تاني غيري.

عبدالرحمن وهو يحاول اقناعه: بس دة اختيارها وانت لازم تحترمه.

وهنا عاد مازن الى حدته وهو ينهض من مكانه بعنف: يعني يوم ما اسمحلها بالاختيار تقوم تختار انها تبعد عني؟ لا يا عبدالرحمن انا مش ممكن استحمل حاجة زي دي.

عبدالرحمن مستفسرا: يعني عاوز تعمل ايه يا مازن؟

مازن باصرار يملأ عينيه: هقولها ع الحقيقة وهي اكيد هتقدر ان اللي حصل دة كان لمصلحتها وبعدها نتجوز.

عبدالرحمن: طب وافرض ان دة ما حصلش.

مازن: قصدك يعني انها ترفض تتجوزني؟

وعندما نظر الى عيني صديقه ليجد تأكيدا فيهما،فقال بيقين لا يقبل الشك: مستحيل طبعا، انت ما تعرفش علاقتي بدارين شكلها ايه؟ دي اكيد ما هتصدق انها تعرف الحقيقة عشان تطمن ان عمرنا ما هنفترق ابدا بعد كدة.

لم يرض عبدالرحمن ان يصدم صديقه ويعيد على مسامعه نفس الكلام بأنها قد اختارت غيره بالفعل، ولكن عوضا عن ذلك فضل مجاراته الى النهاية:انا بقول افرض يا مازن، ساعتها بقا هتتجوزها غصب عنها؟

دار السؤال في عقله عدة مرات وكأنه يفكر في الرد، فهل ها فعلا ما يريده؟ ان تصبح ملكه حتى وان كان رغما عنها؟ وكان الرد الذي انطلق به لسان صديقه: طب لو دة حصل، تفتكر هتبقا سعيد وقتها؟ يا مازن ممكن يكون فيه جواز بالاكراه لكن مستحيل يكون فيه حب بالاكراه.

فور ان نطق عبدالرحمن بذلك المصطلح العجيب، سمعا صوت هاتف الشقة، فاندهش عبدالرحمن في البداية قبل ان يرد فلم يخطر في باله ان هناك من سيتوقع وجوده في تلك الشقة التي نادرا ما يستخدمها:

السلام عليكم، ايوة يا حسام انت عرفت اني هنا منين؟

فقال حسام وهو يتميز من الغيظ بينما يقف في رواق شقة العائلة الخاصة بعبدالرحمن: هو دة كل اللي هامك يا بني ادم؟ انا عمال اتصل بيك في كل مكان ممكن تكون فيه لحد ما موضوع شقتك دي جات في بالي فجأة، انت اصلا بتهبب ايه هناك خلاك رحت بسرعة كدة وحتى نسيت تاخد موبايلك؟

فقال عبدالرحمن وهو يتذكر امر هاتفه فجأة: اه صحيح، دة انا سبته ع الشاحن.

فهتف حسام بحدة: في داهية الزفت يا سيدي اهو متلقح معايا.

عبدالرحمن وهو يأهب نفسه لصدمة اخرى، فيبدو انه يوم الصدمات التي تأتيه من اصدقائه: هو ايه اللي حصل يا حسام بس للعصبية دي كلها؟

حسام: والدك تعب فجأة وانا جبتله دكتور هو عنده دلوقت جوه.

فأصاب عبدالرحمن الذعر وهو يقول: ايه؟ طب انا جايلك حالا، سلام.

واغلق الهاتف، ثم قال لمازن وهي يستعد للمغادرة بعجلة: مازن انا اسف، هسيبك دلوقت لان ابويا تعبان وعنده الدكتور.

فقال مازن على الفور وهو ينسى مشكلته الخاصة لينشغل بما يتعلق بصديقه: طب انا جاي معاك.

فأوقفته يد صديقه التي امسكت كتفه بحزم: لا خليك، ان شاء اللّه خير وهبقا اطمنك اول ما اطمن عليه، بس يبقا فكر كويس في اللي قولتهولك.

ثم غادر تاركا مازن يزداد اعجابا به وبشخصيته فهكذا كان ولازال صديقه متفهما لكل من حوله وواضعا مصلحة الغير على مصلحته هو الشخصية، ثم عاد مازن ليغرق مجددا في مصيبته.

****

كان حسام لا يزال واقفا مكانه ينتظر خروج الطبيب وما هي الا دقيقتين كحد اقصى حتى انفرج باب حجرة النوم الخاصة بالشيخ سليم، وخرج منها الطبيب وبرفقته زوجة الشيخ و ايمان، فاندفع حسام نحوهم يسأل الطبيب بلهفة: هه يا دكتور طمنّي!

الطبيب بهدوئه المعتاد: اطمن حضرتك هو بس السكر ارتفع شوية لكنه الحمد للّه دلوقت بقا كويس، هو بس خلوه يستمر ع العلاج اللي بياخده لان شكله اهمله الفترة اللي فاتت ومع شوية تنظيم في الاكل هيبقا احسن ان شاء اللّه.

فقال حسام بتنهيدة ارتياح: الحمد للّه.

ثم شكر الطبيب ورافقه حتى باب الشقة
وعاد الى المرأتين يقول للأكبر سنا
مطمئنا: حمدالله على سلامة عمي يا طنط،
الحمد للّه ان الدكتور طمنا عليه.

فقالت له المرأة ممتنة: ربنا يطمن قلبك
يابني، احنا ما نعرفش من غيرك كنا
ممكن نعمل ايه؟

حسام: انا ما عملتش حاجة لكل دة يا
طنط، انا ابنكم بردو زي عبدالرحمن، مش
كدة ولا ايه؟

المرأة بصدق: اكيد يابني ، ربنا يخليكم
ويحميكم يا رب، انا هروح اطمن على
عمك، وانتي يا ايمان شوفي حسام هيشرب

ايه عقبال ما ابن خالتك ييجي، عن اذنك يابني.

حسام: اتفضلي يا طنط.

وبعد رحيلها، سألته ايمان التي لاحظ انها لم ترفع عينيها اليه حتى تلك اللحظة بحياء: تحب تشرب ايه يا باشمهندس؟

حسام: ياريت نسكافيه.

وذهبت ايمان لاعداد ما طلبه منها دون اضافة كلمة اخرى، فاتجه حسام الى الصالون ليرتاح من ذلك الارهاق العصبي الذي اصابه في خلال الساعتين الماضيتين، وقبل ان يستريح في مقعده، حتى سمع صوت جرس الباب، في البداية خمن انه ربما

يكون عبدالرحمن ولكن سرعان ما
استبعد الفكرة حين تذكر انه حاليا في
بيت عبدالرحمن بالفعل ومن المؤكد ان
لديه المفتاح الخاص به، ولعلمه بانشغال
الجميع، تطوع هو لفتح الباب ليفاجىء
بطفلين تقريبا في عمر ابني اخيه وكل
منهما يحمل في يده كتابا ودفترا وقلما

فسألهما: ايوة يا ولاد، عاوزين حاجة؟

فرد الاثنان بصوت واحد: عاوزين مس ايمان.

فردد مندهشا: مس ايمان!

وقبل ان تتاح له فرصة للاستفسار عن
المزيد لمحتهما ايمان التي كانت احضرت
النسكافيه له فاقتربت من الباب وقالت

موجهة حديثها للطفلين: ادخلوا يا ولاد استنوني في الانتريه وانا جايالكم حالا.

وعلى الفور اندفع الطفلان الى حيث طلبت منهما، وقدمت له ايمان كوب النسكافيه وهي تقول له: اتفضل حضرتك النسكافيه، وعن اذنك عشان عندي حصة بس لو احتجت حاجة ممكن تنادي عليا.

وفي تلك اللحظة كان هناك مفتاح يدار في قفل الباب فقالت ايمان معلقة: وادي عبدالرحمن وصل الحمد للّه.

ودخل عبدالرحمن كما توقعت ليسألهما وقد بدا عليه الفزع: خير يا جماعة، ابويا ازيه دلوقت عامل ايه؟

فقال له حسام مطمئنا: الحمد للّه لسة الدكتور ماشي وقال ان بس السكر ارتفع عليه شوية.

وخرجت الزوجة من غرفة زوجها ليهرع عبدالرحمن اليها مقبلا يديها: ازيه دلوقت يا امي؟

الام مبتسمة برضا: الحمد للّه يا بني، هو دلوقت بخير ونايم، ولما يصحى ان شاء اللّه يبقا ادخله

فقال عبدالرحمن وقد ارتاح باله قليلا: الحمدللّه.

الام وهي تشير الى حسام: بس الفضل بعد ربنا هو لحسام صاحبك، اول ما رد علينا من

موبايلك وعرف اللي حصل جه على طول وكان معاه الدكتور.

فقال عبدالرحمن لصديقه بابتسامة شاكرة: عشت يا حسام.

حسام وهو يرفع من ياقة قميصه ويقول متفاخرا: دي اقل حاجة عندي يا عبده، انا بس مش عارف من غيري كنت ممكن تعمل ايه انت ولا الواد ميزو؟ ياللا اهو كله بثوابه.

فزجره عبدالرحمن وهو يقول له: يا اخي بقا دة وقت هزار بردو؟

وقاطعت ايمان مشاجرتهما اللطيفة وهي تنسحب مستأذنة: طب يا طنط لو احتجتوا

حاجة انا هبقا في الانتريه مع محمد وعدنان.

فرد عبدالرحمن بالنيابة عن والدته: ماشي يا استاذة.

ثم لف ذراعه حول كتف صديقه وهو يوجهه الى الصالون: تعالى بقا انت يا حلو قولي ايه اللي جابك النهاردة اصلا ودة مش ميعاد اجازتك؟

فقال حسام وهو يأخذ اول رشفة من الكوب الذي بيده ليجد وكأن طعمه مختلف عما كان يتناوله من قبل وتفكيره قد شرد لحظة في تلك التي اعدته: اخويا يا سيدي.

الفصل الخامس والعشرون

كانت تجلس القرفصاء في مكانها على السرير حاضنة احدى عرائسها وتبكي و هي لا تعلم لم كل تلك الدموع الحارة التي فشلت في ايقافها كلما حاولت؟! اتبكي لرفضه عمر حتى قبل ان يتعرف عليه؟ ام لانه لم يكلف نفسه حتى عناء ان يخبرها بأسباب رفضه؟ ام لان اللقاء بينهما بعد طول غياب قد انتهى بهذا الشكل؟ وبينما وهي على تلك الحال سمعت رنين هاتفها الملقى جوارها على السرير باهمال، فنظرت اليه بكسل وما ان

رأت اسم المتصل حتى تضاعفت دموعها ليزداد المها، انه بالطبع يتصل بها الان ليطمئن عليها ويعلم ما اذا كانت اتصلت باخيها لتخبره بأمرهما ام لا؟ و اختلطت الحيرة بالحزن وهي لا تعلم كيف ستخبره ما حدث؟ وفي النهاية لم تجد بديلا للرد عليه فأمسكت الهاتف وافتتحت المكالمة بصوت باك: السلام عليكم، ايوة يا عمر.... اه انا في البيت.... لا مفيش حد جنبي انا اصلا في شقتنا اصل مازن رجع....

ثم فجأة تلون وجهها بالوان قاتمة وهي لا تعلم بأي اجابة يمكنها ان ترد على سؤاله الى قالت اخيرا بتردد: اه قولتله.

فسألها عمر الجالس امام مكتبه بكل هدوء: وكان رأيه ايه؟

وساد الصمت لفترة ينتظر منها ردا ولكن يبدو ان لا فائدة فاستحثها على الكلام: دارين! انتي معايا؟ بسألك مازن كان رأيه ايه في موضوعنا؟

وكالمرة السابقة فلم يتلق ردا سوى صوت بكائها فاستنتج هو الباقي بنفسه: رفض؟! طب ليه؟

دارين التي كان يصعب على احد تمييز ما تقوله من شدة اجهاشها في البكاء: مش عارفة، دة حتى ما استناش يعرف هو مين الشخص اللي بتكلم عنه، دة اول ما...

ثم انتظرت لحظة حتى تسترد قليلا من هدوءها لتكمل قائلة: اول ما فاتحته في الموضوع لقيته فجأة اتعصب وبدأ يزعق وتقريبا قالي انه مش موافق.

ظهر عمر في الجهة المقابلة مفكرا يحلل ما قالته جيدا، ثم قال محاولا تهدءتها : طب خلاص يا دارين سيبيلي انا الموضوع دة، وان شاء اللّه هروح بكرة لمازن وهحاول افهم وجهة نظره واقنعه.

كان من الواضح للجميع ان دارين ربما تكون ملامحها وتكوينها الجسماني تدل على انها اصبحت امرأة بكل ما في الكلمة من معنى الا ان عقلها وتعبيراتها لم تتعدى

مرحلة الطفولة بعد، لذا ما ان اخبرها عمر بذلك حتى هبت من مكانها فجأة وهي تطلق صيحة سعادة وتقول: بجد! يعني هتقدر تقنعه فعلا يا عمر؟!

عمر مبتسما لردة فعلها الطفولية، ورغم شكه من قدرته فعلا على تحقيق ذلك الا انه لم يشأ ان يكسر فرحتها، لذا قال: ان شاء اللّه.

فقط أحب ألا ينهي معها المكالمة قبل ان تأكد من زوال حزنها ليفكر في الوعد الذي قطعه لها.

اما دارين فقد خف قلقها بعض الشيء ولكن لم يزل هناك بعض الشك بداخلها فهي

تعلم جيدا انه ليس من السهل اقناعه بأمر قد رفضه سابقا ولكن ثقتها في عمر قد ادخلت الطمأنينة في قلبها، ولكن فجأة سقط الهاتف من يدها عندما سمعت هذا الصوت المميز الذي شابه بعض الغضب المكتوم: بتكلمي مين يا دارين؟

ألجمتها المفاجأة للحظات فلم تعلم بم تجيب وخرج صوتها ملعثما وهي تمد يدها بخوف لتلتقط هاتفها مجددا: دة....دي....

ولم ينتظرها تكمل تلك الاكذوبة التي كانت على وشك ان تطلقها، فأخذ من يدها الهاتف بهدوء ظاهري ونظر الى شاشته ليجد ما كان يتوقعه، انه هو اسم غريمه لتزداد

تلك النيران بداخله اشتعالا، ولكن بدا ان تلك التدريبات التي كان يمارسها اثناء طريق العودة الخاصة بضبط النفس قد اتت بثمارها فلم يبد على وجهه اي من تلك المشاعر المتأججة على وجهه او صوته وهو يرد على ذلك الصوت القلق الذي ظهر في الجهة الاخرى وهو يقول: الو، دارين! دارين ! انتي رحتي فين؟

فكان رد مازن الهادىء الذي اثار دهشة تلك الفتاة التي تراقبه بفزع: معاك مازن اخو دارين.

اما عمر الذي عبس فور سماعه صوت مازن المفاجىء لم يأخذ الكثير من الوقت

للتعامل مع الموقف عكس دارين، فكان منه ان اكتسى صوته بلهجة اكثر تهذيبا واحتراما وهو يتحدث: اهلا بحضرتك يا استاذ مازن، انا.......

وكان ان قاطعه مازن هو الاخر فبدا انه قد قرر ان يكون هو المسيطر الاوحد على الموقف ولو حتى من باب حفظ ماء الوجه، فقال بنبرة آمرة اكثر من ان تكون مجرد طلب: لو عندك وقت فاضي بكرة ياريت تقابلني في شركتي الساعة تلاتة..

ثم اكمل بابتسامة تحمل نوعا من السخرية المليئة بالكثير من الالم وهو ينظر ناحية اخته التي لم تقو على النظر

مباشرة اليه، فخفضت عينيها: افتكر معاك العنوان.

فأجاب عمر مؤكدا وقد اخبره ذلك السؤال ان مازن لايزال يجهل الحقيقة كاملة: اه معايا حضرتك، وان شاء اللّه هبقا عندك في الميعاد بالظبط.

وبعد ان انهيا المكالمة بالتحيات المعتادة والتي كانت تمتاز ببعض البرود من ناحية مازن الذي مد يده بالهاتف ناحية اخته فنظرت الى ذلك الجهاز الصغير بتردد، فقال لها مازن ليزيد بداخلها الشعور بالذنب: خدي تليفونك يا دارين و ما تخافيش،

الانسان اللي ممكن يوصلك لدرجة انك تفكري تكدبي عليا ما ينفعش ارفضه.

فأسرعت دارين تعتذر له: انا اسفة يا مازن ماكنش قصدي، انا......

فأدار لها ظهره قبل ان تكمل ليقول خارجا من الحجرة ليداري عنها تلك النظرات المتألمة التي كادت أن تفضحه امامها:

تصبحي على خير.

****
*

عاد حسام الى منزله وهو يعيش حالة غريبة من الهدوء والسكينة التي لم يختبرها من قبل، فمنذ مغادرته لشقة

صديقه وصورتها لم تفارق مخيلته وصوتها العذب الرقيق لم يغادر أذنيه، وقد احتار هو نفسه لامره ذلك فلم يكن لاي فتاة عرفها من قبل هذا التأثير عليه رغم انه لم يعرف عنها سوى اسمها وانها قريبة صديقه حتى انه لم تتح الفرصة امامه ليعلم ماهي صلة القرابة تلك؟

وبالطبع فقد شغله تفكيره فيها عن ملاحظة خيال والدته التي كانت تجلس بانتظاره على الاريكة في الصالة الى ان سمع صوتها الحنون يقول له: انت جيت يا حسام؟ كنت فين يابني؟ قلقتني عليك.

انتبه حسام اخيرا اليها ليتخلص مؤقتا من شبح تلك الفتاة الذي يطارده منذ ان رآها، فرسم ابتسامة خفيفة على شفتيه وهو يرد على والدته ويقترب منها بهدوء مقبلا كفها:

ايوة يا ماما. انتي لسة صاحية؟

الام: وهو انا يعني من امتى بنام قبل ما بطمن انك رجعت البيت؟

حسام: يا حبيبتي انا خلاص كبرت زي مانتي شايفة واقدر اخد بالي من نفسي كويس، انتي بقا هتفضلي شايلة همي كدة لحد امتى؟

الام وهي تضع يدها على رأسه بحنو حيث كان يركع على ركبتيه امامها: لحد ما

تيجي واحدة تانية وتشيل هي بقا همك زي ما اخوك عمل.

ولانه لا يحبذ الخوض في مثل هذا الحديث نهض من مكانه وهو يقول مازحا: بس انا مش عبيط زي ايهاب.

بدا على صوت الام نفاذ الصبر: انا مش بهزر يا حسام، انت امتى بقا هتفرح قلبي وتتجوز؟ يا بني عاوزة اشيل اولادك قبل ما اموت زي مانا شلت ولاد اخوك.

جثا حسام امامها مرة اخرى وقال مقبلا يدها: بعد الشر عليكي يا حبيبتي، وع العموم لو هي دي يعني الحاجة اللي هتريحك

فاوعدك ان شاء اللّه اني هبدأ افكر في الموضوع.

الام بفرحة: بجد! يعني خلاص اكلم خالتك؟

فرفع حسام حاجبه صحبه ابتسامة تعجب: هتكلمي خالتي تقوليلها ايه؟

الام: هطلب منها ايد بنتها منال.

وكأن هذا اخر ما كان يتوقعه فبانت على وجهه علامات الاستياء وهو يقول: يا حبيبتي منال دي زي اختي ومش ممكن تكون اكتر من كدة، فاهماني؟

الام باستنكار: لا يا حبيب امك مش فاهماك، امال انت عاوز تتجوز مين بقا؟ يا

خوفي يا حسام يابني لأبص في يوم الاقيك داخل عليا بواحدة من اللي تعرفهم اللي لا ليهم شكل ولا صفة وبتقولي دي مراتي.

حسام بابتسامة لعوب: يا ماما وهما دول بردو بتوع جواز؟ ثم ابنك يعني مش هو العيل العبيط اللي ممكن يضحك عليه.

فداعبت شفتا الام ابتسامة مراوغة وهي تقول: شكلك كدة يا واد يا حسام مدكن حاجة و عمال تلف وتدور عليا، فياللا انطق وقولي هي مين بسرعة؟

فراودت خياله مجددا تلك البسمة المترددة التي كانت تلوح على وجهها الفاتن، ولكن

حتى هو نفسه لا يعلم من هي؟ كما انه يجهل الطريق الذي سيوصله الى معرفة هويتها.... ثم فجأة لمعت في عقله فكرة ستريحه من تلك الحيرة وقد عزم التنفيذ في اقرب وقت، وان غدا لناظره قريب!

****
*

وفي صباح اليوم التالي وبعد ليلة مؤرقة قضاها مازن بين افكاره و احزانه نهض من سريره مبكرا قبل ان تستيقظ دارين حتى يتفادى مواجهة اخرى معها لن يتحملها فؤاده، ثم ذهب الى الشركة واتجه مباشرة ناحية مكتب عبدالرحمن الوحيد من يقدر العذاب الذي يعيشه صديقه، لذا فقد

عكف على مباشرة اعماله تاركا اياه في هموته ممددا على الاريكة في احد اركان حجرة مكتبه وعندما يختلس النظر اليه يجده كل حين واخر ينظر الى ساعة يده في انتظار الموعد الذي سيتقرر فيه مصير قلبه العاشق.

وفي تمام الساعة الثالثة، هب مازن من مكانه فجأة مما اجفل عبدالرحمن الذي كان منهمكا في عمله على الحاسوب الذي امامه، فنظر اليه بترقب ليسمع صوته الذي كان يشبه الاموات وهو يقول له مستعدا للرحيل: انا رايح مكتبي يا عبدالرحمن.

فاكتفى عبدالرحمن بايماءة من رأسه دلت على تفهمه، وقبل ان يتجه مازن الى الباب اذ بطرقات خفيفة تأتيه من خلاله، ثم تدخل السكرتيرة الخاصة بعبدالرحمن لتقول موجهة حديثها لمازن: باشمهندس عمر برة وعاوز يقابل حضرتك يا مستر مازن.

فسألها عبدالرحمن مندهشا: قصدك المهندس عمر يوسف الهواري؟ ودة عاوزني انا ولا عاوز استاذ مازن؟

كانت دهشته حقيقية لانه يجهل بأن غريم صديقه هو نفسه ذلك المهندس الذي تم تعيينه في الشركة من فترة ليست بالقصيرة حيث لم يكلف مازن نفسه

بذكر اسم الشاب كاملا امام صديقه،

فاتجه مازن اليه يسأله: انت تعرفه منين؟

عبدالرحمن بتلقائية: الباشمهندس عمر بيشتغل هنا من فترة طويلة تقريبا من بعد ما سافرت انت بكام اسبوع، لكن غريبة انه طالب يشوفك انت بالتحديد، بس هو عرف بميعاد وصولك ازاي؟

ثم فجأة تكشفت امامه الحقيقة و زال الالتباس ليستنتج الامر قائلا: هو دة اللي......

لم يتم سؤاله، فقد جاءه الرد سريعا بايماءة من رأس مازن، وقال هذا الاخير مبتسما

بسخرية: وكمان طلع بيشتغل عندي في الشركة؟

ثم فجأة تذكر تلك الواقفة بينهما تنتظر اوامر اي منهما، فقال لها بجدية: طب خليه يدخل يا أمل.

وقبل ان تنصرف الشابة كان امر عبدالرحمن التالي: ويبقا حوليلي اي مكالمات تجيلي على مكتب استاذ مازن.

أمل وهي تهم بالمغادرة: امرك يا فندم.

وفور رحيلها استأذن عبدالرحمن من صديقه: طيب لو احتجتني فانا في مكتبك يا مازن هكمل شغلي هناك.

وقبل ان يتركه لاحت منه نظرة ناحية مازن لم يلحظها وكانت تحمل الكثير من الاشفاق عليه من الموقف الذي سيصبح فيه بعد لحظات.

وأعقب خروجه دخول عمر الذي كانت كل خطوة من خطواته تدل على ما يتمتع به من ثقه و عزم بداخله، وما ان اقترب من مازن الذي كان يتبعه بنظراته الجامدة حتى مد يده اليه وبابتسامة ودودة عرف عن نفسه بكلمات بسيطة: السلام عليكم، المهندس عمر يوسف الهواري، انا سألت على حضرتك في مكتبك فقالولي انك هنا.

ارغم مازن نفسه على مصافحة اليد الممتدة امامه وقال مرحبا بلهجته الجليدية دون ان يجبر نفسه على عناء الابتسام في وجه الشاب: اهلا بيك يا باشمهندس، اتفضل اقعد.

وجلس عمر حيث اشار اليه مازن على كرسي قباله، وفي محاولة منه للتحلي ببعض مبادىء اللياقة، سأله: تحب تشرب ايه يا باشمهندس؟

حاول عمر ان يغض الطرف عن تلك النظرة العدائية التي لحظها من مازن والمصحوبة بلهجة باردة ولكنه يتوقع مثل هذه البداية، فأجاب بنفس ابتسامته الودودة:

شكرا ليك يا استاذ مازن،انا حابب اننا ندخل في الموضوع على طول، طبعا حضرتك عارف ان انا جاي هنا عشان اخطب منك الانسة دارين اختك، وبتمنى ان ما يكونش فيه اي اعتراض من جهة حضرتك على الموضوع نفسه او على شخصي.

مازن: لو بالنسبة لشخصك، فانت تقدر تقول اني لحد دلوقت معرفش عنك حاجة، دة انا حتى ما كنتش اعرف انك بتشتغل عندنا في الشركة.

كانت جملته الاخيرة تحمل نوعا من الاتهام لم يخف على عمر الذي اسرع في

الدفاع عن نفسه قائلا: انا بشتغل معيد في كلية الهندسة وحاليا بحضر في الدكتوراه ووالدي راجل اعمال متخصص في تجارة الخشب وياما الح عليا اني اشتغل معاه لكني كنت برفض لسببين، الاول اني حابب ابني نفسي بنفسي، والتاني ان دة ما كنش مجالي اصلا، وشغلي في الشركة هنا كان بمحض الصدفة.

فهز مازن رأسه بالايجاب بضعة مرات وكأنه يفكر في صحة ما يسمعه، ثم فجأة سأله: تقدر تقولي يا باشمهندس اشمعنا دارين بالذات هي اللي فكرت ترتبط بيها؟

استغرق عمر لحظات ثم اخذ نفسا عميقا قبل ان يجيب برد ادهش مازن: انا مش هكدب عليك واقولك اني هيمان في حبها ومش قادر استغنى عنها وكل الكلام المعسول دة، لكن دارين هي اول واحدة قدرت تشدني ببراءتها واخلاقها، بصراحة يا استاذ مازن فعلا ونعم التربية اللي حضرتك ربيتهالها واللي تخلي اي واحد يتشرف بانه يرتبط بيها.

كان جوابه الغير متوقع بمثابة اللجام الذي ألجم لسان مازن وأبطل كل الحجج التي كان يود ان يستند عليها عندما يعلل رفضه لعمر، مما جعله يبدل رأيه فيما كان قد أعده مسبقا لهذا اللقاء، فقال عوضا عن

ذلك: انت اكيد عارف ان دارين هي اختي الوحيدة، لكن اللي ما تعرفوش بقا ان هي كل اللي ليا في الدنيا وانا تقريبا عايش عشان سعادتها هي وبس.

ثم تحولت نبرته الى الوعيد ليكمل قائلا: واي انسان هيكون سبب في لحظة حزن هي ممكن تعيشها صدقني انا نفسي مش عارف ممكن اعمل معاه ايه ساعتها؟ لكن اللي متأكد منه اني هخليه يندم ع اللحظة اللي فكر بس انه يدخل حياتها فيها.

اما عمر الذي بدا وكأنه لم يتأثر بكلامه على الاطلاق فقال بنبرة ثابتة: استاذ مازن ارجوك مفيش داعي للتهديد لان انا عمري

ما هفكر اذي دارين مش خوفا من حضرتك ولكن لانها انسانة ما تستحقش دة.

مازن: يبقا اتفقنا، ولو انت واثق انك هتقدر فعلا تسعدها يبقا انا مستنيك انت ووالدك ووالدتك يوم الخميس ان شاء اللّه الساعة ستة مساء.

أعطى ذلك الوعد وهو لا يعلم ما الذي جعله يتراجع عن رفضه فجأة ولكن هناك شيئا ما في حديث عمر واسلوبه جعله يرتاح لشخصيته ويطمئن على صغيرته اذا سلمه اياها فهو في النهاية لا يسعى الا لاسعادها حتى وان تحققت مع غيره.

****
*

لم ينتظر حسام كثيرا لتنفيذ مخططه
ففي اليوم التالي قرر تأجيل سفره دون علم
أحد ثم ذهب الى منزل صديقه عبدالرحمن
للاطمئنان على صحة والده فقد رأى ان هذا
واجب لابد من قضاءه!

ولكن خاب ظنه هناك حين فتحت له
الباب غيرها، وبعد ان سلم على والدة حسام
التي اصطحبته الى الحجرة الراقد فيها
زوجها واطمئن حسام على تحسن حالته،
ذهبت هي لاعداد القهوة تاركة اياه يمازح
شريك عمرها بطريقته المستساغة لديهما،
ثم عادت بعد برهة حاملة صينية عليها
المشروبات فهرع حسام اليها يحملها عنها
وهو يقول: يا خبر يا طنط، معقول دي جايبة

القهوة بنفسك؟ طب لو ما كنش فيه حد في البيت كنتي قولتيلي انا اعملها عنك.

الام مبتسمة برضا: وانا هيجيلي بردو اعز منك يا حسام اعمله القهوة؟

فانتهز حسام الفرصة ليقول لها بمكر: بصراحة يا طنط مع ان القهوة بتاعتك لا يعلى عليها، لكن النسكافيه اللي شربته المرة اللي فاتت كان جامد اوي، الل عملته تقريبا كان اسمها الاستاذة ايمان.

وبدا ان لعبته قد انطوت على المرأة المسنة فقالت له: ايمان عمرها ما بتعمل حاجة وحشة ابدا ربنا يسعدها ويفرحها، بس هي دلوقت في الملجأ.

حسام مندهشا وهو يحاول جمع الكثير من المعلومات عنها في اقل وقت: ملجأ؟! هي يتيمة؟

المرأة وقد اتسعت ابتسامتها: لا يا بني هي بتشتغل فيه، دي بنت اختي كانت عايشة في الامارات مع والدتها واختها الكبيرة كانت بعتتلهم يقعدوا معاها هي وجوزها عشان مش عارفة تاخد بالها من العيال لوحدها وبعدين رجعت ايمان على مصر وقعدت معانا لما اختي ما قدرتش ترجع معاها.

حاول حسام ان يستدرجها اكثر وهو يحتسي قهوته محاولا جعل الامر يبدو

وكأنه دردشة عادية لتسلية الوقت وهو يقول مازحا: شكلك كدة بتنمري عليها لعبدالرحمن يا طنط.

الام: يوه جاتك ايه يا حسام، وهو فيه حد بردو يتجوز اخته، ايمان اخت عبدالرحمن في الرضاعة كان رضع على اختها وهما صغيرين.

جعلته تلك المعلومة يهنأ قليلا لسبب ما لم يبال به حينها وكان سؤاله الاخير قبل ان يستأذن للرحيل: على كدة بقا عبدالرحمن بيوصلها كل يوم بعربيته ولا بيستندل زي عادته؟

الام منساقة وراءه دون وعي: لا، هي بتروح الملجأ اللي في اخر الشارع.

وها هو قد حصل على ما يريد ثم سلم عليها على وعد بزيارة اخرى للاطمئنان على عمه المريض، وفور رحيله قال الرجل لزوجته بحنكة مبتسما: خدتي بالك انتي من الاسئلة بتاعته ؟

الزوجة بفطنة مماثلة لزوجها: امال يا ابو عبدالرحمن، ودي بردو حاجة تفوت عليا؟

الرجل وقد اختفت ابتسامته فجأة ليعبس وجهه وهو يقول: بس للأسف ما سألش على اهم حاجة، وانتي كمان حسيت انك بتتعمدي ما تفتحيش الموضوع.

المرأة: ماهو مسيره هيعرف بردو بس ما يبقاش دلوقت يابو عبدالرحمن دة الموضوع لسة في أوله، والواد طيب وابن حلال واحنا عارفينه كويس وما افتكرش ان وقتها حاجة زي دي ممكن تمنعه يعني.

الزوج: طيب وبنت اختك، يا ترى رأيها ساعتها ممكن يكون ايه مش ممكن تقول زي كل مرة؟

الزوجة برجاء: واللّه ربنا يهديها بقا، بصراحة الواد عريس ما يترفضش وانا عمري ما كنت هتمنالها واحد احسن منه، هو دة بصحيح اللي ممكن يعوضها عن كل اللي جرالها.

الفصل السادس والعشرون

:واللّه عين العقل يا مازن.

فرد مازن على عبدالرحمن ساخرا من جملته التي نطق بها فور ان أخبره بموافقته على تزويج دارين لعمر: اخر حاجة كنت اتصورها ان بعدي عن دارين يبقا هو عين العقل.

لم يدر عبدالرحمن بم يمكنه مواساة صديقه وبدا ان مازن قد شعر بذلك فوفر عليه عناء هذا الأمر وقال وهو يهم بالانصراف: طب عايز حاجة قبل ما امشي؟

عبدالرحمن: هتروح؟

مازن نافيا: لا، انا هتمشى بالعربية شوية.

فاقترح عبدالرحمن: طب تحب اجي معاك؟

فرفض مازن معللا: لا معلش يا عبدالرحمن، انا عاوز افضل لوحدي شوية.

لم يلح عبدالرحمن أكثر فهو يعلم ان صديقه لن يتراجع عن قراره كما رأى انه بالفعل بحاجة الى الاختلاء بنفسه قليلا، لذا قال له: طب خلي بالك من نفسك.

فتبسم مازن وهو يرى ذلك الحب من صديقه وخوفه الشديد عليه ، فقال له بنظرات ممتنة: حاضر، ياللا سلام.

عبدالرحمن : مع السلامة.

وبعد رحيله عاد عبدالرحمن يباشر عمله من جديد، فهو لا يشغله في الحياة سوى ارضاء والديه وحل مشاكل صديقيه ثم عمله الذي دائما ما يجد به لذة كبيرة، ورن هاتف المكتب ليقطع عليه ما كان قد بدأه للتو فرفع عبدالرحمن السماعة متأففا ورد على سكرتيرته قائلا بحنق على غير العادة:

ايوة يا أمل...... مش قولتلك مش عاوز اي مكالمات دلوقت....... طب خلاص اديهولي

ثم انتظر قليلا قبل ان يستأنف: وعليكم السلام .... ايوة يا باشمهندس خير؟...... طب ما عندك حسام بلغه بالكلام دة.

ثم هتف غاضبا: ايه؟ يعني ايه ما جاش؟ دة المفروض انه سافر الفجر..... طب خلاص انا هشوف الموضوع دة وابقا اكلمك..... مع السلامة.

ثم اعاد السماعة مكانها وهو يقول بضيق: وبعدين بقا؟ راح فين البني ادم دة كمان؟

****

اما حسام فكان في مكان آخر يقف في الشارع مستظلا بظل احدى الاشجار أمام ملجأ الايتام الذي أخبرته به ام صديقه، ولم يطل انتظاره كثيرا حيث رآها تخرج من هناك بزيها البسيط والذي يعلوه ذلك الحجاب الرقيق تمشي كالفراشة تكاد لا

تلمس الارض بقدميها، وقف هناك يتابعها مترددا أيرحل مغادرا؟ ام يظل هكذا يتابعها من بعيد؟ ام يخاطر ويقترب ويتحمل بعدها عواقب فعلته؟ واخيرا استقر رأيه على الاختيار الأخير فتوجه اليها وهو لا يعلم حتى بم سيفتتح حديثه معها، اما ايمان والتي كانت قد استنفذت كل قواها مع الاطفال في الملجأ حيث كانت تلك هي متعتها الحقيقية فلم تكن لتتعرف على ذلك الشاب الذي يتقدم نحوها في اول الامر الى ان اصبح امامها مباشرة والقى بظله الطويل عليها وسمعته يتفوه باسمها: استاذة ايمان!

نظرت اليه في بادىء الامر بريبة مما جعله يشعر بشىء من خيبة الامل، فهي لم تتعرف عليه عكسه هو الذي ظلت صورتها محفورة في ذهنه حتى الان ولكن ذلك لم يردعه عما نواه ليكمل معرفا عن نفسه: هو حضرتك مش فاكراني ولا ايه؟ انا حسام صاحب عبدالرحمن ابن خالتك.

ايماءة خفيفة من رأسها اعلمته بأنها قد تذكرته اخيرا ولكن عليه الان ان يجيب على ذلك التساؤل الذي بدا في نظرتها التالية والذي ترجمه لسانها: خير يا استاذ حسام؟

حسنا! حان وقت اختلاق الاكاذيب، مع انه لم يود ان يفعل هذا معها هي خاصة ولكن الغاية تبرر الوسيلة، فقال لها: في الحقيقة انا كنت عاوز اتبرع للملجأ بس مش عارف اتكلم مع مين؟ ولما عرفت ان حضرتك بتشتغلي هنا قولت أهي فرصة اسألك.

بدا عليها الضجر منه وكان ذلك واضحا في لهجتها الباردة وهي ترد عليه: وهو دة بقا السبب اللي خلى حضرتك توقفني في الشارع بالطريقة دي؟

اكسب حسام كلامه نبرة جادة وهو يقول: وانتي بقا شايفة ان دي حاجة ما تستاهلش يا استاذة؟

تغاضت ايمان عن طريقته تلك، فهي ما كانت لتقلل من عمل للخير ولو كان صغيرا، لذا جاء جوابها مختصرا: على العموم حضرتك تقدر تكلم مديرة الدار وتتفاهم معاها، عن اذنك.

وقبل ان تمضي في طريقها استوقفها مجددا مادا ذراعه امامها فيما يشبه الحاجز مما اغضبها لتثور في وجهه هاتفة: استاذ حسام! ما يصحش كدة.

حسام مستعطفا: معلش، اخر سؤال.

فعقصت ذراعيها حول صدرها وشفتيها تنطقان بالاستغفار وعينيها تقدحان غضبا: أفندم؟

حسام: انتوا حاطين يعني حد معين للتبرع؟

ايمان بنفاذ صبر واضح وحسام يتجاهله: يا استاذ حسام، دة تبرع يعني صدقة تقدر تطلع اي مبلغ انت شايف انه فايض عن حاجتك، ومش شرط كمان يكون فلوس، لا دة انت ممكن كمان تتبرع بجزء من مجهودك ووقتك تقضيه مع الاطفال لان دي فعلا اكتر حاجة هما مفتقدينها الاهتمام والرعاية، فيه اي حاجة تانية عاوز تسأل عنها؟

كان سؤالها الاخير يعمل تحذيرا مبطنا فهمه حسام، لذا اجابها بابتسامة راضية: لا

متشكر جدا ليكي، واسف اني عطلتك، واسف كمان لو كنت ضايقتك.

فقبلت ايمان اعتذاره بابتسامة باردة: حصل خير، عن اذنك.

وغادرت تاركة اياه يتعجب من ذلك الجفاء الذي لا يعلم له سبب، ثم يبتسم باعجاب في نفسه ويقول: هي البنت دي مالها؟ بس الحقيقة تستاهل، شكلك وقعت ولا حدش سمى عليك يا حس.

****

عاد حسام الى منزله وما ان فتح باب الشقة حتى أخذ ينادي بصوت عال على والدته

بطريقته المرحة: ماما، ماما انتي فين؟ اكيد في المطبخ كالعادة.

وقبل ان يتجه الى المطبخ، جاءه صوت ذكوري من ناحية الصالون غاضبا بعض الشيء: حسام.

لم يكن حسام بحاجة لمن يخبره بهوية صاحب الصوت، فذهب الى الصالون على الفور وفتح ذراعيه عن آخرهما للترحيب بصديقه: عبدالرحمن باشا! يا اهلا وسهلا بيك يا باشا، منور واللّه.

من فرط سعادته لم ير علامات الانزعاج البادية على وجه صديقه فرد عبدالرحمن

على مرحه بلهجة جادة: كنت فين يا حسام؟

ابتلع حسام ريقه بصعوبة فقد صدمه السؤال، أمعقول قد وصله لقائه بايمان بهذه السرعة؟ فأجاب متلعثما محاولا رسم ابتسامة لا مبالية على وجهه: اللّه! وانت مالك يا اخي؟ هو انت كنت مراتي؟

لم يستجب عبدالرحمن لمزاحه بل ظلت ملامحه جادة وهو يقول له: ايوة يا حسام، دة مالي ومالك ومال مازن وعم فؤاد، وانت بقا بتهمل فيه.

تجمدت ملامح حسام كرد فعل لتأنيب صديقه، فسأله مستفهما: جرى ايه يا عبدالرحمن؟ حصل ايه يعني لكل دة؟

عبدالرحمن: حصل يا.... يا باشمهندس انك ما سفرتش النهاردة زي ما كنت مرتب ودة خلى طبعا الشغل في القرية يتعطل ومشاكل تحصل ومش لاقيين حد هناك يبلغوه بيها، وكل دة ليه؟ لان حضرتك مش فاضي تتابع شغلك ومش وراك غير السرمحة في الشوارع والجري ورا بنات الناس وبس.

ثم رفع اصبعه في وجهه محذرا: اسمع يا حسام، انا لحد دلوقت كنت باحاول اتغاضى

عن اخطاءك ومش بدخل في حياتك غير بالنصيحة وبس وبدعيلك ان ربنا يهديك لكن ان اهمالك يوصل لحد كدة فاسمحلي يا صاحبي انا مش هسمح بدة وتعالى بقا نفضها سيرة من الشراكة دي.

كان حسام قداعتاد على سماع الكثير من عبارات اللوم والعتاب من صديقه ولكن كانت تلك أقساهم على الاطلاق، فقال له لائما: هي حصلت للدرجادي يا عبدالرحمن؟

لم تلن ملامح عبدالرحمن له، بل استمر يقول: اه حصلت يا حسام، لما توصل لدرجة انك تأذينا في اكل عيشنا يبقا مفيش حل غير اننا نحل الشركة دي.

ثم وضع راحته على كتفه ونظر الى عينيه مباشرة ليكمل: بس دة طبعا عمره ما هيأثر على صداقتنا وهفضل ادعيلك ان ربنا يهديك، سلام يا صاحبي.

وتخطاه ليتجه الى الخارج، ولم يتجاوز باب الحجرة حتى اتاه صوت صديقه الهادىء الجاد لما لم يعهده من قبل يقول له: طب ولو قولتلك يا عبدالرحمن ان ربنا استجاب لدعاك فعلا وهداني خلاص.

توقف عبدالرحمن مكانه ولكنه كان لايزال مديرا له ظهره، فأتته المفاجأة التالية الغير متوقعة: عبدالرحمن انا خلاص هتجوز.

كانت والدته في تلك اللحظة قد احضرت القهوة لعبدالرحمن، فما ان سمعت آخر ما تفوه به ابنها حتى سقطت الصينية من يدها في اللحظة التي انتفض فيها الصديقان اثر سماع صوت الزغروطة التي خرجت من فمها، ولم تبال بتلك الصينية المطروحة ارضا ولا بذلك الزجاج المتطاير هنا وهناك نتيجة للفنجان الذي تهشم، بل طارت ناحية ابنها تحتضنه مهللة: بجد يا حبيبي؟ خلاص نويت؟ طب هي مين؟ وعرفتها ازاي؟

فقال حسام بصوت منخفض نادما: انا اللي جبت دة كله لنفسي يعني حبكت تيجي دلوقت؟

ثم امسك بيد امه فقبلها، ثم قال لها: ماما، ممكن يا حبيبتي فنجان قهوة لعبدالرحمن بدل اللي اتكسر؟

الام على مضض: اه فهمت، شكلك بتوزعني، طب انا هتوزع دلوقت بس لينا قعدة بعدين.

ثم غادرت الام، فامسك حسام بيد صديقه وسحبه بجانبه وهو يقول له: تعالى نتكلم في اوضتي يا عبدالرحمن.

فاستجاب له عبدالرحمن وذهب معه وعندما دخلا حجرة حسام التي اغلق بابها خلفهما ابتدأ عبدالرحمن الحديث يسأله: الكلام اللي انت قولته من شوية دة كان جد؟

فراوغه حسام مازحا: وهو من امتى وانا بتكلم جد؟

فبعث اليه عبدالرحمن بنظرة تحذيرية: حسام؟!

فأخذ حسام بيده وأجلسه وهو يقول له مهدئا: طب تعالى بس اقعد وانا اقولك.

وما ان جلسا حتى كان سؤال عبدالرحمن الآخر: انت صحيح نويت تتجوز؟ معقول فيه واحدة قدرت تغير فكرتك عن الجواز بالسرعة دي؟

فأومأ حسام بالايجاب ليقول مؤكدا: ايوة يا عبدالرحمن فيه، انا نفسي ما كنتش متخيل ان دة ممكن يحصل، بس اول ما

شفتها حسيت كدة باحساس غريب اول مرة احس بيه، وفكرت ان انا كدة كدة مسيري اتجوز لان زي مانت ما عارف ان الجواز شر لابد منه، فقولت لنفسي طالما مفيش مفر من الموضوع دة، فتبقا هي دي العروسة الزوجة اللي ممكن اقضي معاها بقية حياتي.

واخيرا ابتسم عبدالرحمن ليقول لصديقه بلهجة مرحة: اخيرا يا حس نويت تدخل المصيدة، بس يا ترى هي بقا قابلاك كدة بكل عيوبك؟

فنهض حسام وهو يولي له ظهره، ثم تنحنح قائلا: ما هو دة بقا يا عبدالرحمن الموضوع اللي كنت عاوزك تخدمني فيه.

عبدالرحمن مستوضحا: مش فاهم، ازاي يعني؟ وانا داخلي ايه بالموضوع أصلا؟

فأدار له حسام وجهه مجددا ليهتف قائلا: ماهو انت اللي هتزكيني عند العروسة بقا.

عبدالرحمن متعجبا: طب وانا اعرفها منين عشان اكلمها عنك؟

فقال حسام بصوت متقطع وهو يخشى النظر الى عيني صديقه: ما هي العروسة تبقا هي الانسة ايمان.

ثم القى بقنبلته دفعة واحدة في وجهه:

بنت خالتك.

وبعدها هرب من امامه ليختبىء خلف السرير خوفا من ردة فعله، ولكن عكس ما توقع تماما فقد ظل عبدالرحمن جالسا في مكانه هادئا وكأن شيئا لم يكن، فاقترب منه حسام على مهل ليجد ملامحه قد تصلبت واثار الصدمة واضحة عليها، فسأله حسام: هو انت زعلت يا عبدالرحمن؟

عبدالرحمن: وهو انت قولت حاجة تزعل؟

فهز حسام رأسه نافيا: لا ، بس حسيت انك اتغيرت مرة واحدة، شوف انا عارف اني في نظرك شاب مستهتر ومش بتحمل

المسئولية، وبصراحة انا لو مكان اي اب كان مستحيل اوافق اني اجوز بنتي لواحد زيي، بس هتصدقني لو قولتلك اني فعلا ناوي اتغير؟ واني حاسس ان جوازي من بنت خالتك هيكون هو البداية؟

نظرة عميقة الى عينيه كأنه يحاول ان يتغلغل بداخله، ثم قال له: مصدقك، بس فيه حاجة مهمة انت لازم تعرفها عن ايمان قبل ما تاخد اي خطوة جادة في الموضوع دة.

فأسرع حسام يقول له: لا ماهو انا تقريبا عرفت كل حاجة عنها من والدتك، يعني

كنت عندكم من شوية واستدرجتها في الكلام.

عبدالرحمن: اه بس صياغتك للكلمات وانت بتطلبها مني بتقول ان والدتي نسيت فعلا انها تقولك اهم حاجة.

حسام وهو يحاول التذكر: وهو انا قولتلك ايه؟

عبدالرحمن مكررا نفس كلامه: قولت انك عاوز تتجوز الانسة ايمان بنت خالتي.

وشدد عبدالرحمن على لفظ آنسة.

حسام: ودي فيها ايه غلط؟

عبدالرحمن: فيها ان ايمان مش انسة، ايمان مطلقة.

****

**

عاد عمر الى المنزل يدندن بصوت خافت، وما ان دخل حجرته حتى القى بسلسة مفاتيحه على المكتب، ثم شرع في نزع سترته في الوقت الذي دخلت فيه اخته فجأة تهتف باسمه: عمر!

انتفض عمر وهو يقول: سلام قولا من رب رحيم.

سارة متصنعة الحزن: اخس عليك يا عمر، هو انت شوفت عفريت؟

عمر: وهو فيه بني ادم يدخل كدة اوضة حد من غير حتى ما يخبط؟

سارة معتذرة: لا في دي بقا معاك حق، ع العموم انا اسفة، المهم بقا قولي انت عملت ايه؟ يعني سبع ولا ضبع.

عمر وهو يشد ياقة قميصه متباهيا: عيب يا بنتي، اخوكي طول عمره سبع.

سارة مبتهجة: يعني ازغرط؟

عمر: اه روحي اوضتك زغرطي وصقفي وارقصي واعملي كل اللي عاوزاه وسيبيني بقا ارتاح شوية.

كادت سارة تعود من حيث اتت، الا انها قد تذكرت امرا فعادت تلتفت اليه مجددا وهي تهتف مرة اخرى: بس ازاي اخوها يوافق بسهولة كدة؟

عمر سارحا: ومين قالك ان الموضوع كان سهل؟ دة انا اول ما دخلت عليه حسيت انه مش بيفكر في حاجة غير في طريقة يقدر بيها يطفشني.

سارة: معلش بقا يا عمر، ماهي اخته الوحيدة بردو.

عمر مازحا: طب مانتي هو اختي الوحيدة وعاوز اخلص منك بأي شكل.

فأخرجت له سارة لسانها مغيظة: بردو قاعدة على قلبك.

ثم خرجت وأغلقت الباب خلفها متحاشية تلك الوسادة التي ارتمت خلفها.

****

جلس حسام وقد الجمته المفاجأة، فهذا ما لم يتوقعه ابدا، أمعقول تلك الفتاة ذات الملامح البريئة والنظرات النارية التي ملكت عقله كانت ملكا لرجل قبله؟

نظر عبدالرحمن اليه مليا، وعندما رأى ان صمته قد طال، قال له مستنتجا: من الواضح انك غيرت رأيك.

وهم بالنهوض، ولكن يد حسام منعته: لا يا عبدالرحمن، انا يمكن بس تكون المفاجأة صدمتني شوية.

عبدالرحمن: طيب بجملة الصدمات بقا، خد المفاجأة التانية، السبب في طلاق ايمان انها مش ممكن تخلف تاني.

بدا ان الصدمة الثانية كانت اشد تأثيرا من الاولى ولكنها لم تمنعه من ملاحظة امرا فكان سؤاله: انت بتقول تاني؟ هي خلفت قبل كدة؟

فأجاب عبدالرحمن: هي كانت حامل، وعملت حادثة بسببها فقدت الجنين وشالت الرحم، وبعدها بفترة جوزها قرر انه يتجوز تاني عشان الخلفة طبعا، فطلبت الطلاق وطلقها.

فقال حسام مستنكرا بصوت خافت: ندل.

وصله تعليق صديقه على ما فعله صهره السابق، فقال رادا عليه: العجيب في الامر ان ايمان مش بتلومه، بالعكس دي بتديه الحق

في اللي عمله دة وبتقول ان دي طبيعة بشرية عند الراجل والست.

حسام: طب وفين حقها هي في كل دة؟

عبدالرحمن: ايمان راضية باللي كتبهولها ربنا، ومن ساعتها بيتقدملها عرسان كتير وهي بترفضهم، وبتقول ان هي كدة سعيدة بحياتها وفرحانة اوي بالوقت اللي بتقضيه مع الاطفال في الملجأ وكمان في الدروس اللي بتديها واللي طبعا بتكون من غير مقابل.

حسام: طب هي ليه رافضة الجواز تاني؟

عبدالرحمن: بتقول ان هي كدة خلاص خدت نصيبها وانها مش عاوزة حاجة تانية،

دة غير طبعا انها مش عاوزة تتجرح لاي سبب تاني وخصوصا ان كان فيه بعض الناس اللي بتتقدملها اول ما يعرفوا حالتها بيهربوا.

فقال حسام بتصميم واضح في عينيه: بس انا مش ناوي اهرب يا عبدالرحمن، ولا ناوي كمان اجرحها لاي سبب.

فسأله عبد الرحمن ليتأكد من صحة استنتاجه: يعني ايه؟

حسام بجدية تامة قلما عرفتها ملامحه: يعني انا دلوقت بطلب منك ايد بنت خالتك ايمان، وانت شوف الميعاد المناسب اللي اجي فيه انا وماما ونطلبها رسمي

الفصل السابع والعشرون

"كل منا يمر بالعديد من الاختبارات طوال حياته كاختبارات التحصيل الدراسي والالتحاق بوظيفة ما واختبارات الذكاء وغيرها وهو ينجح في هذا ويرسب في ذاك، ولكن ماذا عن اختبار الحب؟ فمن منا مر بهذا الاختبار؟ وياترى ماذا كانت النتيجة؟

بالنسبة لمازن كان أصعب اختبار في حياته ومع ذلك فلقد اجتازه بجدارة وعلم ان الحب يساوي التضحية فضحى بالقرب من محبوبته مقابل سعادتها، واما عن حسام فلقد مر باختبار من نوع آخر ولكن كان عنوانه هو

أيضا التضحية فان كان الاستغناء عن واحدة من زينتنا الحياة الدنيا هو الثمن للحصول على حبيبته فلم يتوان عن التضحية بذلك

ولكن ما مصير كل منهما؟ وهل سيكون لتضحيتهما جزاء ام انها ستذهب ادراج الرياح ويبقى كل منهما يغني على ليلاه؟"

****
******

سافر حسام الى جهة عمله بعد ان استطاع ان يقنع عبدالرحمن بصدق نيته في الارتباط بأخته من الرضاعة، فقد ذهب على وعد منه بمفاتحتها في الموضوع في أقرب وقت وكان هذا ما حدث وصدقت توقعات

عبدالرحمن حين نال طلب حسام الرفض
فاتصل بصديقه ليبلغه بردها، لم تكن
صدمة لحسام فعلى حسب إلمامه بشخصية
ايمان وما مرت به فكان رفضها متوقع
ولكنه ألح على صديقه أن يحدد له موعدا
لمقابلتها علة يقدر على ثنيها عن هذا القرار
ورغم أن عبدالرحمن كان على يقين بأن
هذا الأمر باستحالة ذلك الا انه قبل وقد
كان، وجاء يوم اللقاء في منزل عبدالرحمن
وذهب حسام في أتم زينة وكأنه قد استعد
ليوم عرسه ولم يكن هذا بالجديد عليه
بل كانت وسامته تلك واهتمامه الشديد
بمظهره هو ما جذب اليه الكثير من
الفتيات، ولكن هذه المرة مختلفة فالفتاة

الوحيدة التي أرادها هو بكل جوارحه ترفضه وبشدة.

لم يبد عليه التردد حين رن جرس الباب وسلم على صديقه ووالديه وجلس بحجرة الصالون ينتظرها، بل كانت عيناه تلمعان باصرار عجيب وكأنه على مشارف حرب لا يقبل فيها سوى بالفوز.

ذهب عبدالرحمن لابلاغها بوصول الضيف ومكث لديها فترة ليست بالقصيرة يحاول اقناعها بالخروج للقائه الى ان رضخت في النهاية لمطلبه، لم تهتم بمظهرها أو باقتناء ثياب مناسبة لتلك الزيارة وبالطبع فلم تضع اي من مساحيق التجميل على وجهها

ورغم كل هذا كانت تبدو في عينيه كالملكة، ولم لا وهي بالفعل قد تربعت على عرش قلبه؟

تركهم عبدالرحمن وأبويه يتحدثان على انفراد فقد تعلل كل منهم بانشغاله في امر ما، لحظات صمت تبعت خروجهم، فهي تنظر بعيدا ومع ذلك لم تغفل عنه وهو لا يرفع عينيه من على وجهها وكأنه مسحور به الى ان كان حسام اول من تحدث بابتسامة تخطف الالباب وصوت كان جديد عليه هو نفسه: ازيك يا استاذة ايمان.

فردت بصوتها المبحوح بنبرة رقيقة: اللّه يسلمك.

ثم أعقب ذلك لحظات أخرى من الصمت كان يحاول فيها حسام ترتيب ما هو على وشك أن يقوله، ولكن تلك المرة سبقته ايمان لتقول بنبرة عملية ولأول مرة تنظر فيها تجاهه دون ان ترفع عينيها الى وجهه: استاذ حسام! من غير لف ولا دوران أو مقدمات كتير، اذا كنت حضرتك ناوي تتكلم في الموضوع اللي فاتحت فيه عبدالرحمن قبل كدة فياريت توفر على نفسك الكلام لاني مش هغير رأيي مهما كان، وبعد اذنك.

ثم نهضت مستعدة للرحيل، أما هو فصدمته صراحتها وقوة كلماتها ولكن ذلك لم يثنيه عن عزمه فناداها يستوقفها قبل أن

تغادر: استاذة ايمان، بعد اذنك انتي قولتي كل اللي عندك وانا سمعتك من غير ما اقاطعك، بتهيئلي بقا ان من حقي انا كمان اقول اللي عندي وانتي كمان تسمعيني، ولا ايه؟

ترددت لحظات قبل ان تجلس مجددا، ثم قالت معتذرة: انا اسفة، اتفضل.

حسام، وقد احتسب ذلك نقطة لصالحه: اولا احب اقولك ان يمكن ظنك في محله وانا فعلا جاي اتكلم في نفس الموضوع....

حاولت مقاطعته: مانا قولت لحضرتك.......

ولكن قاطعها هو لائما باشارة من يده: احنا قولنا ايه؟ ياريت تسمعيني من غير مقاطعة وبعدين قولي اللي عندك.

التزمت الصمت تاركة له المجال، فاستأنف حديثه قائلا: انا لما قررت اني اطلب ايدك فكرت كتير قبلها لحد ما وصلت لنتيجة واحدة وهي انك الانسانة الوحيدة اللي بتمنى اعيش اللي باقي من عمري معاها، وبعد ما عرفت من عبدالرحمن كل حاجة عندك والظروف اللي مريتي بيها كان الطبيعي اني أقف مع نفسي شوية واعيد التفكير تاني لكني بردو توصلت لنفس النتيجة.

ثم تغيرت نبرته فجأة لتصبح أكثر رقة:

ايمان!

رفعت عينيها اليه بدهشة واستنكار، فكيف له ان يناديها باسمها هكذا مجردا دون ألقاب؟ وكان هذا ما أراده فقد حصل على ردة الفعل التي كان يرجوها حين فعل ذلك، وبابتسامة منتصرة وجهها اليها أكمل: اسمحيلي اني ارفع الالقاب شوية، يعني اصلي بيها حاسس اني عايش ايام سعد زغلول.

لم تستجب لدعابته ولكنه لم يبال بل استمر يقول بتلك اللهجة الرقيقة التي لم تستطع أي امرأة مقاومتها من قبل: ايمان،

اديني فرصة اعوضك عن كل اللي فات، اعرفك ان الدنيا لسة فيها حاجات حلوة لازم تعيشيها.

وكأنه ضغط على الوتر الحساس، فهتفت فيه ايمان والدموع تتجمع في عينيها: لو سمحت، انا مش محتاجة شفقة من حد.

حسام: مين اللي قال اني بشفق عليكي، ايمان صدقيني انا فعلا محتاجلك اكتر مانتي محتاجالي.

ايمان وهي لا تزال على عنادها: انت ايه اللي يجبرك انك تربط حياتك بواحدة زيي في الوقت اللي افتكر ان فيه بنات كتير بيتمنوا انهم يرتبطوا بيك.

كانت تلك هي الحقيقة بالفعل، ولكن رد حسام كان أكثر اقناعا: يمكن يكون اللي بتقوليه دة حقيقي، وانا مش هكدب عليكي واقولك ان عمري ما عرفت ستات قبل كدة، بالعكس انا زي ما عبدالرحمن عارف كنت عايش حياتي بالطول والعرض، لكن انتي الوحيدة اللي واثق انها هتغنيني عن كل ستات العالم.

كان رده مخجلا حيث جعل عينيها تنظران الى الأرض تتحاشى لقاء عينيه المتلهفة، وفي اللحظة التي اعتقد فيها انه كسب الحرب أخرجت هي من جعبتها سلاحا آخر للمقاومة: يمكن دة حقيقي لكن انا عمري ما هقدر أِشبع غريزتك في انك تكون اب.

حاول الاعتراض: ايمان انا......

ولكن قاطعته بحسم: هتقول ايه يا استاذ حسام؟ انك مش عايز تبقا اب؟ واني وجودي معاك دة كفاية بالنسبالك؟ كل دة كلام ممكن تكون انت صادق فيه دلوقت او حتى بعد شهر او سنة او اكتر لكن بعد كدة هييجي الوقت انك تحن فيه للاحساس دة، دي طبيعة بشرية خلقها ربنا فينا، وانا مش ممكن اكون سبب في اني احرمك انت او غيرك منها، افتكر ان الكلام كدة خلص، عن اذنك.

ورحلت تلك المرة بالفعل وهو لم يستطع ايقافها، كانت محقة وهو لم يكن بيده ما

يبطل به حجتها، ولكن هناك شيء
بداخله كان يقول له باصرار، ان لم تكن
هي فلا إمرأة غيرها.

****
******

فرحة عارمة أطلت بظلالها على دارين
عندما علمت بموافقة اخيها على تزويجها
ممن تريد وهي تجهل تماما أن تلك الفرحة
التي تعيشها هي بمثابة الخنجر المغروس
بفؤاده ولكنه لن يقف أبدا في طريق
سعادتها وكان في كل يوم يترقب موعد
تنفيذ حكم الاعدام على قلبه حين تصبح
صغيرته ملكا لغيره.

وجاء اليوم الذي حدده مع عمر، فحضر ذلك الأخير برفقة والديه وأخته صديقة العروس وكان مازن وفؤاد وسميرة في استقبالهم وبعد كلمات التعارف والترحيب، ذهبت سميرة لاعداد المشروبات، وعادت بعد فترة فسألتها وداد والدة العريس بمرح: أمال فين عروستنا؟ تقلانة علينا ولا ايه؟

فردت عليها ابنتها وهي تغمز لها بمشاكسة: اللّه يا مامي، من حقها، مش هي العروسة بردو؟

فنهضت سميرة تقول: طب عن اذنكم هروح استعجلها.

سارة: خديني معاكي يا طنط.

فقالت وداد معترضة: يعني هتسيبوني انا في القعدة الخشنة دي لوحدي؟ ما تاخدوني انا كمان معاكم.

وذهبت الثلاثة لرؤية العروس ذلك اللقب الذي لم يستسيغه مازن مطلقا بالنسبة لدارين.

كانت دارين تجلس بحجرتها وبصحبتها غادة ومروة تساعدانها في الاستعداد لذلك اللقاء، وبعد الحاح من مروة استخدمت بعض مساحيق التجميل للوجه وهي تعلم ان مازن لن يعجبه ذلك، ثم ارتدت الفستان الذي كانت قد اشترته بمشورتهما خصيصا لهذا اليوم، ولم يبق سوى الطرحة التي تطوعت

غادة لمساعدتها في لفها في اللحظة التي سمعن فيها طرقات خفيفة على الباب، فذهبت مروة لفتحه كي تجد والدتها وبرفقتها امرأة تقريبا في نفس عمرها وشابة صغيرة، فقالت سميرة لابنتها: هه، العروسة جهزت ولا لسة؟

مروة: ثواني يا ماما وتكون جاهزة.

سميرة: طب ماما العريس وأخته عاوزين يشوفوها.

وما ان سمعت دارين بذلك حتى هتفت من الداخل: خليهم يا طنط يتفضلوا.

ودخلوا جميعا، لتقول وداد التي كانت اول من احتضنت دارين فور دخولها: بسم اللّه ولا قوة الا باللّه، دة ايه القمر دة؟

فردت دارين بنظرات خجلى ونبرة خافتة: ميرسي يا طنط.

فاقتربت سارة لتقول لها مغيظة: هه؟! دي من امتى يا بنتي الرقة دي؟! لا وكمان كنتي مخبية عننا كله دة فين؟

قالت ذلك وهي تلف حول العروس وتصفر بشفتيها اعجابا، اما وداد فقد أخرجت علبة قطيفة صغيرة الحجم من حقيبتها، وفتحتها على مرأى من الجميع ليظهر بداخلها أسورة ماسية يتلألأ نورها خاطفا الأنظار ثم

قدمتها لدارين وهي تقول: في الحقيقة انا كنت محتارة اجيبلك ايه؟ لكن بما ان سارة قالتلي ان انتي عندك سلسلة دايما لابساها، فأنا قولت يبقا اسورة بقا احسن.

فقالت دارين شاكرة: ميرسي اوي يا طنط ما كنش فيه داعي ابدا انك تتعبي نفسك بالشكل دة.

فقالت وداد بلهجة صادقة وهي تثبت الاسورة في معصم دارين ثم تخطف النظر ناحية عنقها: دي حاجة بسيطة بقدمها لبنتي، امال فين السلسلة اللي سارة قالتلي عليها عاوزة اشوف الاسورة هتبقا لايقة عليها ولا لا؟

وتلقائيا مدت دارين يدها تتحسس عنقها فلم تجد السلسلة، فقالت وقد انتابها القلق: ايه دة، السلسة فين؟ انا كنت لابساها.

فقالت مروة تطمئنها: اهدي بس يا دارين، تلقاكي خلعتيها هنا ولا هنا.

دارين وهي توشك على البكاء: انا عمري ما بخلعها، مصيبة لتكون ضاعت، دي كانت هدية من ماما اللّه يرحمها، انا لازم الاقيها.

ثم أخذت تقلب في كل ادوات التجميل التي كانت تشغل التسريحة، يساعدها الجميع في باقي انحاء الغرفة، في حين قالت غادة: طب انا هروح ادور في الحمام.

دقائق من البحث لم تطل، حتى عادت غادة تقول بانتصار: أهي لقيتها، شكلها وقعت منك يا دي دي من غير ما تحسي لان مشبكها مكسور.

توقفت وداد فجأة عند سماعها اسم التدليل الخاص بدارين، ثم جحظت عيناها التي تعلقت على السلسلة في يد غادة التي كانت تقدمها لدارين، وقبل ان تمتد يد دارين لاستلامها، ولدهشة الجميع، اختطفت وداد السلسة من يد الفتاة، وظلت تقلبها بين يديها في ذهول وكل العيون مسلطة عليها في تساؤل الى ان سمعوا صوتها اخيرا يقول: السلسلة دي بتاع دنيا بنتي.

ثم اتجهت عيناها نحو دارين التي قد اصابها نفس الذهول الذي خيم على الجميع.

****
****

جلس الجميع رجالا ونساء في حجرة الصالون وطالبوا مازن بتفسير لسبب وجود تلك السلسلة بحوذة دارين، وبعد الحاح والتزام مازن الصمت أطلعهم فؤاد على الحقيقة كاملة، وجاء دور وداد لتشرح لهم كيف اختفت دارين او التي اصبح اسمها دنيا، فقالت: في اليوم دة انا اخدت الولاد عشان اشتريلهم هدوم جديدة تناسب السفر لاننا كنا مسافرين المانيا عشان كنت هعمل عملية هناك في القلب وطبعا يوسف اصر

انه ييجي معايا وكان لازم ناخد الولاد، فدخلنا المول وانا انشغلت شوية مع عمر والبنات كانوا مع يوسف وفجأة اختفت دنيا، ودورنا عليها ملقيناش ليها اثر في المول كله، وقتها انا زاد عليا التعب ونقلوني ع المستشفى و الدكاترة قالوا ان تأخير العملية فيه خطورة كبيرة على حياتي وكان لازم اسافر بسرعة، وفعلا سافرت ويوسف فضل هنا ومعاه الولاد عشان يتابع البحث عن دنيا لكن كل دة كان من غير فايدة لحد ما فقدنا الامل في اننا ممكن نلاقيها، ودي اخر صورة اتصورتها معاها قبل ما تختفي، و نزعت السلسلة التي كانت في عنقها ثم فتحت القلب الذي كان يزينها

لتظهر صورة صغيرة بداخله لدارين وهي صغيرة برفقة وداد، انتقلت الصورة الى الجميع الى ان وصلت لدارين التي ما ان وقعت عيناها عليها حتى خرجت من حالة الصمت التي كانت تغلفها منذ أن بدأت تتكشف الحقيقة فنهضت من مكانها لتقول بصوت كانت ترتفع حدته شيئا فشيئا: يعني ايه الكلام دة؟ يعني انا مش دارين؟ والناس اللي طول عمري فاكرة انهم اهلي اطلع اصلا مليش صلة بيهم؟ والانسان اللي كنت هرتبط بيه يطلع اخوية؟

ثم وكأنها تذكرت امرا فجأة فازدادت عيناها اتساعا وهي تلتفت مرة واحدة الى ذلك الواقف هناك في احد اركان الغرفة

بملامح جامدة لا تنم عن شيء، وانطلقت

دارين تصيح في وجهه هاتفة بنبرة متألمة:

يعني انت مش أخوية؟

ثم أخذت تقترب منه ببطء وهي تكمل

صياحها والدموع لديها أخذت تهجر محبسها

: ما ترد عليا، ما تقولي ان كل دة مش

حقيقي وانهم كدابين وانت عارف اني

هكدب ادنيا كلها وهصدقك انت.

ثم أخذت تكيل له الضربات بيديها على

صدره وهي في حالة تشبه الانهيار: ما ترد

عليا يا مازن، جاوبني.

وكأنه صنم لا يسمع ولا يتكلم ولا يشعر

حتى بآلام تلك الضربات سوى فقط بذلك

الالم الذي يعتصر قلبها هي في حين انه لا يحق له حتى ان يأخذها في حضنه ويهدهدها كما كان قد اعتاد دائما.

بداخله صراع لا يعلم ايسعد لانها قد علمت الحقيقة اخيرا وهذا ما كان يتمناه، ام يحزن لانها علمت بتلك الطريقة القاسية التي لا تستطيع استيعابها وتسبب لها الكثير من الالام؟ فرفع يده ببط في نية لضمها يريد ان يخفف عنها بعض الامها يريد ان يمدها بعضا من قوته كي تقدر على مواجهة الامر ولكن تلك النية لم تدخل حيز التنفيذ فظلت يده تحتويها من بعيد وهو يقول محاولا تفسير الامر بطريقته: دارين انا.......

وبعنف ازاحت يده بعيدا عنها وهي تصيح فيه بنبرة اتهام: انت ايه؟ انت كداب، كل السنين دي كنت بتكدب عليا.

ثم اشارت بسبابتها الى الجميع لتكمل: كلكم كنتوا بتكدبوا عليا، كلكم كدابين، كلكم كدابين.

لحظة وغامت الدنيا امام عينيها فلم تعد ترى سوى ضباب أسود لتسقط بين ذراعيه التي امتدت اليها في الوقت المناسب فيغمى عليها في حضنه الذي ظنت انها على وشك ان تحرم منه.

****

وتمر الايام متشابهة، فها قد ذهبت دارين لتعيش مع اهلها الذين قد تعرفت عليهم مؤخرا دون ان يكون لمازن حق الاعتراض، ويعود هو الى عمله يخرج كل طاقته فيه، لا يحاول ان يشغل عقله بشيء سواه ولكنها بالرغم منه تقتحم اسواره المنيعة على الدوام، لم يرها منذ أن رحلت ولم يحاول تاركا المجال امامها لتعتاد حياتها الجديدة ولكنه كان يتعقب أخبارها يوما بيوم من مصدر موثوق به غريمه السابق وصديقه الحالي، عمر الذي بدأ يحتل عنده مكانة لا بأس بها، فكان يخبره في البداية انها تعتزل الجميع ولا رغبة لديها في محادثة احد ثم بعد ذلك اخذت تتعامل معهم

بحذر شديد حتى تلك الابتسامة التي تصل
الى شفتيها نادرا ينقصها شيء يجهله يجعلها
لا تصل الى عينيها، ومما أخبره به ايضا انها
تفتقده كثيرا، هي بالفعل لم تصرح
بذلك ولكنه واضحا جدا في كل
تصرفاتها او حتى كلامها.

وذات يوما اطلعه عمر على خبر خطير حيث
تقدم لطلب يدها شخص يعرفه مازن جيدا
الا وهو علاء الملاح الذي صادف انه ابن
صديق والده، وتلك الصلة اتاحت امامه
الفرصة ليكرر طلبه القديم ولكن ليس
مع مازن هذه المرة بل مع والدها الذي رحب
بتلك الزيجة اشد ترحاب لدرجة انه

يحاول الضغط على دارين كي تقبل به، اما عن رأي دارين فهو مازال مبهما حتى الان.

كانت تلك فرصة مناسبة امام مازن ليتقدم لخطبتها فمن المؤكد ان له الافضلية بالنسبة لها، ولكنه قرر ان يتأنى قليلا فليس هكذا تسير الامور، فدارين لاتزال مصدومة مما حدث وربما يأتي ذلك بنتيجة عكسية لا تكون في صالحه، فيجب ان يترك لها فرصة ولاول مرة كي تختار بنفسها دون ضغط منه، فان اختارته هو فستكتمل سعادته، وان لم يكن فلن يتمنى لها سوى السعادة وبذلك ايضا ستكتمل سعادته.

وفي يوم بعد ان انتهى من اجتماع كان قد عقده مع رؤساء الاقسام بالشركة، دخلت سكرتيرته وكان قد اخذ منه التعب مأخذه فنظر اليها بانهاك: فيه ايه؟

السكرتيرة وهي تشفق على حاله، فهو لا يرحم نفسه ليلا ونهارا كماكينة عمل لا تتوقف ابدا: فيه انسة برة مصرة انها تقابل حضرتك ولما عرفت ان عندك اجتماع فضلت تستنى لحد ما خلص، واسمها دنيا الهواري.

****

الفصل الثامن والعشرون

مفاجأة لم يتوقعها ولكنها بالطبع قد أسرته، فها هي صغيرته قد جاءته بنفسها، فهل دفعها الحنين؟ أم انها قد سمعت نداء فؤاده فلم تستطع الا ان تلبيه؟

نظر الى سكرتيرته التي لا تزال واقفة امامه تنتظر جوابه، فقال لها بلهجة عملية تختلف تماما عما يجيش في صدره من المشاعر: خليها تتفضل، و مش عاوز اي مكالمات تتحولي او اي حد يدخل عندي وهي موجودة، مفهوم؟!

السكرتيرة طائعة: مفهوم يا فندم.

وخرجت الفتاة لتدخل دارين بعد لحظات كان يحتاجها مازن ليعد نفسه جيدا لهذا اللقاء، رآها تدخل عليه بخطوات مترددة ونظرات تتحاشى لقاء عينيه، وصوت يأبى ان يرتفع حتى بالكاد سمعه مازن: السلام عليكم.

فأجاب مازن وهو يحاول ان يتمالك نفسه حتى لا يقفز من مكانه ويطير نحوها ليأخذها بين أحضانه يبثها شوقه طوال تلك الأيام الطوال: وعليكم السلام، اتفضلي.

وأشار الى كرسي أمام المكتب فاستجابت دارين لدعوته، وبعد ان استراحت في

مقعدها، قدم مازن عرضه المهذب فقط

لكسر حاجز الصمت: تحبي تشربي ايه؟

فرفضت دارين عرضه باسلوب متحفظ: ولا

حاجة، شكرا.

كل منهما يتعامل على استحياء حتى دارين

التي جاءت اليه بنفسها ترفض ان تبدأ

بالكلام تاركة له حق المبادرة طوال

الوقت ليسألها الان بلهجة تنم عن الاهتمام:

وانتي عاملة ايه دلوقت في حياتك

الجديدة يا دارين؟

تجاهلت سؤاله وعوضا عن ذلك قالت له

مصححة: دنيا.

نظر اليها بتساؤل ردت عليه: اسمي دنيا الهواري.

فأومأ برأسه متفهما، ثم قال معتذرا: اه انا اسف، اصلي لسة مش متعود على الاسم الجديد.

كادت ان تخبره انها ايضا لم تعتد عليه حتى الان ولكنها تراجعت لتباغته بسؤالها بدلا من ذلك: انت ليه خبيت عليا؟

لم يحتج تفسيرا فقد فهم الام تشير، لذا أجاب على الفور: كنت مستني الوقت المناسب.

دارين بلوم: وكان امتى هييجي الوقت المناسب دة؟ يا مازن انا كنت على وشك اني اتجوز اخوية.

فسألها بلهجة تحمل شيئا من السخرية: وهو دة بقا اللي مزعلك؟ ان عمر طلع اخوكي؟

كانت تريد ان تخبره بأن هذا ليس سبب حزنها الحقيقي بل سببه اكتشافها بأنه هو ليس بأخيها، بأنها حقا قد افتقدت لوجوده بجانبها، افتقدت اهتمامه وحبه لها، افتقدت حتى شدته معها في بعض الاحيان، انها لا تنكر ان الجميع الان يعاملونها بكل ود واهتمام ولكن لا احد منهم استطاع ان يحتل مكانته في قلبها.

طال صمتها وهذا ما أقلقه، لذا سألها: فيه حد مزعلك؟

دارين بصدق: محدش فيهم بيحاول يزعلني، ثم انت نسيت انهم اهلي؟

هل تريد ان تخبره انه هو الذي اصبح غريبا بالنسبة لها؟ ان حتى اهتمامه بها لم يعد لديه الحق فيه؟

صمت اخر حل عليهما وكانت تلك المرة هي التي تحدثت عندما وجدته يعبث بقلمه، فقالت معتذرة: انا اسفة، شكلي عطلتك.

أسقط القلم من بين اصابعه على المكتب، وقال لها بابتسامة رقيقة: لا ابدا، لكن انا

حاسس ان فيه حاجة انتي عاوزة تقوليهالي بس مترددة.

كان على حق، فهي حتى الان لم تخبره بسبب زيارتها له ولكنها لم تعلم من اين تبدأ الحديث، شعر بترددها، فقال مشجعا: قولي انا سامعك.

فقالت دارين فجأة باستعطاف: مازن انا محتاجالك.

اه لو تعلم تأثير جملتها تلك عليه، فلقد هزت كل كيانه، فها هي صغيرته تخبره بكل بساطة انها لازالت بحاجة اليه، بأنه لا يزال له دورا في حياتها حتى بعد انفصالها عنه، خشى ان يتحدث فيفصح لها عن

مشاعره، لذا فضل الصمت وهز لها رأسه يستحثها على الاستمرار، فقالت: علاء ابن اخت طنط سميرة طلع يبقا ابن صديق بابا، ولما شافني هناك وعرف اني طلعت بنت يوسف الهواري، جدد طلبه وعاوز يتجوزني، وبابا موافق وبيضغط عليا عشان اقبل، وبيقول اني لو رفضت دة ممكن يخسر العلاقة بينه وبين صاحبه ويأثر كمان على شغله، وأنا مش عارفة اعمل ايه؟

بالطبع لم يخبرها مازن بأن كل هذا كان على علم به، ولكنه طرح عليها السؤال الذي كان يهمه: طب وانتي ليه رافضاه؟

فأجابت دارين ناظرة الى الارض بخجل: لاني مش بحبه.

فقال لها مازن مداعبا بسخرية: اوعى تكوني لسة بتفكري في عمر.

كانت على وشك ان تخبره بأنها اكتشفت مؤخرا ان مشاعرها تجاه عمر لم تكن حبا حقيقيا، ولقد حمدت ربها ان علاقتها به لم تتطور عن ذلك، فالشيء الوحيد الذي كان يجذبها اليه هو انه يشبه مازن الى حد كبير وخاصة في علاقته بأخته، فقالت ترد عليه: عمر بقا هو اقرب واحد ليا في البيت دلوقت، واحنا الاتنين حمدنا ربنا اننا طلعنا اخوات مش اكتر من كدة، حتى هو

الوحيد اللي بيحاول يقنع بابا انه يرفض الجوازة دي لكن واضح ان بابا مصر ومش قابل اي كلام تاني في الموضوع دة، وانا مش عارفة اعمل ايه؟ عشان كدة جتلك.

وكان رده الجاف الذي لم تتوقعه: طب وانتي عاوزاني اعمل ايه؟ او اتدخل بأي صفة؟ دارين! فيه حقيقة دلوقت انتي لازم تاخدي بالك منها وهي اني ما بقاش ليا اي حقوق عليكي لاني مش اخوكي.

استفذها رده رغم اقرارها بصحته، فنهضت من مكانها لتقول له معتذرة بلهجة باردة: انا اسفة لاني جيتلك، واسفة كمان لاني اخدت وقت كبير من وقتك.

وقبل ان تتحرك من مكانها التفتت اليه مجددا وكأنها تذكرت امرا: اه وعلى فكرة انا اسمي دنيا مش دارين.

ثم اتجهت نحو الباب ولكن تجمدت يدها على المقبض حين سمعته يناديها: دارين!

هاهو مجددا يصر على منادتها بهذا الاسم الذي لم يعد يخصها ولكنها قاومت تلك الرغبة التي كانت تدفعها لفتح الباب والهرب خارجا، فالتفتت اليه بتساؤل، ولكنه كان بحاجة للحظات يستجمع فيها قواه ويرتب فيها أفكاره، لأول مرة تراه دارين مترددا هكذا ينظر اليها بنظرة لم ترها من قبل في عينيه وهذا ما جعلها تتكهن

بخطورة الامر الذي هو على وشك اخبارها به وقد صدقت تكهناتها حين انطلق لسانه بتلك الكلمة التي زلزلت كيانها حتى انها كذبت سمعها، ورغم ان نبرة صوته خرجت رقيقة الا ان قوة الكلمة جعلتها تبدو كإنفجار قنبلة بالقرب من أذنيها:

تتجوزيني؟!!!!!!!

****

:للأسف يا استاذ مازن، عرضك جه متأخر شوية لان دنيا دلوقت بقت شبه مخطوبة.

قالها يوسف الهواري الذي كان يجلس خلف مكتبه بالفيلا باسترخاء بعد ان أخبره مازن برغبته في الزواج من دنيا الهواري، فقد طلب

رؤيته عقب لقائه بدارين مباشرة بعد ان حصل منها على الموافقة على طلبه، وقد التقى بيوسف بعد سويعات قليلة.

فقال مازن الجالس امامه بكل هدوء معقبا: اظن ان العريس يبقا علاء الملاح مش كدة؟

فرد يوسف بنبرة هازئة: طب كويس انك عارف.

مازن: دة زي مانا عارف كمان ان دارين مش موافقة.

يوسف بلهجة واثقة: واللّه دنيا بنتي وانا ادرى بمصلحتها.

وكان هذا هو الوقت المناسب ليرد عليه مازن بنفس النبرة الهازئة ملقيا قنبلته: دة مش لما تكون بنتك الاول!

انتفض يوسف من مكانه فجأة وهو يصيح في مازن بنبرة متلعثمة: انت بتقول ايه؟ اكيد دارين بنتي طبعا ومحدش يقدر يقول غير كدة.

اما مازن الذي لم يفقد هدوئه بعد، قال له مشككا: فين اثباتك على كدة؟

يوسف وهو لا يزال تحت تأثير الصدمة ويخرج صوته متقطعا: انا، انا مش محتاج اثبات على كلامي، دنيا من عيلة الهواري.

ثم اكمل متحديا: ولو انت معاك اثبات على غير كدة قدمه.

وكان رد مازن عمليا حيث اخرج من جيبه شهادة ميلاد وفضها امام يوسف وهو يقول بنبرة مليئة بالثقة ومشددا على كل حرف في كلامه: صحيح دارين او دنيا هي من عيلة الهواري لكنها بنت ماجد الهواري اخوك.

ورمى بشهادة الميلاد امامه على المكتب ليتهالك يوسف اثرها على كرسيه وهو ينظر الى شهادة الميلاد بغير تصديق، وقد بدأ صوته يعود الى طبيعته وهو يسأل مازن: انت عرفت ازاي؟

مازن: في الحقيقة انا في الاول شكيت في ان دارين تكون بنتك لان نظرتك ليها ما كانتش نظرة اب شاف بنته لاول مرة من عشرين سنة تقريبا ودة اللي خلاني افتش ورا الموضوع لحد ما عرفت من السجلات ان يوسف الهواري مش معاه غير بنت واحدة وولد، في حين ان فيه شهادة ميلاد تانية باسم بنت اخوه ماجد الهواري واللي تقريبا طالعة في نفس السنة اللي اتولدت فيها سارة يوسف الهواري.

حاول يوسف التظاهر بالثبات واللامبالاة:

وايه يعني لو كانت بنت اخوية الله يرحمه؟ فدة بردو يخليني ابقا ولي امرها بعد وفاته.

لم تكن جعبة مازن تخلو من المفاجآت هذا اليوم، لذا قال ملقيا بمفاجأته التالية: ودة بقا اللي خلاك تحاول تتخلص منها؟

عاد يوسف لصياحة وصوته المتلجلج ثانية ليؤكد لمازن صحة تخميناته: انت بتقول ايه؟ انت اكيد مجنون! انت ازاي تتخيل اني ممكن افكر اني اتخلص من بنت اخوية؟ طب ايه الدافع اللي ممكن يخليني اعمل حاجة زي كدة؟

فرد مازن ببساطة: نقول ورثها مثلا؟! لان اللي اعرفه ان كل الشركات والاملاك اللي حضرتك بتتمتع بيها دي كانت ملك للسيد الوالد وطبعا بعد وفاته بتتنقل

الملكية ليك ولأخوك وبما ان دنيا هي بنته الشرعيه فهي من بعده تبقا شريكتك في كل دة، ولا انا غلطان؟! الحاجة الوحيدة اللي عاوز اعرفها هي انك ازاي ما صعبتش عليك بنت اخوك وخصوصا وهي في السن دة، والله اعلم كان ممكن يحصلها ايه؟ او تعيش ازاي؟ في الوقت اللي انت بتتمرمغ في حقها وانت ولا على بالك!!!!

يوسف بنبرة حاقدة: ما تقولش حقها دة حقي انا، انا اللي كبرت الشركة دي مع ابوية ورفعت اسمها في السوق في الوقت اللي كان ماجد فيه ولا على باله بيتسرمح هنا وهناك وكل اللي شاغله الجري ورا البنات

وشرب المخدرات وبس لحد ما جه في يوم وساحب في ايده واحدة الله اعلم هو اتلم عليها منين وبيقول عليها مراتي، وشهر والتاني وبقت حامل لكنها ماتت بعد الولادة سايبالنا بنت ما نعرفش اصلا هي بنتنا ولا لا اما هو فالخمرة قتلته بعدها بكام شهر؟والطفلة مراتي اتعلقت بيها ورضعتها مع بنتنا، لكن بعد كدة اكتشفت ان البيه كان كاتب كل حاجة باسمها ، كنت عاوزني اعمل ايه ساعتها؟ استناها لحد ما تكبر وتشاركني بالنص في كل حاجة؟!

مازن مخمنا: وعشان كدة انت مش راضي تقولها الحقيقة وانها بنت اخوك مش بنتك.

صمت يوسف ولم يرد، فأكمل مازن: كدة يبقا هدفنا واحد، انا كمان من مصلحتي انها ما تعرفش الحقيقة.

فسأله يوسف مندهشا: وانت ايه مصلحتك في كدة؟

مازن بغموض: مش مهم تعرف، المهم دلوقت انت ليك عندي عرض كويس هتتطلع كسبان فيه من كل النواحي، ولو رفضت انت عاف كويس ايه اللي ممكن يحصل.

لهجة التهديد في صوته كانت قوية وواضحة مما ارغم يوسف على الانصات اليه باهتمام.

****
**

اقيم حفل الزفاف في فيلا العروس بعد ايام، فقد كان مازن هو سبب تلك العجلة، فهو لم يعد يطيق صبرا على بعدها عنه اكثر من ذلك، وقد اهتم هو بكل الترتيبات الخاصة بذلك كما اتفق مع يوسف، وتم عقد القران أعقبه التهانيء الحارة والزغاريط التي كانت تدوي في ارجاء الفيلا، وكانت العروس لاتزال تجهز في حجرتها تساعدها اختها وبعض الصديقات المقربات، اما مازن فلم يتركه صديقاه بالطبع في هذا اليوم وبينما وهو منشغل مع

يوسف في مناقشة امر ما، صاح حسام داعيا وهو يرفع يده الى السماء: عقبالنا يارب.

عبدالرحمن مداعبا: مرة واحدة كدة بقت نفسك مفتوحة ع الجواز؟

حسام: وليه لا؟ انا شاب وحليوة ومتيسر ماديا، ناقصني ايه يعني عشان اتجوز؟

فتعمد عبدالرحمن اغاظته وهو يقول: باقي موافقة العروسة يا فالح.

حسام: ماهو انت اللي بنت خالتك دماغها ناشفة اوي، مش لو كانت وافقت من ساعتها كان زمان مازن هو اللي بيحصلني في جمعتي؟

عبدالرحمن بجدية: مانا قولتك يا حسام من ساعتها بلاش تستنى يا بني، مفيش امل انها تغير رأيها.

حسام بتصميم: وانا بردو قولتلك من ساعتها يا هي يا بلاش.

ثم رن هاتف حسام فرد على المتصل: الو، ايوة مين حضرتك؟.....لو سمحت علي صوتك شوية عشان مش سامع.

كانت بالفعل تتعالى الاصوات بجانبه لذا قال للمتصل: طب خليك معايا ثواني لو سمحت.

ثم قال لصديقه: انا هروح اشوف حتة هادية اتكلم فيها.

وانسحب حسام ليأتي مازن الذي سأل صديقه: وهو يشير ناحية حسام: رايح فين الباشمهندس دة؟

عبدالرحمن: رايح يرد على اتصال جاله اصله مش عارف يتكلم هنا، ع العموم سيبك منه دلوقت وخليك في نفسك انت.

ثم اكمل عابثا: واللّه وبقيت عريس اخيرا يا مازن وادينا هنمشي في فرحك.

مازن ضاحكا: عقبال ما نمشي في فرحك انت كمان قبل ما نموت.

عبدالرحمن: من بكرة الصبح الساعة خمسة بالليل بس الاقي بنت الحلال الاول.

مازن مشيرا حولهما: بقا كل دول ما فيهمش بنت حلال واحدة تملى عينك؟

عبدالرحمن: مانا مش عاوزها تملى عيني وبس، ماهي لازم كمان تملى قلبي وعقلي زيك كدة يعني، بس قولي انت ازاي فجأة كدة اقنعتها انها توافق؟

فأشار مازن الى ناحية عقله وهو يقول: بدة.

فقلده عبدالرحمن ولكنه اشار الى قلبه يسأله: طب ودة؟

مازن: فاكر يا عبدالرحمن لما قولتلي مرة ان يمكن يكون فيه جوازات كتير بالاجبار، لكن مفيش حب بالاكراه.

فأومأ عبدالرحمن بالايجاب متذكرا حديثهما السابق، فأكمل مازن يقول له بعينين تلمعان بالغموض: انا بقا قررت اني اثبتلك العكس.

****
*

خرج حسام الى حديقة الفيلا وكانت هادئة تحوي القليل من الناس، فوضع الهاتف على اذنه مجددا ليرد على هذا الشخص المجهول الذي يحادثه: ايوة انا حسام معاك، حضرتك مين؟

وانتظر حسام يستمع لرد الاخر وفجأة تغيرت ملامح وجهه وظهر الرعب في عينيه ليهتف

قائلا: انت بتقول ايه؟ ايهاب اخوية ماله؟

طب خلاص انا جاي حالا.

واغلق المكالمة لينطلق خارج الفيلا

والخوف والقلق ينهشان قلبه.

****

الفصل التاسع والعشرون

نزلت العروس بزيها الابيض المعتاد الذي أطاح بلب مازن ما ان رآها به فكم تمنى ان ترتديه له،وكانت متعلقة بذراع عمها الذي سلمها لمازن،و بابتسامة عذبة قبل جبينها دون اعتراض منها فطالما فعل ذلك من قبل وهي لا تزال لم تدرك الاختلاف الذي حدث في علاقتهما بعد، وطافا بين المدعوين يحادثان هذا ويتضاحكان مع ذاك والجميع يتمنى لهما حياة هنيئة وهادئة.

اما عبدالرحمن فقد انضم الى فؤاد وزوجته التي ضربت كفا بكف وهي تقول متعجبة:

واللّه دي جوازة ما كانتش ع البال ولا ع الخاطر، بقا معقولة يا ولاد ان الاخ يتجوز اخته؟!

فرد عليها عبدالرحمن مفسرا: ماهي مش اخته فعلا يا طنط ولا حتى راضع عليها عشان كدة جوازهم من الناحية الشرعية حلال.

سميرة وهي لم تزل تستنكر ما يحدث: بس يعني اشمعنى دارين بالذات؟ يعني هي ما كنش فيه غيرها؟

وخطفت نظرة ناحية ابنتها التي تقف صامتة ينهش الحزن قلبها على حب صباها الذي ظل قابعا في الظلام لم ير النور ابدا،

فقالت غادة تتهرب من نظرات الشفقة التي لا تنفك والدتها ان ترميها بها وان كانت رغما عنها فهي تعلم تمام العلم كم كانت ابنتها تعلق امالا على جارها الشاب: طب عن اذنكم انا هخرج شوية اشم هوا في الجنينة.

فقالت مروة على الفور بعد ان غمزت لزوجها بطرف عينيها في الخفاء وتلقت الرد: خديني معاكي يا غادة.

فنظر فؤاد ناحية زوجته بلوم ثم قال لعبدالرحمن الواقف بجواره وقد شعر بأن في الامر سرا ولكن كعادته لا يتدخل في شئون الغير حتى يطلب منه:

ما تشوفلنا شوية مية يا بني الواحد حاسس انه هيموت من العطش.

عبدالرحمن: حاضر يا عمي، ثواني هروح اجيب المية.

****

خرجت غادة برفقة أختها حتى استقرتا على أرجيحة بحديقة الفيلا، فقالت مروة لاختها محاولة تضميد جرحها: ما تزعليش يا غادة، ان شاء اللّه ربنا هيرزقك بأحسن منه.

غادة بابتسامة ساخرة:نفس كلام ماما بالظبط، بس على فكرة انتوا فاهمين غلط لان انا مش زعلانة بالعكس انا فرحانالهم

جدا هما الاتنين كويسين اوي ويستاهلوا كل خير وبجد ربنا يسعدهم، بس.....

ثم صمتت لا تدري ماذا تقول، فاستحثتها مروة على الاستمرار: بس ايه يا غادة؟ كملي.

فنظرت اليها بأعين دامعة وهي تقول لها بصوت متحشرج: نفسي انساه يا مروة، نفسي اطلعه من تفكيري، انا بجد حاولت كتير بس مش عارفة.

فضمتها مروة الى صدرها، ثم قالت تهدهدها بصوت حان: معلش يا حبيبتي، كل حاجة بتاخد وقتها وانتي اقوى من اي صدمة.

ثم وبعد ان هدأت قليلا نصحتها اختها: ياللا بقا تعالي اغسلي عنيكي قبل ما نرجع عشان تلقى الجماعة بدأوا يقلقوا علينا.

فأطاعتها غادة وذهبت معها وهما يغفلان عن ذلك الذي كان بالقرب منهما تحجبه تلك الشجرة الكبيرة التي يقف بجوارها وقد استمع حديثهما بالكامل عن دون قصد، وبعد رحيلهما لاحت ابتسامة غامضة على ثغر عمر.

****
*

وصل عبدالرحمن الى المطبخ اخيرا بعد ان مل من البحث عن كوب ماء حتى يروي بها عطش فؤاد، وما ان عثر على المطبخ حتى

تنفس الصعداء وقال محدثا نفسه بصوت مسموع في تذمر: اخيرا! بقا فرح طويل عريض بالشكل دة مش لاقي فيها كوباية مية واحدة؟! دة ايه العالم دول؟

فجاءه صوت ناعم من خلفه يقول بغضب مكتوم: حضرتك كنت تقدر تطلب المية من حد من الشغالين اللي برة وما كنتش كلفت نفسك وجيت هنا.

أدار عبدالرحمن وجهه الى صاحبة الصوت ليرد عليها عاقدا ذراعيه أمام صدره بتحد واضح في صوته: واللّه حضرتك انا لو كنت شفت حد منهم اكيد ما كنتش كلفت نفسي وجيت هنا زي ما بتقولي.

سارة وقد تملكها الغيظ من تحديه ولكنها حاولت ان تسيطر على ردة فعلها جيدا: طب تقدر تتفضل حضرتك وانا هبعتلك حد بالمية.

فقال عبدالرحمن وهو يصب بعض قطرات المياه من الزجاجة في كوب صغير وقد داعبت ثغره ابتسامة لاهية: وعلى ايه نتعبكم معانا؟ انا خلاص خدت اللي انا عايزه، عن اذنك.

ثم تركها ورحل تاركا اياها تتميز غيظا من اسلوبه الذي استفذها كثيرا.

عاد عبدالرحمن الى فؤاد وناوله كوب الماء وقد كان العروسان يستعدان للرحيل

فاستأذن عبدالرحمن من الرجل ليذهب الى صديقه عارضا خدماته ان أمكن، وبعد ان هنأ مازن مع القليل من عبارات المرح والمداعبات التي غالبا ما تكون بين الاصدقاء في هذا اليوم وفجأة رآها هي مرة أخرى تحتضن العروس وتقبلها، فالتفت الى مازن يسأله مشيرا الى حيث تقف دارين مع صديقاتها: مازن! انت تعرف البنت اللي هناك دي؟

فنظر مازن الى حيث أشار متعجبا من حال صديقه الذي لم يهتم لأمر فتاة من قبل: اي واحدة يا عبدو بالظبط؟

عبدالرحمن: اللي بتهمس في ودن مراتك دي.

فقال له مازن على الفور بمرح: يا لعيب، ما لقتش غير دي؟!

عبدالرحمن مندهشا: ومالها دي؟

استمر مازن يراوغه قائلا مبديا اعجاب زائف نحو سارة: ملهاش يا سيدي، الحقيقة هي مزة جامدة.

وكان عقابه تلك الضربة القوية في صدره التي تلقاها من اصابع عبدالرحمن وهو يحذره: ما تلم نفسك يا مازن امال، يعني تبقى لسة عريس وبتبص للتانية؟

تأوه مازن من ضربته واخذ يدلك مكانها بيده وهو يعاتب صديقه: ما تخف ايدك شوية يا عم انت، وكمان هو انا لو فكرت مثلا اني اتجوز تاني مش هلاقي غير دي؟

مرة ثانية يحدثه بالالغاز وهو مالم يستسيغه عبدالرحمن، فسأله بنفاذ صبر: اللّه! ما تتكلم دوغري يا مازن بقا وتقولي مالها دي يعني؟

فغمز مازن لصديقه بهدف اغاظته وهو يقول مداعبا: دة انت شكلك كدة فعلا طبيت بجد. ع العموم يا سيدي هي العيب الوحيد اللي فيها انها مش هتجوزلي.

عبدالرحمن ساخرا: ليه بقا ان شاء اللّه؟ طلعت هي التانية اختك بالتبني؟

مازن: لا يا فالح، دي تبقا اخت مراتي.

تلك المرة كانت ضربة خفيفة بعد ان ارتاح باله: طب يا اخي مش تقول كدة من الصبح، ودي بقا ايه ظروفها؟ متجوزة؟ مخطوبة؟ مرتبطة؟

مازن: انسة وما افتكرش ان فيه اي مشروع جواز حاليا، هه؟! قولت ايه بقا؟ تقريبا المأذون ملحقش يوصل بيته، تحب ابعت حد يرجعه؟

عبدالرحمن برزانة: ما تهدى شوية يا عم مازن، ولا انت خلاص عشان اتجوزت يعني

عايز الكل يتدبس زيك، ثم الامور دي محتاجة تروي شوية، ولو فيها خير يبقا ربنا ييسر الحال.

وفي هذه اللحظة رن هاتف عبدالرحمن وعندما نظر الى شاشته وعلم بهوية المتصل، التفت الى مازن يقول مازحا: دة الواد حسام شكله كدة تاه في فيلا الأدغال دي وبيتصل عشان نوصفله الطريق، ثم فتح المكالمة وضع الهاتف بجانب اذنه ليقول: السلام عليكم، ايوة يا حس فينك؟

ثم تغيرت تعابير وجهه فجأة فعقد حاجبيه وعبس وجهه ليكمل: طيب انت فين

دلوقت؟......... طيب انا ربع ساعة بالكتير وابقا عندك.... سلام.

انهى المكالمة، فسأله مازن بقلق: فيه ايه يا عبدالرحمن؟ حسام ماله؟

اضطر عبدالرحمن للكذب على صديقه فرسم ابتسامة مزيفة على شفتيه صدقها مازن: لا ابدا، دي مشكلة بسيطة في المشروع الجديد وحسام زي مانت عارف بيغرق في شبر مية، عن اذنك بقا لما اروحله احسن ينيلنا الدنيا، مش عايز اي حاجة قبل ما امشي؟

فشكره مازن: تسلم يا عبدالرحمن، بس لما تروح هناك يبقا طمني.

فأومأ عبدالرحمن برأسه بالايجاب: ان شاء الله.

وذهب عبدالرحمن مسرعا وهو يعلم ان الامر يحتاج فقط الى اقل من خمس دقائق حتى ينشغل العريس بعروسه وينسى كل ما أخبره به عبدالرحمن وأمر تلك المكالمة التي تلقاها من حسام.

****

دخل عبدالرحمن المشفى مهرولا، ثم اتجه نحو مكتب الاستعلامات ومنه الى غرفة العناية المركزة ليجد عندها حسام برفقة ثلاثة اشخاص رجل وامرأة في سن الخمسين

تقريبا وشاب في حوالي الخامسة والعشرين:

حسام!

وبوجه أبيض كالاموات التفت اليه حسام وقد احمرت عيناه واغرورقتا بالدموع التي غسلت وجهه بأكمله، طوال سنين صداقتهما لم يسبق ان رآه عبدالرحمن على تلك الحال، فجرى نحوه يحتضنه بذراعيه وكأن حسام كان بحاجة الى هذا الحضن بالفعل فأطلق لدموعه العنان وصوت بكائه يتعالى شيئا فشيئا: كلهم هيروحوا مني يا عبدالرحمن بابا وايهاب ماتوا وماما عاوزة تحصلهم، خلاص مش هيبقا ليا حد تاني.

ظن عبدالرحمن في البداية ان سمعه قد خانه او ان صديقه قد أذهب حزنه على والدته بشيء من عقله، لذا أبعد رأسه قليلا عن صدره وسأله: هو مين دة اللي مات يا حسام؟

فرد حسام وقد ازداد نشيجه: ايهاب، ايهاب مات يا عبدالرحمن مات هو ومراته وماما ما استحملتش الصدمة ما استحملتش بعده عنها عاوزة تحصله عشان يسيبوني كلهم لوحدي.

صدمة جمدته مكانه، فايهاب لم يكن فقط الاخ الاكبر لصديقه بل كان في منزلة اخ كبير له هو ايضا، دموع لا يشعر

بها تتسابق على خده، الم وحزن يعصفان

بقلبه ، لسان لا يجد ما يقول سوى ترديد ما

سمعه من حسام بصوت خافت: ايهاب مات!

وكأنه سؤال رد عليه حسام بدون وعي

بصوت يشبه الصراخ: اه مات، كان كلها

اسبوع ويرجع يستقر هنا بس المجرمين

استكتروا عليه حتى الاسبوع دة.

اما عبدالرحمن فكان اكثر قوة وتماسكا

فظل يردد من بين دموعه: لا اله الا اللّه، انا

للّه وانا اليه راجعون.

اما حسام فاستمر يقول يرثي اخاه: هعمل ايه

من بعدك يا ايهاب؟ وامي اللي كانت روحها

فيك مين اللي هيصبرها على غيابك

هنعيش ازاي من غيرك؟ و اولادك!
هيعيشوا ازاي من بعدك؟ روحت وسيبتلي
الحمل كبير اوي يا اخوية، اااااااااااااااااه.

صرخة اخرجت كل ما بداخله من الم حتى
عبدالرحمن فكان يبكي في صمت على
غير العادة لا يجد الكلمات التي يمكن ان
يواسيه بها، فالكارثة التي حلت بصديقه
اكبر من اي كلمة من الممكن ان تقال.

****

انتهى العرس وذهبت دارين برفقة مازن
لينتقلا الى عش الزوجية، لم ينبس أي
منهما بكلمة طوال الطريق، فدارين التي
بدأت تشعر بشيء من التوتر فور ان وطئت

قدماها السيارة لم تقو حتى على النظر باتجاه مازن الذي يبدو انه قد حس بتوترها وبدلا من ان يقول شيئا يخفف من حدة هذا التوتر فضل الصمت حتى يحين موعد الكلام!

وصلا البناية التي تعرفها دارين جيدا وقد أعطاها ذلك شعورا بالألفة والارتياح، ثم أخذ مازن بيدها يساعدها على صعود السلم حتى لا تتعثر خطاها بسبب هذا الفستان الذي ترتديه الى أن وصلا الى الشقة التي تحفظ دارين كل شبر فيها عن ظهر قلب، وما ان خطت دارين اولى خطواتها بداخل الشقة حتى كانت المفاجأة، فما من شيء بها بات على حاله، فلقد تغيرت الشقة

بالكامل بداية من طلاء الجدران حتى الاثاث، علامات الدهشة كانت بادية على وجهها ولكن مازن لم يعطها وقتا لاستيعاب هذا التغيير وحدها فأمسك بيدها وهو يقول بابتسامة تحمل الكثير من المعاني لم تكن دارين بحالة تسمح لها بتفسيرها:

تعالي افرجك على الشقة.

ذهبت معه دارين كالمغيبة وهي تنظر الى ما حولها ببلاهة فأدخلها حجرة الجلوس ثم المطبخ وقد اختلفا تمام الاختلاف عن ذي قبل، ثم جاء الدور على غرفة النوم الخاصة به التي تحولت الى حجرة مكتب وبها مكتبة صغيرة تضم العديد من الكتب، ثم جاء وقت حجرة النوم التي

كانت تخصها فأغمضت عينيها استعدادا لمفاجأة جديدة وقد كان فها هي قد نالت ايضا نصيبا من التغيير فأصبحت تضم سريرين صغيري الحجم مع خزانة للملابس بحجم يناسب حجم السريرين هذا الى جانب تلك الرسومات التي تملأ الجدران لمشاهير الشخصيات الكرتونية بالاضافة الى العديد من الدمى ذات الاحجام المختلفة لتكتمل الصورة لحجرة نوم أطفال كما أخبرها مازن و لكن أطفال من؟! هذا ما نسي أن يخبرها به!

وأخيرا تأتي حجرة النوم الرئيسية والتي يبدو انها كانت أكثر مقاومة من مثيلاتها فقد ظلت تحتفظ بمسماها القديم لتبقى

حجرة نوم كبيرة كما كانت هذا بالطبع مع اختلاف الوان الجدران التي اصبحت عصرية وكذلك الاثاث الذي تبدل بدوره، وبينما كانت دارين تقف جامدة في مكانها تطوف بنظرها الى كل ركن في الحجرة بدهشة واعجاب، اتاها صوت يهمس في اذنيها بشاعرية: ودي بقا اوضة النوم...... بتاعتنا.

ماذا؟!!! هل هو حقا استخدم ضمير الجمع؟! هل قصد انهما سيتشاركان نفس الحجرة؟! هي بالطبع تتذكر انهما قد فعلا ذلك مرات عديدة في الماضي حين كانت تنتابها بعض الكوابيس فتهرع الى غرفته تحتمي

في حضنه الى ان تخطت مرحلة الطفولة، ولكن الان! مستحيل!

كانت غارقة في تفكيرها الى ان شعرت بيده تمتد نحو حجابها فانتفض جسدها ولأول مرة تشعر بالخوف وهو بجانبها والمشكلة الكبرى أنه هو نفسه سبب هذا الخوف، أتاها صوته أرق من المعتاد يقول لها مهدئا: هساعدك في خلع الطرحة.

فرفضت عرضه شاكرة بصوت خافت: لا شكرا، انا هخلعها لوحدي.

فابتعد مازن خطوة واحدة عنها ليقول لها: طيب انا هستناكي برة ونادي عليا لو احتاجتي حاجة.

فأجابته بايماءة من رأسها، اما هو فقد اخرج بيجاما للنوم من الخزانة قبل ان يتركها ويغلق الباب خلفه لتعود جملته تتردد في عقلها مجددا" انا هستناكي برة" فماذا يعني بها؟ فهل هذا اصبح بالامر الواقع؟ هل يتوقع حقا انها ستسمح له بذلك؟ حسنا! فبعد قليل سيعلم بأنه كان مخطئا.

ذهبت الى التسريحة وقامت بفك الدبابيس من الطرحة، ثم جاءت المهمة الاصعب الا وهي فتح سحاب الفستان، فحاولت مرة واثنان وثلاث ولكنها لم تنجح حتى يئست من الامر فجلست على الكرسي امام التسريحة ووضعت قبضتي يديها تحت ذقنها في ضيق،

ومرت بضعة دقائق حتى سمعت طرقا على الباب ثم وصلها صوته القلق: دارين!

ترددت قبل ان ترد عليه: ايوة.

مازن: اقدر ادخل؟!

دارين...............:

لم تهتم بالرد لانها كانت منشغلة بالتفكير في كيفية فك السحاب او انها ستضطر للنوم بفستانها، اما مازن فلم ينتظر طويلا حتى فتح الباب ثم القى بنظرة خاطفة بداخل الحجرة يفتش فيها عنها ليجدها على هذا الوضع فأسرع اليها يدفعه القلق: دارين! مالك؟ فيه ايه؟

فنظرت اليه دارين بعين شاردة، هكذا هو دائما قلقا على كل ما يخصها حتى ابسط الامور، ثم تذكرت فجأة مشكلتها فمطت شفتيها غاضبة من نفسها: مش عارفة افتح سوستة الفستان.

وجد نفسه يبتسم رغما عنه وهو يقول في نفسه متى ستكبرين يا صغيرتي؟، ثم عاتبها برقة: طب انا مش قولتلك ناديني لو احتجتي حاجة؟

لم تجبه ونظرت الى الارض في خجل فأخذ بيدها وأنهضها ثم ادار ظهرها اليه ليتعامل مع السحاب الذي وجده عالقا في بعض خيوط الفستان الى ان نجح في الامر أخيرا

وقام بفكه، ثم ترك يده تلامس ظهرها ليلحظ تلك الرعشة التي سرت في جسدها، ثم ابتعادها عنه على غفلة لتدير وجهها اليه فيرى نظرة رعب في عينيها لم يرها من قبل: فيه ايه يا دارين؟ خايفة من ايه؟

اضطرت دارين للكذب عليه، فقالت متلعثمة: انا مش خايفة، انت مش فتحت السوستة؟ اتفضل بقا اطلع برة لاني عاوزة اغير هدومي وانام.

فرفع مازن حاجبيه بتعجب: اطلع برة فين؟ انتي نسيتي انك مراتي؟

دارين: بس دة ما ينفعش.

بدت عليه الحيرة وهو يسألها: هو ايه بالظبط اللي ما ينفعش؟

بدأت تفرك يديها في توتر قبل ان تتشجع فتضع يديها على ذراعيه لتقول له بشبه توسل: مازن! انت عارف ان انا وافقت ع الجوازة دي عشان سبب معين، لكن في الحقيقة انت اخوية الكبير وهتفضل........

فقاطعها وهو يبعد يديها عنه برفق: ما تكمليش، لان انا وان كنت زمان اخوكي الكبير، فعقد الجواز اللي تم بينا من ساعات انهى بالنسبالي الدور دة، ثم قرب وجهه منها لتلفح انفاسه الحارة خدها وهو

يقول مشددا على جملته: انا دلوقت جوزك، وانتي لازم تبدأي تتعاملي مع الوضع الجديد.

ثم ابتعد مرة اخرى ليستقيم جسده وهو يقول بحسم غريب عنها: ع العموم انا مش هستعجلك، خدي وقتك بس ياريت ما تختبريش صبري فترة طويلة، تصبحي على خير.

ثم تركها مسمرة في مكانها تفكر فيما قاله لها منذ لحظات، وكيف يمكنها ان تتعامل مع هذا الوضع الجديد الذي يقول عليه؟ فهو بالنسبة لها أخ كبير ولا يمكن لهذا الوضع ان يتغير.

الفصل الثلاثون

بعد ليلة طويلة من النوم المتقطع نهض مازن مبكرا من الاريكة التي كان يرقد عليها، ثم بدل ثيابه وخرج قبل أن تستيقظ دارين التي بدا عليها هي ايضا أنها لم تذق طعم النوم الا في وقت متأخر، اما مازن فقد كان بحاجة للابتعاد قليلا لتصفية ذهنه والاستعداد للمرحلة القادمة من علاقته بدارين، فأخذ يقود سيارته في الشوارع بغير هدى وفي النهاية قرر الذهاب الى العمل متغاضيا عن نظرات الدهشة والتعجب التي تلقاها من كل موظفين الشركة تقريبا،

وما ان استقر على كرسيه خلف المكتب حتى رفع سماعة الهاتف ليطلب سكرتيرته وقد بدا التعب على صوته: اطلبيلي فنجان قهوة ووصليني بمكتب الباشمهندس عبدالرحمن.

ثم انتظر لحظات ليتم تنفيذ طلبه الثاني وبعد أن جاءه الرد علت وجهه الدهشة وهو يهتف في غير تصديق: ايه؟! يعني ايه لسة مجاش لحد دلوقت؟ انتي متأكدة؟...... لا خلاص انا هكلمه.

وأعاد السماعة مكانها وهو ينفث ويقول في ضيق: وانت ايه اللي اخرك لحد دلوقت يا عبدالرحمن؟

ثم أخرج هاتفه الخلوي من جيبه وضغط على بعض أزراره و بمجرد أن وضعه على أذنه حتى تضاعف ضيقه وألقاه على المكتب ليقول مرة أخرى بحدة أكبر: وكمان قافل موبايلك؟!

لم يكن أمام مازن سوى الانتظار ساعة واثنان يباشر العمل فقط، فمن جهة يفكر في أمره هو ودارين، ومن جهة أخرى يقلقه تغيب صديقه الذي لا يعلم له مبررا حتى الان، وأخيرا ظهر عبدالرحمن بعد ساعات يطرق باب مكتبه ليراه مازن وقد بلغ منه الارهاق مبلغه، تظهر على وجهه علامات السهر، بثياب الامس أي انه لم يقض ليلته في بيته، دخل عبدالرحمن وبعد أن القى

التحية بادر مازن بسؤاله اللائم الذي لم يستطع ان يخفي فيه دهشته: انت ايه يابني اللي جابك النهاردة؟ انا اتفاجئت لما السكرتيرة قالتلي انك طلبتني، هو مش المفروض ان النهاردة بردو تبقى صباحيتك؟

اما مازن الذي لم يكن في حالة تسمح له بالاجابة عن هذا السؤال، فقد تهرب ليطرح هو سؤال آخر على صديقه يوجه به دفة الحديث الى موضوع ثان: سيبك من صباحيتي وقولي انت ايه اللي آخرك كدة؟ انت طول عمرك بتحب الانضباط في مواعيدك ومفيش حاجة ممكن تأخرك عن الشغل غير لو كانت مصيبة.

عبس وجه عبدالرحمن وهو يرد على صديقه: هي فعلا مصيبة يا مازن.

فزع مازن من قول صديقه: يا ساتر يارب، مصيبة ايه يا عبدالرحمن؟ ما تتكلم.

عبدالرحمن وقد تملك الحزن من صوته: ايهاب اخو حسام هو ومراته تعيش انت.

لم يبالغ عبدالرحمن في وصف الامر بالمصيبة فمنزلة ايهاب عند مازن تساوي منزلته عند عبدالرحمن وحسام، وكأنه يرفض تصديق ما سمعته أذنيه لذا سأل محاولا التأكد من صحة ما سمعه: انت بتقول ايه؟ مش ممكن.

عبدالرحمن مؤكدا: دة اللي حصل احنا ما كناش عاوزين نقولك قبل ما ترجع من اجازتك لكن بما انك جيت دلوقت.........

وكأنه لم يستوعب اي كلمة أخرى مما قال صديقه وظل يردد في غير تصديق: ايهاب مات؟! لا حول ولا قوة الا بالله، طب ازاي؟

جلس عبدالرحمن على كرسي أمامه ليشرح له الأمر: وانا في فرحك جالي تليفون من حسام بيقولي احصله ع المستشفى ولما روحتله عرفت من جيرانه اللي حصل لانه ما كنش في حالة تخليه يحكيلي اي حاجة، هما قالوا ان والدته جالها اتصال من زمايل ايهاب هناك وبلغوها بالخبر وطبعا ما

استحملتش فاغمى عليها و علي وعلياء نادوا ع الجيران هما اللي ودوها المستشفى وبعدين اتصلوا على حسام يبلغوه باللي حصل وساعتها هو كان في السفارة بيعرف التفاصيل.

بدا على مازن التأثر الشديد مما يسمعه وقال معلقا: لا حول ولا قوة الا بالله، دة لسة ما فاتش على وفاة والده ييجي سنة.

عبدالرحمن: دة قضاء ربنا بقا.

مازن: طب هما ماتوا ازاي؟ يعني حادثة؟

عبدالرحمن: اللي عرفته من حسام انه اتهاجم هو ومراته من مجهولين هما اللي قتلوهم وتقريبا كان بغرض السرقة.

مازن باستنكار: بقا الفلوس تخلي الناس تعمل في بعضها كدة؟! بس اللّه يكون في عون حسام فعلا، من ناحية وفاة اخوه ومراته ومن ناحية والدته اللي راقدة في المستشفى.

عبدالرحمن مكملا: ومن ناحية تالتة ولاد أخوه.

مازن متذكرا: اه فعلا، هما فين دلوقت؟

عبدالرحمن: انا أخدتهم من عند الجيران وعديت على بيتنا وديتهم هناك قبل ما اجي، كنت ناوي ابص ع الشغل كدة سريعا وارجع لحسام تاني.

فنهض مازن وهو يقول متعجلا: طب ياللا بينا نروحله.

عبدالرحمن معترضا: تروح فين يا مازن دلوقت؟ يابني انت لازم تروح بيتك، دة انت لسة عريس.

مازن باصرار: ما ينفعش يا عبدالرحمن، حسام مش بس صاحب دة اخ ولازم نقف معاه في محنته، ياللا بينا.

ولعلم عبدالرحمن انه لن يقوى على ثني صديقه عن قرار اتخذه لذا لم يلح عليه أكثر وذهب برفقته للحاق بصديقهما وهو يشعر بأن هناك ما يخفيه عنه مازن ولكنه لن يتعجل الوقت لمعرفة الامر.

****
**

استيقظت دارين من نومها في وقت متأخر على صوت جرس الباب، فنهضت من السرير تبحث عن مازن ولكنها لم تجده في اي غرفة، فاتجهت نحو الباب لتنظر في العين السحرية كي تتعرف على هوية الطارق قبل ان تبادر بفتح الباب حيث كانت لاتزال ترتدي ثياب النوم، وما ان رأت أختها سارة تقف أمام الباب حتى فتحته ورحبت بأختها وأدخلتها، فقالت لها سارة وهي تقوم باحتضانها مهنئة: مبروك يا دي دي، عقبال البكاري يا قلبي، وماما بتقولك مبروك ومعلش بقا انتي عارفة انها مش هتقدر تيجي، بس بعتالك شوية الحاجات دي، وبتقولك لو ناقصك اي حاجة قوليلي.

وأشارت الى بعض العلب التي كانت بحوزتها وهي تضعهم على الطاولة التي امامها.

فسألتها دارين بقلق: هي لسة تعبانة؟

سارة: يعني مش اوي، بس الدكتور بينصح انها تفضل في السرير يومين او تلاتة، المهم انتي عاملة ايه؟

ثم أكملت وعينيها تلمعان خبثا: والجواز ايه أخباره معاكي؟ يعني حلو ولا حادق؟

ارتبكت دارين لا تعلم بم تجيب، ولكن سارة لم تلحظ ارتباكها بل انها استمرت في طرح اسئلتها ولكن بصوت اشبه بالهمس: امال فين العريس؟ هو لسة نايم ولا ايه؟

لم تجد دارين بد من الاعتراف بالحقيقة:

مش عارفة، انا صحيت ما لقيتوش في الشقة، ممكن يكون راح الشغل.

عقدت حاجبيها باندهاش وهي تقول معلقة:

شغل؟! شغل ايه يا بنتي؟ هو فيه عريس يروح الشغل يوم الصباحية؟

ثم سألتها بحنكة وكأنها استنتجت أمرا ما تريد التحقق منه: هو انتوا حصل بينكم حاجة؟

فهزت دارين رأسها بالنفي لتؤكد شكوكها، فأمسكت سارة بكفيها تقول لها: طيب بالراحة كدة وواحدة واحدة

وقوليلي ايه اللي حصل بالظبط من ساعة ما الفرح خلص لحد دلوقت.

****
****

وصل مازن وعبدالرحمن المشفى ومنها الى حجرة العناية المركزة ليعلموا ان والدة حسام قد تم نقلها الى حجرة أخرى بعد ان اطمأن الطبيب على استقرار حالتها، وذهب الاثنان الى حيث أرشدتهما احدى الممرضات ليجدا حسام يقف خارج الحجرة مطأطأ الرأس، فتوجها اليه وقدم اليه مازن عزاءه وهو يحتضن يده بكفيه: البقاء للّه يا حسام، وألف سلامة على طنط.

عبدالرحمن: هي عاملة ايه دلوقت يا حسام؟

حسام بصوت بالكاد يسمعانه: الدكتور بيقول ان حالتها مستقرة بس لسة محتاجة وقت تستوعب فيه الصدمة عشان كدة هو نقلها لاوضة عادية وهو دلوقت عندها بيكشف عليها.

مازن: ان شاء الله نطمن عليها وتقوم بالسلامة.

حسام بنبرة هازئة: اه تقوم عشان تواجه الكارثة الكبيرة! تصدق يا مازن انا بحسدها على رقدتها دي. الغيبوبة اللي هي فيها أحسن بكتير ليها.

ثم نظر الى عبدالرحمن يسأله: علي وعلياء عاملين ايه دلوقت؟

عبدالرحمن: الحمد للّه كويسين، انا وديتهم البيت عندنا، وايمان هتاخد بالها منهم.

حسام وهو يكافح للحفاظ على رباطة جأشه ليخرج سؤاله والدموع التي كان قد حبسها فرت هاربة من جديد على خديه: هما عرفوا باللي حصل؟

عبدالرحمن نافيا: لا، الحقيقة انا قولت انهم لسة اطفال وصعب انهم يستوعبوا حاجة زي دي دلوقت، الخبر لازم يتقالهم واحدة واحدة على حسب ما يستوعب عقلهم.

لم يعلق حسام بل اكتفى بأن هز رأسه موافقا فسأله مازن: مفيش حد اتصل بيك من السفارة تاني؟

حسام: معرفش، انا تليفوني فصل شحن، بس ع العموم لما اطمن على ماما هبقا اروح بنفسي عشان أسأل على اجراءات استلام الجثتين.

وكان للكلمة الاخيرة وقع السحر على دموعه التي ازدادت أضعافا وبكائه الذي علا صوته.

فاحتضنه مازن بين ذراعيه عله يستطيع ادخال بعض الهدوء والطمأنينة الى قلبه، وفي تلك اللحظة، دوى صوت نسائي من

داخل الحجرة كانفجار القنبلة:

ابنيييييييييي!

وعلى الفور هرع حسام وصديقيه يقتحمون الحجرة ليجدوا والدة حسام وهي تقاوم الطبيب والممرضة والدموع الحارة تتصارع على خديها وصوتها المنتحب مملوء بالشجن وهي تحدث حسام ما ان رأته: فين أخوك يا حسام؟ هاتلي ايهاب يا حسام؟ لو كنت بتحب امك رجعهولي، طب قوله يرجع بقا لاولاده كفاية غياب. اااااااااااااااااه يا حبيب امك يا غالي.

وصوتها بدأ ينخفض شيئا فشيئا حتى غابت عن الدنيا من جديد بعد أن حقنها الطبيب

بحقنة مهدئة، اما حسام فقد تهالك على الارض بجوار الحائط وقد خارت قواه وهو ينظر الى أعز الناس لديه بدموع بدأت تتساقط من عينيه آليا وهو لا حول له ولا قوة.

****

:يخرب عقلك! انتي اتجننتي يا دنيا؟!

معقول اللي عملتيه دة؟

كان هذا الصوت المؤنب هو لسارة بعد ان حكت دارين لها عما حدث بينها وبين مازن الليلة السابقة، فأجابتها دارين بضيق: يعني كان معقول اللي هو كان عاوز يعمله؟ هو

نسي انه من فترة قريبة جدا كان اخوية الكبير؟

كانت سارة على وشك الانفجار في وجه اختها ولكنها تمالكت نفسها في الوقت المناسب لتقول شارحة الامر بهدوء: يا حبيبتي اديكي قولتي بنفسك دة كان، شوفي يا دنيا يا هواري، لا انا ولا اي حد غيري يقدر يتخيل العلاقة اللي كانت بتربط بينك وبين مازن زمان لما كنتي فاكرة انكم اخوات، لكن الحقيقة الوحيدة اللي لازم تاخدي بالك منها دلوقت ان العلاقة دي اتغيرت ومازن بقا جوزك على سنة اللّه ورسولة ودة كان بموافقتك.

دارين معللة موقفها: انا وافقت عشان اخلص من الزفت اللي اسمه علاء دة.

سارة: ولو، بردو دي مش مشكلة مازن، هو دلوقت بموجب عقد الجواز اللي بينكم ليه عليكي حقوق الزوج كاملة، واذا كان هو يعني راعى شعورك امبارح وتنازل عن حقوقه دي مؤقتا فدة مش معناه انك تستغلي الامر بقا وتسوقي فيها.

دارين بعناد: هو كان لازم يفهمني الكلام دة من الاول قبل ما اوافق على الجواز منه.

سارة موافقة: يمكن تكون دي غلطته فعلا، لكن هو كمان ما قالش ان جوازكم هيكون ابيض ولا حتى لمحلك بكدة.

دارين بحيرة: طيب انا مطلوب مني دلوقت اعمل ايه؟

سارة: انتي عاوزة مازن كزوج ولا لا؟

فاجأها هذا السؤال بصيغته الصريحة فهي لم تتوقف لحظة لتسأل نفسها هذا السؤال منذ ان عرض عليها الزواج، لذا لم تستطع الجواب عليه فالتزمت الصمت.

شعرت سارة بحيرتها ، فلم تلح عليها، بل قالت لها بتفهم: انا حاسة بحيرتك لكن انتي لازم بينك وبين نفسك تعرفي الاجابة وتحددي اختيارك كويس وعلى اساسه تقدري تتصرفي، بس نصيحة مني، الانسان اللي قدر يرعاكي ويحافظ عليكي

كل السنين دي من نفسه قبل الناس يبقا خسارة لو فرطتي فيه كدة بسهولة.

ظلت تلك الجملة تترد في اذنيها حتى بعد رحيل أختها، ثم وقعت عيناها فجأة على ساعة الحائط لتجد انها قاربت على الرابعة عصرا ومازن لم يعد الى البيت بعد، فيا ترى أين هو الآن؟

****

جلس حسام في حجرة الصالون بشقة عبدالرحمن، فبعد ان أخبره الطبيب ان والدته لن تفيق سوى في الصباح الح عليه صديقاه ان يذهب الى بيته ليرتاح قليلا وليأتي في الغد كي يطمئن عليها، وقد

عرض عليه عبدالرحمن ايصاله، فهو لم يكن في حالة تسمح له بقيادة سيارته، وقد اصر حسام وهما في الطريق ان يذهبا الى بيت عبدالرحمن ليطمئن على الصغيرين وليعيدهما معه الى منزله، ورغم معارضة عبدالرحمن الى ان حسام قد اصر على ذلك الامر فلعل وجودهما سيخفف من آثار الصدمة على والدته.

انتظر حسام بحجرة الصالون بعض الوقت حتى عاد اليه صديقه يخبره: ايمان بتغيرلهم هدومهم وهتجيبهم مع اني لسة عند رأيي يا حسام، الافضل انك تخلي الولاد معانا هنا انت مش هتقدر تهتم بيهم لوحدك.

حسام: معلش يا عبده انا مش عاوز اتقل عليكم اكتر من كدة، وكمان ماما لازم لما ترجع البيت تلاقي الولاد دة ممكن يريحها شوية، وبعدين انا مش هبقا لوحدي، انا هكلم خالتي تقعد معاهم لحد ما ماما ترجع البيت.

عبدالرحمن مستسلما: ع العموم براحتك، بس انت عارف انا بيتي مفتوح في اي وقت لو احتجت اي حاجة، ويبقا اشحن تليفونك عشان يبقا سهل اوصلك.

حسام موافقا: ان شاء اللّه.

ثم وصلهما صوت انثوي لم يجهل الاثنان هوية صاحبته التي نادت من الخارج: عبدالرحمن!

فأجابها عبدالرحمن من مكانه: ادخلي يا ايمان.

دخلت ايمان وفي يديها الصغيرين، لتلقي بالتحية: السلام عليكم.

فرد الاثنان: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

وتخلص الطفلان من يديها ليهرعا الى عمهما مهللين: عمو حسام.

ارتميا في حضنه وهو أحاطهما بذراعيه يحاول ان يتمالك نفسه ودموعه اسيرة جفنيه.

ثم خصصت ايمان كلامها لحسام: البقاء للّه يا باشمهندس.

لاول مرة منذ دخولها يلتفت اليها حسام: ونعم باللّه، انا متشكر اوي يا استاذة واسف لو كان الاولاد ضايقوكي.

سارعت الى النفي: ابدا ابدا، مفيش اي مضايقة، بجد ربنا يبارك فيهم ويصبرهم، ولو حضرتك مش هتقدر تاخد بالك منهم الفترة دي ياريت بلاش تتردد وابعتهم مع عبدالرحمن.

فأومأ برأسه موافقا، ثم نهض من مكانه ليستأذن صديقه: طب انا همشي بقا يا عبدالرحمن.

فنهض عبدالرحمن بدوره: ماشي يا حسام، انا مش همسك فيك عشان عارف انت اد ايه محتاج انك ترتاح شوية، ياللا انا نازل معاك عشان اوصلك.

لم يعترض حسام، فكان يعلم ان اي اعتراض منه لن يقابل سوى بالتجاهل من صديقه، وخرج الصديقان، وايمان تشيعهما بعينيها وهي تتعجب من ذلك الشاب الذي تغير فجأة، فلأول مرة تراه هكذا وكأن وجهه لم يذق يوما طعم السعادة، مشعث

الشعر، بثياب غير مرتبة، فقد كادت تشك ان الذي خرج للتو مع عبدالرحمن هو ذاته ذلك الشاب الذي جاء منذ فترة ليطلب يدها للزواج.

****

الفصل الحادي والثلاثون

صراع أبدي بين القلب والعقل فهناك من يرجح العقل باعتباره رمز الحكمة والفطنة وهناك من يفضل اتباع القلب فهو مصدر الاحاسيس والمشاعر التي بدونها نصبح كآلات بشرية وكلا الفريقان يخسران في النهاية، وتوجد قلة قليلة هي التي تستطيع تحقيق المعادلة الصعبة وهي التوفيق بين الاثنين معا وتلك هي الفئة الرابحة.

أما عن دارين فمن ناحية قلبها فيميل الى الكلام الذي سمعته من أختها فهناك شيء بداخلها يريدها أن تظل بجانبه تحت أي

مسمى فهو كان ولا يزال مصدر الأمان
والحنان لها ولا يمكنها أن تأتمن أحد غيره
على قلبها، ومن ناحية أخرى لازال عقلها لا
يستطيع تقبل هذا الوضع الذي يعتبره شاذا
كما أنه يعتقد أن مازن قد استغل ضعفها
واحتياجها اليه ليفرض عليها سيطرته وهي
وقعت في هذا الفخ كالبلهاء، جلست دارين
لساعات أسيرة هذا الصراع حتى في النهاية
تغلب العقل على القلب مؤقتا ورفضت أن
تمتثل لما فرضه مازن عليها فهي لن تقبل
بالأمر الواقع أبدا لذا قامت من مكانها
ونقلت ثيابها الى حجرة الأطفال التي كانت
فيما مضى حجرة نومها، ثم تناولت طعاما
سريعا ودخلت حجرتها وأغلقت عليها بابها من

الداخل، وعاد مازن الى الشقة في ساعة متأخرة فبحث عن دارين في معظم أرجاء الشقة ولم يجدها، وعندما رآى خزانة الثياب فارغة من ملابسها ظن أنها قد رحلت ولكن لاحظ أن حجرة الاطفال مغلقة بالمفتاح من الداخل ففهم ما يجري ولاحت على شفتيه ابتسامة ساخرة وهو يخرج من جيبه سلسلة مفاتيحة والتي تحوي مفتاح اضافي لكل حجرة بالشقة تحسبا للظروف، وخطر له ان يقوم بفتح ذلك الباب الذي يفصل بينه وبينها ليبين لها مدى سذاجة فكرتها الا انه تراجع وقرر تأجيل الامر لوقت لاحق فليتركها بعض الوقت لتتنعم بانتصارها الواهي,

فعاد أدراجه الى حجرة نومه يلتمس بعض الراحة بعد هذا اليوم الشاق الذي قضاه مع صديقيه.

أما عن دارين ففور ان سمعت قدومه أطفأت نور حجرتها الرئيسي، وجلست فوق احد السريرين ترهف السمع لتتبع خطواته وما ان سمعته يقف أمام باب حجرتها حتى حبست أنفاسها تنتظر خطوته التالية وظهرت ابتسامتها المنتصرة وهي ترى محاولاته لفتح الباب تبوء بالفشل، وزادت سعادتها واتسعت ابتسامتها حينما سمعت خطواته تبتعد عن الباب متخيلة أنه قد رضى بحكمها واستسلم للأمر الواقع.

وتمر الايام ويبقى الوضع على ما هو عليه، مازن يخرج مبكرا الى عمله قبل ان تستيقظ دارين حيث اتفق مع عبدالرحمن ان يهتم هذا الاخير بأمر صديقهما الثالث بينما يترك مهام العمل على عاتق مازن، ثم يعود ليلا بعد ان تكون قد دخلت حجرتها وأغلقت الباب عليها بالقفل، حتى جاء يوم الخميس مساء وقف أمام تلك الحجرة المحرمة وقال محدثا صاحبتها: دارين! احنا بكرة معزومين عند عم فؤاد وطنط سميرة ياريت تكوني جاهزة ع الساعة خمسة.

ثم انطلق الى حجرته ولم يكن قد تلقى ردا ولكنه يعلم ان رسالته قد وصلت، وقد تأكد من ذلك في اليوم التالي عندما

خرجت اليه في تمام الخامسة الا عشر دقائق تقول له بنظرات متهربة تخشى إلتقاء عينيه: أنا جاهزة.

لم يضع مازن المزيد من الوقت ليتفحصها بل قال لها بعملية: طب ياللا بينا.

استقبلتهما سميرة بالترحاب والتهانىء وقد حذا حذوها زوجها وابنتها غادة، وبعد ان تناولوا وجبة الغداء، واعدت لهم غادة القهوة، انقسموا الى فريقين، أحدهما يحوي دارين وسميرة التي أخذت تعطيها بعض النصائح المنزلية الخاصة بالنظافة والطبخ وغيرها، والفريق الثاني يتكون من فؤاد ومازن اللذين انشغلا بالحديث عن كيفية

سير العمل، وغادة كانت تتابع الفريق الاخير، وكان من ضمن ما تحدثا عنه، ان سأل فؤاد شريكه: طيب وايه أخبار المهندس سامح دلوقت؟

مازن: الدكاترة بيقولوا انه بقا كويس لكن الكسر اللي في ايده هياخد وقت عقبال ما يخف و يرجع لطبيعته.

فؤاد: طب هي غادة كان عندها اقتراح بخصوص الحوادث دي اللي بتحصل أثناء الشغل.

التفت مازن الى غادة موليا لها كل اهتمامه وهو يسألها: خير يا دكتورة؟

غادة بجدية: هو الموضوع ممكن يكون مكلف شوية بس هيريحكم ويحققلكم نسبة أمان اكتر في الشغل، هو عبارة عن عربية اسعاف مجهزة تقف قريب من المشروع للحالات الطارئة، يعني اي اصابات خفيفة تتعامل معاها، ولو لا قدر اللّه فيه حاجة خطيرة هي اللي تتولى رعاية المصاب لحد ما توصله المستشفى دة بدل ما تقعدوا تستنوا عربية اسعاف لسة هتيجي من المستشفى ودة طبعا ممكن يزيد من خطورة الاصابة لو اتأخر علاجها، وأكيد دة هيدي للعمال عندكم شعور اكتر بالامان.

احتاج مازن بضعة ثواني للتفكير في اقتراحها أمام نظرات الترقب من غادة ووالدها الى ان قال أخيرا باستحسان: هي فكرة كويسة فعلا، وانا نفسي معنديش مانع اني أبدأ التنفيذ فيها من بكرة، بس يا ترى انتي تعرفي دكتور كويس ممكن نعتمد عليه في الموضوع دة؟

اختفت تلك الابتسامة فجأة التي علت وجهها اثر مديحه لفكرتها ليحل محلها العبوس والتكشير وهي ترد على سؤاله: دة على اساس ان معايا دبلوم صنايع يعني؟

تدارك مازن خطأه سريعا ليقول بابتسامة معتذرا: انا اسف اوي يا دكتورة، لكن انتي

مش شايفة ان شغل زي دة ممكن يكون صعب عليكي؟

فقالت سميرة التي كانت قد بدات تتابع الحوار هي ودارين: قولها والنبي يابني، دة انا ريقي نشف امبارح وانا بحاول طول الليل اشيل الفكرة دي من دماغها، لكنها بردو مصممة وكمان عمك عايم على عومها.

غادة وهي تحاول اقناعهم بالمنطق: يا ماما مانا قولتلك شغلي في الشركة كدكتورة طوارىء او في المستشفى هيبقا واحد، بس في الشركة هحس اني بعمل حاجة مفيدة اكتر لان ساعات الثانية ممكن تفرق في علاج عامل.

سميرة: بس يا بنتي انتي كل معاملاتك هتكون مع الرجالة فيهم اللي ربنا اعلم بأخلاقه ونواياه واللي هيحاول يستخف دمه، وانا مش هبقا مطمنة عليكي بالشكل دة.

غادة: يا ماما مانا بردو في المستشفى هبقا متعرضة اني اقابل ناس من النوع دة، يعني هي هي.

فتدخل مازن ليقف بصف غادة: ع العموم من الناحية دي يا طنط،فانا بطمنك ان ما حدش هيقدر يتعرضلها، وتقدري تعتبري غادة امانة في رقبتي وهي في الشغل من ساعة ما تخرج من البيت لحد ما ترجع تاني بالسلامة.

فهتفت غادة بنصر وقد علت وجهها الفرحة:

اعتبر دة موافقة؟

مازن: ومن بكرة ياريت تكون عندي قايمة بالحاجات المطلوبة احنا عاوزين العربية جاهزة خلال اسبوع واحد مش اكتر.

ثم أكمل بابتسامة تشجيع موجهه لغادة:

مستعدة للشغل يا دكتورة؟

هزت غادة رأسها موافقة وهي تبادله الابتسام بينما هناك عينان مسلطتان عليهما والغيرة تنهش قلب صاحبتهما.

****

*****

بعد أن أعطاها الدواء في موعده كما يفعل قرابة الاسبوع منذ أن عادت الى المنزل، قبل حسام يد والدته وهو يجلس بجوارها على السرير ويسألها باهتمام بالغ:هه يا ماما! مش حاسة دلوقت بتحسن؟

فأجابته الام التي لم تكن الدموع قد جفت من عيونها بعد حزنها على الابن الاكبر، بينما كان صوتها هادئا راضيا بالقضاء والقدر: الحمد للّه يا بني على كل حال.

حسام: طب يا ماما، بعد اذنك انا خلاص اتفقت مع واحدة هتيجي تقعد معاكي

تخدمك وتاخد بالها من الاولاد لاني هبدأ شغل من بكرة.

ورغما عنها تتساقط الدموع من عينيها وهي تقول بصوت حاولت ان يبدو أكثر ثباتا:
وهي اللي هتيجي دي هتعوضهم عن حنان الام ولا عطف الاب؟

حاول حسام التماسك أمامها وهو يقول: لا طبعا يا امي، بس مفيش حاجة تاني بايدي ممكن اعملها.

الام: لا، فيه يا حسام، انت لازم تتجوز يا بني، لازم تجيبلهم ام ترعاهم لان خلاص ربنا كتب انك تبقا انت ابوهم.

حسام معارضا: يا امي جواز ايه دلوقت اللي هفكر فيه؟

ثم اهتز صوته باكيا: دة لسة ما فاتش على وفاة ايهاب اكتر من اسبوع.

الام وهي تمسح بكفيها دموعه في حين كانت هي نفسها بحاجة لمن يكفكف دموعها: ماهو عشان خاطر ايهاب انت لازم تتجوز وبسرعة، عشان تلاقي حد نقدر نعتمد عليه في رعاية وتربية عياله، ماشي يا حسام؟ ريحني يا بني ربنا يرضي عليك.

فقال حسام مقبلا كفها الذي استقر على خده: حاضر يا ماما هريحك.

فقالت الام بعد تنهيدة رضا: يعني خلاص اكلم خالتك على منال بنتها، انا شايفة انها انسب واحدة ليك.

حسام بنظرات شاردة: هي صحيح انسب واحدة ليا.

ثم التفت الى امه مجددا ليكمل: بس ياريت تأجلي الكلام في الموضوع دة اسبوع واحد كمان.

الام متعجبة: طب ليه التأجيل ما دام انت خلاص موافق ومقتنع؟

حسام: فيه شخص لازم اقابله الاول قبل ما اخد اي خطوة في الموضوع دة، ومين عارف يمكن المقابلة دي تغير كتير.

****

****

عاد مازن من الشركة مبكرا على غير العادة في الايام الاخيرة، وكالأيام السابقة وجدها قد حبست نفسها في حجرتها مستخدمة القفل الذي تجهل ان مفتاحه بحوذته، وبعد ان أخذ حماما سريعا وتناول وجبة خفيفة جلس في حجرة الصالون يشاهد التلفاز.

مازن! انا قررت اشتغل.:

وجدها أمامه فجأة تخبره بهذا القرار، وقد استغرقه بضعة ثواني قليلة ليستوعب مفاجأة رؤيتها لينتبه بعدها لما قالته للتو،

وقد اراد التحقق من صحة ما سمعه لذا سألها: انتي قولتي ايه؟

فكررت دارين على سمعه نفس الجملة ولكن بصوت مهتز قليلا بسبب تلك النظرات الحادة المسلطة عليها: بقولك، انا قررت اشتغل.

مازن بتهكم: برافو! والمطلوب مني بقا اني اصقفلك دلوقت؟!

دارين عابسة: لو سمحت من غير تريقة.

وكأن كلامها قد استفزه لينهض متجها نحوها وبداخله غضب مكبوت ينتظر الفرصة لينطلق من محبسه، وخرج صوته بطيئا هادئا ينذر بالخطر: امال عاوزاني اقول

ايه وانتي بتقوليلي انك خلاص قررتي من غير حتى ما تكلفي نفسك وتاخدي رأيي؟

بدا عليها التوتر بعد ان اصبح قريبا منها لهذه الدرجة فلم يعد يفصل بينهما سوى بضعة سنتيمترات قليلة؛ افتكر ان دي حاجة تخصني والقرار فيها لازم يبقا قراري انا، دة غير اني بقيت كبيرة بما فيه الكفاية عشان اعرف مصلحتي فين من غير ما احتاج مشورة حد ولا حتى انت لانك خلاص ما بقيتش اخوية الكبير اللي كنت بسمع كلامه زمان.

خطوة واحدة قطع بها المسافة التي كانت تفصلهما ثم أحكم قبضته على ذراعها

لدرجة جعلتها تطلق صيحة الم ليقول لها من بين اسنانه: لو زمان كنتي بتعمليلي حساب لانك كنتي فاكراني اخوكي، فدلوقت لازم تعمليلي الف حساب لاني جوزك.

تملكتها الشجاعة لتنظر في عينيه بحدة وهي تقول: العلاقة اللي بينا يا مازن عمرها ما كانت جواز ..... ولا هتكون.

كانت على صواب فيما قالت و ما صدمه حقا هو جرأتها في الحديث معه بهذا الشكل ولكنه لم يدع آثار الصدمة تنعكس على ملامحه، لذا حرر ذراعها وأدرا لها ظهره في تجاهل لتسمع صوته الهادىء يقول: دة معناه

انك لازم تشكريني لاني لحد دلوقت لسة قابل بالوضع دة.

كم تمنى تلك اللحظة ان يدير وجهه اليها ليرى مدى تأثير كلماته عليها ولكن قبل أن يفعل أجفل فجأة من سماع صوت باب غرفتها الذي أغلقته خلفها بعنف.

****
*

أطفال في كل مكان، يلعبون، يتضاحكون، أو حتى يغضبون، انها تعشقهم في كل حالاتهم، فذلك هو عالمها الحقيقي الذي فرضته الظروف عليها وهي قبلت به، فإن كان قد قدر لها الا تنجب

أطفالا فقد عوضها اللّه بهؤلاء الايتام الذين تسعد بصحبتهم ويسعدون بصحبتها.

أما هو فوقف بعيدا يراقبها تلاعب هؤلاء الصغار والابتسامة لا تغادر وجهها، جذبه المنظر حتى انه لم يرد أن يفسده بتدخله وان تطلب الامر ان يؤجل لقاءه بها بضعة دقائق أخرى ولكن لسوء حظه فقد رأته ليجد أن الابتسامة قد اختفت فجأة وقد عقدت ما بين حاجبيها في عبوس،أما هو فقد وتره انزعاجها لدى رؤيته وفكر للحظة أن يتراجع ولكن لم يكن بالقرار الصائب في هذا الوقت.

وفي مكتب ايمان المخصص لها بالملجأ كان اللقاء بعد أن طلب منها حسام أن يتحدثا سويا لدقائق على انفراد، ولم يضع حسام الوقت بل بدأ في الموضوع مباشرة لترى فيه تلك الشخصية الجادة التي لم تلحظها من قبل: أولا انا قبل ماجي هنا كلمت عبدالرحمن واستأذنت منه اني أقابلك.

وكما توقع فقد رفعت حاجبها في اندهاش ولكنها لم تعلق منتظرة منه الافصاح عن المزيد لتجده يفاجأها بكلامه المباشر: استاذة ايمان بدون لف ودوران كتير لاني عارف انك مش بتحبيهم، انا جيت اكرر طلبي مرة تانية وبعرض عليكي الجواز.

لم تدعه ايمان ليكمل بل اندفعت تقاطعه: باشمهندس حسام، افتكر احنا سبق واتكلمنا في الموضوع دة وانت عارف رأيي فيه كويس.

حسام مقرا كلامها: دة صحيح، بس المرة دي مختلفة عن اللي قبلها، المرة اللي فاتت انا اتقدمتلك لما لقيت فيكي الانسانة اللي هتقدر تسعدني وتكون ليا زوجة صالحة، لكن المرادي انا مش محتاج زوجة وبس.

ثم توقف قليلا يبتلع أحزانه ليخرج صوته مليئا بالشجن وهو يكمل: انا كمان محتاج

أم لطفلين شاء القدر انهم يتيتموا قبل ما يكملوا العشر سنين.

و توقف مرة اخرى للحظة قبل ان يستأنف حديثه ثانية: ايمان، الاول كان فيه انسان واحد محتاجلك، اما دلوقت ففيه اربعة بقوا في اشد الحاجة لمساعدتك.

وجدها تنظر اليه في تساؤل، فرد على ذلك السؤال الصامت قائلا: الاربعة دول هما انا وعلي وعلياء بالاضافة لوالدتي اللي لا سنها ولا حالتها الصحية تسمحلها انها تاخد بالها من اطفال في السن دة، عشان كدة انا ما قدرتش اعارضها لما طلبت مني اني لازم اتجوز في اقرب فرصة مع ان لسة ما فاتش

على وفاة المرحوم شهر، لكن هي شايفة ان أفضل حاجة ممكن نعملها عشانه دلوقت اننا ندور على مصلحة ولاده.

بدا عليها التأثر من كلماته الصادقة التي خرجت من قلبه لتنطلق كالسهم الذي شق قلبها دون عناء، ولكنها لاتزال تشعر بذلك النقص الذي لن يسمح لها بأن تضعف مهما كانت المغريات، لذا قالت له: باشمهندس حسام، انا بجد مش عارفة اقولك ايه؟ واكيد مقدرة الموقف اللي انت فيه، لكن انا اسفة، ولو عاوز نصيحتي بنات الناس كتير وهتلاقي فيهم بسهولة اللي هتوافق عليك كشخص وكمان تقبل بظروفك.

وجاء دور الورقة الاخيرة التي قرر حسام الاحتفاظ بها للنهاية علها تكون الرابحة، فثبت نظراته على عينيها وهو يقول: بس مش هتبقا فيهم واحدة ممكن تتخلى عن حلم الامومة عشان تتفرغ معايا لتربية اولاد اخوية.

قوة كلماته وصعوبتها جعلها تنظر اليه في غير تصديق وكأنها تشك في صحة فهمها لما سمعته، لذا قال لها مؤكدا: ايوة يا ايمان اللي فهمتيه صح، انا قررت اني اتفرغ لتربية اولاد اخوية وعمري ما هفكر اني اخلف ولاد ممكن يقللوا من اهتمامي بيهم، واذا كنت مضطر اني اتجوز عشان خاطرهم يبقا لازم الست اللي هختارها تشاكني القرار دة.

تطلع اليها برجاء ينتظر ردا منها يريح قلبه وعقله، ولكنها صدمته بقولها: وانا بدعيلك بجد انك تلاقي الانسانة دي.

كان ذلك بمثابة اشارة بانتهاء اللقاء، فنهض حسام من كرسيه ليقول لها متمسكا ببصيص من الامل يأبى ان يتركه حتى لا تتحطم كل آماله دفعة واحدة: ع العموم انا مش هعتبر دة قرار نهائي، وياريت تدي لنفسك فرصة تانية تفكري فيها براحتك بهدوء و بدون اي ضغط، بس ياريت بلاش تتأخري عليا في الرد.

ثم وبابتسامة مهذبة ينهي بها حديثه: واسف لو كنت عطلتك، عن اذنك.

ثم رحل من المكان تاركا اياها في حيرة من أمرها، هي رفضت عرضه ومتأكدة من صحة قرارها، ولكن هناك شيء بداخلها يطالبها بالتروي في الامر واعادة التفكير في ظل الظروف الجديدة فربما يحدث بعض التغيير.

****

الفصل الثاني والثلاثون

في موقع العمل بالمشروع الجديد الخاص بشركة مازن وشركاه وقد تولى به عمر منصب مدير المشروع، كان الجميع يعملون على قدم وساق حيث أن مديرهم الجديد لا يتهاون في أي تقصير أو اهمال وكان يباشر كل خطوة تتم في المشروع بنفسه، وفي احدى جولاته التي كان يتفقد فيها أحوال العمل بالمشروع لاحظ غياب أحد المهندسين فسأل عنه واحدا من العمال: أمال فين الباشمهندس صلاح؟

فأجاب العامل: الباشمهندس في العيادة بيعالج يده اصلها اتجرحت وعم بتنزف.

عمر باهتمام: وهو بقاله كتير في العيادة؟

العامل: بجاله ييجي نص ساعة.

عمر مبديا قلقه: يااااه! هو للدرجادي اصابته كبيرة؟

فقال عامل آخر مر عليهما وبدا انه قد سمع الحديث القائم بينهما، وكان اسلوبه يتميز بالسخرة والعبث: يا ريتني كنت مكانه.

جملة استوقفت عمر، فهو بالفعل قد لاحظ ارتفاع عدد الاصابات في الموقع منذ مجىء تلك العيادة المتنقلة وهو مالم يعلم سببه سوى الان! فانطلق كالبرق باتجاه تلك

العربة الكبيرة التي تشبه عربة الاسعاف ولكنها اكبر حجما، وما ان وصل الى الباب الذي ترك مفتوحا قليلا ليرى من خلال تلك الفتحة الصغيرة ذلك المدعو صلاح والذي بدا انه قد قارب على الثلاثين يحاول التودد الى غادة وهو يميل نحوها بشكل خطير ولا يفصل بينهما سوى ذلك المكتب الصغير الذي كان يجلس فوقه بينما غادة تحتل الكرسي خلفه: طيب ايه رأيك لو نتعشى سوى الليلة؟

غادة بجدية وهي تتظاهر بالانشغال ببعض الاوراق أمامها: اسفة يا باشمهندس ما بخرجش مع حد معرفوش.

صلاح بالحاح: مانتي لو وافقتي انك تتعشي معايا اكيد هنعرف بعض اكتر، ومين عارف؟ مش يمكن بعدين يحصل ارتباط؟

غادة وهي ترفع عينيها اليه والتي كانت قد حفظتها خلف تلك النظارة الطبية الشفافة: بردو اسفة يا باشمهندس، موضوع الارتباط دة مش في دماغي اصلا دلوقت، وحتى لو كان في دماغي فأنا احب الراجل الصريح و الدوغري واللي يدخل البيت من بابه مش بتاع عشا وغدا والكلام الفاضي دة.

بدا أنه لم ييأس، فعاد مجددا يقول لها باصرار: طب ماحنا لازم نتعرف الاول قبل ما ناخد اي خطوة جدية، ولا ايه يا غادة؟

وقبل ان ترد عليه غادة بحدة، وكانت قد اتسعت عيناها غضبا بعد نطقه لاسمها مجردا دون اي ألقاب، وفر عليها ذلك الصوت الرجولي المنقذ كل ما كانت تود قوله، ليهب صلاح من مكانه اثر سماعه له:

افتكر الدكتورة قالت كل اللي عندها يا باشمهندس، وافتكر كمان ان الشغل اتعطل بما فيه الكفاية.

ثم نظر الى كفه الايمن الذي كان يغطيه

الشاش الطبي ويسأله متظاهرا بالاهتمام:

ولا انت ايدك لسة محتاجة علاج؟

ولم ينتظر رده، بل نظر الى غادة يسألها:

انتي ايه رأيك يا دكتورة؟

غادة بعملية: لا خلاص،الجرح كان بسيط

وهو دلوقت يقدر يشتغل بيها عادي.

عمر موجها كلامه لصلاح: يبقا تتفضل

دلوقت على شغلك يا باشمهندس وكفاية

تضييع وقت.

وخرج صلاح دون ان ينبس بكلمة ليترك

غادة وحدها فريسة لثورة الغضب التي

كانت على وشك الانفجار ولكنها قررت

الا تولي للأمر أهمية وأخذت تستأنف عملها وتطالع بعض الاوراق لتسمع تلك الجملة الباردة التي لم تستطع تجاهلها على الاطلاق: اظاهر ان كان عندي حق لما رفضت وجودك هنا من الاول، لكن بسيطة لسة الامر في ايدينا.

رفعت غادة عينها اليه تسأله: قصدك ايه؟

عمر: انا من بكرة هكلم مازن أخليه يشوف دكتور غيرك يتولى امر العيادة دي.

جوابه كان كالصفعة التي تلقتها على غفلة منها، ولكنها حاولت ان تبدو امامه أقوى مما هي عليه بالفعل لتنهض وتشير

اليه باصبعها: دة مش من حقك يا باشمهندس.

لم تتأثر برودته بنارها وهو يرد عليها قائلا بهدوء خطير: لما وجودك هنا يسببلي تعطيل في الشغل يبقا من حقي، ولما عدد الاصابات في الموقع تزيد بدون مبرر بعد وجودك دة يبقا من حقي، ولما واحد من افضل المهندسين اللي شغالين في المشروع يسيب شغله عشان يحاول يقنعك بانك تخرجي تتعشي معاه دة بردو يبقا من حقي.

لانت لهجتها قليلا وهي تقول محاولة الدفاع عن نفسها: بس دة كله مش غلطتي انا.

عمر مؤيدا: معاكي حق، دي غلطتنا احنا اننا سمحنا بآنسة زيك تيجي تشتغل في موقع كله رجالة، بس ع العموم من بكرة الغلطة دي هتتصلح، عن اذنك.

وانطلق ليغادر المكان ولكن استوقفه صوتها الذي غلبت عليه لهجة الرجاء: طب ارجوك اديني فرصة تانية.

أدار وجهه اليها ليجد تلك الدموع الراجية تتجمع في عينيها وكان من الصعب عليه ان يتجاهلها، فظل لحظات صامتا وهي تترقب جوابه الى ان أراحها ليقول أخيرا: على شرط.

هزت رأسها موافقة فلم يكن أمامها سوى الاستجابة لشروطه مهما كانت لتجده يستأنف حديثه قائلا: محدش يدخل العيادة دي سواء من العمال او المهندسين الا لما يكون معاه تصريح مني انا شخصيا، مفهوم.

ظلت على حالها صامتة ولكن اتاه الجواب من تلك النظرة الباسمة التي طلت من عينيها لتكون اخر ما رآه قبل ان يغادر المكان.

****

عادت ايمان الى المنزل وهي تفكر طوال الطريق فيما عرضه عليها حسام وفي داخلها صراع بين أمل في نيل ما كانت قد حرمت

منه وخوف مما يخبئه لها المستقبل فيما اذا وافقت على ذلك العرض، دخلت الشقة لتجد عبدالرحمن ينتظرها هناك بمفرده ،ألقت عليه التحية بذهن شارد، فدعاها لمشاركته في تناول فنجان من القهوة معه وتطوعت هي لاعداده، وفيما وهما يحتسيان القهوة سويا سألها عبدالرحمن: يومك كان عامل ايه النهاردة؟

كان سؤالا عاديا ولكنها تعلم الغاية من ورائه فقد أخبرها حسام بأن عبدالرحمن يعلم بلقائهما وبالطبع فهو يريد الان أن يعلم بنتيجة هذا اللقاء فأجابته مراوغة: زي كل يوم.

ولأنه اعتاد على الطريق المستقيم فلم يتمادى اكثر في تلك اللعبة لذا كان سؤاله المباشر: عملتي ايه مع حسام؟

ولأنها كانت تعلم طبيعة أخيها لذا قررت هي ايضا التخلي عن لعبة المراوغة فأجابته: ولا حاجة، مانت عارف رأيي من الاول.

عبدالرحمن: بس الظروف دلوقت اتغيرت.

ايمان: اتغيرت بالنسباله هو، اما بالنسبالي انا فكل حاجة زي ما هي.

عبدالرحمن: بس اللي اتغير بالنسباله دة في مصلحتك يا ايمان، ومن رأيي انه عرض يستاهل التفكير، وصدقيني انا لو شاكك

بس ان حسام مش هيقدر يحافظ عليكي او
انك ممكن تتعبي معاه كنت هبقا اول
واحد يشجعك ع الرفض.

ايمان بصوت ملىء بالشجن: بس يا
عبدالرحمن، انا لسة فيه حاجة جوايا
مكسورة وصعب انها تتصلح، وانا مش عاوزة
اظلم حد تاني معايا.

عبدالرحمن مواسيا: انا حاسس بيكي اوي
يا ايمان بس انتي لو فكرتي ان بموافقتك
على حسام انك كدة بتظلميه تبقي
غلطانة دة انتي كدة بتقدميله اكبر
خدمة في حياته.

ايمان موافقة: هو بردو تقريبا قالي كدة.

عبدالرحمن: لان دي الحقيقة فعلا، انتو الاتنين جواكم حاجة اتكسرت عشان كدة هتقدروا تحسوا ببعض ويمكن كمان تقدروا تداووا جراح بعض، فكري كويس يا ايمان لاني بجد نفسي اشوفك سعيدة مع انسان يحبك ويقدرك زي حسام.

ايمان: حاضر يا عبدالرحمن هفكر.

ثم تحولت لهجتها للمشاكسة وهي تسأله:

بس مش المفروض اللي شغال بدور الخاطبة دة يدور لنفسه على عروسة هو كمان ولا نشوفلك خاطبة تانية؟ ايه يا عبدو مش ناوي تفرحنا بيك قريب ولا ايه؟

عبدالرحمن مبتسما: وافقي انتي بس على حسام واحتمال يكون فرح ثنائي.

تحولت الى طفلة صغيرة وهي تقفز من مكانها وتقول: اوبااااا، ايه الاخبار الجديدة دي يا سي عبدو؟ ومين الامورة دي بقا اللي عليها العين والنية؟

عبدالرحمن وهو يضع اصبع على فمه محذرا اياها: هسس، احسن الحاج او الحاجة يسمعوكي فمش هخلص النهاردة دة غير اني لسة معرفش رأيها.

ايمان مهددة: طب لو عاوزني اسكت قولي هي مين؟

عبدالرحمن مستجيبا لتهديدها: هي تبقا اخت دارين مراة مازن صاحبي، شفتها في الفرح بتاعهم وسألت عنها وعرفت اد ايه هي انسانة كويسة ومحترمة.

ايمان مؤنبة: طب ومستني ايه؟، ما تروح وتتقدملها قبل ما تطير من ايدك.

عبدالرحمن: مانا ان شاء اللّه قررت افاتح اخوها بكرة في الموضوع ماهو شغال معانا في الشركة.

ايمان: بجد يا عبدالرحمن دة اسعد خبر سمعته وربنا ييسرلك الامور ان شاء اللّه ويجعلها من نصيبك، بس انت مش ملاحظ حاجة؟

عبدالرحمن مستفسرا: ايه؟

ايمان: ان انت واصحابك مازن وحسام كل مادى العلاقة بينكم بتقوى وبتزيد، بجد فعلا يا بختكم ببعض.

****
*

جلس كل من يوسف الهواري وزوجته وابنتهما أمام مائدة الطعام يتناولون وجبات الغداء بصمت تام الى أن أتى عمر من الخارج بروحه المرحة يقول: السلام عليكم، لا والله ما حد قايم، لا سلام على الطعام.

يوسف دون استجابة لفكاهته: طب بطل غلبة واقعد اتغدى.

وبالفعل أطاع عمر الامر واحتل الكرسي المجاور لأخته الصغرى وهو يقول مستأنفا مزاحه: حاضر يا بابا، انا مش عارف انت بتعاملني كدة ليه؟ واللّه انا خايف لفي الاخر اطلع مش ابنك وتكونوا لقيتوني في لفة جنب جامع ولا حاجة.

يوسف بعتاب غليظ: ماهو انت لو صحيح ابن يوسف الهواري كان زمانك دلوقت شايل الشغل مكاني، مش رايح تشتغل عند حد غريب.

عمر مدافعا عن نفسه: يا بابا، اشتغل معاك ايه بس، انا مهندس مش ليا في التجارة والكلام دة، وكمان انا مش بشتغل عند

حد غريب، مازن اللي هو صاحب اكبر اسهم بالشركة بقا جوز اختي خلاص.

ثم أكمل وهو يرمق اخته بنظرة خاصة ذات مغزى: وشكل كدة العلاقة بينا هتزيد بفضل الانسة.

فسألت سارة بتعجب: بفضلي انا؟! اشمعنا؟!

عمر موجها حديثه للجميع: بصراحة كدة وبدون لف ودوران، الباشمهندس عبدالرحمن صاحب مازن وشريكه بالشركة قالي انه عاوز يتقدم لسارة.

لحظة صمت مرت على الجميع لدرجة ادهشت عمر نفسه فجعلته يهتف بهم: ايه مالكم؟ سهمتوا كدة ليه؟

وكانت سارة اول من تحدث لتسأله: طب وهو يعرفني منين؟

عمر: هو قالي انه شافك في فرح مازن ودنيا وطبعا سأل عنك وعرف انك انسانة كويسة و مؤدبة ولطيفة.

ثم غمز لها بعينه ليكمل مشاكسا: واضح انه ما سألش عليكي كويس يا سارة.

ليكون عقاب مزاحة ضربة بغيظ على كتفه تلقاها من أخته، ثم يأتيه سؤال أبيه: انت تعرف عنه ايه الشخص دة؟ يعني ابن مين؟ عنده ايه؟

ثم تأتيه نظرة زوجته اللائمة فيتوقف عن اكمال اسئلته، لتأخذ هي مكانه: المهم

يابني طبعه وأخلاقه، انت شايف انه انسان كويس وهيقدر يصون اختك؟

فأجاب عمر: واللّه يا ماما انا طول الفترة اللي اتعاملت معاه فيها كان مثال للانسان الجاد في عمله والملتزم أخلاقيا وانسانيا وكل الموظفين بيشكروا فيه وفي أخلاقه.

سارة: طب ما تقول كدة من الاخر ان دمه تقيل.

فوكزها أخوها بخفة في كتفها وهو يقول لها معنفا: تصدقي ان انتي اللي دمك تقيل.

فأخرجت له سارة لسانها لتقول له مغيظة: طب مش موافقة.

عمر وهو يتناول ملعقة من الارز: والله انتي الخسرانة.

وتدخل الاب معنفا كليهما: ما تبطلوا شغل العيال دة بقا.

ثم أكمل وهو يخص عمر بحديثه: وانت يا عمر يبقا قوله ييجي هنا يقابلني يوم الجمعة الساعة خمسة.

فاعترضت سارة بتذمر: ايوة يا بابا، بس انا مش موافقة.

يوسف بلهجة حاسمة: يبقا شوفيه الاول وبعدين قولي رأيك، وانا كمان هكون سألت عليه.

سارة مازحة: ايوة يا بابا، باللّه عليك اسأل عليه كويس أحسن يكون أخوية في الرضاعة ولا حاجة واتصدم يوم فرحي زي جماعة.

قالتها وهي تغمز بعينها تجاه أخيها الذي أجابها بابتسامة لا تنم عن أي حزن بداخله لما حدث.

****

:بجد يا عبدالرحمن وافقت؟!

فرحة تشع من عينيه الغير مصدقتين لما سمعه من صديقه

فقال له عبدالرحمن بابتسامة هادئة رزينة كعادته دائما: اه يا سيدي خلاص وافقت.

حتى اقرار صديقه لتلك الحقيقة لم يكن كافيا حتى يصدقها مما جعله يطلب منه المزيد من التأكيد: طب احلف كدة.

فتحول وجه عبدالرحمن الى العبوس وهو يقول لصديقه معاتبا: جرى ايه يا حسام؟ انا من امتى وانا بكدب؟

تدارك حسام خطأه وقال محاولا استرضاء صديقه: ما تزعلش مني يا عبده، بس انا مش قادر اصدق ان ايمان خلاص غيرت رأيها ووافقت ع الجواز.

عبدالرحمن: لا صدق يا حس، وتقدر تجيب والدتك بكرة وتشربوا عندنا الشاي، قصدي الشربات.

حسام مازحا: شاي شربات، انشاللّه حتى قهوة سادة انا موافق، بس نكتب الكتاب بسرعة قبل ما تغير رأيها.

عبدالرحمن: اه، بس هي عندها شرط.

فأسرع حسام يقول دون تفكير: دي تؤمر.

عبدالرحمن: شرطها ان كتب كتابها وكتب كتاب أخوها يكونوا في ليلة واحدة.

أصابته الحيرة وهو يقول لعبدالرحمن: اه بس على حد علمي ان اخوها متجوز.

فابتسم عبدالرحمن بمكر وهو يشير الى نفسه ويقول: هي قصدها اخوها التاني.

عبست ملامح حسام بعد تلقيه هذا الخبر وقال معلقا بخيبة أمل واضحة: أوبس، يبقا موت يا حمار.

عبدالرحمن متأففا: ايه دة؟ يا اخي الملافظ سعد.

حسام: سعد مين دة يا عبده؟ بنت خالتك خلاص حطت العقدة في المنشار، ولانها عارفة انك عازب الى الابد حطت الشرط دة.

عبدالرحمن مراوغا: وليه ما تقولش ان العكس هو اللي حصل.

حسام مستفهما: ازاي يعني؟

عبدالرحمن بابتسامة لعوب: يعني مش
يمكن هي حطت الشرط دة لما لقتني
خلاص قررت......اتجوز؟

وقع صدى تلك الكلمة الاخيرة على اذنيه
وكأنها طوق النجاة بالنسبة له حتى كاد
ان يكذبهما ولكن نظرته الى صديقه
وتلك الابتسامة الحلوة على شفتيه اكدت
له صحة ما سمع فهتف والفرحة تطل من
عينيه: عبدالرحمن انت بتتكلم بجد؟!

فهز عبدالرحمن رأسه مؤكدا ليأتي سؤال
حسام التالي: ودي تبقا مين دي اللي
هتخليك تهجر سماء العزوبية وتحبسك
في قفص الزوجية؟

عبدالرحمن بغموض: هتعرفها بعدين، لما اتأكد من موافقتها الاول.بس ادعيلي ان مقابلة النهاردة تتم على خير.

حسام رافعا يده بالدعاء: يارب توافق بقا، عشان انا كمان اتجوز وارتاح.

رمقه عبدالرحمن بنظرة متعجبة من حال صديقه الذي ومنذ فترة ليست بطويلة لم يكن ليكتفي بأنثى واحدة حتى سمي بزير النساء، وها هو الان مستعد لعمل المستحيل حتى يظفر بواحدة فقط يقضي معها ما بقي من حياته.

****

ونذهب مرة اخرى الى فيللا يوسف الهوراي وبالتحديد في حجرة نوم ابنته سارة التي كانت تثبت حجابها جيدا استعدادا لهذا اللقاء المرتقب في حين دخل عليها أخوها عمر الذي بدا انه على عجلة من أمره وهو يقول لها: ياللا بسرعة، يا سارة شهلي شوية، الراجل مستني من بدري.

سارة بتأفف بعد أن انتهت والتفتت الى أخيها لتقول له: اوف، اديني خلصت اهو يا سي عمر لما نشوف اخرة مجايبك دي ايه؟

فقبل عمر جبينها: انا متأكد انه هيعجبك من اول ما تشوفيه، بس بالله عليكي فكيها شوية وافتحي الشيش دة.

فانفرجت شفتاها عن ابتسامة حلوة وهي تقول مستعدة للذهاب: طب ياللا بينا.

فأشار لها عمر ان تتقدمه مع انحناءة بسيطة منه (ladies first: الستات اولا.)

وبالفعل تقدمته سارة وخلفها عمر الذي قال في نفسه: ربنا يهديكي يا سارة.

****

جلس عبدالرحمن برفقة يوسف الهوراي في حجرة الصالون يتحدثان في امور شتى لحين وصول العروس، وجاءت سارة التي لم تستطع تبين وجه العريس حيث كان يدير ظهره لباب الحجرة: السلام عليكم.

صوتها جعل ظهره يعتدل في مقعده بعد ان كان يميل قليلا باتجاه والدها فأجابا سويا على تحيتها: وعليكم السلام ورحمة اللّه وبركاته.

ثم دعاها يوسف الى الدخول: تعالي يا سارة ادخلي.

فتقدمت سارة بخطوات خجلى نحو والدها دون ان تستطيع الالتفات نحو ذلك الجالس على يساره، وما ان وصلت الى وجهتها حتى قام والدها بالتعريف: دي بنتي سارة طبعا يا باشمهندس.

ثم اشار الى عبدالرحمن ليضيف: ودة يا سارة الباشمهندس عبدالرحمن سليم.

ورفعت سارة وجهها ناحية ذلك الذي نهض من مكانه احتراما لتقديم التحية: اهلا بيك يا باش.......

وفجأة انقطع صوتها لتتغير ملامحها التي تحولت الى الغضب: هو انت؟!!!!!!!!

****

الفصل الثالث والثلاثون

"رب صدفة خير من ألف ميعاد" ولكن ماذا عن صدفة كانت في الاصل موعدا؟

سارة قد أعدت نفسها للقاء تم تحديده بناء على علم منها مع هذا الخطيب المجهول وحين وقعت عيناها عليه علمت انه ذلك الغريب الذي قابلته صدفة في حفل زفاف أختها وقد تعمد اغاظتها ذلك الحين فكيف ستكون ردة فعلها الان؟

وبعد أن غادر الجميع كما رتبت والدتها وجدت نفسها تجلس بمفردها معه وكل ما كانت قد أعدته سابقا من أسئلة ستطرحها

على هذا المتقدم لخطبتها قد تبخر في لحظة فلم تجد حقيقة ما تقول لذا اكتفت بالصمت والنظر الى الارض تحت قدميها لتتجنب اللقاء مع عينيه.

:ازيك يا انسة سارة.

عندما وجد أن صمتها سيطول الى مالا نهاية قرر ان يبدأ هو الحديث، ولكنها لم ترد، لذا قرر هو الاستمرار بابتسامة مداعبا: ايه؟! هتفضلي كدة باصة في الارض؟ في الرؤية الشرعية من حق الاتنين انهم يتعرفوا على بعض كويس سواء في الشكل او الشخصية.

وأخيرا رفعت عينيها الغاضبتين نحوه لتقول بصوت حاد: اكيد انت كنت متعمد تحطني في الموقف دة.

لم تتلق منه سوى ابتسامة هادئة وهو يسألها متصنعا البراءة: معلش مش واخد بالي، موقف ايه اللي بتتكلمي عنه؟

احمرت وجنتاها بشدة بعد أن أغاظها استخفافه بالموقف فما كان منها الا ان اتخذت قرارها سريعا وشرعت في تنفيذه فنهضت من مكانها لتقول بجدية تامة بهدوء يختلف كثيرا عن نيران الغضب المتأججة بداخلها: باشمهندس عبدالرحمن اذا كنت حضرتك جاي هنا عشان

تتقدملي فأنا آسفة اني اقولك طلب حضرتك مرفوض.

وقبل ان تستعد لمغادرة المكان وصلها تهكمه الواضح: معلش خليني اصححلك حاجة بسيطة انا جاي هنا للتعارف اما قراري اذا كنت هتقدملك او لا فدة لسة شيء سابق لأوانه.

ضربة في الصميم وجهها لها وبكل عنف لدرجة انها اصيبت بالصدمة التي ظهرت بوضوح في عينيها المفتوحتين عن اخرهما ولحفظ ماء الوجه قررت ان ترد له ولو حتى جزءا قليلا من اهانته لذا قالت بترفع: حتى التعارف انا رافضاه، عن اذن حضرتك.

وغادرت المكان حتى قبل ان ترى ردة فعله على كلامها والذي لم يكن سوى ابتسامة مشاكسة ظهرت على شفتيه.

****

:مطلقة يا حسام؟! بقا بعد دة كله اول ما تفكر تتجوز تكون اول بختك مطلقة؟

قالتها والدته التي كانت قد غادرت الفراش منذ ايام بعد ان اطمأن الاطباء على صحتها ولكنهم لم يسمحوا لها بأكثر من التجول داخل الشقة، وكانت في ذلك الحين تجلس على الاريكة بحجرة الصالون وبجوارها ابنها الذي استشف نبرة الاستنكار في صوتها بعد ان أخبرها بقرار زواجه من

ايمان، لذا قال مدافعا: ومالها المطلقة يا امي؟! مش انسانة من حقها تعيش حياتها زي غيرها ولا عشان ماهي فشلت في اول تجربة جواز ليها يبقا خلاص اتحكم عليها تعيش راهبة طول عمرها ومش من حقها تفكر في الجواز مرة تانية؟!

الام: انا ما قولتش كدة يا حسام، بس ع الاقل يوم ما تفكر تتجوز تاني يبقا واحد في نفس ظروفها يعني سبقله الجواز قبل كدة يبقا مطلق أو أرمل.

قال حسام مستهجنا ذلك المنطق الغريب الذي يسيطر ليس فقط على عقل والدته ولكن على المجتمع الشرقي ككل: ايه

الكلام الغريب دة يا امي اللي لا يرضي شرع ولا قانون؟ طب ما الرسول صلى اللّه عليه وسلم كانت اول بخته السيدة خديجة وكانت متزوجة قبله وكل زوجاته كانوا يا اما مطلقين يا اما ارامل ما عدا السيدة عائشة.

الام وهي تستغفر ربها في سرها: اللهم صل عليه.

ثم اضافت بلين وهي تتلمس وجنته براحتها علها تكون الطريقة المثلى لارجاعه عن قراره: بس يا حبيبي انت ادامك بنات بنوت كتيرة بيتمنوا اشارة منك، اشمعنى دي يعني؟

حسام بحسم: بس مفيش واحدة فيهم هتوافق انها تربي عيال غيرها ولو فرضنا انها وافقت سنة والتانية وتخلف ويبقا اولادها عندها في المقام الاول.

الام: وهي دي يعني اللي مش هتخلف ويبقا بردو اولادها عندها في المقام الاول؟

فتردد حسام قليلا قبل ان يقول: لا، ماهو انا متفق مع ايمان اننا مش هنخلف.

نظرت اليه الام غير مصدقة حتى تبينت انه يقول الحقيقة، لذا قالت تلومه: ليه كدة يابني؟ ليه تحرم نفسك وتحرمني وتحرم الانسانة اللي هتتجوزها من الفرحة دي؟

حسام بصوت ملأه الشجن: يا ماما، ولاد ايهاب الله يرحمه هيبقوا ولادي وربنا يقدرني على تربيتهم ورعايتهم.

ثم أمسك بكفها يقبله مضيفا: صدقيني يا ماما انتي اول ما تتعرفي على ايمان هتشوفي اد ايه انا كان عندي حق وانها فعلا الانسانة اللي هتقدر تسعدني وفي نفس الوقت تكون امينة على علي وعلياء.

صمتت الام لحظات قليلة تفكر في الامر وحسام ينظر اليها بترقب ورجاء الى ان تلقى منها في النهاية ابتسامة رضا وهي تضع كفها الاخرى على رأسه بحنو وتقول:

خلاص يا حسام اعمل اللي انت شايفة صح يا حبيبي، وربنا يسعدك.

جملتها تلك جعلته يتنفس الصعداء فقد كان بالفعل يخشى من ردة فعل أمه حيال زواجه من ايمان لذا أخفى عليها جزءا من الحقيقة بأن ايمان نفسها لا تستطيع الانجاب وجعلها تعتقد أنها رغبته هو حتى لا يجد صعوبة في اقناعها من ناحية و يضمن فيما بعد الا يصدر عنها ما يجرح تلك الانسانة الرقيقة التي ستصبح عما قريب زوجته من ناحية أخرى.

****

أما غادة التي وجدت لديها نقص في الادوات فقررت الذهاب الى الشركة كي تتحصل من مازن على مبلغ لسد احتياجات العيادة المتنقلة التي تحت اشرافها ولم تنتظر طويلا في مكتب السكرتارية حتى سمح لها مازن بلقائه وعندما دخلت المكتب وكان ذلك تقريبا في نهاية يوم من العمل الشاق فوجدته في حالة مزرية وكان قد خلع سترته وفك رباطة عنقه قليلا وبدا عليه الارهاق الشديد، ولكن مازن الذي يرفض ان يلقى نظرة عطف أو شفقة من أحد قابلها بابتسامته المرحبة متناسيا اي تعب حل به و تلك الحيلة لم تنطو على

الطبيبة الشابة ولكنها حاولت تجاهل الامر: اهلا يا دكتورة اتفضلي.

جلست غادة امام المكتب حيث أشار لتبدأ في الموضوع مباشرة حيث أنها تقدر كم المسئوليات التي تقع على عاتقه: مش هعطلك كتير، انا بس كنت جاية عاوزاك تسمحلي بسحب مبلغ معين اشتري بيه ادوات ناقصة.

ثم أخرجت ورقة من حقيبة يدها قدمتها اليه وهي تكمل: ودي ورقة فيها كل اللي محتاجاه بالاسعار بتاعته، وتحت خالص هتلاقي اجمالي المبلغ.

نظرة سريعة القاها على تلك الورقة، ثم نزع ورقة من ذلك الدفتر الذي أمامه واستخدم قلمه لكتابة بعض الكلمات عليها، ومن ثم أعطاها لها برفقة الورقة الاخرى وهو يقول: سلمي الورقة دي لاستاذ خليل أمين الخزنة وهو هيديكي المبلغ المطلوب، اي حاجة تانية؟

وضعت غادة الورقتين بحقيبتها وهمت بالمغادرة:لا. عن اذنك.

وما ان نهضت وأدرات ظهرها له حتى امال مازن رأسه للخلف على المسند الخلفي للكرسي الجالس عليه واغمض عينيه ودون ان يعي خرجت منه تنهيدة عميقة، جعلتها

تستدير مجددا لتراه على تلك الحال المقلقة والتي لم تستطع تجاهلها فسألته باهتمام بالغ: مازن! انت كويس؟

فتح عينيه ربما بصعوبة كما تخيلت واجاب بصوت بدا عليه الوهن رغم محاولاته لابقائه قويا: اه انا الحمد للّه.

بخبرتها القليلة علمت انه ليس على مايرام كما يدعي لذا قالت باصرار: طب خليني اكشف عليك.

ابتسامة مازحة ظهرت على شفتيه وهو يقول: جرى ايه يا غادة؟ انتي عاوزة تعملي دكتورة عليا ولا ايه؟

لم يضايقها استخدامه لاسمها دون القاب وكان قلما يفعل، ولا حتى مزاحه الذي يعتبر تقليلا من شأنها كطبيبة، بل كان قلقها عليه يشفع له كل ذلك، لذا استمرت في محاولاتها: طيب لو مش عاوزني اكشف عليك انا ممكن اكلم دكتور استاذي ييجي دلوقت.

مازن بعناده الذي تعهده: انا كويس يا غادة، كل ما فيها شوية تعب من كتر الشغل واول ما هروح وارتاح هبقا تمام.

وهكذا حسم الامر ولم يكن بيدها شيء تفعله سوى تقديم النصيحة: طيب ما

تأخرش في الشركة، حاول ترجع البيت بسرعة ونام فترة كافية.

فأومأ لها برأسه مستمتعا بالانصات لتلك الطبيبة الشابة التي لم يكن يتخيل بأنه سيأتي اليوم ويستمع لنصائحها كما كان يفعل هو معها قديما: حاضر يا دكتورة، فيه اي نصايح تانية؟

لم تبال بتهكمه بل اختتمت كلامها بأن قالت له باهتمام صادق: خلي بالك على نفسك اكتر من كدة.

ثم غادرت المكتب وهي بداخلها تدعي ربها بأن يحفظه ويرعاه.

وبعد ان صرفت المبلغ المحدد من الخزينة

توجهت الى باب الخروج بذهن شارد وهي لا

تفكر سوى فيه لتصطدم عن دون قصد في

أحدهم موقعة منه بعض الاوراق وبشكل

تلقائي انحنت نحو الارض لترفع تلك

الاوراق متمتمة باعتذار غير واضح

لصاحبها.

:دكتورة غادة! مالك؟

هذا ليس بصوت غريب عليها، لذا رفعت

بصرها نحوه، وما ان تبينت هويته حتى

اعترتها بعض الدهشة: باشمهندس عمر!!

****

*

كان عبدالرحمن يجمع بعض الاروارق
الخاصة بالعمل ويضعها في حقيبته حتى
يأخذها معه المنزل لينهيها هناك في
الوقت الذي اتاه فيه اتصال داخلي لتخبره
سكرتيرته بأن هناك انسة تدعى سارة
الهوراي تريد مقابلته على عجل، ولم يضع
الوقت في الاندهاش او التفكير في سبب
تلك الزيارة التي لم تخطر له على بال، بل
على الفور أخبرها بأن تسمح لها بالدخول،
ثم جلس مجددا خلف مكتبه منتظرا
قدومها، وها هو الباب يفتح لتدخل منه
تلك المشاكسة الصغيرة: السلام عليكم.

رد عليها عبدالرحمن بنفس جديتها التي
القت بها التحية بينما كان يخفي بداخله

الكثير من السرور: وعليكم السلام، اتفضلي يا انسة سارة.

جلست سارة أمامه وبدت مترددة بعض الشيء وقد لاحظ هو ذلك فعرض عليها شيئا تشربه: تحبي تشربي ايه؟

رفضت سارة عرضه بتهذيب: لا شكرا مش عاوزة حاجة.

ثم انتظرت قليلا تنظر نحو الارض تحاول استجماع شجاعتها للبدء في الموضوع وهو يراقبها بعينين لاهيتين الى ان رفعت عينها اليه وقالت أخيرا وبكلمات سريعة ربما خوفا من أن تخونها الشجاعة للحظة: شوف يا باشمهندس، انا طبعا اسفة لاني جيت هنا

المكتب وبكلمك في موضوع زي دة لكن ما كنش في طريقة تانية.

ثم توقفت لحظة تزدرد ريقها قبل ان تضيف: بابا من ساعة مانت مشيت من عندنا وهو مالوش كلام غير عنك وعن موضوع جوازنا اللي هو فاكر انه هيحصل اكيد وواضح انه مقتنع بيه ع الاخر وانا تعبت من كتر ما حاولت اشيل الفكرة دي من دماغه لكني فشلت، وعشان كدة...........

ثم توقفت فجأة وكأنها تحاول انتقاء الكلمات المناسبة للتكملة، اما هو فلم يبدو على ملامحه اي تأثر بما قالت بل ظل ينتظر البقية، وقد كان ان اردفت بصوت

اقل ارتفاعا وقوة عن ذي قبل: انا عاوزاك انت تكلمه وتقوله انك اكتشفت في المقابلة اللي كانت بينا اننا ما ننفعش لبعض وان كل شيء نصيب، واي كلام تاني ممكن يتقال في الظروف دي.

بدا انها انهت كلامها وجاء دورها لتنتظر رده والذي جاءها سريعا بملامح بريئة تختلف كثيرا عن تلك العينين المشاكستين: يعني عاوزاني اكدب؟

بدا انها لم تفهم قصده في اول الامر لذا سألته: تكدب ازاي يعني؟

عبدالرحمن: يعني لما اقول لباباكي اني شايف اننا ما ننفعش لبعض وانك مش

الانسانة المناسبة ليا، مش دة يبقا كدب بردو؟

سارة باتهام واضح: انت مش قولت بنفسك انك مش جاي تتقدملي؟

عبدالرحمن موافقا: دي حقيقة، انا قولت ان اللقاء اللي حصل كان للتعارف، لكن عادي انه يحصل قبول بعد التعارف دة واجي اتقدم رسمي، مش كدة ولا ايه؟

بهتت لدى سماعها رده الغير متوقع، ولكنها لم تصب بالاحباط بعد، لذا كان سؤالها: حتى لو كنت انا مش عاوزاك؟

عبدالرحمن: افتكر انك لازم تحتفظي برأيك دة لما ابقا اتقدم بشكل رسمي

الاول، مش يمكن دة كان ما يحصلش،
وساعتها كنتي وفرتي على نفسك المشوار
لحد هنا والكلام اللي عمالة تسمعهولي من
ساعة ما جيتي.

كلامه اصابها بالخرس تماما لبضعة لحظات
فبدا انها تسرعت في المجيء الى هنا حقا
وها هو استطاع للمرة الثانية ان ينتصر
عليها.

****

كان مازن على وشك الدخول عند
عبدالرحمن بمكتبه حين تفاجىء بسارة
تخرج من عنده فسلم عليها وهو يقول
مرحبا: انسة سارة! ازيك عاملة ايه؟

سارة وهي تحاول ان تخفي ملامح الكآبة من على وجهها خلف تلك الابتسامة الكاذبة: استاذ مازن! ازيك، عامل ايه انت؟ ودنيا عاملة ايه؟

مازن: الحمد للّه بخير.

وبدا انه تذكر امرا فسألها: انتي كنتي عند عبدالرحمن؟

لم تعلم بم تجيب، فاجابتها ستترتب عليها المزيد من الاسئلة، لذا قررت التهرب، فقالت له على عجل: طب معلش يا مازن، اصلي اخرت وممكن يقلقوا عليا في البيت، يبقا سلملي بقا على دنيا وقولها اني هزورها قريب، سلام.

لم يستبقيها مازن، بل افسح لها الطريق لتغادر وهو يعلم ان صديقه سيخبره بكل شيء: سلام.

ودخل مازن على صديقه فوجده قد انتهى من غلق حقيبته ويستعد لمغادرة المكتب، وما ان رأى مازن، ابتسم لها محييا: اهلا مازن، ناوي تروح معايا ولا ايه النهاردة؟

ولانه لم يعتد المراوغة مع صديقة فكان سؤاله المباشر: هي سارة كانت بتعمل ايه هنا؟ انت مش قولتلي ان المقابلة ما كانتش على ما يرام بينكم؟

عبدالرحمن بعد بتنهيدة حارة قال مازحا: اظاهر ان الجنان وراثة في العيلة دي يا مازن.

فشاركه مازن المزاح ليرد قائلا: انت هتقولي؟! مانا عندي النسخة الاصلية، بس احكيلي.

****

الفصل الرابع والثلاثون

:غادة! انتي كويسة؟!

ونعود مرة اخرى الى تلك الشاردة والتي حتى لم تلحظ أن عمر قد نادها باسمها مجردا، فردت وهي تهز رأسها بالايجاب: اه.

عمر: انتي كنتي هنا بتعملي ايه؟ انا لما شفت عربيتك برة استغربت.

غادة: كنت بخلص شغل مع مازن.

ولم تلحظ ايضا امتعاضه من نطقها لاسم مازن بذلك الدفء في صوتها والذي جعله يحسد صاحب الاسم ويتمنى لو يصبح مكانه، ولكنه حاول تجاهل الامر: طيب لو

كنتي خلصتي وراجعة المشروع اسمحيلي اوصلك.

فرفضت غادة عرضه بابتسامة امتنان مقدمة السبب: لا شكرا يا باشمهندس، انا معايا عربيتي.

عمر: مانا عارف وشفتها برة زي ما قولتلك بس ما افتكرش انك هتقدري تستخدميها النهاردة.

نظرت له بريبة فأجاب على ذلك السؤال الصامت في عينيها: اصل انا وانا جاي لقيت ولد قاعد جنب العربية بتاعتك وعمال يفش في العجل.

غادة بفزع: ايه؟!

عمر مطمئنا: اطمني، انا لحقت الولد قبل ما يفش الاربع فرد.

غادة وقد هدأت قليلا: طب وهو بوظ كام فردة.

عمر: واحدة بس.

فتنفست غادة الصعداء، ثم قالت: مش مشكلة، معايا استبل هخلي حد من الامن يساعدني في تغييرها.

لمعت عينا عمر بنظرة ماكرة وهو يقول مبتسما: لا هو واضح ان حضرتك فهمتيني غلط، هي فردة واحدة بس اللي فضلت سليمة والتلاتة التانيين ناموا.

احتاجت للحظات تستوعب فيها الخبر وقبل ان تتاح لها الفرصة للتفكير في اي حل آخر كرر عمر عرضه السابق: بتهيئلي بقا يا دكتورة ان مفيهاش حاجة لو سمحتيلي اوصلك النهاردة بما ان طريقنا واحد، اتفضلي معايا.

لم يترك لها مجالا للرفض فاتبعته غادة الى خارج الشركة ولكنها لاحظت اشارة خفية بينه وبين احد رجال الامن الواقفين عند المدخل ولكنها قررت ان تحتفظ بتلك المعلومة لنفسها بعض الوقت، ثم استقلت سيارة عمر الذي لم يضع الوقت حتى انطلق بها سريعا فور ان جلس خلف عجلة القيادة.

ظل عمر طوال الطريق يحدثها في أمور شتى وغادة أحيانا ترد عليه اما بايماءة من رأسها وان أكثرت فبكلمة او اثنتين حتى ان تطرق الى احد الموضوعات التي اثارتها، فكان أن قال: دكتورة غادة، هو انا ممكن اطلب منك طلب؟

غادة: اتفضل.

عمر: ياريت لما تحتاجي اي حاجة تاني من الاستاذ مازن او اي حد غيره في الشركة ممكن تقوليلي انا عليها مانا تقريبا كل يوم بيقا هناك.

وجاء ردها جافا عكس ما توقع: متشكرة لحضرتك يا باشمهندس بس انا بحب اعمل شغلي بنفسي.

وكان هذا هو اخر حوار بينهما قبل ان تصل بهما السيارة الى مكان العمل، وقبل ان تنزل غادة من السيارة لتباشر عملها كان عليها بالطبع ان تقدم امتنانها لعمر: ميرسي ع التوصيلة.

عمر: تحت امرك يا دكتورة، وما تقلقيش على عربيتك انا هبعت ميكانيكي يظبطها.

وجاء دورها كي تتبنى تلك النظرة الماكرة وهي ترد عليه: دة المتوقع بردو يا

باشمهندس، لان من فسد شيئا فعليه اصلاحه.

ثم نزلت من السيارة لتقول له اخيرا قبل ان ترحل: اه، وياريت لو قابلت الولد اللي فش عجل العربية تاني قوله انه خلاص كبر ع الحاجات دي، عن اذنك.

ثم ابتعدت عن السيارة لتترك علامات الدهشة بادية على وجهه ليقول لنفسه معلقا على كلامها: افسد واصلاحه وكبر؟! هي شافتني ولا ايه؟

****

رن جرس الهاتف الأرضي بينما كانت في المطبخ تعد وجبة الافطار وهي تتساءل في

نفسها لم لم يستيقظ حتى الان؟! كما انه
لم يمس وجبة العشاء التي اعدتها له
بالأمس، بل اتجه فور عودته الى حجرة نومه
ولم تسمع له صوتا بعدها.

اعادها رنين الهاتف المتواصل الى أرض
الواقع، فتركت ما بيدها وذهبت الى حجرة
الجلوس لترفع السماعة وتجيب: وعليكم
السلام..... ايوة.....اوك هبلغه......مع
السلامة

ثم وضعت السماعة مكانها واتجهت نحو
حجرة مازن ورفعت يدها لتطرق الباب
ولكنها أخفضت يدها مجددا في تردد فهي
لم تقترب من تلك الحجرة اذا علمت

بوجوده بها منذ ليلة زفافهما البيضاء ولكن لا مفر أمامها الان، بدأت بطرقات خفيفة على الباب ثم تعالت عندما لم تجد استجابة ولكن دون جدوى ايضا، ولذا لم يكن امامها سوى أن تفتح الباب بنفسها وتدخل لتراه لايزال راقدا في فراشه يغط في نوم عميق، فاقتربت منه تمشي على اطراف اصابعها وكأنها تخشى ان يستيقظ بالرغم من أن وجودها بحجرته الان كان فقط لهذا الغرض، ظلت تتأمل ملامحه الهادئة عن قرب وكأنه طفل صغير يختلف كل الاختلاف عن هذا الرجل الناضج الذي عنى بها و قام بتربيتها ورعايتها لسنين طويلة وهو الان زوجها!

انتفضت لدى تذكرها تلك الحقيقة،
ومدت يدها ناحيته تهزه برفق وصوتها
الناعم يكرر اسمه: مازن! مازن! اصحى يا
مازن.

و في لحظة أسرع من البرق وجدت نفسها
تندفع نحوه حيث جذبها اليه بشدة لتواجه
نظراته الحادة التي لايزال فيهما اثار النوم،
لحظات من الصمت مرت عليهما وحوار دائر
بين العيون التي تحاول ان تتفاهم، عيونه
الحادة التي تحاول ان تخترق حصونها وتهد
ذلك السور المنيع الذي بنته بينهما و
عيونها العنيدة التي ترفض الاستسلام وتصر
على خوض الحرب للنهاية مهما كانت
النتائج، واخيرا ابتلعت ريقها قبل ان تقول:

السكرتيرة بتاع مكتبك اتصلت بيك ع التليفون الارضي لما لقت موبايلك مقفول عشان كانت عاوزة تفكرك بميعاد الاجتماع.

مازن بصوت يغلب عليه النعاس على الرغم من ان قبضته القوية على يدها تؤكد عكس ذلك: هي الساعة كام دلوقت؟

دارين: الساعة تسعة ونص.

فاغمض جفونه وهو يقول: يااااه ! انا نمت كل دة؟ واضح اني كنت تعبان فعلا ومش حاسس.

كادت ان تخبره انه بالفعل يرهق نفسه بالعمل في الاونة الاخيرة لكنها تاجعت

حين تذكرت انه لم يعد ذلك الاخ الذي كانت تتحدث معه بحرية دون ان تخشى من ان يسيء فهمها، وعوضا عن ذلك قالت له بجدية: عشر دقايق والفطار يكون جاهز.

ولكن عندما حاولت الابتعاد وجدت ان قبضته على يدها قد اشتدت أكثر مما جعل حاجبها يرتفع بتساؤل، فقال لها بابتسامة هادئة: مفيش داعي، مش هلحق افطر، انا يدوب هاخد دش سريع وانزل، بس ياريت فنجان قهوة.

هزت رأسها بالايجاب وعندما حاولت التخلص من قبضته هذه المرة وجدت انه بالفعل قد

اطلق سراحها ، فاتجهت ناحية باب الحجرة

ولكن صوته اوقفها فجأة: دارين!

فاستدارت مرة اخرى لتراه وقد اعتدل في جلسته وبدا في حالة نشاط عجيبة وكأن التعب لم يعرف طريقا الى جسده قط وتلك الابتسامة الساحرة تزين ثغره وهو يقول لها: يبقا فكريني ادي علاوة للسكرتية لان بفضلها انتي دخلتي اوضتي النهاردة برجليكي لاول مرة.

ثم اضاف باصرار شديد في عينيه: ومش هتكون الاخيرة.

****

:يعني ايه مش موافقة؟!

صوت كالرعد جعل جسدها ينتفض على الرغم من انها كانت تتوقع ردة الفعل تلك حينما ذهبت الى مكتب ابيها و قررت ان تخبره برفضها لذلك الخطيب، فيوسف الهواري لا يعترف بما يتعلق بالحب والمشاعر والزواج بالنسبة له ليس اكثر من صفقة يجب الاستفادة منها من كل النواحي، ولكنها لم تيأس في اقناعه فقالت له مستعطفة: يا بابا، دة حقي لان انا اللي هتجوز، وانا من ساعة ما قابلت الشخص دة واحنا تقريبا مش متفقين، ازاي بقا عاوزني اتجوز واحد مفيش بيني وبينه اي تفاهم؟

يوسف: ازاي يعني مفيش بينكم تفاهم والراجل جاي واتقدملي بشكل رسمي

وموافق على كل طلباتنا وكمان مستعجل ع الجواز؟!

كانت هي الحقيقة بالفعل ففي اليوم التالي من ذهابها الى مكتب عبدالرحمن جاء والدها يخبرها بأن عبدالرحمن قد ذهب اليه في مكتبه بالشركة وطلب منه يدها رسميا علاوة على انه مستعد لتنفيذ كافة طلباتهم كما انه يستعجله باتمام اجراءات الزواج وكأنه يتحداها، ولكن كيف لوالدها ان يفهم ذلك الامر؟

ظلت تحاول مع أبيها: يا بابا، بس انا ما بحبوش.

يوسف: بلا كلام فارغ، حب ايه اللي انتي بتتكلمي عنه دة؟ الحب بييجي بعد الجواز، وانا شايف ان عبدالرحمن هو الراجل المناسب ليكي وبكرة هتقولي ان عندي حق.

سارة معترضة: بس يا بابا.....

فقاطعها يوسف بصرامة: ولا كلمة تاني في الموضوع دة، انا خلاص اديت للراجل كلمة واياكي تصغريني ادامه زي الفالحة اختك، ياللا اتفضلي على اوضتك.

انسحبت من المكان تجر اذيال الخيبة ولكن في نفسها تتوعد ذلك الذي كان سبب وضعها في هذا الموقف.

****
*

وتمر الايام والاستعدادات لحفل عقد القران الخاصة بعبدالرحمن وسارة قائمة على قدم وساق، وقد اتفق عبدالرحمن مع يوسف ان تتم الخطبة وعقدالقران في يوم واحد ثم يكون الزفاف بعده بشهر، وفي هذه الفترة تجنب عبدالرحمن لقاء سارة لتحاشي اي صدام بينهما فرغم ان والدها قد اخبره بموافقتها على الزواج الا انه خمن انها ربما لاقت بعض الضغط لتغيير رأيها بهذه السرعة وكان يعلم انه سيأتي اليوم ليتفاجىء بها تصارحه بهذا الامر ولكن ليس الان على كل حال، فهكذا اراد حتى

انه ارسل والدته واخته ايمان ليصطحبا العروس كي تنتقي شبكتها.

وجاء اليوم الموعود واقيم الحفل في فيللا الهواري يجتمع فيه الاقارب والاصحاب يهنئون العروسين ويشاركونهما فرحتهما.

:مبروك وبالرفاه والبنين ان شاء اللّه.

على قول الشيخ المأذون استفاقت سارة التي عماها الغضب وأصم أذنيها عن كل ما يدور حولها، فهي لم تتوقع ان تتزوج بتلك الطريقة ورغما عنها ايضا، وكانت طوال كتب الكتاب ترمق عبدالرحمن بعينين لاهبتين متوعدتين، اما هو الذي لم يخف عليه ذلك فقد حاول تجاهلها الى ان يأتي

الوقت المناسب، وبعد ان اعلن المأذون انتهاء اجراءات عقد القران، توجهت والدة العريس الى ابنها تهنئه و وفي يدها علبة قطيفة قدمتها له وهي تقول والفرحة تكاد ترفعها عن الارض: ياللا بقا يا عريس، خد لبس عروستك الشبكة.

فأخذ منها عبدالرحمن العلبة وتوجه نحو الاريكة التي تجلس عليها سارة بكل ثقة وعزم وابتسامة لاهية تبدو على محياه تقابلها ملامح سارة الجامدة ووجنتيها المحمرتان من الغضب وليس الخجل كما يظن الناس.

جلس عبدالرحمن بجوار عروسه وفتح العلبة ليخرج منها ذلك الخاتم البراق الذي يكاد بريقه يخطف الانظار، حيث تعمدت سارة وقتها ان تنتقي اغلى الجواهر انتقاما منه، ولكن بدا ان الامر لم يؤثر به كما اعتقدت: ايدك يا عروسة.

وبشكل آلي مدت له يدها ليضع بها صك الملكية خاصته وهو يقول لها بابتسامة عذبة ربما اقنعتها بصدق مشاعره في ظروف اخرى: مبروك يا سارة.

لم تكلف نفسها عناء الرد عليه ولكن لم يلحظ احد ذلك حيث عقب هذا الحدث

الكثير من الزغاريط والتهانىء التي انهالت على العروسين من كل جانب.

وقف مازن وزوجته في احد الاركان بعد ان هنآ العروسين برفقة فؤاد وزوجته سميرة فقط حيث قد اعتذرت غادة عن الذهاب بسبب تعب مفاجىء حل بها مما اشعر عمر ببعض الخيبة، فقال فؤاد مازحا: واللّه انا لحد دلوقت مش مصدق ان عبدالرحمن اتجوز، لا وقال ايه؟ كمان الواد حس كتب كتابه في نفس الليلة.

سميرة: يا خوية احسن، هما هيفضلوا لحد امتى كدة من غير جواز؟ ياللا المهم ان ربنا يتمملهم بخير.

ثم اضافت موجهة حديثها الى مازن ودارين:

وانتم يا ولاد عقبال عوضكم، ياللا بقا اتجدعنوا كدة، عاوزين نشيل ابنكم قريب.

فأحاط مازن كتف دارين ملثما جبينها بابتسامة حب وهو يقول: ان شاء اللّه عن قريب يا طنط.

تبا له! كيف يفعل ذلك؟ وما هذا الهراء الذي يتفوه به؟ أيستغل الظروف لانه يعلم ان ليس بامكانها ابعاده عنها و نفي كلامه امامهما؟

اما مازن فكان الوحيد الذي يعلم ان تلك الابتسامة الباهتة التي ارتسمت على صفحة

وجهها البيضاء تخفي بداخلها نيران غضب تنتظر حتى يكونان وحدهما فتندلع في وجهه، ولكنه لم يرد عليها سوى بابتسامة تحد يخبرها بأنه على استعداد لتلك المواجهة عن قريب.

وبعد مرور المزيد من الوقت وفي مكان اخر بالفيللا وتحديدا بالحديقة وقد قرر حسام الانفراد قليلا بايمان تلك التي اصبحت زوجته قبل سويعات قليلة فجلس برفقتها فوق الارجوحة المعلقة ليهمس لها بعشق:

مبروك يا ايمان، اخيرا بقيتي مراتي.

ايمان وقد اصابها الخجل ليس فقط من كلماته ولكن ايضا من نظراته الدافئة

التي كادت تذيب انوثتها: اللّه يبارك فيك.

ولكنه لم يرحم خجلها بل ظل مسلطا عليها عينيه وابتسامة حلوة تداعب شفتيه وهو يقول لها: عقبال الفرح بقا.

واخيرا رفعت اليه عيناها لتسأله بدهشة: فرح! فرح ايه؟

حسام وقد تحولت ابتسامته الى المشاكسة: وهو انتي فاكرة اننا هنتجوز كدة سكيتي ولا ايه؟ مش كفاية كتب الكتاب اللي ما حضروش غير اربع اشخاص بس، وتم كدة بسرعة عشان عبدالرحمن ما يتأخرش عن حفلته.

ايمان راجية: حسام! بالله عليك كفاية حفلة صغيرة يحضرها اهلك واهلي وبس.

حسام واضعا اصبعا على فمها يمنعها من الاستمرار في الحديث: هسسسسس، سيبيني انا امشي الموضوع دة بطريقتي وصدقيني مش هتندمي.

بالطبع لن تندم، فان كانت تشك في هذا الامر فما كانت لتوافق على تلك الزيجة أبدا.

****

عاد مازن ودارين الى شقتهما بعد انتهاء الحفل برفقة فؤاد وزوجته وكان مازن

يحيط كتف دارين بذراعه طوال الطريق حتى وهو يقود السيارة ودارين لم يكن بيدها الاعتراض، ولكن ما ان وصلا شقتهما واغلق مازن الباب حتى نزعت دارين نفسها من تحت جناحه ودفعته بعيدا عنها بكل قوة وتراجعت هي بضعة خطوات للوراء تلتصق بالحائط خلفها وكانه الحصن الذي سيمنعها منه فنظر اليها مازن بتساؤل وكأنه يجهل السبب، فما كان للبركان بداخلها الا ان يثور تلك اللحظة بالذات: تقدر تقولي انت بأي حق تعمل كدة؟

فسألها عاقصا ذراعيه حول صدره وهو يتصنع البراءة التامة: وانا عملت ايه؟

دارين مندفعة تعدد له خطاياه من وجهة نظرها: يعني مش عارف؟ حضنتني وبوستني ادام الناس، وكمان كلامك مع طنط سميرة عن الخلفة والعيال اللي اكيد هيهيألها حاجات تانية ماحصلتش.

مازن بابتسامة باردة: حاجات تانية زي ايه مثلا؟ ماهو كنتيجة لاننا اتنين متجوزين المفروض ان يكون لينا اطفال.

فذكرته دارين بعناد: بس احنا مش متجوزين يا مازن، وعمر ما دة هيحصل.

مازن بتحد: وانتي ايه خلاكي متأكدة اوي كدة ان عمر ما دة هيحصل؟ مش ممكن انا

في لحظة ازهق من دور الزوج العازب دة واحول جوازنا الشكلي لجواز حقيقي؟

هل يمكنه ان يفعل ذلك بالفعل؟ تساءلت دارين في نفسها ولكنها وجدت الاجابة تخرج عالية بالنفي: لا مش ممكن.

وحينما رأت لمعة غريبة في عينيه تهدد باثبات العكس لها سارعت تقول: انت عمرك ما هتفرض نفسك على واحدة مش عاوزاك.

وبخطوات بطيئة ثابته مشى نحوها وهو يقول: معاكي حق، بس فاتتك حاجة صغيرة، انا لو شاكك فعلا انك مش

عاوزاني او انك تقدري تعيشي بعيد عني عمري ما كنت هفكر اتجوزك.

تصريح مفاجىء سبب لها الصدمة وكأنه لمس وترا حساسا لديها للحظات كان مازن فيها قد اصبح على بعد خطوة منها، فأفاقت لتجد نفسها في هذا الوضع الخطر، لذا اعترضت على كلامه فورا لتقول بارتباك واضح: انت ايه الكلام اللي بتقوله دة؟ الكلام دة مش صح، وفي الحقيقة يا مازن انا بكرهك وخلاص ما بقتش عاوزة اعيش معاك اكتر من كدة.

لم تؤثر تلك الكلمات ذات اللهجة الضعيفة فيه قيد انملة، بل انه قال وهو

لايزال محافظا على ثباته وهدوئه: ياريت كنتي تقدري تثبتيلي كلامك دة.

ثم اكمل وابتسامة عابثة تعلو شفتيه: اسمحيلي انا بقا اثبتلك العكس.

وقبل ان تتوضح منه ما يعنيه بكلامه هذا، كان قد شرع بالفعل في التنفيذ، وفي لحظة خاطفة وجدت نفسها وقد اصبحت حبيسة ذراعيه القويتين التي فشلت محاولاتها في التخلص منهما وهو ينظر لها بذات الابتسامة العابثة وكأنه يستمتع بتلك المقاومة الواهنة، حتى ان يئست من المحاولة فسكنت بين ذراعيه ورفعت اليه

عينيها تقول له بصوت ضعيف: سيبني يا مازن.

وكأنها قد طلبت منه العكس، فاشتدت ذراعيه حولها، وقرب وجهه منها اكثر فأكثر، وهي تنظر اليه كالمغيبة، حتى اطبق بشفتيه على شفتيها ينهل من شهدهما الذي كان محرما عليه طوال تلك السنين الفائتة ودارين مستسلمة دون ادنى مقاومة، اما هو وبعد كل هذا الحرمان الذي عاناه منها فقبلة واحدة لا تكفيه، لذا اصبحت القبلة اثنتين وثلاثة وكل منهما تصبح اكثر تطلبا وشغفا عما قبلها، ودارين العنيدة التي ترفض الاعتراف بالهزيمة لم تفعل سوى الاستجابة له الى ان سمعت رنين

هاتفه الخلوي الذي تعمد مازن تجاهله ولكنه عكر سحر هذه اللحظات القليلة لتعود دارين الى رشدها، وتدفعه مجددا بعيدا عنها على حين غرة، ثم تركض لاهثة الى حجرتها لتغلقها عليها من الداخل.

اما عن مازن الذي لم يصدق ان هذا حدث بالفعل، فقد تيقن اخيرا ان صغيرته تحبه وتريده كما يفعل هو، لذا فلن يصبر على بعدها وجفاءها معه بعد الان، وهو يعترف لنفسه ان هذا الاختبار الصغير لم يكن لها فقط بل له هو ايضا، فقد اراد ان يختبر مشاعره نحوها ويرى هل لايزال هناك مكان لتلك الطفلة الصغيرة التي تبناها والده وكان يعدها اختا له؟ وكانت

الاجابة ان صورة تلك الطفلة قد ولت لتحل محلها دارين الان تلك المرأة التي استطاعت ان تثير مشاعره بهذا الشكل وتزيد من ضربات قلبه على نحو غريب.

الفصل الخامس والثلاثون

"إنما للصبر حدود " غنتها كوكب الشرق في زمن الفن الجميل واعترفت دارين اليوم بصحتها كما تأكدت من غباء منطقها الذي خيل لها أن صبر مازن معها سيدوم الى ما لا نهاية، ولكن ها هو بدأ يكشر عن أنيابه وهي لم تستطع التصدي له حتى أنها لم تقاوم ولو بكلمة رفض مما دل على ضعف في نفسها تجاهه، وهذا هو ما تخشاه حقا، فاليوم ظروف خارجية خلصتها من بين يديه ولكن فيما بعد كيف يمكنها ان توقفه؟!

****

جلس مازن وصديقيه بركن الاستراحة الموجود في حجرة مكتبه بالشركة يضحكون ويمزحون حيث قال مازن: هيييه، نحن السابقون وأنتم اللاحقون.

فرد عليه حسام: معاك حق واللّه يا ميزو يا خوية، صحيح كلنا لها.

ولم يفت عبدالرحمن أن يشاركهم في مداعباتهم ليقول هو الاخر: ربنا يجعلها آخر الاحزان ان شاء اللّه يا جماعة.

ثم اختص حسام بحديثه: يا خسارة شبابك يا حس، اخيرا هتدخل القفص برجليك بعد ما كنت كزانوفا عصرك وزمانك.

فرد حسام بحزن مصطنع: اعمل ايه بقا يا عبدو يا خويه؟ الجواز تأديب وتهذيب واصلاح وعلى رأي سعد الصغير لما قال.....

وبدأ يغني وهو يهز كتفيه بحركات استعراضية: انا خلاص هتجوز وهبطل ابص ع البنات... وهظبط نفسي وابطل اقضيها اشتغالات.

فضحك كل من مازن وعبدالرحمن، ثم قال هذا الأخير: اه لو تشوفك ايمان دلوقت، انا واثق انها هتغير رأيها.

توقف حسام عن الغناء وأخذ يتلفت حوله في ريبة وهو يقول هامسا: ربنا يجعل

كلامنا خفيف عليها، اعمل ايه ماهي مجنونة زي أخوها.

ارتدى عبدالرحمن قناع الجدية الزائفة وهو يقول له: بقا كدة يا حس؟ مش أخوها دة بردو اللي كنت قربت تبوس ايديه عشان يجوزهالك؟

فقال مازن مواسيا اياه بمزاح: معلش بقا يا عبده، ما حسام دة زي القطط.

حسام: جرى ايه يا عم انت وهو، انتم هتتفقوا عليا ولا ايه؟ لا اسمعوا انتم تبوسوا ايدكم وش وضهر اصلا ان انا لسة باجي الشغل وفرحي بعد اسبوعين.

مازن: يا بني مانت هتاخد اسبوعين اجازة اهو، اسبوع قبل الفرح واسبوع بعد الفرح.

حسام متذمرا: يا فرحتي، بقا يا ناس في كل العالم معروف ان شهر العسل بيبقا تلاتين يوم تقوموا انتم تخلوه سبع ايام بس.

عبدالرحمن: طب مانا اهو يابني زيك هاخد نفس الاسبوع ومازن جه الشغل تاني يوم على طول.

حسام: طب انتم ناس بتحبوا الشغل انا ذنبي ايه بقا؟

مازن: يا سيدي، دة انت بكرة وبعده وتقول يا ريتني ما اتجوزت ومش هتطيق تقعد في البيت ساعتين على بعض.

فنفى حسام هذا الكلام ليقول بتفاخر:

ليه وهو انا زيكم؟ انا يابني بعون اللّه

حياتي كلها هتبقا شهر عسل مع حبيبة

قلبي ايمان.

فنهره عبدالرحمن مداعبا: ما تلم نفسك يا

بني ادم، بتقول حبيبة قلبك كدة وانا

قاعد؟

حسام مزيدا في استفزازه: طب ما تقوم يا

عم هو حد مسك فيك؟ وبعدين سواء

كنت قاعد او واقف انت مالك ومالنا؟

واحد ومراته حبيبته بتدخل بينهم ليه؟

انت ترضى اني اتدخل بينك وبين مراتك؟

وقبل ان يلقى الرد، سمع رنين هاتفه الذي كان وضعه على المنضده أمامه، فالتقطه ليرى من المتصل؟ وما ان عرف هويته حتى اتسعت ابتسامته، ثم نهض من مكانه ليرد على الهاتف قائلا: وعليكم السلام، ايوة يا حبيبة قلبي.

قالها بصوت عال وهو ينظر الى عبدالرحمن ثم يخرج له لسانه ليغيظه اكثر، وبعدها يغادر المكان، فهز عبدالرحمن رأسه يمينا ويسارا وهو يقول: حسام هيفضل حسام، مش هيعقل ابدا.

مازن معترضا: بس انا بقا شايف العكس، حسام الحب غيره كتير.

ثم أكمل بنبرة تملؤها الشجن: يمكن يكون رغم كل اللي شافه هو اكتر واحد محظوظ فينا يعني قدر يعيش حياته زي ماهو عايز بقا عنده اولاد حتى قبل ما يتجوز والاهم اتجوز واحدة مطمن من مشاعرها ناحيته.

ثم اكمل بحسرة: اما احنا بقا........

ولكن قاطعه عبدالرحمن محذرا بشيء من المزاح: لا، انت تتكلم عن نفسك يا حبيبي.

مازن بنظرة مشككة: واللّه! بقا كدة؟! طب تقدر تقولي يا عم الواثق من نفسك

انت ليه ما كلمتش مراتك لحد دلوقت من ساعة كتب الكتاب؟

فرد عليه عبدالرحمن بلهجة متزنة متعقلة:شوف يا مازن، يمكن ظروف جوازنا انا وانت متشابهة لكن اوعدك ان النتيجة معايا هتكون مختلفة لان عمري ما هعمل زيك، انت عارف ايه مشكلتك الحقيقية مع دارين؟

فنظر اليه مازن بتساؤل ليكمل عبدالرحمن: هي انك سمحتلها تجرب البعد عنك.

ثم أضاف بلهجة مؤكدة: ودة اللي انا عمره ما هسمح بيه لسارة.

****

جلس حسام وايمان أمام طاولة بأحد المطاعم المطلة على النيل، قالت ايمان باعتراض بعدما أخذت رشفة من كوب العصير الذي أمامها: بردو لا يا حسام، ما ينفعش.

حسام مستفسرا: ليه بس يا ايمان؟ احنا مش كنا انتهينا خلاص من الموضوع دة؟

ايمان باستهجان: ازاي بس عاوزني اوافق اننا نعمل فرح وكمان ألبس فستان ابيض؟

فمد حسام يده أمامه ليحتوي كفها بحنان وهو يقول محاولا اقناعها: طب وماله بس يا حبيبتي؟ وايه المانع؟

فقالت ايمان معللة موقفها: المانع اني كنت مطلقة يا حسام، يعني سبقلي الجواز قبل كدة.

فسألها حسام: طب وايه علاقة اللي انتي بتقوليه دة بانك تلبسي فستان ابيض في فرحنا؟

فأجابت ايمان مخفية بداخلها ذلك الاحساس بالالم الذي اصابها فجأة: العلاقة يا حسام ان الحاجات دي مش مسموح بيها غير للآنسة اللي بتتجوز لأول مرة.

حسام معترضا: دة كلام فاضي انا مش مقتنع بيه.

ثم اضاف مسلطا عينيه الراجيتين عليها محاولا استعطافها: ايمان! عشان خاطري دة اول طلب بطلبه منك، فأرجوكي بلاش تحرميني وتحرمي نفسك من السعادة دي، خلينا احنا نقرر هنعيش حياتنا ازاي بعيد عن كلام الناس وتفكيرهم، ماشي يا حبيبتي؟

لم تستطع ان تخيب رجاءه، لذا أومأت برأسها مبتسمة دليلا على موافقتها لتحظى بدورها بتلك الابتسامة الراضية التي بدت على وجهه.

****

وجاء اليوم المرتقب حفل زفاف كبير معد على أعلى مستوى في أحد الفنادق السبع نجوم والسعادة تملأ قلوب كل المدعوين بلا استثناء، والموسيقى تدوي في كل ركن بالقاعة وقلب كل من حسام وايمان يرقص من الفرحة على أنغامها، أما عبدالرحمن وسارة فهما الاثنان في ترقب للقادم وكل منهما يأبى الا يكون هو المنتصر، فلمن تكون الغلبة اذن؟

ودارين أخت العروس سارة تتجول بين صديقاتهن ممن حضرن الحفل هنا وهناك كالفراشة تتحدث مع هذه وتضحك مع تلك وهي تشعر بتلك العينين الحادتين التي تراقبها اينما ذهبت ولكنها لم تكلف

نفسها بالنظر ناحية المكان الذي يقف فيه
صاحبهما، اما هو فقد كان يتابعها بعينيه
والشوق يكاد يحرق فؤاده وتحدثه نفسه
بأن يذهب اليها ويخطفها من وسط الجموع
ويهرب بها بعيدا عن عيون المتطفلين،
ولكن منعه صوت العقل بداخله، وكذلك
هذا التعب المفاجىء الذي ألم به وإذ به
يشعر بالاختناق و بضربات قلبه تتزايد عن
المألوف الى جانب صعوبة في التنفس
جعلته يقوم بتوسيع تلك الربطة التي
حول عنقه قليلا، ولكن لا فائدة فما من
شيء تحسن، لذا فقد تسلل الى الخارج
ملتمسا بعض الهواء النقي بالحديقة
المحيطة في الفندق حتى لا يشعر به أحد

وهو لا يدري أن هناك شخصا كان يراقبه باهتمام شديد ثم تبعه الى الخارج.

توجه مازن الى أقرب مقعد لمحه فتهالك عليه وقد فك ربطة عنقه عن آخرها وأرجع رأسه الى الخلف بارهاق.

:فيه ايه يا مازن؟ مالك؟

صوت انثوي مهتم جعله يفتح عينيه بصعوبة ليتبين غادة التي كانت تميل ناحيته بعينين متفحصتين قلقتين، فحاول مازن التحامل على نفسه ليقول بابتسامة واهية: مفيش يا غادة، انا كويس، شوية تعب وهيروحو لحالهم.

ولكنه لم يستطع ان يقنعها حقا بصدق كلامه، فجلست بجواره وأخذت معصمه بين أصابعها تقيس نبضه، لتقول له وقد زاد قلقها: انت لازم تتنقل للمستشفى حالا يا مازن.

حاول مازن ان يطمئنها قائلا: مستشفى ايه دلوقت يا دكتورة؟ مانا كويس اهو، هما خمس دقايق بس وهبقا تمام، دي مش اول مرة.

فسألته غادة وقد بدا عيها الفزع: هو الموضوع دة حصلك قبل كدة.

لم يستطع ان يرد بل اكتفى بهز رأسه بالايجاب، ليكون سؤالها التالي: حوالي كام مرة يا مازن وبتحس بايه بالظبط؟

فأجاب مازن بصوت منهك: بحس اني مخنوق ومش قادر اتنفس وضربات قلبي بتزيد.

غادة بلهجة قوية: مازن! انت لازم تكشف وتعمل فحص بسرعة عشان نعرف سبب اللي بيحصلك دة.

وأخيرا وافق مازن على اقتراحها وقال باستسلام: يظهر ان معاكي حق.

فانتهزت غادة فرصة موافقته لتقول قبل أن يعود ليغير رأيه: يبقا اعدي عليك بكرة

ان شاء اللّه ونروح للدكتور اللي قولتلك عليه.

فرفض مازن معللا: مش هينفع دلوقت يا غادة، استني ع الاقل لحد ما حسام وعبدالرحمن يرجعوا من اجازتهم.

غادة معنفة: مش معقول يا مازن كدة، شغل ايه اللي انت بتفكر فيه دلوقت؟ كفاياك بقا اهمال في نفسك لحد كدة.

فقال مازن بصرامة رغم ذلك الضعف الذي بدا على صوته: غادة! انا قولت مش هروح عند اي دكتور غير بعد اسبوع، تمام؟!

ثم استدرك يقول وكأنه تذكر شيئا: اه، وياريت محدش غيرك يعرف حاجة عن الموضوع دة دلوقت، ماشي.

ماذا عساها ان تفعل غير أن توافق على كلامه؟ فهي تعهده دائما شخصا عنيدا لا يمكن ثنية عن أي قرار يتخذه مهما يكن.

****

وصل حسام وايمان الى شقتهما بعد انتهاء حفل الزفاف وهو في قمة سعادته وايمان بثوبها وحجابها الرقيق وتلك الابتسامة الوقورة التي ترتسم على شفتيها تخفي خلفهم ذلك الشعور بالخجل الذي يروادها جراء نظرات حسام المتيمة لها ومواصلة

همسه بكلمات الحب والهيام في أذنيها بالحفل وطوال الطريق الى منزلهما.

أعطاها وقتا كافيا لمشاهدة الشقة التي كانت تتكون من حجرة صالون وغرفتين للنوم الى جانب المطبخ والحمام، وبينما وهي تبدي اعجابها بغرفة النوم الرئيسية سألت حسام: امال فين ماما وعلي وعلياء؟

فأجاب حسام وقد تملكته الدهشة من سؤالها: في شقتهم طبعا.

وهنا جاء الدور على ايمان لتصيبها الدهشة: شقتهم! انت مش كنت قولت انهم هيعيشوا معانا؟

فاقترب منها حسام ليقول مبتسما وقد اتضح له سوء التفاهم الذي حدث: اه، بس انا ما كنتش اقصد انهم هيعيشوا معانا في نفس الشقة، هما في الشقة اللي جنبنا وانا عشان ما ابعدش عنهم اول ما سمعت ان صاحب الشقة دي عاوز يبيعها روحت على طول واتفقت معاه.

وكان وهو يتحدث يقترب منها اكثر فأكثر حتى اصبح لا يفصله عنها سوى سنتيمترات قليلة أتاحت له ان يضع كفيه على كتفيها لينظر بعشق في عينيها ويقول: وفي نفس الوقت يكون عندنا مساحة معينة من الحرية والخصوصية، ولا انتي ايه رأيك؟

بقدر ما كانت ترفضه في البداية بقدر ما تلوم نفسها الان على انها ضيعت كل هذا الوقت من بين ايديها وكادت تحرم نفسها من السعادة التي تعيشها الان معه، فها هو الرجل الذي كانت تتمناه دوما يقف أمامها كما كانت تريده تماما متعقلا يحبها ويعمل على راحتها دون ان ينقص هذا قيد انملة من حبه لعائلته وبره لهم.

و أردف حسام الذي قد أخذ الشوق منه مأخذه ليقول لها وهو يعبث بطرحتها من الخلف: بقولك ايه يا حبيبتي بقا هو احنا هنفضل نتكلم كدة عن ماما وعلي وعلياء للصبح؟ بتهيئلي ان فيه حاجات تانية غير كدة لازم نتكلم عنها.

نظراته الشغوفة جعلتها تخفض عينيها خجلا وتتورد وجنتاها، ثم قبل ان يتقدم خطوة اخرى انسحبت هي تبتعد عنه لتتجه ناحية الحمام وهي تقول بصوت خافت:

هروح اغير هدومي.

فهتف حسام معبرا عن استيائه: وهو دة وقته؟

****

ونذهب الان الى عبدالرحمن وسارة التي كانت تتفحص حجرة النوم و محتوياتها باعجاب وعبدالرحمن يقف عند مدخل الحجرة عاقصا ذراعيه أمام صدره يكتفي بمراقبتها بصمت، الى ان قالت هي اخيرا

مخفية إعجابها بما تراه: مش بطالة، فين اوضتك انت بقا؟

فك عبدالرحمن ذراعيه ليتوغل داخل الحجرة ويقول فاردا ذراعيه دليلا على التملك: بتهيئلي هي الاوضة دي.

فسألت سارة ببساطة: امال انا هنام فين؟

فأجاب عبدالرحمن مدعيا التفكير عدة لحظات: بتهيئلي بردو في الاوضة دي.

فأبدت سارة احتجاجها وهي تقول متصنعة الاندهاش: قصدك ان انا وانت هننام في اوضة واحدة؟ مستحيل طبعا.

فسألها عبدالرحمن يجاريها في لعبتها: هو مش اي اتنين متجوزين بردو المفروض انهم يناموا في نفس الاوضة؟

فأجابت سارة بلهجة عنيفة: بس احنا مش زي اي اتنين متجوزين يا باشمهندس، لاني رافضة الجوازة دي.

توقعت ان يثور ويغضب، ولكنه لم يفعل بل قال لها بهدوء: على حسب علمي انك كنت موجودة ساعة كتب الكتاب وكنتي تقدري ترفضي اتمام العقد لكن ما حصلش ودة مش معناه غير حاجة واحدة وهي انك وافقتي على جوازنا.

لاتنكر ان حجته مقنعة لكنها رفضت الاعتراف بذلك أمامه، لذا حاولت تبرير موقفها قائلة: انا وافقت بس عشان بابا ضغط عليا وما كنش ينفع اني اعارضه او اقف قصاده.

عبدالرحمن متهكما: امال ينفع انك تستني لليلة الدخلة عشان تبلغيني فيها برفضك لجوازنا؟ تتوقعي مني اني ممكن اعمل ايه دلوقت؟ أطلقك مثلا؟

فسارعت سارة الى النفي: لا لا لا، دة لو حصل هيتسبب في فضيحة كبيرة ليا ولعيلتي.

فسألها عبدالرحمن: امال انتي شايفة ايه هو الحل المناسب اللي مش هيسبب فضيحة ليكي ولا لعيلتك؟

سارة: اننا نفضل عايشين مع بعض شهر واتنين وبعدين نتطلق بس من غير ما تقربلي ولا تيجي جنبي.

صوت قهقهته تعالى فجأة وكأنها ألقت عليه بإحدى النكات فنظرت اليه مستفهمة ليجيبها بعد ان استطاع ان يسيطر على نوبة الضحك التي أصابته: يعني انتي دلوقت مراتي أمام اللّه والناس بورق رسمي شرعا وقانونا وقاعدين مع بعض في بيت واحد

وعاوزاني اتجاهل وجودك كدة ببساطة؟

انتي شايفاني بارد للدرجادي؟

سارة بارتباك واضح: انا ما قولتش كدة، انا كنت اقصد.......

فقاطعها عبدالرحمن قائلا: بصي يا مدام، انتي دلوقتي مراتي وانا ليا حقوق عليكي ومش ممكن اتنازل عنها مهما كان السبب، ومش هسمحلك انك تقصري في اي واجب ليكي كزوجة.

فنظرت اليه سارة بملامح متجمدة اثر كلماته الباردة التي تحمل في طياتها تهديدا غير مباشر، لتقول له مشككة:

بس دة ما يديش ليك الحق انك تفرض نفسك عليا.

عبدالرحمن متحديا ومشددا على كل كلمة يقولها: دة يديني الحق اني اعمل كل اللي انا عايزه، وجربيني.

التقت عيونهما للحظة في تحد لتستشف من نظراته انه بالفعل يقصد كل حرف تفوه به، ثم سمعته يطلب منها فيما يعادل الامر: اتفضلي روحي غيري هدومك.

وقفت مكانها دقيقة تفكر في عصيان أوامره ولكنها في النهاية قررت التراجع كما أن الاختلاء بنفسها الان سيتيح لها وقتا للتفكير السليم، لذا اتجهت الى الباب

المؤدي الى غرفة الحمام حيث أشار لها وما ان وضعت يدها على المقبض لتديره حتى سمعت صوته يقول لها: اه على فكرة، ياريت بلاش تتذاكي و تفكري تقفلي الحمام عليكي لان معايا نسخة احتياطية لكل اوضة في الشقة.

وهكذا يقضي على كل محاولاتها للهرب منه ليكون هو الفائز في هذه الجولة كذلك!!!!!

الفصل السادس والثلاثون

وقفت ايمان أمام المرآة مرتدية عباءة بيضاء جميلة وواسعة وتثبت حجابها الذي كان بلون العباءة ليزيدها جمالا وبريقا، وبعد ان انتهت توجهت ناحية السرير حيث لايزال حسام نائما هناك تبدو عليه البراءة كطفل صغير، جلست ايمان على جانب الفراش بجواره تتأمله بابتسامة مشعة تصل الى عينيها، ثم وبكل حنان تضع يدها على رأسه وتقول بصوت رقيق ناعم: حسام!

حسام!

رأت جفونه تتحرك دليلا على استيقاظه
ثم فتح عينيه الناعستين ببطء، وما ان رأى
وجهها البشوش، ابتسم بسعادة وتناول كفها
ليقبله بحب وهو يقول: صباح الخير يا
حبيبتي، هي الساعة كم دلوقت؟

ايمان: الساعة تلاتة الصبح.

فعقد حاجبيه مندهشا: طب وايه اللي
مصحيكي بدري كدة؟

ايمان: عشان صلاة الفجر يا حبيبي، ياللا
قوم بقا وخدلك دش ع السريع كدة عشان
نصليه جماعة، دة اول فرض لينا مع بعض.

فاعتدل حسام بجسمه ليجلس على السرير
مستجيبا لطلبها، ثم أخذ وجهها بين يديه

ليقبل جبينها فهذه هي الزوجة المحبة الملتزمة التي علم برضا اللّه عنه حينما اصبحت من نصيبه ثم قال لها: ربنا يخليكي ليا يا احلى ايمان في الدنيا.

فردت عليه بنفس ابتسامته الرقيقة التي كانت من أشد ما جذبه اليها: ويخليك ليا.

وبالفعل نهض حسام من مكانه وأخذ حماما سريعا، ثم توضأ قبل أن يرتفع صوت المؤذن ينادي للصلاة، وأمَ حسام زوجته لصلاة الفجر كما طلبت منه وقد كانت سعادته لا توصف حينها فهذه هي أول مرة يصلي فيها الفجر حاضرا بعد وفاة والده.

وبعد آداء الصلاة وقراءة آذكار الصباح، قال لها حسام وكانا لايزالان يجلسان على سجادة الصلاة: ياللي بقا يا حبيبتي ساعديني في تحضير الشنط.

فاجأها طلبه، فسألته وامارات الدهشة بادية على وجهها: شنط؟! هو احنا مسافرين ولا ايه؟

حسام مؤكدا: طبعا، مش احنا اتجوزنا امبارح يبقا حقنا بقا في شهر عسل.

ثم استدرك ليقول معتذرا: بس معلش يا حبيبتي هو مش هيكون شهر اصل البيه أخوكي وعم مازن قرروا ان الاجازة تكون اسبوع واحد.

فقالت له ايمان بابتسامة سمحة: ولا يهمك، انا راضية حتى لو بيوم واحد، بس هنروح فين؟

فأجاب حسام: الغردقة، احنا عندنا قرية سياحية هناك هتعجبك اوي، انا كنت المشرف الفني على بناءها.

ثم أكمل بفخر: واتفرجي بقا على أعمال جوزك.

فاتسعت ابتسامتها وهي تقول راسمة على صفحة وجهها بعض القلق الزائف: طب ما تخلينا نروح قرية تاني اضمن.

حسام متظاهرا بخيبة الامل: بقا كدة يا ايمان؟! بتشككي في قدراتي؟

وعلى الفور قدمت ايمان اعتذار غير حقيقي: لا طبعا يا حبيبي، انا واثقة فيك وفي قدراتك، وموافقة اروح معاك بلاد تركب الافيال لو عاوز.

ثم اضافت بنظرة مشاكسة: وربنا يستر بقا.

فقال حسام وهو ينهض من مكانه جاذبا اياها يساعدها على الوقوف وهو يقول: طب ياللا نجهز الشنط مش عاوزين نضيع ثانية واحدة في الاجازة.

فاستجابت ايمان لكلامه واتجهت الى خزانة الثياب تنتقي منها ما ستأخذه معها في الوقت الذي كان فيه حسام يفتح الحقائب، وسألت ايمان وهي منشغلة في عملها: ما قولتليش يا

حسام، هو عبدالرحمن ومراته هيرحوا القرية بردو؟

فبدت على حسام الحيرة وهو يجيب: اللّه اعلم يا حبيبتي، اخوكي دة اصلا صعب تعرفي هو بيفكر في ايه؟

****

أما في شقة عبدالرحمن فنجد العكس حيث قد استيقظ هو من نومه قبلها، وأدى فريضته وقد أراد أن يوقظها كي تصلي معه ولكنه أشفق عليها فتركها نائمة، وبعد أن أدى صلاته وقرأ الاذكار ثم تلا بعض آيات القرآن كما اعتاد، عاد اليها ليجدها كما تركها لاتزال نائمة فجلس بجوارها يتأمل

ملامحها الهادئة التي تختلف كثيرا عن تلك الشراسة التي تظهرها له في يقظتها، ثم تذكر ليلة أمس وكيف أنها قاومته في بادىء الامر ثم ما لبثت أن ذابت بين ذراعيه كما توقع، وكان قد قطع وعدا على نفسه سابقا ان استمرت مقاومتها له ورأى منها رفضا حقيقيا لن يمسها ابدا، وظهرت على وجهه ابتسامة سعادة حيث تأكد من حب زوجته له، وأن رفضها له من قبل كان من باب المشاكسة ليس أكثر.

وبأصابع حانية امتدت يده لتبعد عن وجهها تلك الخصلة التي أخفت جانبا كبيرا منه ولم يكن يدري أن تلك الحركة الخفيفة ستكون سببا في ململتها ثم استفاقتها، في

البداية ألقت اليه نظرة مبهمة، ثم بعد ذلك تحركت في مكانه سريعا ليستقيم جسدها في نصف جلسة وهي ترفع الغطاء الى عنقها وتتساءل بفزع: انت ايه اللي جابك هنا؟

علم عبدالرحمن انها تعاني من حالة فقدان ذاكرة مؤقت قلما تصيب البعض فور الاستيقاظ من النوم، فأجابها مبتسما: بتهيئلي ان دة المكان الطبيعي لجوزك.

طرفت بعينيها عدة مرات وكأنها تحاول أن تنعش ذاكرتها، ثم بدت على وجهها الصدمة ليعلم عبدالرحمن بأنها تذكرت

كل شيء، فسألها ليتأكد من ظنه: هه، افتكرتي؟

ثم لمعت عيناه بنظرة خبيثة وهو يكمل: ولا تحبي أفكرك؟

ومد يده نحوها، وعلى الفور مالت سارة برأسها بعيدا عن متناول يده وهي تطلب منه بحدة: من فضلك ابعد ايدك عني.

لم يستجب عبدالرحمن لطلبها، بل على العكس فقد أمسك بأطراف شعرها يفركها بين أصابعه بنعومة وهو يقول وتلك اللمعة لاتزال في عينيه: بس دة ما كنش رأيك امبارح.

احمرت وجنتاها خجلا حينما ذكرتها كلماته باستجابتها له بالامس، ولكنها عاندت ورفضت الاعتراف بذلك الامر لتقول له باتهام، وهي تبعد يده عن شعرها بعنف: اللي حصل امبارح كان غصب عني، انت ارغمتني.

تلك البسمة الساخرة على شفتيه اشعلت نيران الغضب بداخلها، اما هو فقال لها ردا على هذا الاتهام الباطل: انا ممكن أكون اجبرتك على الاستسلام، بس افتكر انه صعب اوي اجبرك على الاستجابة.

ضربة في الصميم تبطل حجتها وجعلتها تخفض عيناها هربا من نظراته، اما هو فلم

يرد ان يستمر الوضع بينهما هكذا بطريقة الشد والجذب، لذا مد يده تحت ذقنها ليرفع وجهها بلطف ليقول لها بجدية بعيدا عن أي سخرية: سارة! انتي دلوقتي بقيتي مراتي شكلا وموضوعا، وانا كل اللي بتمناه اننا نعيش مع بعض حياة سعيدة وهادية، سارة انا بجد عايزك معايا عمري اللي جاي كله، وبعد ليلة امبارح أفتكر ان انتي كمان مش رافضاني، فياترى اللي انا حسيته دة كان حقيقي ولا كان مجرد تخيل مني؟

انتظر ردها على أحر من الجمر، اما هي فقد أخرستها صراحته وصدق كلماته لبعض الوقت، وما كانت تعده من اعتراض و احتجاجات قد ذهب ادراج الرياح، فرفعت

نظرها اليه لتجده في حالة من الترقب ،
ولكنها لم تدعه يعاني من ويلات الانتظار
كثيرا فأجابته بابتسامة حلوة التمعت بها
عيناها ولم يكن عبدالرحمن بحاجة
لأكثر منا ردا على سؤاله، فأمسك يدها
بكلتا كفيه وجذبها نحو شفتيه يلثمها
بكل حب وهي لم تمانع في ذلك، ثم
سمعته يقول: ربنا يقدرني وأسعدك.

ثم نهض من على السرير دون ان يحرر يدها
ليجذبها معه حتى كادت تتعثر في الفراش،
لتسأله لاهثة: عبدالرحمن! فيه ايه؟
موديني على فين؟

عبدالرحمن وهو يفتح باب خزانة الثياب على عجل: ياللا بسرعة حضري الشنط، عشان نلحق الواد حسام وايمان و نسافر معاهم.

سارة: فين؟

فهدأ انفعاله ونظر اليها بشغف واضعا يديه حول وجهها ليقول لها: الغردقة عشان نقضي اسبوع العسل، ويا ريتني وافقت الواد حسام وخليته شهر، اسبوع دة مش هيكفي خالص.

وكالعادة أخجلتها كلماته مجددا وكأنه يتعمد ذلك حتى يرى احمرار وجنتيها، وفجأة أبعد يديه عنها ليقول لها معنفا: انتي لسة واقفة مكانك يا سارة، بقولك

بسرعة، شوفي روحي انتي خديلك حمام كدة ع السريع عقبال ما احضر انا شنطتي.

تعجبت سارة بداخلها من هذا الرجل الذي أصبح زوجها بين ليلة وضحاها فتارة تجده جادا باردا تخشى الاقتراب منه، وتارة اخرى تجده مرحا يتصرف كالأطفال، فخرج منها تعليقا استطاع سماعه: مجنون!

****

استيقظ في الصباح شاعرا بتحسن كبير عن الأمس، ثم أخذ حماما سريعا وأبدل ثيابه ليخرج من حجرته ويجدها تعد طاولة الطعام، فألقى عليها تحية الصباح: صباح الخير يا دارين.

دارين دون النظر اليه فهكذا بدأت تتهرب من نظراته بعد ذلك التقارب الذي حدث بينهما منذ أيام وكأنها الطريقة الامثل للابتعاد عن خطر الوقوع مرة أخرى أسيرة تلك العينين الحادتين اللتين لم تر فيهما سوى الطيبة منذ وقت ليس ببعيد: صباح النور.

جلس مازن على كرسيه خلف الطاولة، وقالت دارين وهي تتجه ناحية المطبخ: ثواني والقهوة تكون جاهزة.

:انتي مش هتفطري معايا بردو؟

أوقفها سؤاله مكانها لثوان وهي تتعجب من طرحه لهذا السؤال، فمنذ أن تزوجا لم

يتشاركا في اي من الوجبات وحدهما وهو من جانبه لم يفكر يوما في دعوتها لتناول الطعام معه، فلماذا اليوم؟

ولكنها لم تطل التفكير في الامر، وأجابت: لا، انا هفطر بعدين.

لم يلح عليها وبدأ هو في تناول طعامه، اما دارين فأكملت طريقها الى المطبخ لاعداد القهوة ولم تستغرق وقتا طويلا في احضارها ولكنه كان قد انهى وجبته، فوضعت القهوة امامه وهي تقول له: اتفضل القهوة.

ثم همت لتذهب مرة اخرى الى المطبخ ولكن أصابعه التي طوقت معصمها قد منعتها من ذلك، فاجأتها حركته فنظرت

اليه رافعة حاجبيها بتساؤل، لتجده يجذبها ناحية الكرسي الذي بجواره وهو يقول: عاوز اتكلم معاكي شوية.

ترددت قليلا قبل أن تجلس حيث وجَهها، ثم انتظرت حتى يبدأ حديثه، قال مازن بعد لحظات خمنت فيها أنه يحاول ان يجد صيغة مناسبة لما يود أن يقوله لها، وكان ما قاله قد أدهشها حقا: دارين!

ثم استدرك يصحح هذا الخطأ: سوري قصدي دنيا! انا كنت عاوز اتكلم معاكي عن الوضع اللي احنا عايشين فيه دلوقت واللي افتكر انه ما بقاش ينفع يستمر الى مالانهاية.

ثم توقف يحاول ان يرى تأثير كلماته على ردود أفعالها، فما كان منها الا ان لازت بالصمت تنتظر المزيد، فأكمل يقول: اولا انا اسف ع اللي حصل.

فهمت الام يشير اعتذاره فابتلعت ريقها وهي تستعيد تلك الذكرى في مخيلتها وتشعر بالخجل من نفسها كثيرا، ثم سمعته يكمل مبررا موقفه: بس دة كان اختبار لينا احنا الاتنين وكان لازم نخوضه، احنا اتنين فضلوا عايشين مرحلة طفولتهم ومراهقتهم وجزء من شبابهم وهما بيتعاملوا زي الاخوات وفجأة اتغيرت الصفة دي و بقينا زوجين، وانا حبيت اتأكد ان مشاعرنا هي كمان اختلفت زي ما علاقتنا اتغيرت.

ثم ابتسم فجأة وهو يضيف: وتقدري تقولي ان انا نجحت في الامتحان وبقيت متأكد من مشاعري ناحيتك وان انا عاوزك جنبي كزوجة مش كأخت.

رفعت عيناها اليه أخيرا وقد رأى فيهما بعض الاحتجاج، ولكن هذا لم يمنعه من أن يكمل: واللي حسيته ان انتي كمان ما بقتيش تفكري فيا كأخ ودة في حد ذاته خطوة ايجابية.

تحولت نظرتها الى الرفض وهزت رأسها نافية ولكن قبل ان ينطلق لسانها بتكذيب كلامه، اضاف هو بتفهم: يمكن يكون صعب عليكي الاعتراف بحاجة زي دي في

الوقت الحالي عشان كدة انا فكرت اننا ندي لنفسنا فرصة تانية.

طالبته بمزيدا من التوضيح: فرصة تانية! ازاي يعني؟

مازن موضحا: يعني احنا البداية بينا كانت غلط من الاول، عشان كدة حابب اننا نبدأ بشكل اصح.

لم تزل كلماته غامضة لها فطالبته عيناها بتفسير اكثر، لذا استمر يقول: اقصد ان بعدنا عن بعض يمكن يكون هو السبب في الجفاء اللي حصل بينا، عشان كدة احنا لازم نقرب تاني بالتدريج.

نظرت اليه بشك، فعلم أنها ربما اساءت فهمه، لذا قال حتى يزيل سوء التفاهم هذا:
ما تتقلقيش، مش هحاول المسك تاني غصب عنك، بس ع الاقل خليني احاول اقرب منك وتقربي مني يمكن يكون ادامنا فرصة تاني نعيش مع بعض كزوجين، خليني احاول اثبتلك ان مازن اللي انتي عرفتيه زمان هو نفسه مازن اللي قاعد ادامك دلوقت مع اختلاف المسمى، و اوعدك لو حسيت ان مفيش امل نهائي باني ممكن اكسب قلبك، هنفذ طلبك واطلقك، هه! قولتي ايه؟

ظلت صامتة كما هي تفكر جيدا في هذا العرض الذي يقدمه لها، وعندما وجد عندها

بعض التردد، قال محاولا اقناعها بالقبول:

دنيا! انتي في الحالتين مش هتخسري حاجة، يعني لو حصل وقلبك مال ناحيتي هتكسبي زوج شاريكي بجد وبيخاف عليكي ومستعد يعمل المستحيل عشان يسعدك، ولو ما قدرتيش تحسي ناحيتي بأي حرارة هتكسبي حريتك وتعيشي حياتك زي ما انتي عايزة.

عرض مغري حقا لا تستطيع رفضه، لذا سرعان ما أومأت برأسها موافقة لتنفرج شفتيه عن ابتسامة سعادة لامثيل لها، ثم مد كفه نحوها وهو يقول: يبقا اتفقنا.

ترددت قليلا قبل ان تضع كفها بين أصابعه لتستشعر هذا الدفء الذي كانت تحسه قديما معه لاول مرة منذ أن علمت أنه ليس بأخيها.

****

سعادته لا تضاهى وهو ينزل درجات السلم، فقد وافقت حبيبته أخيرا على عرضه وسيفعل المستحيل لانجاح علاقتهما، عبر مدخل البناية الى الشارع متجها حيث أوقف سيارته بالامس ليجد شخصا بانتظاره.

مازن: صباح الخير يا دكتورة.

فأجابت غادة بابتسامة ترحيب: صباح الخير يا مازن.

سألها مازن: ايه اللي مأخرك كدة.

ثم أكمل مازحا: لا انا كدة بقا هكلم مديرك يخصملك يومين.

استجابت غادة لمزاحة وقالت مستعطفة اياه: واهون عليك بردو؟

مازن متحليا بالجدية مجددا: بصراحة لا، بس قوليلي بجد بقا ايه اللي مأخرك عن الشغل؟

غادة: كنت مستنياك.

ثم استدركت تقول: قصدي يعني مستنية اطمن على صحتك، عامل ايه دلوقت؟

مازن والسعادة تشع من عينيه: الحمد للّه، عمري ما حسيت اني كويس وصحتي عال اد النهاردة.

غادة بابتسامة هادئة مطمئنة: طب الحمد للّه، بس احنا لسة على اتفاقنا، اول ما شركائك يرجعوا من اجازتهم هاخدك تعمل فحص.

مازن موافقا على مضض: ولو ان ملوش لزوم يعني بس اوك.

ثم اكمل باسلوب رب العمل الجاد: ياللا بقا يا دكتورة اتفضلي روحي شغلك، انا سمعت ان عمر حازم جدا في الشغل.

غادة موافقة: طيب، سلام انا بقا.

مازن وهو يفتح باب سيارته: سلام.

****

وصلت غادة الى موقع العمل، ثم اتجهت على الفور الى عيادتها المتنقلة، وما ان فتحت الباب حتى شهقت من المفاجأة، فقال عمر يهدىء من روعها: اهدي يا غادة، انا عمر.

غادة وقد عقدت حاجبيها بغضب: تقدر تقولي يا باشمهندس انت دخلت هنا ازاي؟

عمر ببساطة: انا مدير المشروع و معايا مفتاح لكل الاقفال اللي هنا بما فيهم العيادة، تقدري تقوليلي انتي بقا ايه اللي

أخرك لحد دلوقت؟ انتي عندك ساعة كاملة تأخير يا دكتورة، كنتي فين؟

فاحتجت غادة بحدة: انت مش من حقك تسألني السؤال دة.

فرفع عمر حاجبه باندهاش ثم قال لها: اسمحيلي افكرك تاني اني مدير المشروع، ولو فيه اي حد من staffالعمل اتأخر من حقي اعرف هو كان فين وخصوصا انتي يا دكتورة لان تأخيرك ولو دقيقة واحدة ممكن يعرض حياة اي حد في الموجودين هنا للخطر.

اعترفت لنفسها بأنه على حق فيما يقول،لذا قدمت اعتذارها على الفور: انا اسفة، انا كنت مع الباشمهندس مازن.

اعترافها بأنها كانت مع مازن قد اشعل نيران الغيرة بداخله ولو تركها تتحكم بتصرفاته لكان أمسكها الان من كتفيها وهزها بعنف وأجبرها ان تعده بالا تتعامل مع هذا الرجل مرة اخرى، ولكن بأي صفة يحق له ذلك؟! لذا حاول التحكم في انفعالاته ليقول لها لائما ولكن بلطف: انا مش قولتلك قبل كدة لو احتجتي حاجة من مازن قوليلي انا.

غادة بعناد: وافتكر انا بردو قولت لحضرتك اني بحب اعمل شغلي بنفسي، ممكن حضرتك تتفضل بقا عشان ابدأ اجهز نفسي للشغل؟

عمر بملامح جامدة: همشي يا دكتورة بس بعد ما تجاوبيني على سؤال واحد.

نظرت اليه غادة باستفهام لتسمعه يلقي بقنبلته دفعة واحد في وجهها: تقبلي تتجوزيني؟

الفصل السابع والثلاثون

جلست غادة برفقة عمر خلف طاولة صغيرة بأحد المطاعم المغلقة بعد أن وافقت على دعوته فور انتهاء ساعات العمل حتى يناقشان في هذا العرض المفاجى الذي قدمه لها.

عمر بامتنان: انا متشكر اوي انك قبلتي عزومتي النهاردة.

فأجابت غادة مصححة بملامح جادة: انا وافقت ان اجي بس معاك النهاردة يا باشمهندس لان الموضوع اللي هنتكلم فيه صعب انه يكون في مكان الشغل.

فانفرجت شفتا عمر عن ابتسامة صغيرة

ليقول: بردو دة ما يمنعش اني لازم

اشكرك، هه! تحبي تاخدي ايه؟

غادة: لا مش وقته، خلينا الاول نتكلم في

الموضوع اللي احنا جايين عشانه.

عمر مداعبا حيث رأى انها تتعمد أن تتجاهل

ذكر عرضه للزواج عليها صراحة: قصدك

موضوع جوازنا؟!

غادة مصححة باشارة من اصبعها: قصدي

طلبك للجواز مني،واللي انت رافض انك

تتقبل ردي عليه بالرفض.

بالفعل لقد كان هذا ردها السريع على

طلبه ولذا دعاها لأن يذهبا الى مكان بعيد

عن موقع العمل حتى يتحدثان بأسلوب
أكثر هدوءا، فسألها دون أن يتأثر بحدتها
في الرد عليه: كان ممكن اتقبل رفضك
دة لو قولتيلي سبب مقنع ليه.

غادة معترضة: واللّه انا مش مجبرة اني اقدم
اي اسباب، انا حرة أقبل او ارفض.

عمر: فيه حد تاني في حياتك؟

رفض الا يستسلم لطريقتها في انهاء
الموضوع، لذا قرر أن يباغتها بسؤاله الذي
صدمها حقا، وقد ظهر ذلك من اتساع
حدقتيها وصمتها للحظات دون الاتيان برفض
سريع مما جعله يتابع الهجوم عليها ليلقي

بسؤال آخر كان الاكثر مفاجأة بالنسبة لها: مازن مش كدة؟!

ولكنها رفضت هذه المرة ان تستمر في صمتها لتسمع بقية ما اعتبرتها اتهامات، لذا رفعت يدها في وجهه تمنعه من قول المزيد قائلة باحتجاج: باشمهندس! افتكر ان كفاية لحد كدة.

فقال عمر مقدما اعتذارا كذبته عيناه: انا اسف لو صراحتي زعلتك.

أما غادة فكانت تفكر في شيء آخر، فما ضايقها حقا هو معرفته لأحد أسرارها، أفلهذه الدرجة تفضحها عيناها وهذا ما

دعاها لإلقاء هذا السؤال عليه دون أن تعترف بصدق تخمينه: انت جبت الكلام دة منين؟

شيء بداخله كان يدفعه للكذب عليها ولكنه لم يستجب له وقرر أن يقول الحقيقة مهما كانت العواقب: بصراحة يوم فرح مازن ودنيا انا سمعتك وانتي بتتكلمي مع اختك في الجنينة بس من غير ما اقصد.

توقع ان تنفعل وتحتد في وجهه، او ان تتركه وتغادر، ولكن أي من تلك التوقعات لم يحدث، بل فوجيء بهدوءها وهي تسأله: طب انت ايه اللي يخليك تفكر تتجوز

واحدة وانت متأكد ان قلبها ميال ناحية راجل تاني؟

بالطبع كان سؤالها يحتاج الى تمهل في الرد، فبماذا سيجيب؟ اسيخبرها بأنها قد لفتت انتباهه منذ أول لقاء جمع بينهما في هذا المطعم؟ فربما هي لا تتذكر ذلك، ولكن ذكرى هذا اليوم ظلت محفورة في عقله الى الان، ام سيخبرها عن تلك النيران التي تستعر بداخل قلبه كلما نطق لسانها باسم ذلك الغريم الذي لا يلقي بالا اليها والى مشاعرها؟ ولكن عوضا عن هذا كله قرر أن يكون جوابه أكثر منطقية:

يمكن صحيح تكون مشاعرك متجهة ناحية واحد تاني بس انا

متأكد انك عمرك ما هتبني آمال على راجل متجوز والأهم من كدة انه بيحب مراته جدا، افتكر انك أعقل من كدة، ولا انا غلطان؟

بالطبع كان محقا في كل كلمة قالها فغادة على يقين بأن مازن لم ولن يكون لها يوما فإن حبه لدارين يكاد يعميه عن النظر لإمرأة غيرها، ولكن عمر قد نسى شيئا هاما في تحليله يجب أن تتذكره به لذا قالت: بس دة يا باشمهندس مش معناه ان هقدر احول مشاعري مرة واحدة كدة لانسان تاني، دي حاجة مش بادينا.

وافق عمر على كلامها حيث قال: انا ما قولتش كدة، بس افتحي الباب لقلبك واديله فرصة انه يشوف حد تاني.

فقالت غادة معلقة بابتسامة باهتة: وطبعا تقصد بالحد التاني دة انت يا باشمهندس.

عمر بنبرة صادقة: حتى لو شخص تاني غيري، صدقيني هبقا بردو سعيد جدا عشانك بس المهم انك تطلعي قلبك من المدار اللي انتي حجزتيه فيه واللي اسمه مازن الشرقاوي.

الكلام سهل للغاية ولكن ليت تنفيذه يكون بتلك السهولة، فماذا عساها تفعل لهذا القلب العاصي والذي يأبى الخضوع

لمنطق العقل خاصة وهو يرى حبيبه الآن في أمس الحاجة اليه؟

****

عاد مازن الى منزله في المساء بعد يوم عمل طويل ومرهق بسبب تغيب شريكيه، وعندما فتح باب الشقة سمع صوت التلفاز آتيا من حجرة الجلوس فتوجه اليها ليرى دارين جالسة تشاهد التلفاز وقد بدا عليها الاهتمام الشديد وفي يدها طبق كبير مليء بالفشار تأكل منه.

مازن: السلام عليكم.

فردت دون ان تحول عينيها عن التلفاز:

وعليكم السلام.

اهتمامها الشديد جعله يلقي نظرة الى تلك الشاشة ليعلق ساخرا بصوت منخفض: توم وجيري.

نعم فهذا هو كرتونها المفضل منذ صغرها.

بدا أنها قد سمعته، حيث سألت: بتقول حاجة؟

مازن مغيرا الموضوع: بقول هو فيه عشا النهاردة؟

دارين وهي تركز انتباهها على تلك الشاشة المضيئة: اه، عقبال ما تغير هدومك تكون الحلقة خلصت وهقوم احضر العشا.

ولكنه تجاهل الأمر وبدلا من ان يتجه الى غرفته، جلس بجوارها على الأريكة و بدأ يتابع الأحداث بين القط والفأر ويلتقط من أمامها حبات الفشار، وأخير نظرت اليه دارين بتساؤل: انت من امتى بتتفرج على توم وجيري؟

مازن بنظرة ذات مغزى: من النهاردة.

دارين معاتبة: مش كنت دايما بتتريق عليا لما كنت بتشوفني بتفرج عليه وبتقولي انه كرتون تافه ومش بيتابعه غير التافهين.

فانفرجت شفتاه عن ابتسامة مرحة وهو يقول: اصلي اكتشفت حاجة غريبة، ان الفار برغم انه المفروض يبقا اضعف من

القط ويخاف منه الا انه في كل حلقة بيدوخه معاه السبع دوخات تعرفي دة بيفكرني بايه؟

لم تجب، ولكنها انتظرت حتى تسمع الاجابة منه هو، فاستطرد يقول: بيا انا وانتي.

****

وفي منزل عبدالرحمن، نجد الام تجري نحو هاتفها الخلوي وقد أصابها الفزع، فالتقطت الهاتف وأخذت تضغط على بعض ازراره بيد مرتعشة متوترة وملامح قلقة، وهي تتساءل بنفاذ صبر: هو فين الرقم؟

****

ونعود مرة أخرى الى مازن وداربن حيث بعد أن انتهى كرتونها المفضل اتفقا أن يتابعا أحد الأفلام المصرية القديمة وقد وقع اختيارهما على فيلم حكاية حب.

كانت دارين قد أعدت البيتزا لوجبة العشاء وقد تحسن مستواها في الطهي كثيرا لذا أشاد مازن بهذه البيتزا خاصتها، وبعد أن تناولوا طعامهم ذهبت دارين لاعداد مشروب يتناولاه، وعندما عادت قدمت أحد الكوبين لمازن الذي ما ان تناوله منها وجلست هي بجواره لتكملة الفيلم حتى قال بإعجاب وبنظرات مشاكسة: لالالا،

بيتزا ونسكافيه وكمان فيلم رومانسي! لا خلي بالك، انا بالشكل دة ممكن أطمع في اكتر من كدة.

فصاحت به دارين محذرة: مازن!

مازن ببراءة كذبتها عيناه: لا لا، انتي فهمتي ايه؟ انا كان قصدي شوية مية لاني عطشان ومكسل أقوم بصراحة.

فنهضت دارين لتحضر له الماء وهي تبتسم وتهز رأسها يمينا ويسارا وكأنها لا تصدقه بل فهي على يقين من انها لم تسىء فهمه كما يدعي.

رن هاتفه الخلوي، وقد أظهرت الشاشة بأنه رقم غير مسجل على الجهاز عنده، فألقى

بنظرة سريعة ناحية ساعة الحائط ليعلم منها أن الوقت قد أوشك على منتصف الليل، فتح المكالمة ليقول: السلام عليكم....ايوة انا مين حضرتك؟

ثم بدا عليه الاهتمام أكثر حين علم بهوية المتصل: ايوة يا طنط تحت أمرك.... انتي تتصلي في أي وقت ولا يهمك..... ايه؟ ماله عمي؟

ثم بدت عليه اللهفة والقلق وهو يكمل: طيب انا جاي حالا وهجيب معايا الدكتور.... لا انا هتصرف..... مسافة السكة وهكون عندكم ان شاء اللّه.... مع السلامة.

أحضرت دارين كوب الماء لتجد أنه يرتدي سترته على عجل استعدادا للخروج فسألته:

انت نازل ولا ايه يا مازن؟

مازن: ايوة، اصل والد عبدالرحمن جوز سارة تعب ووالدته اتصلت بالدكتور اللي بيتابعه فلقته سافر.

دارين وهي تشير الى ساعة الحائط: طب وانت هتلاقي فين دكتور ييجي معاك في ساعة زي دي؟

فأجاب مازن وقد خطر هذا السؤال على فكره قبلها: هعدي على غادة واخدها معايا كحل مؤقت لحد الصبح.

ثم وضع يده حول رقبتها وطبع قبلة سريعة على خدها ليقول لها قبل أن يغادر: لو اتأخرت ما تقلقيش لاني احتمال ابات معاهم لو لقيت الموضوع خطير لا قدر اللّه، سلام.

فجأة ضاع سحر تلك الليلة ليس بسبب رحيله لنجدة الرجل المريض ولكن لأن غادة ستكون معه و لأول مرة تعترف دارين ولو لنفسها فقط بأنها بالفعل تغار من هذه الطبيبة.

****

أخذ جرس الباب يرن بلا هوادة حتى استيقظ كل من في البيت وقد أصابهم الفزع، اتجه فؤاد ناحية الباب ليرى من

القادم في تلك الساعة المتأخرة من الليل وفي نفسه يذكر ربه ويدعوه بأن يلطف بهم، وزوجته وابنته تقفان بعيدا تتواريان خلف الباب الخاص لغرفة كل منهما ترتديان مئزرا خفيفا و تتابعانه بعينيهما الى أن فتح الباب ليجد مازن أمامه الذي القى بالتحية: السلام عليكم.

فؤاد وقد ازداد قلقه فليس من عادة مازن أن يزورهم في تلك الساعة: وعليكم السلام، خير يابني؟

ثم تذكر واجب الضيافة فأفسح له الطريق يدعوه للدخول: اتفضل ادخل الاول.

فرفض مازن دعوته مقدما اعتذاره مازن: لا لا ياعمي، انا اسف اصلا اني جيت في ساعة زي دي.

فؤاد بكلمات صادقة: يابني انت تيجي في اي وقت يعجبك، بس خير؟

مازن: انا بس بعد اذنك كنت عاوز الدكتورة غادة تيجي معايا دلوقت.

فؤاد بقلق: ليه يابني؟ هي مراتك تعبانة ولا حاجة.

مازن نافيا: لا مش دارين، دة الشيخ سليم والد عبدالرحمن!

****
*

وفي منزل عبدالرحمن وبعد أن قامت غادة بالكشف على الشيخ سليم وكانت بصحبة زوجته ومازن، قالت بابتسامة مرحة:
شكلك كدة يا فضيلة الشيخ كترت من الحلويات وهي اللي عملت فيك كدة.

الشيخ مدافعا عن نفسه ببراءة الأطفال: انا! دي حتة بسبوسة صغيرة مفيش غيرها.

ولكن كان لزوجته رأي آخر حيث قالت تكذبه بلطف: حتة بردو يا ابو عبدالرحمن؟ دة انا كنت سايبة نص الصينية في الفرن ومسافة ما لميت الغسيل وجيت ما لقتش فيها ولا فتفوتة.

فتبسم كل من مازن وغادة التي قالت معاتبة اياه: بقا كدة بردو يا راجل يا طيب؟ انت مش خايف على صحتك ولا ايه؟ طب اعمل حساب للست الغلبانة اللي ما كانتش عارفة تتصرف ازاي لوحدها في ساعة زي دي؟

الزوجة مؤكدة على كلامها: واللّه يا بنت معاكي حق ولولا اللّه يستره ويسترك مازن اللّه اعلم بقا كان ايه اللي ممكن يحصل؟

فربت مازن على كتفها وهو يقول: ما تقوليش كدة يا طنط، انا تحت امركم في اي وقت، واعتبروني بدل عبدالرحمن لحد ما يرجع من اجازته بالسلامة.

المرأة بامتنان: اللّه يخليكم ويحميكم يابني، بس بنت الناس دي ذنبها ايه نبهدلها معانا كدة في انصاص الليالي؟

غادة: اولا دة شغلي يا طنط، ثانيا ربنا وحده يعلم معزة مازن وحسام وعبدالرحمن عند بابا اد ايه؟

المرأة: ربنا يحميكي لشبابك يا بنتي ويرزقك بابن الحلال اللي يصونك ويريح بالك.

فقال مازن لغادة مازحا: استعدي بقا يا دكتورة لأول عريس هيخبط على بابكم بكرة اصل دعوة ام عبدالرحمن دي سرها باتع.

ابتسمت غادة لفكاهته، فهو لا يعلم أن دعوتها قد تحققت بالفعل حتى قبل أن تتفوه بها حيث تقدم عمر لخطبتها عصر اليوم ولم يكن بأول خطيب، ولكن إلى من سيميل القلب؟

****

جلس فؤاد على أحد الكراسي في حجرة الصالون يتابع زوجته التي كانت تذرع الغرفة ذهابا وايابا في قلق و بين كل حين وآخر تنظر باتجاه ساعة الحائط الى أن قال لها زوجها: ما كفاياكي بقا يا سميرة واقعدي وترتيني.

فجلست سميرة في الكرسي المقابل وهي تقول له لائمة: انا مش عارفة انت جايب البرود دة منين؟ وازاي سمحت اصلا لبنتك انها تخرج في ساعة زي دي؟

ظل فؤاد محافظا على هدوئه وهو يرد عليها: ماهي مش لوحدها يا سميرة، دي معاها مازن.

فصرحت سميرة عن قلقها الحقيقي لتقول بتلقائية: ماهي دي المصيبة.

فعبست ملامح فؤاد وهو يقول: مصيبة ايه بس يا شيخة؟ فال اللّه ولا فالك؟ دة مازن هيخاف عليها ويحميها اكتر مني انا شخصيا.

سميرة موضحة: مانا مش خايفة من مازن يا فؤاد، بس انا كل ما بقول انها خلاص بدأت تنساه وتبعد عنه يحصل تاني اللي يقربهم من بعض ويعلقها بيه أكتر.

فؤاد معاتبا: ما بقاش له فايدة الكلام دة يا ام البنات، الراجل خلاص بقا متجوز وكلنا شايفين هو اد ايه بيحب مراته وعمره ما هيبص لوحدة غيرها ولو بنتك الدكتورة بتفكر في غير كدة يبقا غلطانة و تفهميها انتي كدة ع المتغطي انها لازم تشيل الموضوع دة من دماغها بقا وتعقل، وياريت تقومي تعمليلي فنجان قهوة لحد ما اتصل بالبنت اطمن ع الشيخ السليم.

وبالفعل أطاعته زوجته وذهبت لاعداد القهوة وقد أمسك فؤاد بهاتفه المحمول لكي يتصل بابنته لا ليطمئن على الشيخ سليم كما زعم ولكن ليطمئن على ابنته نفسها حيث قد تسرب بعضا من قلق زوجته اليه.

****

عاد مازن الى شقته بعد أن طمأنته غادة بأن الخطر قد زال عن حياة الشيخ سليم وليس هناك داع لبقاء أي منهما معه، دخل الشقة، فوجد أن حجرة الجلوس لاتزال مضيئة، فتوجه اليها ليجد التلفاز لايزال مفتوحا وغادة تجلس أمامه مغمضة العينين وقد راحت في سبات عميق كعادتها حين يتأخر،

فأغلق التلفاز، ثم حملها وتوجه بها الى حجرتها، أراحها على السرير ورفع الغطاء عليها فقد كانت احدى الليالي الباردة، وعندما حاول أن يستدير ليغادر الحجرة وجد أنها لاتزال ممسكة بيده، فكر ان يتخلص من قبضتها برفق ثم يذهب الى غرفته كي يبدل ثيابه و يحظى بقسط من النوم هو الاخر ولكن فكرة النوم بجوارها قد أغرته كثيرا، وبالفعل لقد رقد بجوارها حاضنا كفها بكلتا يديه مثبتا عينيه على وجهها الهادى وقد علت شفتيها ابتسامة رقيقة تمنى ان يكون هو سببا فيها، ثم قبل جبينها وأراح رأسه بجانبها على الوسادة

ليستغرق في النوم وكل منهما حاضنا يد الآخر.

****

أشرقت الشمس معلنة مولد يوم جديد، وقد استيقظت دارين من نومها قبل مازن لتفاجىء به ينام بجوارها على نفس السرير بكامل ثيابه وأصابعهما متشابكة، فنزعت يديها منه بعنف ليكون ذلك سببا في ايقاظه، وما ان رآها أمامه حتى قابل تلك التكشيرة التي لاحظها على وجهها بابتسامة كسولة وهو يقول: صباح الخير.

لم ترد دارين التحية، وعوضا عن ذلك سألته معنفة: انت ايه اللي نيمك هنا؟

مازن مراوغا: طب ودي فيها ايه؟ هو فيه قانون دلوقت يمنع الراجل انه ينام جنب مراته؟

فهتفت به دارين محذرة: مازن!

فأمال ناحيتها مازن ليجيب بنظرات عابثة: يا عيون مازن، ثم احنا مش قولنا اننا لازم ندي لنفسنا فرصة.

دارين محتجة: بس مش بالشكل دة.

مازن هازئا: شكل ايه؟! دة انا حتى نايم جنبك بكامل هدومي وانتي لابسالي بيجامة توم وجيري، تفتكري ايه اللي ممكن يحصل بينا في حالة زي دي اكتر

من اني ادفيلك شوية لبن واديكي الرضعة؟

ورغما عنها تفلت تلك الضحكة الخفيفة، ثم تحلت بجديتها من جديد ولكن آثار الابتسامة لاتزال على وجهها: طب ياللا روح اوضتك غير هدومك عقبال ما احضرلك الفطار.

مازن موافقا وهو يقول بمرح: ايوة كدة، اهو انا بقا احب منك شغل ستات البيوت دة.

ثم ذهب ليفعل كما طلبت منه وهو يعلم أن ابتسامة أخرى ستحل محل السابقة ليكون قد قطع شوطا كبيرا في الطريق الى قلبها، ولم يبق أمامه سوى القليل.

الفصل الثامن والثلاثون

عاد حسام وعبدالرحمن من رحلة شهر العسل ليبدأ كل منهما عمله في اليوم التالي مباشرة وقد اجتمعا بمازن في مكتبه الذي بارك لهما زواجهما وتمنى لهما السعادة كما اطمئن منهما على سير العمل بالقرية التي قضيا بها أسبوع عسلهما، وبينما وهم يتحدثون تارة ويمزحون تارة أخرى قال عبدالرحمن لمازن شاكرا: على فكرة يا مازن، انا متشكر جدا على وقفتك مع والدي وياريت تشكرلي الدكتورة غادة كمان بالنيابة عني.

وقبل أن يرد مازن عليه سمع حسام هو الاخر يقول له بامتنان: وماما كمان يا ميزو بعتالك السلام وبتدعيلك كتير، هي قالتلي انك تقريبا كنت بتسأل عنها وعن الولاد كل يوم.

فرد مازن على الاثنين معاتبا: جرى ايه يا جماعة؟ هو احنا فيه بينا الكلام دة بردو؟ انتم نسيتوا اننا اخوات ولا ايه؟ وأهلكم هما اهلي.

عبدالرحمن مؤيدا: اكيد طبعا، ربنا يديم المعروف.

وقال حسام مبتسما بمرح: طب ما طالما انت طلعت واد شهم كدة وجدع ما تدينا كمان اسبوع اجازة واهو كله بثوابه.

مازن مرتديا قناع الجدية فجأة: مفيش اجازات تاني يا باشمهندسين، وكل واحد بقا يتفضل يروح على مكتبه لان فيه شغل كتير متأخر كفاية دلع بقا.

فنهض عبدالرحمن ليقول موافقا: واللّه معاك حق فعلا يا مازن، انا رايح على مكتبي، وانت يا حسام؟

فنهض حسام من مكانه مكرها وهو يقول: يعني انا اللي هقعد مثلا، خدني معاك.

ثم أمال على مازن يقول له لائما: بقا كدة يا ميزو؟ طب على فكرة بقا انت طلعت مش جدع ولا فيك ريحة الشهامة.

ثم غادر المكتب خلف صديقه وعيون مازن الضاحكة تتبعهما.

نهض مازن ليجلس خلف مكتبه كي يباشر أعماله من جديد وقد رفع سماعة الهاتف الداخلي ليقول لسكرتيرته: ابعتيلي فنجان قهوة.

فأتاه صوت السكرتيرة يقول بتهذيب: حاضر يا فندم، بس الدكتورة غادة عندي هنا وطالبة تقابل حضرتك.

مازن: طب خليها تدخل.

وما كانت سوى ثواني معدودة حتى سمع طرقا خفيفا على الباب ثم أعقبه دخول غادة: السلام عليكم.

مازن وهو يشير لها مرحبا: وعليكم السلام، اتفضلي يا دكتورة.

جلست غادة على الكرسي أمامه، ليسألها مازن: هه! تحبي تشربي ايه بقا؟ ولا مستعجلة زي كل مرة؟

فردت غادة مبتسمة: مستعجلة بس مش زي كل مرة، لان المرادي انت هتمشي معايا.

مازن مستفهما: همشي معاكي! على فين؟

فأبدت غادة انزعاجها بسبب نسيانه: هو احنا مش اتفقنا ان اول ما العرسان يرجعوا من شهر العسل هتيجي معايا عند الدكتور.

ضرب مازن جبهته براحة يده دليلا على انه قد نسي بالفعل وهو يقول: اه صحيح، بس انا خلاص، الحمد للّه بقيت احسن ومش بشتكي من اي حاجة، ملوش لزوم المشوار دة بقا.

غادة مصرة: يعني ايه ملوش لزوم، يا مازن مش معنى انك حسيت بشوية تحسن يبقا خلاص كل حاجة بقت تمام، هو طبعا دة اللي بنتمناه، بس بردو لازم تخضع للفحص

الطبي عشان تطمن على نفسك ع الاقل واحنا كمان نطمن عليك.

فقال مازن مستسلما: أمري للّه، بس هبقا افكرك ان كل دة ما كنش ليه اي داعي.

غادة بتمني: ان شاء اللّه.

****

أما في شقة عبدالرحمن الخاصة به وبزوجته فقد قامت دارين بزيارة أختها بعد علمها بعودتها من السفر، فسألتها دارين بهدف الاطمئنان عليها وهما تقفان سويا في المطبخ حيث كانت سارة تعد الطعام لزوجها وتساعدها أختها في ذلك: هه!

قوليلي بقا يا سارة، عاملة ايه مع عبدالرحمن؟

سارة بابتسامة صادقة: عبدالرحمن دة هدية ربنا ليا اللي بحمده عليها ليل نهار.

دارين مبدية دهشتها: اللّه، مش دة بردو يا بنتي هو نفس الانسان الرخم اللي كنتي هتموتي نفسك من العياط عشان ما تتجوزوش؟

فاعترفت سارة مؤكدة على ما قالته دارين: دة حقيقي لاني كنت فاكراه واخد المسألة تحدي وانا ما كنتش عاوزة اخسر التحدي دة، بس بعدين لما اتأكدت انه فعلا بيحبني وبيقدرني ونفسه يعيش معايا حياة

زوجية سعيدة اكتشفت انا كمان اد ايه كنت بحبه من غير ما احس.

فسألتها دارين وقد تغلب عليها فضولها فأرادت معرفة المزيد: وقدرتي تكتشفي دة ازاي؟

فتوردت وجنتا سارة بحمرة الخجل وهي تجيب سؤال أختها: بالعافية.

نظرت اليها دارين غير مصدقة لما سمعته أذناها، فأرادت أن تتحقق من الامر: بالعافية! ازاي يعني؟

فضحكت سارة وذكرى تلك الليلة تمر بمخيلتها لتقول موضحة لشقيقتها دون الدخول في تفاصيل: ابدا يا ستي، اظاهر ان

عبدالرحمن كان ادرى بمشاعري مني وعرف ان رفضي ليه كان مجرد ستارة فقرر انه يتولى الهجوم من اول ليلة عشان يخليني اعترف بمشاعري ناحيته ولو بالقوة.

فسألت دارين بفضول لغرض ما في نفسها: وانتي ازاي تقبلي حاجة زي كدة؟

سارة: مانا لو كنت قاومت وعاندت كان زماننا دلوقت محلك سر وبنلعب مع بعض لعبة القط والفار زيك انتي ومازن.

تعمدت سارة تذكيرها بالوضع الذي فرضته على نفسها وزوجها حتى تعلم انها قد خسرت الكثير من وراء ذلك، ولكن دارين قالت معترضة: بس انا ومازن وضعنا مختلف.

فقالت سارة مبطلة حجتها: اللي اعرفه ان انتي ومازن اتنين متجوزين وعايشين تحت سقف واحد زي الاغراب ودة وضع شاذ لازم يتغير.

ثم ربتت على كتفها وهي تستطرد: نصيحة مني يا دنيا حافظي على جوزك لانه بيحبك بجد واكبر دليل على كدة انه لسة صابر عليكي لحد دلوقت وعمره ما فكر انه يبص لحد غيرك مع انها مسألة مش صعبة على واحد في سنه ومكانته، الحقيه بقا قبل صبره ما ينفذ وتقومي الصبح تلاقي صورته في الجرايد وواحدة غيرك معلقة في دراعه.

ثم اكملت بنبرة ذات مغزى معين: وخصوصا ان فيه بنات كتير يتمنوا صورة زي دي، تحبي اذكرلك مثال؟

لم تحت جدارين الى توضيح اكثر، فكانت تعلم الى من ترمي سارة بحديثها ذلك، فيبدو انها ليست الوحيدة التي شعرت بانجذاب تلك الطبيبة الشابة الى زوجها، ولكن ماذا عن مشاعره هو يا ترى؟

****

خرجت غادة وبرفقتها مازن من باب احدى المستشفيات الخاصة، فسألها هذا الأخير وقدا بدا على وجهه الاجهاد: هه! استريحتي كدة يا دكتورة؟ اظن بعد كل الفحوص

والتحاليل اللي عملتها دي مفيش حاجة تدعو للقلق بعد كدة.

غادة بابتسامة مهنية : ان شاء اللّه يكون كله تمام، المهم هعدي عليك بكرة امتى عشان نيجي ناخد النتيجة؟

مازن مازحا: يا ستي لا تعدي عليا ولا اعدي عليكي و انا اصلا ما يهمنيش اعرف النتيجة، لو تهمك انتي يبقا اعرفيها وبلغيني.

ثم أكمل طريقه باتجاه سيارته، اما غادة فقد أبطأت خطواتها قليلا لتصبح خلفه وهي تقول معلقة بصوت منخفض حتى لا يصل صوتها اليه: طبعا يهمني.

****

عاد مازن الى شقته متأخرا قليلا، فبعد ان ترك غادة أمام شركته حيث قد أوقفت سيارتها قبل أن يذهبا سويا الى المشفى بسيارته، عاد الى مكتبه ليشرع في متابعة تلك الاعمال التي قام بتأجيلها قبل الذهاب برفقة غادة، ثم اجتمع مرة أخرى مع حسام وعبدالرحمن لمناقشة بعض الأمور التي تتعلق بتلك المشروعات الخاصة بشركتهم والتي لاتزال قيد الانشاء، ثم قاموا بتوزيع المهام بينهم التي سيبدأون الانشغال بها بداية من الغد، وسمح مازن لهما بالانصراف مبكرا باعتباهما لايزالان في شهر العسل وظل هو بالشركة الى ذلك

الوقت المتأخر لينهي بقية الأعمال، ثم مر على المحامي يناقش معه بعض الامور والمسائل القانونية الخاصة بالعمل لذا كان من الطبيعي بعد هذا اليوم الطويل ان يعود الى منزله مجهدا ومنهك القوى.

أما عن دارين فبعد ان ودعت أختها عادت الى شقتها وهي تفكر فيما قالته لها سارة طوال الطريق، وتتساءل في داخلها هل يمكن ان يأتي ذلك اليوم الذي سيمل فيه مازن منها ويبحث عن تلك الأخرى التي تكون مستعدة لإعطائه ما تبخل عليه هي به؟! وان كان الامر هكذا فكيف السبيل اذن الى تجنب ذلك مع الوضع في الاعتبار أنها لم تقتنع بعد بأنه يمكن ان تنشأ علاقة

زوجية كاملة بينهما وان كانت لا تنكر هذا الانجذاب الذي بدأت تشعر به تجاهه؟

وبعد تفكير طويل قررت أن تنفذ ما اتفقت معه عليه وترك الامور تأخذ مجراها الطبيعي كما قررت ألا تعمل على ابعاده عنها مجددا ان حاول هو التقرب اليها وقد أقنعت نفسها ان مازن بالفعل هو رجل تتمناه كل النساء وأنها لن تكون سعيدة ابدا ان رأته مع احداهن، وكانت تلك النتيجة التي توصلت اليها خطوة ايجابية نحو استكشاف مشاعرها الحقيقية نحوه.

بعد أن اعدت الطعام، دخلت حجرتها لتجهز نفسها للعشاء معه، فارتدت ذلك الفستان

الذي سبق أن ارتدته في حفل زفاف مروة أخت غادة والذي ظلت محتفظة به حتى الآن، فالمرة الاولى التي ارتدته فيها ارادت فقط تحديه للتمرد على سيطرته عليها، اما هذه المرة فهي ترتديه لاثارة اعجابه كخطوة متقدمة منها لتنفيذ اتفاقهما، الى جانب الفستان قررت ان تترك شعرها منسدلا خلف ظهرها وباستخدام القليل من مساحيق التجميل التي نادرا ما تستعملها بدت راضية تماما عن هذا الشكل النهائي الذي رأته في المرآة، ثم جلست في حجرة الصالون تنتظر قدومه، وعندما طال انتظارها قامت لتفتح جهاز التلفاز لتتسلى ببرامجه بعض الوقت ولكن بدا ان اي منهم

لم يكن مسليا بالنسبة لها فظلت تقلب في قنواته عن طريق جهاز التحكم الخاص به دون هدى الى ان سمعت صوت أحدهم يعبث بقفل الباب فعلمت انه هو وعندها أصابتها رجفة خفيفة وشعرت ببعض الارتباك، انتظرته في مكانها وقلبها تضطرب خفقاته كما فعل من قبل حين قام بمعانقتها وهذا ما جعلها تتساءل فجأة: هل هذا هو الحب الذي يتحدثون عنه؟

لم يمهلها فرصة حتى تجد الاجابة، فقد رأته يقف أمامها وهو يسد مدخل الحجرة بطوله الذي دائما ما يشعرها بمدى قصرها، وأناقته التي تعهدها دائما وتلك الجاذبية التي يتحلى بها، لم تدر بأنها قد أطالت

النظر اليه الا حين وقعت نظراتها على تلك العينين السوداوين اللتين كانتا تنظران اليها بتساؤل واللتين لم تخفيا ذلك الاعجاب الذي ظهر فيهما حين رآها، ولكنه لم يعلق على هذا التغيير الذي أحدثته في نفسها، بل اكتفى بأن حياها وهوينظر اليها بتكاسل أخجلها: مساء الخير.

فردت عليه بصوت ارادته طبيعيا: مساء النور.

لم يتحرك من مكانه ولم يرفع عينيه عنها وقد زادتا بريقا حتى بدأ الخدر يتسرب الى أطرافها وندمت على ما فعلته بنفسها، فأرادت ان تشغله بالحديث عن امر آخر

فسألته: انت اخرت اوي النهاردة، هو مش المفروض ان حسام وعبدالرحمن رجعوا خلاص الشغل؟

ولكن لم تفلح حيلتها سوى في زيادة تأزم الموقف بالنسبة لها حيث قد تحرك من مكانه متجها اليها و ابتسامة لاهية ارتسمت على ثغره: لو كنت اعرف اللي مستنيني هنا لما ارجع، اكيد ما كنتش اخرت ولا ثانية.

اصبح قريبا منها للغاية وقد أمال نحوها واضعا يديه على حافتي المقعد الذي تجلس عليه لتصبح أسيرته، ونظرة عميقة ومباشرة الى عينيها اللتين لم تستطيعا التهرب من نظراته وكأنهما قد أصبحتا اسيرتاه

كذلك، ثم سمعت صوته الدافىء الأجش يقول لها: كنتي مستنياني؟

سؤال بسيط والاجابة عليه أبسط ولكن ربما تحمل الكثير من المعاني التي لا تريد ايصالها له في هذا الوقت، لذا قررت الهروب رغم تلك الوعود التي قد أخذتها على نفسها سابقا، حيث طرفت بعينيها مرات عديدة لتخفي ارتباكها وتخلصهما من اسره، فقالت بنبرة حاولت ان تكون مرحة قدر امكانها: شكلك كدة جعان، ثواني والاكل يكون جاهز.

ثم حاولت ان تنهض وهي تضع يديها على صدره تدفعه برفق بعيدا عن الكرسي، و

رغم اندهاشها فقد سرت لانه لم يمتنع، بل تنحى جانبا ليترك لها حرية الذهاب.

أعدت دارين الطاولة للعشاء وكان مازن قد ابدل ثيابه ببيجامة منزلية مريحة، ثم تناولا الطعام سويا وهو ما لم تستمتع به دارين حيث كانت تشعر بنظراته المسلطة عليها والتي لاتغادر شاردة ولا واردة منها، وبعد انتهاء العشاء قررا تناول القهوة امام التلفاز وقد كان الصمت يغلفهما وكأن كل منهما يخشى من ردة فعل الاخر على ما قد يتفوه به، واخيرا قال مازن وهو يضع الفنجان الذي في يده على المنضدة بعد ان انهى قهوته:تسلم ايديكي.

دارين وهي تتحاشى النظر اليه: بألف هنا.

ورغم انها لم تكن قد انهت قهوتها بعد والتي كانت قد بردت تماما، الا انها وضعت فنجانها بجوار فنجانه على الصينية ونهضت لتحملها الى المطبخ، وسألته قبل ان تغادر: طيب انا داخلة انام، مش عاوز حاجة؟

مازن وهو يبدي تعجبه: بدري كدة؟!

فقالت تلفت انتباهه وهي تشير الى ساعة الحائط: الساعة بقت واحدة الصبح.

وما ان رأى عقارب الساعة حتى قال وهو يتعجب من نفسه لانه لم يلحظ مرور الوقت بهذه السرعة: يااااه، اوام كدة؟!

ثم نهض من مكانه وهو يكمل قاصدا رؤية ذلك اللون الوردي ان يغزو وجنتيها: واضح ان الوقت معاكي بيعدي بسرعة البرق.

أخفضت عينيها حتى لا يلحظ ارتباكها الذي لم يخف عليه بالطبع، فقالت ناوية الابتعاد بأقصى ما يمكنها: طب تصبح على خير.

مازن مبتسما بانتصار وهو يشعر بمدى تأثيره عليها: وانتي من اهله.

اسرعت دارين نحو المطبخ تتوارى خلف جدرانه وكأن هناك من يطاردها وتريد الاختباء منه، وقفت أمام حوض المياه تنوي غسل ما معها من الصينية وفنجاني القهوة وما

ان شرعت في ذلك حتى شعرت به وبنظراته المسلطة عليها وعطره النفاذ يصل الى أنفها فالتفتت له متصنعة الهدوء: عاوز حاجة يا مازن؟

لم يجب على الفور، بل انتظر حتى تقدم نحوها بخطوات متمهلة ، اما هي فقد كافحت لتبقى في مكانها ثابتة كي لا تتراجع الى الخلف حتى اصبح قريب منها للغاية لدرجة شعرت بأنفاسه الحارة تلفح بشرتها ورؤية عينيه اللتين تستطيع ان ترى فيهما تلك الرغبة التي استطاعت ان تميزها جيدا، ثم أجاب على سؤالها بصوت يشبه الهمس وبلهجة حميمية: لو كان عليا فأنا عاوز حاجات كتير.

ثم بدا يتخلل خصلات شعرها بأصابعه ومنه الى عنقها لتشعر بحرارة لمساته والتي تسربت الى باقي أجزاء جسمها، كان يريدها وهي تعلم ذلك جيدا ولكن مازال هناك حاجز بينهما لا تعلم ماهيته ولا يمكنها تخطيه مما جعلها تنطق باسمه بلهجة فيها بعض الاحتجاج: مازن! انا.........

لم تستطع ان تكمل جملته وهي ترى يده تتوقف وتبتعد عنها فجأة ليقول بوجه عبس قليلا مفسرا وكأنه يقرأ أفكارها: بس انتي لسة مش مستعدة.

وقبل ان يرحل أشار لها باصبعه وكأنه يريد تحذيرها من امر ما: بس فيه حاجة انتي لازم تفهميها كويس يا دنيا، انا بشر وأي راجل في وضعي وعايش تحت سقف واحد مع ست المفروض انها مراته، لما يلاقيها ظاهرة ادامه بالشكل المثير دة اكيد لازم يتحرك ومش هيقف مكانه زي الصنم.

فتحت فمها لتقول شيئا ربما اعتذارا او تفسيرا لما حدث ولكنه منعها باشارة من يده ليردف قائلا: انا كل اللي بطلبه منك انك تراعي شعوري ولو فكرتي انك تعملي حاجة تستفز رجولتي فتبقي مستعدة انك تتحملي النتيجة، تصبحي على خير.

ثم ذهب بخطوات واسعة وكأنه يريد ان يبتعد عنها بأقصى سرعته، وهي تنظر باتجاهه ذاهلة فهي لم تكن تخطط لكل هذا كما يعتقد ومع ذلك ظلت صامتة لم ترد على اتهاماته تلك.

****

دخل حسام وزوجته برفقة أولاد أخيه متجرا كبيرا بهدف التسوق فقد كان ذلك ضمن برنامج ترفيهي من يوم واحد اعده حسام لهم بدأ بالتجول في احدى الحدائق العامة ثم الذهاب الى حديقة الملاهي التي أسعدت الأطفال كثيرا ومنها الى أحد المطاعم الفاخرة لتناول وجبة الغداء وأخذ قسطا من الراحة، وأخيرا قرروا التسوق في بعض

المتاجر وكان منها هذا المتجر الخاص بالملابس للجنسين ولكل الأعمار، فذهب حسام بصحبة علي الى قسم الرجال والأولاد، ورافقت ايمان علياء الى قسم النساء والبنات، وبعد ان ابتاعت ايمان كل ما أعجب علياء دون الاهتمام بأن تشتري شيئا لنفسها، وخرجت من القسم متجهة الى المكان الذي اتفقت هي وحسام ان يتقابلا هناك بصحبة الطفلة التي كادت تطير من السعادة وهي تتشبث بكف ايمان باحدى يديها وباليد الاخرى تحمل العديد من الأكياس التي تحوي ما قامت بشرائه.

:ايمان!

صوت رجولي خشن ناداها من الخلف ولم يكن بغريب على سمعها، نعم فهي تيقن ان صداه قد تردد مرات لا حصر لها داخل اذنيها، فالتفتت الى الخلف ببطء وخشية لتقع عيناها عليه ولتتأكد ظنونها انه هو؟ يا اللّه؟ أبعد كل تلك السنوات يتقابلان؟ رأته كما تركته آخر مرة، لم يزد عليه سوى تلك الشعيرات البيضاء التي تخللت رأسه: مروان!

مشاعر متضاربة تخللت قلبها ولكن ما طغى عليها جميعا هو الخوف؟ الخوف من مجيء حسام في اي لحظة ويقابل زوجها السابق المدعو مروان!

الفصل التاسع والثلاثون

وقفت إيمان تنظر اليه مبهوتة لا تعلم ماذا تفعل؟ الى أن تقدم نحوها وأصبح على مسافة قريبة منها محافظا على بعد مناسب بينهما، فقال بابتسامة غير مصدقة وهو يمد اليها يده ليسلم عليها: مش معقولة؟! بعد السنين دي كلها أشوفك هنا في السنتر بتاعي؟

لو علمت بهذا الأمر سابقا فما كانت لتوافق على دخول هذا المتجر ابدا، هكذا حدثت ايمان نفسها وهي تنظر الى اليد الممدودة نحوها دون ان تبدي اي حركة تدل على

نيتها لمصافحته الى أن بدأ يشعر بالحرج فسألها مذكرا اياها: ايه يا ايمان؟ انتي مش عاوزة تسلمي عليا ولا ايه؟

فردت ايمان بثبات لتزيد من احراجه: مانت عارف ان انا مش بسلم بايدي على رجالة غريبة.

وجدت وجهه يمتعض وكأنه لم يكن يتوقع ردها هذا، ولكن ما الذي كان يتوقعه بالضبط؟ فبالفعل لقد أصبح بالنسبة اليها رجلا غريبا بعد أن طلقها، أخفض مروان يده بجانبه مجددا وهو يحاول ان يخفي مدى تأثره بكلامها، ثم سألها بابتسامة

مصطنعة: وانتي عاملة ايه دلوقت؟ وايه أخبارك؟ وياترى سعيدة في حياتك؟

ايمان بلهجة صادقة: الحمد للّه سعيدة جدا.

مروان مدعيا الحزن: يا بختك، انا بقا من ساعة ما سبت ام العيال ورجعت مصر وانا بدور ع السعادة دي ومش لاقيها.

وما شأني انا بذلك؟ كادت تطرح هذا السؤال بنفاذ صبر، فهي لم تطرح عليه أي سؤال يتعلق بحياته الشخصية، فهي حقا لا يهمها، ولكنه مع ذلك استمر يقول بلهجة تنم عما يشعر به من ندم: للأسف ما قدرناش نفهم بعض، وبعد ما جبنا حسن و أميرة بقت الحياة بينا مستحيلة، فقررنا اننا

نتطلق وأنا اخدت الاولاد ورجعت مصر بعد ما سمعت انها اتجوزت حد تاني.

ثم صمت للحظات وقد أخرج محفظته من جيبه، ثم تناول منها صورتين صغيرتين مدهما ناحية ايمان وهو يقول: دول اولادي، احسن حاجة فيهم انهم طالعين شبهي.

رفضت ايمان ان تمد يدها نحو الصورتين وقالت له عوضا عن ذلك: ربنا يخليهملك ويباركلك فيهم.

أعاد مروان الصورتين الى محفظته بعد أن يأس من ايمان التي رفضت حتى التطلع اليهما، ثم قال بأسى: يا خسارة عايشين زي الايتام مع ان امهم على قيد الحياة، عشان

كدة انا بدورلهم على انسانة طيبة وحنينة وفي نفس الوقت متدينة تقدر تربيهم وترعاهم وتكون ليهم ام بديلة، وانا حاسس اني لو لفيت الدنيا كلها مش هلاقي المواصفات دي غير ف...........

:ماما، ماما، احنا مش هنمشي بقا؟

طوال هذا الوقت لم يكلف مروان نفسه وينظر الى يد ايمان التي تتعلق بها تلك الطفلة الصغيرة، فلم يشعر بها الا حين سمع صوتها تنادي لايمان بكلمة ماما! لم يستطع ان يخفي دهشته لما سمعه، فياترى من تكون هذه الطفلة؟

ورأى ايمان تربت على شعرها وهي تقول لها بحنان: هنروح يا حبيبتي بس لما بابا وعلي ييجوا.

كاد فضوله ان يقتله لذلك لم يقدر أن يمنع نفسه من ان يسألها: مين دي يا ايمان؟

:مراتي!

بالطبع لم تخرج الاجابة على لسان ايمان، بل أتت اجابة على سؤال مختلف لم يتم طرحه من خلف مروان بصوت رجولي قوي لم يكن صاحبه سوى حسام الذي أصبح الآن أمامهما برفقة علي ليقول خاصا مروان بسؤاله وابتسامة صفراء تعلو وجهه: هو حضرتك تعرف مدام ايمان مراتي؟!

وقد شدد كثيرا على لقب مدام وكأنه يستنكر استعمال مروان لاسمها دون ألقاب.

فنظر مروان له بحيرة ولم يعرف بم يجيب، وتولت ايمان الاجابة بدلا عنه فقالت وهي تشير ناحيته متلعثمة: حسام، دة استاذ مروان كامل معرفة قديمة وصاحب المحل.

ولم تزد في تعريفها عن ذلك كما ان حسام لم يضغط عليها ويطالبها بالمزيد، فمد يده ناحية مروان بغرض مصافحته بابتسامة آلية باردة: تشرفنا يا استاذ مروان، وانا حسام نصر الدين مهندس ورجل أعمال.

ثم أكمل مشيرا الى الطفلين: ودول علي وعلياء اولادنا.

لم يجد مروان بدا من ان يتناول تلك اليد الممدودة رغم ظهور الصدمة على وجهه وهو ينظر الى الطفلين تارة والى ايمان تارة وكأنه يطالبها بتفسير لما يراه ولكنها بخلت عليه بذلك، ولم يملك سوى ان قال بابتسامة مرتبكة لحسام والذي بدا انه ينتظر منه تعليقا: ما شاء اللّه، ربنا يحميهم.

حسام: متشكر.

ثم نظر الى ايمان التي وقفت تنظر الى الاثنين بوجه شاحب: مش ياللا بقا بينا يا ايمان؟ الولاد قربوا يناموا مننا.

فأومأت ايمان برأسها موافقة واستعدت للذهاب، وقال حسام لمروان مودعا وهو يمد

يده مرة اخرى لمصافحته: فرصة سعيدة يا استاذ مروان.

مروان رادا تحيته: انا اسعد يا باشمهندس، وبتمنى تعتبر المحل تحت امرك وأمر المدام والاولاد في اي وقت.

ثم نادى على احدى الموظفات التي كانت تقف بالقرب منهم: ملك! روحي معاهم وقولي للكاشير ان حساب الباشمهندس عندي.

فرفض حسام ذلك بحزم: مفيش داعي حضرتك، انا مش متعود اني اشتري حاجة من غير ما ادفع تمنها، عن اذنك.

ثم أكمل متجها الى مدخل المتجر وبرفقته زوجته والطفلين وعينا مروان تتبعهما وقد امتلأتا بالكثير من الأسئلة التي ظلت دون جواب.

****

نهض مازن في صباح اليوم التالي ليجد دارين كعادتها قد جهزت الطاولة بطعام الافطار، فمر بها وهي تضع آخر الأطباق ملقيا بتحية جافة: صباح الخير.

دارين بتوتر: صباح النور.

وعندما وجدته يتخطى الطاولة متجها الى باب الشقة سألته: انت مش هتفطر؟

مازن بنفس تلك النبرة الجافة الغير مبالية: لا، عندي اجتماع بدري ومش عاوز اتأخر عليه.

وقبل أن يخطو خطوة أخرى نحو وجهته، قال وكأنه قد تذكر شيئا وهو يضع يده في جيب سترته: اه، كنت هنسى، دة يخصك.

ثم مد ما أخرجه اليها، فالتقطته بيد مرتبكة لتنظر بحيرة الى ذلك المفتاح وقبل أن يخرج السؤال من فمها، قال مازن موضحا: دي نسخة تانية لمفتاح اوضتك كانت معايا من قبل ما نتجوز لاني كنت متوقع تقريبا اللي كنتي ممكنت تعمليه.

ثم أكمل بعناد وإصرار لم تكن لتخطئهما وعينيه مثبتة في عينيها المصدومتين: انا لو كنت بفكر اني اخد منك حاجة غصب عنك ما كنش ولا مليون قفل هيمنعوني من دة.

ثم خرج صافقا الباب خلفه بقوة أجفلتها.

****

خرجت غادة من المبنى الكبير لتلك المشفى التي قد أجري بها عدة فحوص لمازن بالأمس، خرجت منها والدموع التي في عينيها تكاد تحجب الطريق أمامها وهي بين الحين والآخر تنظر الى هذا الملف الذي بيدها وقد كانت لاتزال تحت تأثير

الصدمة، وعندما أصبحت بجوار سيارتها ارتكزت بكوعيها على بابها بعد أن فتحته وكأنها تستمد القوة من معدنه الصلب، ثم جلست خلف المقود وانتظرت عدة دقائق حتى استجمعت قواها من جديد لتمسك بهاتفها الخلوي وتتصل به لتتحدث بصوت حاولت قدر امكانها ان يبدو طبيعيا: وعليكم السلام....ايوة يا مازن انا غادة.... عاوزة اقابلك دلوقت.

ثم تحولت نبرتها الى القوة والاصرار: لا، دلوقت يا مازن لو سمحت .... لالالا ياريت بعيد عن الشركة.... اه عارفاه....اوك.... ربع ساعة وأكون هناك....سلام.

وانهت المكالمة واكتشفت انها كانت تضغط بأصابعها على المقود حتى ابيضت، فبدأت تستعيد هدوئها وتكبح جماح دموعها ثم انطلقت بالسيارة حيث مكان اللقاء.

وصلت غادة الى ذلك المطعم المكشوف قبل مازن، وجلست على احدى الطاولات تنتظر قدومه حيث لم يتأخر سوى بضعة دقائق بحث عنها سريعا بعينيه حتى وجدها فاتجه اليها وما ان اقترب من طاولتها سألها بلهفة حتى قبل ان يلقي التحية عليها وقد بدت ملامحه قلقة: خير يا غادة! فيه ايه؟

ها هو الآن قد اصبح أمامها فكيف لها ان تخبره؟! يارب ألهمني القوة لذلك، هكذا كان دعاؤها، فطلبت منه محاولة تصنع الهدوء الذي لم يكن ليخدعه: طب اتفضل اقعد الأول.

فجلس مازن على الكرسي أمامها ومازال ينظر اليها بريبة، وفي تلك الأثناء، أتى الى المطعم إمرأة شابة ذات ملامح فاتنة ببشرتها البيضاء وعيونها العسلية الى جانب شعرها الأشقر وكانت ترتدي ملابس مثيرة ضيقة تبدي مفاتنها، وبرفقتها شاب يبدو انه لا يبالي بتلك العيون التي تطلعت الى رفيقته مبدية اعجابها من قبل الرجال بالطبع او انه لا يبالي بها هي شخصيا، تقدم عدة خطوات

داخل المطعم وهي معلقة في ذراعه يلتفت يمينا ويسارا باحثا عن طاولة مناسبة الى أن رآهما معا فظل يحدق بهما ليتأكد مما يراه لدرجة ان هزت تلك الفاتنة ذراعه تسأله بنفاذ صبر: فيه ايه يا علاء؟ احنا مش هنقعد ولا ايه؟

فأشار اليها علاء باصبعه لتلزم الصمت، ثم اتجه بها الى طاولة بعيدة قليلا عنهما حتى لا يتمكنان من رؤيته بينهما هو يستطيع ذلك وبكل وضوح.

ونعود مجددا الى مازن الذي قد أخبرته غادة بالحقيقة المؤلمة التي جعلته يطوي ذلك الملف اللعين بين أصابعه بعنف حتى كاد

ان يمزقه، فقالت له غادة تحاول ان تهدئه قليلا: مازن ارجوك، انت عارف ان لكل مرض علاجه وان ما كنش هنا فأكيد هنلاقيه في اي مكان تاني.

بدا انه لم يستوعب حرفا مما قالته، حيث كان سؤاله الذي جعل تلك الدموع التي حاولت ان تحبسها طويلا تهدد بالتحرر من سجن عينيها: فاضلي اد ايه يا غادة؟

شهقت غادة من هول سؤاله وأغمضت عينيها بقوة تحارب دموعها، وهي ترد عليه بصوت متألم: ايه اللي انت بتقوله دة يا مازن؟ انت عارف ان الاعمار بيد اللّه ومفيش حاجة اسمها كدة.

بدت لهجته اكثر صرامة وهو يقول لها:

جاوبيني بكلام علمي يا دكتورة.

رفضت غادة الجواب على سؤاله، بل قالت عوضا عن ذلك وقد وضعت يدها على راحته لبث الطمأنينة والأمل في نفسه: انا عرفت من دكتور طارق ان فيه دكتور الماني متخصص في الحالات دي وبيعالجها بعمليات جراحية وكتير من الحالات اللي تولاها نجح في علاجها وخفت تماما، انا هحاول اتواصل معاه واقنعه انه يتولى حالتك.

لم يقتنع مازن تماما بما قالته ولكنه هدأ قليلا وبدا ذلك من نبرة صوته وهو يقول لها

متجاهلا الامر برمته: محدش غيرك عرف بالموضوع دة؟

فهزت غادة رأسها بالنفي، لذا قال لها يطلب منها بلهجة تشبه الأمر: ومش عاوز حد يعرف غير لما اقرر امتى اقولهم؟

فسألته غادة بحذر: حتى دارين؟

مازن مشددا على كلامه: خصوصا دارين.

غادة: بس دي مراتك يا مازن وهي اكتر واحدة لازم تقف جنبك في الوقت دة، احنا كلنا عارفين هي اد ايه بتحبك وما تقدرش تستغنى عنك.

لم يجبها مازن بل اكتفى بالاجابة لنفسه حيث قال لسان حاله ساخرا: انها وان كانت

تحبني كما يعتقد الكثير فهي قد أحبت
مازن القوي الذي دائما ما يمثل لها درع الامان
وتعتمد عليه في حل كل مشاكلها وتمهيد
الصعاب لها، ولكن مازن ذو القلب المريض
فهو لن ينال منها سوى نظرات العطف
والشفقة وهذا ما لن يقوى على تحمله.

ظلت غادة تنتظر رده فقد طال الصمت الى
ان قال أخيرا مصرا على رأيه: دارين بالذات
يا غادة مش عاوزها تعرف حاجة عن
الموضوع دة.

فقالت غادة مرغمة: خلاص اللي تشوفه، وانا
من بكرة ان شاء اللّه هحاول الوصول

للدكتور الالماني دة وأحدد معاه ميعاد ياريت تكون جاهز للسفر في اي وقت.

ثم أكملت بطريقة مهنية باردة مصدرة اوامرها الطبية: ولحد دة ما يحصل ياريت تريح نفسك على اد ما تقدر وانا هبقا على اتصال بيك كل يوم تقريبا عشان اطمن عليك.

ثم اكملت تكرر بحزم: مازن! ياريت بلاش ترهق نفسك في الشغل اكتر من اللازم، وكمان..........

وصمتت فجأة تبتلع ريقها وقد غزا الاحمرار وجهها من الحرج الذي شعرت به وهي تقول: ياريت بلاش العلاقة الزوجية في الفترة دي.

فلم يكن من مازن الا ان لاحت منه ابتسامة ساخرة فليتها تعلم ان اكثر الأمور التي اشعرتها بالحرج هي أسهل ما يمكنه تنفيذه!

اما عن علاء الذي اعتلت وجهه ابتسامة حقودة كان قد أمسك بمحموله هذا الوقت يلتقط لهما بعض الصور ورفيقته تراقبه باندهاش: انت بتعمل ايه؟

علاء وهو ينهض من مكانه استعدادا لمغادرة المكان بجفاء: ملكيش دعوة، ياللا بينا، وفي نيته خطة سيئة لافساد حياة ذلك الرجل صاحب الصور حيث أعماه حقده أن تلك التي كانت معه هي ابنة خالته.

****

كانت دارين قد ذهبت الى سارة تشكي لها جفاء مازن المفاجىء والذي قد التمست له سارة العذر في ذلك وأخذت تعنف أختها على ذلك الاسلوب الارعن الذي تعاملت به معه، وفي تلك اللحظة رن هاتف دارين معلنا وصول رسالة ففتحته وهي سعيدة لتلك المقاطعة التي ستريحها ولو قليلا من توبيخ أختها، وما ان رأت محتوى الرسالة حتى شهقت من المفاجأة وقد اصيبت بالصدمة، فقلقت سارة وسألتها: فيه ايه يا دارين؟ ايه اللي مكتوب في الرسالة دي؟

كانت صدمتها أقوى من ان تجعلها تقوى على الكلام الآن على الاقل، فمدت لها

يدها الممسكة بالهاتف، فأخذته منها سارة لتقرأ محتوى تلك الرسالة ولكنها لم تجد كلاما تقرأة فكانت الرسالة لا تحتوي سوى على صورة لمازن برفقة غادة في أحد المطاعم على ما يبدو وتلك الأخيرة تلمس يده بحنان وهو لا يمانع ذلك على الاطلاق.

****
*

وتمر الأيام سريعا والعلاقة بين مازن ودارين قد ازدادت توترا وجفافا بعد ان علم هو بحالته المرضية ورأت هي صورته مع تلك الطبيبة ولكن ايا منهما لم يخبر الأخر عما يعلمه.

نصحت سارة أختها بأن تتغاضى عن الأمر او
على أقل تقدير تتناساه فقط، وتحاول ان
تعيد زوجها اليها من جديد وتبعده عن تلك
الدخيلة بأسلحتها الأنثوية، فلا يجب ان
تترك تلك الطبيبة الشابة ان تشعر ولو
للحظة بالانتصار عليها فمازن زوجها هي ومن
حقها هي فقط، وروح التحدي التي تتحلى بها
دارين جعلتها توافق على ما طلبته منها
أختها، ولكنها خلال الايام السابقة لم تجد
من مازن سوى العزوف رغم محاولاتها
الكثيرة في ارجاع علاقتهما على ما كانت
عليه كبداية للتطور الجديد الذي
سيحدث عليها وكان غالبا ما يعود الى
الشقة بعد ان تكون قد خلدت الى النوم

ويغادر في الصباح الباكر قبل ان تستيقظ وكأنه يتحاشى رؤيتها او الحديث معها، وبعد ان فاض بها حادثت أختها على الهاتف تشتكي لها ما تعانيه وكانت نصيحة سارة لها كالتالي: شوفي يا دي دي، لو كان هو مش عاوز يشوفك ولا يتكلم معاكي زي ما بتقولي، يبقا اسعي انتي لدة، ودي حاجة مفيهاش احراج ولا كسوف لان دة جوزك ومفيش بين الراجل ومراته المسائل دي، انتي يا قمر تاخدي بعضك كدة وتروحيله الشركة وتعزميه على سهرة حلوة برة تصفي اللي بينكم، ولو رفض خديه بالعافيه، يعني باختصار خليكي جبلة يا قلبي.

وأنهت معها المكالمة تتمنى ان تنجح أختها في مسعاها وأن يؤلف اللّه بين قلبها وقلب زوجها.

****

*

كانت غادة قد ذهبت الى الشركة بعد ان انهت عملها بالمشروع لتطمئن على صحة مازن كما اعتادت ان تفعل يوميا طوال الاسبوع المنصرف، وفي ذلك اليوم كان مازن يجلس خلف مكتبه و يبدو عليه الارهاق الشديد حينما دخلت غادة لتجد وجهه شاحبا وكأنه فقد الدم الذي يغذيه، فكما اعتاد في حالته تلك أن يخلع سترته ويفك رباطة العنق قليلا كي يتمكن من

التنفس بشكل أفضل، فقالت غادة التي كانت تجلس على حافة المكتب تؤنبه وكأنه طفل صغير متمرد وهي تمسك بمعصمه تقيس النبض: انا سبق وحذرتك من المجهود الزايد، وانت كالعادة يا مازن مش بتسمع الكلام، ع العموم انا خلاص اتكلمت مع الدكتور أدريان ووافق انه يشوفك ودة مؤشر كويس على فكرة، عشان كدة لازم نسافر بعد اسبوع.

مازن رافضا بصوت منهك: مش هينفع يا غادة، مش هلحق اخلص الشغل اللي ورايا.

غادة لائمة بعنف: شغل ايه يا مازن اللي بتفكر فيه دلوقت؟ المفروض ان صحتك اهم من كل دة.

ثم اشارت باصبعها آمرة ذكرته بتلك المدرسات الصارمات مما جعله يبتسم رغما عن آلامه: اسمع بقا، انا لحد دلوقت فضلت اسمع كلامك، لكن من هنا ورايح انت اللي هتسمع كلامي، ماشي!

مازن مستسلما بآهة تعب لم تخف على غادة: ماشي، أه.

فمدت غادة يدها ناحية صدرة الأيسر من جهة القلب تعمل على تدليكه وخلف تلك

الابتسامة المواسية هي حقا تموت قلقا ورعبا حين تراه على تلك الحال.

في تلك الأثناء كانت دارين في طريقها الى مكتب زوجها تشرع في تنفيذ نصيحة أختها وعلى وجهها ابتسامة مشرقة فلقد أدركت ان هذا هو ما كانت تصبو اليه بالفعل فلا يمكنها العناد أكثر، ودخلت مكتب السكرتيرة فلم تجدها ذلك الوقت وترددت أتنتظرها ام تدخل اليه مباشرة؟ فما كان منها الا ان لاحت ابتسامة شقية ماكرة على وجهها وقررت ان عنصر المفاجأة سيكون افضل في هذا الوقت، لذا حتى ودون ان تطرق الباب، قامت بفتحه بهدوء لم يشعر به كل من مازن وغادة، ودخلت تبحث

بعينها في الاتجاه الذي توقعت ان يكون به لتصدم بما رأته فتخرج منها تلك الشهقة رغما عنها لينتبه اليها الاثنان وهما في ذلك الوضع الذي يجعل كل من يراهما يسيء الفهم، فقال مازن بتوتر وقد اصابته الدهشة دون ان يقوى على الحراك من مكانه: دارين!

لم تنتظر دارين أكثر حيث هرعت خارج المكتب تكافح دموعها، ونهضت غادة في نيتها اللحاق بها وهي تنادي عليها: دارين استني.

لكن يد مازن التي اطبقت على ذراعها منعتها من ذلك، فقالت له غادة راجية: مازن

سيبني الحقها اوضحلها سوء التفاهم اللي حصل.

وكان رد مازن باردا بشكل غامض وفي داخله يشعر براحة مما حدث: مفيش لزوم.

****

الأخير

كان عمر يركض تقريبا في هذا الرواق بالجزء الأعلى من فيللته بوجه قلق الى ان قابل والدته تخرج من احدى الغرف، فسألها على الفور: فيه ايه يا ماما؟ مالها دنيا؟ قلقتيني.

وداد بأسى: معرفش يا بني، اهي من ساعة ما جات حابسة نفسها في اوضتها ومش مبطلة عياط ورافضة انها تتكلم مع حد.

فربت عمر على كتف والدته مطمئنا: طب انا داخلها، اتفضلي انتي وما تقلقيش.

اومأت الأم برأسها موافقة مع انها لا تستطيع بالفعل ان تمنع نفسها من القلق، اما عمر فطرق باب تلك الغرفة طرقات خفيفة ولم ينتظر ردا، بل دخل مباشرة ليرى دارين تجلس على السرير دافنة رأسها بين ركبتيها التي تتشابك أصابع يدها حولهما، وسمع صوت نشيجها فأغلق الباب خلفه وسار نحوها، وعندما شعرت به رفعت اليه وجهها المحمر وعينيها المنتفختين من كثرة البكاء، فقال عمر لها بصوت حاول ان يجعله مرحا: ماما برة هتموت من القلق عليكي بس انا بقا طمنتها وقولتلها دة دلع بنات، قوليلي بقا يا ست البنوتة، مالك؟

بالطبع لم تفلح طريقته في تغيير ذلك المزاج السيء الذي كانت عليه، بل لقد زاد نحيبها وهي تدفن رأسها في صدره وتتعلق بياقة قميصه كالطفل الصغير.

رق عمر لحالها وأحاطها بذراعه كي يشعرها بالأمان، ثم بعد ان شعر انها هدأت، أبعدها قليلا عنه لينظر الى ذلك الوجه الغارق في الدموع ويسألها بجدية: مازن؟!

لم يزد سؤاله عن ذلك، ولكنها لم تكن تريد المزيد ليخرج صوتها من محبسه بعد أن ظنت انه لن يفعل وهي تقول باكية:

مازن بيخوني يا عمر.

تلك الصدمة التي ظهرت على وجهه لم تكن بفعل ذلك الخبر ولكن كانت بسبب عدم قدرته على تصديقه مما جعله يقول لها مشككا: انتي بتقولي ايه؟ مش ممكن! مش مازن اللي يعمل كدة.

دارين مؤكدة وقد زاد نواحها: انا شوفته بعيني معاها.

فسأل عمر على الفور: مع مين؟

دارين: غادة.

وكانت هذه هي الصدمة الأكبر بالنسبة له ولكن ايضا لانه لا يستطيع تصديق الأمر فإن كان على يقين من مشاعر غادة نحو مازن، فهو لا يمكنه ان يفكر أنها قد

تفعل ذلك لذا امسك بكتفي دارين
ليقول لها بوجه جامد: طب اهدي كدة
وقوليلي ايه اللي حصل بالظبط؟

****
***

كان مازن يجلس باسترخاء على تلك
الأريكة التي بمكتب عبدالرحمن الذي
قدم له فنجان القهوة وجلس أمامه ليقول له
لائما، حيث قد أخبره مازن بكل ماحدث:
اسمحلي يا مازن اقولك انت غلطان في اللي
عملته وانك سيبت دارين تشك فيك
بالشكل دة وكمان تدخل غادة في
الموضوع، طب ذنبها ايه هي تشوه صورتها
ادام مراتك بالشكل دة؟

مازن بهدوء ظاهري فقط: ما كنش ادامي غير كدة، دارين لازم تنساني، لازم تتعود انها تعيش حياتها من غيري.

عبدالرحمن ومازالت تلك النظرة المعاتبة تملأ عينيه: طب وغادة؟!

مازن: غادة وافقتني لانها مقدرة حالتي والظروف اللي انا فيها.

عبدالرحمن مصححا: قصدك لانها بتحبك، واوعى تقولي انك كنت اعمى لدرجة انك ما قدرتش تلاحظ حاجة زي دي.

صمت مازن وتصلب ملامحه أخبر عبدالرحمن بأنه كان يعلم ذلك بالفعل، لذا اكمل

عبدالرحمن عتابه: للأسف يا صاحبي، انت استغليت الحب دة أسوأ استغلال.

مازن مدافعا عن نفسه: غادة انسانة عاقلة، وهي عارفة انها بالنسبالي أخت مش أكتر.

عبدالرحمن متهما: بس دة تفكير أناني يا مازن,

مازن بنظرة معاتبة: يااااه! بعد السنين دي كلها ويبقا دة رأيك فيا يا عبدالرحمن؟! والمفروض انك عارف انا اد ايه كنت عايش لغيري، ويوم ما فكرت اعيش لنفسي....

صمت للحظات حتى يكمل بمرارة: لقيت ان حياتي مفيهاش وقت لدة.

رغم تأثره بكلام صديقه الا انه رفض ان يبدي تعاطفا معه، فسأله بجدية: طب وهتعمل ايه في طلب دارين للطلاق؟ سارة قالت انها مصرة.

فأجاب مازن بشكل قاطع: مستحيل اني اطلقها، انا لو طلقتها ما هيبقاش ليها حق في الميراث من بعدي.

ثم اضاف بسخرية: دة غير ان اكيد طبعا قلب يوسف الهواري مش هيحن بعد كل دة ويديلها حقها، ولو كلمت سارة تاني في الموضوع خليها تقولها اني هنفذلها طلبها بس بعد ما ارجع من السفر.

ثم أكمل محذرا: بس اوعى يا عبدالرحمن سارة تعرف انا مسافر ليه؟

أومأ عبدالرحمن برأسه رغم رفضه لذلك ولكن رغبة صديقه واجبة النفاذ.

****

كانت غادة تعد حقيبة سفرها وتملأها بالثياب التي تعتقد انها سوف تحتاج اليها أثناء تواجدها في ألمانيا فسمعت طرقا خفيفا على باب حجرتها ثم رأته يفتح ليدخل والدها الذي سألها مبتسما: ممكن ادخل يا دكتورة؟

فردت غادة له الابتسامة وهي تقول: اكيد يا بابا، اتفضل.

دخل فؤاد وأغلق الباب ثانية ثم اقترب
وجلس على السرير بجوار تلك الحقيبة
الكبيرة وهو يشاهد ابنته تحشوها بالثياب،
فسألها: خلاص جهزتي كل حاجتك؟

غادة: تقريبا يا بابا.

فؤاد: طب ممكن تقعدي شوية تسمعيني؟

فأطاعت غادة أمره على الفور و سحبت أحد
الكراسي في الغرفة وضعته أمام والدها
لتجلس عليه وتسأله: خير يا بابا!

الوالد مبتسما يطمئنها: كل خير يا بنتي.

ثم صمت قليلا ليكمل قائلا: انتي عارفة انا
وافقت على سفرك ليه رغم ان والدتك
لسة معترضة لحد دلوقت؟

فسألته غادة وقد بدا على وجهها الاهتمام:

ليه يا بابا؟

فؤاد: لان مازن دة يا بنتي بالنسبالي هو ابني اللي مخلفتهوش، والده اللّه يرحمه خلاني من الناحية القانونية انا الوصي عليه وعلى ماله لحد ما بلغ سن الرشد يمكن عمل كدة لانه حس اني هبقا اكتر واحد يخاف عليه وعلى مصلحته، وبصراحة اقدر اقول ان مازن ما كنش محتاج لوصي رغم سنه الصغير وقتها لان طول عمره راجل في كل حاجة واد المسئولية والدليل على كدة انه قدر يوصل للي وصله دة رغم ظروفه ورغم وجود دارين في حياته واللي كانت وقتها محتاجة تربية ورعاية وهو قدر يوفرلها دة،

ودة مش جديد عليه لانه من ساعة ما اتولد وهو مش بيفكر غير في انه ازاي يسعد كل اللي حواليه، اما دلوقت.

ثم توقف ليبتلع غصة في حلقه وهو يشعر بالألم من أجله: بقا هو اللي محتاجلنا نقف جنبه ونساعده.

ثم أكمل مشددا على كل كلمة يقولها: نساعده لانه يستحق دة مش عشان اي حاجة تانية، انا عارف ان مازن راجل بجد ورغم ظروفه هيخاف عليكي ويحميكي بعنيه لان طول عمره بيعتبرك اخت ليه، فاهماني يا غادة؟

هزت غادة برأسها دليلا على استيعاب تلك الرسالة الخفية التي حاول والدها ان يقوم بإيصالها لها، ولكنها قالت موضحة: انا فاهمة كويس كل اللي حضرتك بتقوله، بس اللي انت وماما والكل مش قادرين تفهموه ان مازن فعلا بالنسبالي ما بقاش اكتر من أخ بعد ما اتأكدت من مشاعره ناحية دارين، وبعد ما عرفت بمرضه وقربت ليه أكتر في الفترة اللي فاتت حسيت هو اد ايه بيحبها ومش ممكن يسمح لواحدة تانية انها تاخد مكانها في قلبه ودة خلاني احترمته أكتر وخلاني مصرة اني اساعده وأقف معاه عشان يخف ويرجعلها ويعيش سعيد معاها، صدقني يا بابا اي مشاعر

كانت جوايا لمازن غير الاخوة ما بقاش ليها وجود خلاص، حضرتك مصدقني؟!

وكرد على سؤالها مال فؤاد ناحيتها مقبلا جبهتها وهو يقول لها: ربنا يكملك بعقلك يا بنتي.

****

عاش عمر أياما من الشك فبالرغم من تلك الحقائق التي أخبرته بها أخته ورؤيته لتلك الصورة على هاتفها الا ان عقله رفض تصديق ذلك، لذا وأخيرا قرر الذهاب بنفسه الى غادة حتى تؤكد شكوكه او تنفيها.

فذهب الى تلك العربة التي تمثل العيادة المتنقلة وطرق الباب ليسمع صوت انثوي يقول له: ادخل.

فدخل عمر ليتفاجأ بأن غادة لم تكن في كرسيها بل كانت تشغله غيرها ترتدي زي الطبيبة، فنظرت له تلك الاخيرة تسأله بمهنية وهي تتفحصه بعينيها: خير يا حضرت! بتشتكي من ايه؟

عمر وقد أفاق من صدمته معرفا عن نفسه: انا الباشمهندس عمر، مدير المشروع.

أشرق وجهها بابتسامة مرحبة: اهلا وسهلا يا باشمهندس، وانا الدكتورة منى، اي خدمة اقدر اقدمها لحضرتك؟

فكان سؤاله المباشر: هي فين الدكتورة غادة؟

منى: سافرت المانيا، واظاهر ان سفرها هيطول عشان كدة كلمتني اخد مكانها هنا في العيادة لحد ما ترجع.

اورقف عقله عند أول كلمة نطقت بها حول سفرها لم يستوعب كلمة أخرى بعدها وظل يفكر في هذا السفر المفاجىء الذي لم يعلم به أحد مسبقا، ثم قفز الى عقله أمرا فجأة فلقد علم ايضا بأن مازن كان يعد نفسه للسفر الى ألمانيا، فهل يعقل انهما اتفقا على السفر معا؟ وان كان الامر

كذلك فهو يؤكد كل الظنون التي انتابت اخته.

****

نزلت دارين درجات السلم الخاص بالفيللا، حيث أعدت نفسها للخروج والذهاب الى اختها التي علمت منها خلال مكالمة هاتفية أجرتها معها انها لا تبدو اليوم على ما يرام، لذا قررت دارين الذهاب اليها لتطمئن على صحتها، وبينما وهي تمر بحجرة المكتب الخاصة بيوسف الهواري وكان الباب تقريبا نصف مفتوح، سمعته يتكلم الى زوجته بحدة: هي اللي عملت في نفسها كل دة، ما هي لو كانت سمعت كلامي واتجوزت علاء ما كنش حاجة من دي

حصلت، لكنها راحت للي اسمه مازن دة

واستنجدت بيه، وكانت النتيجة ايه؟ جالي

البيه وهددني بانه عرف انها بنت اخوية

مش بنتي وانها لو عرفت حاجة زي دي

هتطالب بحقها في ورث ابوها واجبرني اني

اوافق على جوازه منها مقابل سكوته، واديه

اهو خانها وراح مشي مع واحدة تانية، توريني

بقا الهانم هتعمل ايه وهي بتطلع من المولد

بلا حمص؟

لم تحتج دارين الى تلميحات اكثر لتعلم انه

كان يتحدث عنها، أذهلتها الصدمة وهي

تكتشف أنها لم تكن ابنته كما أخبروها

بل هي ابنة أخيه، كما انه حاول الاستيلاء

على ميراثها، والأهم من كل ذلك ان مازن

كان يعلم بالأمر ولم يخبرها، لم تستطع الانتظار لسماع المزيد، بل انها ركضت خارج الفيللا، لتستقل سيارتها وتنطلق بها والدموع تتسابق على خديها.

****

أسند عبدالرحمن زوجته حتى أراحها على السرير وهو يقول لها معاتبا برفق وقد بدا عيها التعب: وبعدين بقا، هو انا مش قولتلك تستريحي في السرير وما تتحركيش؟ ع العموم انا هتصل بالدكتور دلوقت وهخليه ييجي عشان نطمن ونعرف الدوخة دي من ايه؟

فمنعته سارة وهي تقول له بابتسامة لطيفة أضاء بها وجهها: مفيش داعي يا عبده، انا تقريبا عارفة السبب.

عبدالرحمن متهكما: وياترى ايه هو بقا السبب يا ست الحكيمة؟

سارة وقد بدأت وجنتاها تتوردان: السبب هو اني.........

وقبل ان تكمل سمعا جرس الباب يرن بلا هوادة.

فزفر عبدالرحمن بضيق وقال مقاطعا زوجته: استني لما اشوف من الرخم اللي جاي دلوقت؟

خرج عبدالرحمن من غرفة النوم متوجها الى باب الشقة وهو يهتف بضيق لذلك الذي يأبى ان يرفع يده عن الجرس: جاي أهو خلاص.

وما ان فتح الباب حتى اعتلته الدهشة وهو يرى دارين على تلك الحال المزرية فسألها بقلق وهو يفسح لها الطريق: دارين! فيه ايه؟ مالك؟ اتفضلي ادخلي الاول.

وأغلق الباب بعد ان دخلت ليكرر سؤاله بصيغة أخرى: طب بتعيطي ليه؟ ايه اللي حصل؟

وتجاهلت دارين أسئلته، بينما قامت هي بسؤاله بصوت باك: فين مازن يا عبدالرحمن؟

شعر عبدالرحمن بالارتباك من سؤالها، ولكنه سرعان ما استعاد هدوئه ليجيبها: مازن مسافر المانيا، اعتقد انك عارفة الموضوع دة.

وكانت أختها قد خرجت للتو من حجرتها لتبدو فزعة من رؤية وجه دارين الباكي: دنيا! مالك يا حبيبتي؟

فهرعت اليها دارين ترتمي في أحضانها ويعلو صوتها بالبكاء وهي تقول: انا ما بقتش

فاهمة اي حاجة خلاص؟ ما بقتش عارفة انا مين؟ ولا بنت مين؟

فمسحت سارة على رأسها وهي تقول لها بلطف حيث ظنت أنها تعاني من اضطراب نفسي: يا حبيبتي ايه الكلام دة؟ انتي بنت يوسف الهواري يعني اختي.

دارين وهي تبعد وجهها عنها قليلا: اختك ولا بنت عمك؟ انا خلاص ما بقتش فاهمة حاجة.

تفاجأت سارة مما سمعته فسألتها: انتي جبتي الكلام الغريب دة منين؟

دارين وهي تشعر بالألم يعتصر فؤادها: دي حقيقة مش مجرد كلام.

ثم نظرت الى عبدالرحمن متحدية وهي تكمل: واسألي جوزك.

كانت دارين على يقين بأن الأمر لا يخفى على عبدالرحمن فهي تعلم انه مستودع الأسرار بالنسبة لمازن، فنظرت سارة الى عبدالرحمن بشك وهي تسأله: انت تعرف حاجة عن الموضوع دة يا عبدالرحمن؟

وفجأة وجد عبدالرحمن نفسه في موقف صعب لا يحسد عليه ولأنه لم يعتد على الكذب، لذا كان عليه البوح بالحقيقة مهما كانت النتائج.

****

رغم تأكده من كلام تلك الطبيبة وأن غادة بالفعل قد سافرت الى ألمانيا برفقة مازن الا ان هناك شيء بداخله رفض حقيقة انها قد تكون من هذا النوع من الفتيات فهي ليست فتاة مستهترة غير مسئولة أو مخادعة الى هذا الحد، لذا لم يكن أمامه سوى مكان واحد عليه الذهاب إليه ليقطع الشك باليقين فوجد نفسه بعد أن كان يقود سيارته بلا هدف، قد توجه بها الى ورشة والدها ولم يكن هناك مجالا للتراجع، فدخل الورشة وتوجه الى مكتب فؤاد الذي استقبله بالترحاب: اهلا بيك يا باشمهندس، دي خطوة عزيزة والله.

فرد عمر الذي حاول ان يبدو هادئا وطبيعيا قدر الامكان: اهلا بيك يا عمي.

فؤاد: تحب تشرب ايه بقا؟ ولا ابعت حد يجيبلنا غدا الاول؟

فرفض عمر عرضه بابتسامة مهذبة: لا مفيش داعي يا عمي، لو فنجان قهوة مظبوط يبقا كويس اوي.

وبالفعل ارسل فؤاد أحد العاملين بالورشة لاحضار القهوة من ذلك المقهى المجاور للورشة، ثم سأل عمر ذلك السؤال الذي كان يراوده منذ أن رآه يدخل مكتبه: خير بقا يا باشمهندس، محتاجين خشب ولا حاجة في المشروع الجديد؟

ثم أضاف مجيبا على نفسه بابتسامة مشككة: بس بتهيئلي لو الموضوع كدة كنت كلمت عبدالرحمن او حسام.

فرد حسام مؤكدا على تخمينه: لا يا عمي، انا مش جاي عشان شغل، هو بصراحة الموضوع اللي انا جاي لحضرتك عشانه كان لازم اكلمك فيه في البيت، بس ما قدرتش اصبر بقا لحد ما حضرتك تروح.

لم يعلق فؤاد بل اكتفى بنظرة ترقب لسماع ما هو قادم، حيث قال عمر بقليل من التردد: انا كنت جاي اطلب منك ايد بنتك الانسة غادة.

لم يبد فؤاد متفاجئا بطلبه وكأنه قد توقع ان يكون الأمر كذلك وهذا ما لاحظه عمر، اما طول صمته فجعله يخمن ان الرد على طلبه ربما يكون ان يخبره مثلا بأنه قد تأخر قليلا حيث لم تعد ابنته حرة بل انها ارتبطت بآخر، فقال بابتسامة مترددة يستحثه على الكلام فمهما كان الرد فسيكون أفضل من تلك الشكوك التي تتآكله: ما سمعتش ردك يعني يا عمي،يا ترى اقدر اعتبر سكوتك دة علامة الرضا ولا يمكن تكون شايفني مش مناسب فبتفكر في طريقة مناسبة تبلغني بيها رفضك؟

فقال فؤاد على الفور: العفو يا بني، انا لو فكرت في عريس لبنتي اكيد مش هلاقي احسن منك، بس انت عارف رأيها هي الأهم، وهي دلوقت مسافرة ومش هقدر أديك كلمة غير لما ترجع بالسلامة.

ها هو قد وصل الى النقطة التي يريدها عمر، سفرها! هذا بالضبط ما يود الاستفسار عنه، فقال محاولا ان يبدو سؤاله طبيعيا: اه انا عارف انها سافرت مع مازن المانيا، بس بصراحة مش عارف ايه الضرورة من سفرها دة؟

وبنظرات خبيرة لم يخف على فؤاد الغرض من وراء كلامه ذلك، ولأنه لا يحب ان

تصبح ابنته محلا للشبهات قرر ان يخبره بالحقيقة ولكن كان لا بد له التأكد من أمر ما، فوجه اليه سؤالا صريحا يحمل اتهاما ادهش عمر نفسه: انت بتشك في بنتي يا باشمهندس؟ واذا كان كدة فليه عاوز تتجوزها زي ما بتقول؟

وكأنه يقرأ أفكاره وهذا ما ألجم لسان عمر وأشعره بالحرج فقال محاولا تصحيح وضعه: العفو يا عمي، انا عارف ان الدكتورة غادة هي فوق مستوى الشبهات واستحالة تعمل اي تصرف يسيء لاسمها او لشخصها ويمكن دة اللي خلاني اتعلق بيها من اول ما شفتها تقريبا، بس انا عاوز أفهم.

بدت ان أجابته كانت مرضية لفؤاد فلم يضغط عليه أكثر بل قال بهدوء: وانا هقولك ع الحقيقة اللي هتخليك تفهم كل حاجة.

****

أخبر عبدالرحمن دارين وسارة كل ما يعرفه عن حقيقة نسبها وهما تستمعان اليه في ذهول، فقالت سارة غير مصدقة: معقول بابا يعمل كدة؟

فأحاط عبدالرحمن الذي كان يجلس بجوارها على الأريكة كتفها وهو يقول مطيبا خاطرها: انا آسف يا حبيبتي، ما

كنش لازم اقول الكلام دة ادامك بس انتي اللي اصريتي انك تكوني موجودة.

أما دارين فقد كان يشغلها أمر آخر، حيث سألته وقد جمدت دموعها على خديها: ومازن عرف كل دة وما رضيش يقولي؟

قال عبدالرحمن متوليا الدفاع عن صديقه: مازن كان خايف انه يجرحك مرة تانية، هو كان شايف ان كفاية عليكي صدمة انه مش اخوكي وحس انك مش هتقدري تستحملي الصدمة التانية.

فقالت دارين بتهكم: خايف عليا؟! مش لو كان فكر شوية كان اكتشف ان معلومة زي دي لو عرفتها كانت خلصتني من جوازي

من علاء بسهولة وما كنش اضطر هو انه يتجوز واحدة ما بيحسش ناحيتها بأي مشاعر.

استطاعت سارة ان تتغلب على صدمتها سريعا أو تؤجل التفكير بها قليلا لتساند أختها في أكثر وقت هي بحاجة اليها فيه، فقالت لها نافية: لا يا دارين، مازن فعلا بيحبك صدقيني كلنا شفنا دة في عنيه، طب اقولك على حاجة انتي يمكن اول مرة تسمعيها؟ عمر قالي انه لما راح يطلبك منه شاف في عنيه نظرة كدة أدهشته وكأنه بيقوله انت ازاي تتجرأ وتفكر انك تاخدها مني الانسانة اللي عمرها ما هتكون ملك لحد غيري؟ وساعتها انا ضحكت على

كلامه بس بعد ما اكتشفنا انكم مش اخوات عمر اتأكد انه فهم صح.

لم يمح كلامها تلك المرارة التي تشعر بها دارين، حيث قالت ولا يزال صوتها متهكما: اه، وعشان كدة جري ورا واحدة تانية، لا وسافر معاها ألمانيا، اكيد عشان يقضوا شهر العسل.

لقد وصل الأمر الى حد لا يمكن السكوت عليه، هكذا فكر عبدالرحمن ولكنه شعر انه مقيد بسبب ذلك الوعد السخيف الذي قطعه على نفسه أمام صديقه بألا يخبر أحدا بالحقيقة، ولكن ذلك الاتهام الخطير الذي لا يتعلق بصديقه فقط، بل

ايضا بتلك الفتاة التي لا تستحق منهم سوى كل احترام وتقدير، لذا قرر ان يرمي بوعده عرض الحائط، ويلقي بقنبلته دفعة واحدة: مازن ما سافرش المانيا عشان يتفسح او يقضي شهر العسل زي مانتي بتقولي.

وانتظر لحظة ليرى في عينيها نظرة ساخرة تدل على عدم تصديقها له لذا لم يتردد في أن يكمل: مازن سافر عشان يعمل عملية في القلب.

احتاجت لثوان كي تستوعب ما يقوله جيدا ، وليساعدها أكثر على ذلك أضاف: هو اكتشف ان عنده مرض خطير في القلب من

فترة والدكتورة غادة هي اللي كانت بتتابعه هنا وعشان كدة سافرت معاه.

علم انها قد استوعبت كلامه من آثار الصدمة التي بدت على وجهها والتي تشاركتها مع أختها، فقالت بانفعال واضح في غير تصديق وكادت أن تواصل بكاءها مجددا: انت اكيد بتهزر يا عبدالرحمن، صح؟

صمت عبدالرحمن ووجهه الحزين أخبراها بأن الأمر لم يكن مزاحا كما توقعت فليس من المعقول أن رجلا يملك شخصية كتلك التي يملكها عبدالرحمن أن يمزح في أمر كهذا، وبدأت تذرف دموعا كالشلال

ولكن هذه المرة بصمت وكأن عقلها لايزال رافضا لتلك الحقيقة، فقالت مستنكرة: طب ليه ما قاليش؟ ليه انا ابقا آخر واحدة تعرف بالموضوع دة؟ ليه حرمني من حقي في اني أقف جنبه في وقت زي دة؟

كلها أسئلة تصب في حقل واحد، فأجاب عبدالرحمن محاولا تمثل الهدوء: شكلك لسة ما عرفتيش مازن لحد دلوقت يا دارين؟ مازن ممكن يشارك كل الناس سعادته، لكن في أوجاعه فبيحب يحتفظ بيها لنفسه عشان ما بيحبش انه يشوف حد بيتألم علشانه فما بالك انتي بقا ؟ أكتر انسانة بيكره انه يشوف ولو نظرة حزن في عنيها.

لم يساعد كلامه سوى في زيادة كمية

الدموع والتي تتسابق في هجر مقلتيها

لتتأكد في تلك اللحظة من مشاعره نحوها

والأهم مشاعرها هي نحوه ولكن في وقت

متأخر، في وقت ربما هي على وشك أن

تخسره، لا! صرخة من أعماق فؤادها فهي لا

يمكنها حتى أن تفكر في ان شيئا كهذا

قد يحدث، لذا قالت لعبدالرحمن في شبه

توسل: طب هو في اي مستشفى؟ عاوزة

اروحله، ارجوك يا عبدالرحمن.

ولكن ما كان لعبدالرحمن الا ان قال لها

بأسف: صدقيني يا دارين، دي الحاجة

الوحيدة اللي ما رضيش يقولي عليها.

فصاحت دارين بعنف: يعني ايه؟ مفيش اي وسيلة توصلني ليه؟

عبدالرحمن بهدوء مصطنع: دكتورة غادة تقريبا بتتصل بيا كل يوم تطمني عليه، وامبارح قالتلي الدكتور قرر ان ميعاد العملية النهاردة.

ثم نظر الى ساعته ليضيف: تقريبا هو دخل اوضة العمليات من نص ساعة على حسب كلامها.

شعرت بأن قلبها كاد ينفجر حزنا وألما على ذلك الحبيب الذي تكاد تفقده بين لحظة وأخرى حتى قبل أن تصرح له بحبها، حتى قبل أن تعتذر منه على سوء ظنها به، وكأن

عبدالرحمن قد استنتج ما تفكر به، فقال
لها مواسيا: ان شاء اللّه هيقوم بالسلامة،
احنا مفيش حاجة في ايدنا دلوقت
نعملهاغير اننا ندعيله.

وكأنها تحتاج الى كلماته حتى تفكر في
القيام بذلك، ألا يعلم ان قلبها بالفعل قد
بدأ في الدعاء له مع كل خفقة من خفقاته
بعد أن علمت بهذا الخبر المؤلم الذي
بمثابة الكارثة بالنسبة لها؟ ألا يعلم ان
هذا الذي يرقد في غرفة العمليات في
الوقت الحالي بين الحياة والموت هو كل ما
تبقى لها في الوجود؟ فليته يعود سالما حتى
تخبره ذلك بنفسها!

****

:طب ارجعي معايا البيت، ماهو مش هينفع تقعدي هنا لوحدك.

كان هذا الصوت الراجي هو لعمر يحدث أخته من الرضاعة التي قد أصرت أن تظل في شقة مازن حتى يعود من سفره، فخلال العشرة أيام الماضية منذ أن علمت بمرض زوجها وذهابه للعلاج وانقطاع غادة عن الاتصال بهم منذ ذلك الحين حتى انهم لم يعلموا بنتيجة تلك العملية التي أجريت له، كانت دارين تشعر في كل يوم يمر عليها ولا يصلها فيه أي خبر عنه وكأنها هي المريضة وعلى وشك الموت الى ان شحب

لونها وظهرت تلك البقع السوداء حول عينيها والتي تدل على قلة النوم، ونحف جسمها لقلة الطعام الذي تتناول منه القليل وهو ما تقوت به نفسها، فردت دارين على طلب عمر بصوت ضعيف بدا عليه الارهاق: هنا بيتي يا عمر، ومش ناوية اسيبه مرة تانية مهما كان السبب.

لم يراجعها عمر فيما قالت بل انه حاول اقناعها بطريقة أخرى حيث قال لها: طب تعالي معايا وخليكي في الفيللا لحد ما مازن يرجع بالسلامة عشان ع الاقل أبقا مطمن عليكي انك في امان وسطينا.

دارين مؤكدة رغم ضعف صوتها: انا عمري ما هحس بالأمان غير هنا، يكفي ان المكان دة يكون ملكه عشان أحس فيه بالأمان حتى لو هو مش فيه.

عمر محاولا ثنيها عن قرارها بشتى الطرق: بس هو يا حبيبتي ممكن غيابه يطول....

ولم يكمل حيث قاطعته دارين بحدة: لا! مش ممكن، مازن عارف اني محتاجاله، عشان كدة هيرجع بسرعة.

ثم بدأت دموعها تتساقط فقد كانت تلك سلواها الوحيدة في الأيام السابقة وهي تكمل: هو أكتر من مرة وعدني انه هيفضل جنبي وعمره ما هيسيبني ومازن

دايما بيوفي بوعده أنا متأكدة من كدة، مازن عمره ما هيخذلني أبدا.

كانت على يقين من كل كلمة تقولها وكأن أمر عودته مرة أخرى يعتمد على قراره هو! فقط حبها له وثقتها في كلامه ووعوده خيلا له هذا.

****

ومرت الأيام بطيئة قاتلة ومازالت الأخبار منقطعة ودارين لا تغادر الشقة الا للضرورة القصوى، ترهف السمع على جرس الهاتف يرن معلنا عن خبر يريح فؤادها، أو انها تقضي معظم الوقت في الشرفة تنتظر عودته ولكن في كل ليلة تنام باكية

حيث يخيب أملها الى أن اكتمل الشهر وداريـن لا تمل الانتظار في الشرفة الى تلك الليلة وهي تعلم انها ستكون كسابقاتها، ليلة طويلة مؤرقة ومخيبة للآمال، ولكن كانت عكس توقعاتها فها هي سيارة أجرة تقف أمام البناية لتنزل منها صاحبة الوجه المألوف، تلك الطبيبة التي كانت برفقة زوجها ، فخفق قلبها بشدة وتعلقت عيناها بتلك السيارة تنتظر نزوله هو، ولكن ها هي السيارة تغادر دون أن يكون بها شخص آخر، ماذا يعني ذلك؟

وتسارعت ضربات قلبها بشكل يفوق الطبيعي وشعرت بأن الدنيا تميد بها حتى كادت تفقد وعيها، الا انها تمالكت نفسها

واستطاعت أن تجد القوة لتتجه الى باب الشقة وتخرج منه لتقابل غادة التي كانت قد وصلت الى باب شقتها للتو: غادة!

سمعت غادة اسمها يناديه ذلك الصوت المألوف قبل ان تمتد أصابعها لترن الجرس، فالتفتت الى دارين وهي لم تخف تلك الدهشة التي اعتلت وجهها: دارين! انتي هنا؟

لا يهم كل ذلك الآن فدارين لم تكن في حالة لتدخل في أي نوع من النقاش مع أحد حتى انها نسيت أن تسلم على تلك الفتاة التي عادت للتو الى منزلها بعد سفر دام لأكثر من شهر، وقفز السؤال على لسانها مباشرة: فين مازن؟

تردد غادة وارتباكها جعلت الكثير من الأفكار السيئة تتقاذف الى عقلها حتى انه لم يستطع تحمل ذلك، فارتخت قدماها وسقطت على الأرض فاقدة الوعي.

****

وقف في الشرفة ينظر الى بعيد وعيناه لا ترى ذلك الجمال الذي تقع عليه، فمنذ أن أتى الى تلك القرية السياحية وهو يقضي معظم الوقت اما في مكتبه لادارة القرية أو في غرفته يستعيد تلك الذكريات القديمة منذ خمس أو ست سنوات وهو يحث الأيام على ان تمر سريعا حتى يلتقي بصغيرته مجددا ويصارحها بحبه آملا في انها

قد تبادله نفس المشاعر، ولكن ايا من ذلك لم يحدث!

رن جرس الهاتف الأرضي ليخرجه من ذكرياته فرفع السماعة ليجيب على موظف الاستقبال بالفندق: الو....واحدة طالبة تقابلني انا؟ طب ما قالتش اسمها ايه؟.... مش راضية تقول؟..... طب خليها تروح المكتب وانا نازل حالا.

ثم تغير صوته الى الحدة ليقول وقد بدا عليه الانزعاج: يعني ايه طلعتلي الاوضة؟.... انتو ازاي سمحتولها بدة؟

وقبل ان يكمل تعنيفه لهذا الموظف سمع طرقا على الباب فقال ينهي المكالمة

مهددا: ع العموم، انا ليا كلام تاني معاكم بعدين.

وصفق سماعة الهاتف مكانها، ثم ذهب ليفتح الباب وقد علا الغضب ملامحه حتى رآها امامه وكأنه كان قد استدعاها في لاوعيه حين كان يفكر في ذكرياته معها، مفاجأته لرؤيتها جعلته يتسمر مكانه للحظات، الى ان قالت هي بصوت شابه التردد ونظرات ملأها الشوق: ممكن أدخل؟

لم يجب ولكنه عاد الى داخل جناحه وترك لها الباب مفتوحا، فدخلت وأغلقت الباب خلفها لتراه يقف أمامها عاقدا ذراعيه حول صدره وفي عينيه نظرات احتارت في

تفسيرها فلم تعلم ان كانت غضب أو عتاب أو ربما الاثنين معا، ولكن كان الجو بينهما مشحونا بالتوتر فأرادت تلطيفه حيث اختارت موضوعا لن يكون محل خلاف لتتحدث عنه وهي ترسم ابتسامة مترددة على شفتيها: على فكرة القرية بقت جميلة أوي، انا اول مرة اشوفها بعد ما خلصت.

رأته لم يبد أي استجابة او ردة فعل تسهل مهمتها، بل ظل ينظر اليها بترقب، فاختفت تلك البسمة عن وجهها، وقالت له بنبرة تحمل الكثير من الأسف ونظرات تعبر عن مدى الشوق الذي تشعر به حياله: حمدالله على سلامتك.

لم يهتم بالرد عليها، بل كان سؤاله ذو الحدة الواضحة: مين اللي قالك اني هنا؟

أخبرها سؤاله بأنها ربما لم تعد شخصا مرغوبا به، ولكن ذلك لم يثنيها عن عزمها، فقالت متصنعة ابتسامة حاولت ان تبدو مرحة: الدكتورة غادة، لما صعبت عليها رأفت بحالتي وقالتلي على مكانك، ما كنتش عاوزني آجي؟

كانت تنتظر الاجابة على ذلك السؤال بفارغ الصبر فسواء كانت بالايجاب او بالسلب فسوف توفر عليها الكثير، ولكنه بخل عليها بذلك، فسألها محاولا ان يكتم غضبه: انت عاوزة ايه يا دنيا؟

فقالت دارين مصححة: دارين! اسمي هو دارين الشرقاوي، اما دنيا الهواري دي واحدة تانية انا معرفهاش ولا ليا اي علاقة بيها، انا اللي اعرفه اني من ساعة ما وعيت ع الدنيا وانا فرد من افراد عيلة محمود الشرقاوي وهفضل كدة لحد ما اموت.

انتظرت منه ان يعلق على كلامها ولكنه اكتفى بنظرات شك نحوها، فاقتربت منه قليلا وهي تطرح سؤالها عليه لائمة: ليه ما قولتليش الحقيقة؟ ليه خليتني أشك فيك؟ ليه يا مازن؟

مازن مبديا استخفافه من أسئلتها: ودة كان هيفرق معاكي؟

دارين: كتير، كان هيفرق معايا كتير اوي، اكتر مما تتصور، ع الاقل كنت ابقى جنبك في أصعب لحظات حياتك.

مازن متهكما: عشان تردي الجميل، مش كدة؟

دارين نافية وهي تهز رأسها بعنف: لا، عشان كنت تديني فرصة ابينلك انا اد ايه بحبك.

لم يبد أن تلك الكلمة قد أثرت فيه، بل انه أدار ظهره لها وهو يقول ببرود: مفيش داعي للكلام دة دلوقت.

لم تيأس بسبب ردة فعله الباردة، بل وبتصميم خطت الى الأمام لتقف في

مواجهته مجددا: امال هيبقا ليه داعي امتى يا مازن؟

مازن معاتبا: يمكن زمان وقت ما عرضت حبي عليكي وانتي رفضتيه.

دارين محاولة الدفاع عن نفسها: كنت صغيرة ومش قادرة افهم مشاعري، وانت عودتني دايما انك صاحب القرار في كل حاجة تخصني، اشمعنى في دي سيبتني آخد القرار بنفسي؟

مازن وهو ينظر الى عينيها بعمق: لان دي الحاجة الوحيدة اللي ما كنش ينفع أجبرك عليها، كان لازم تكون برضاكي.

فاعترضت دارين على كلامه لتقول مستنكرة: بالعكس، دة هي دي الحاجة الوحيدة اللي كان لازم تتدخل فيها، كان لازم تعلمني ازاي أحبك كزوج وحبيب، زي ما علمتني ازاي أحبك كأب وأخ وصديق.

ثم اقتربت منه أكثر حتى استطاعت أن ترى نظراته القاتمة لتكمل: مازن! انا عارفة انك تعبت واتعذبت معايا كتير، وكمان صبرت عليا اكتر، بس ممكن اطمع في كرمك شوية كمان؟ واوعدك اني هحاول على اد ما اقدر اني اعوضك عن كل دة، واكون زوجة مطيعة وكمان....

صمتت فجأة وكأنها على وشك ان تقطع وعدا يصعب عليها تنفيذه لتقول بصوت طفولي: هبطل اتفرج على توم وجيري.

وها هي تحصل على ابتسامته المتألقة التي أعطتها دفعة في ان تسأله متشبثة بذراعه: خلاص سامحتني؟

فهز رأسه بالايجاب، فسألته: طيب انا سايبة شنطة هدومي تحت ممكن تكلمهم يبعتوها؟

ومرة أخرى يهز رأسه بالايجاب وهو لا يبدي استعداد للحراك من مكانه ولا لتحويل نظراته الشغوفة عنها، ولتتهرب منها، سألته وهي تنظر الى ذلك السرير الذي يتوسط

الحجرة: هو مفيش سرير تاني عشان أنام عليه؟

وجه اليها نظرة تحذير تنذر بالشر، فقالت على الفور مستسلمة فهي لم تطرح هذا السؤال سوى لمشاكسته: خلاص خلاص، انا بردو شايفة انه كبير وهيساعنا احنا الاتنين.

****

وتتوالى الأيام حتى اجتمع الأصدقاء الثلاثة بصحبة زوجاتهم في تلك الفيللا الصغيرة التي قد اشتراها مازن ليسكن فيها هو وزوجته، وقد دعا صديقيه لحفل شواء في حديقة الفيللا، وقد تولى الرجال عملية

الشواء بينما جلست النساء تستظل من أشعة الشمس تحت تلك الشمسية الكبيرة، فأحضر حسام أول طبق قدمه لزوجته ليقول لها بحب: روح قلبي، انا سرقتلك الطبق دة، بالهنا والشفا.

فمصمصت سارة التي كانت تحمل طفلا رضيعا بين يديها شفتيها وهي تقول لدارين التي قد برزت بطنها قليلا نتيجة الحمل: حسرة علينا يا ختي، الا ما فيه حد من اجوازنا افتكرنا ولو بسيخ فاضي.

فأتها الرد من خلفها ، ليقول عبد الرحمن الذي كان بدوره يحمل طبقا اكبر مما يحمله حسام: وانا أقدر بردو يا ام صهيب!

وأتى مازن حاملا ما تبقى وهو يقول موبخا عبدالرحمن: يا أخي أوعى كدة وانت عقدت الواد وهو لسة بيرضع، بقا فيه طفل يبقا اسمه صهيب؟

عبدالرحمن رد عليه معنفا: وانت ايه فهمك انت في الحاجات دي، لما نشوف بقا انتوا هتسموا ايه؟

فقال مازن وهو يمسك يد زوجته مقبلا اياها وقد أصابها الخجل من حركته تلك: لا في دي بقا مفيش اي مجال للمنافسة، انا وحبيبتي متفقين لو ولد يبقا محمود ولو بنت تبقا عفاف.

فقالت ايمان معلقة بابتسامة لطيفة: ربنا يقومها بالسلامة الاول اما الاسماء دي فتيجي بعدين.

كانت ايمان تتكلم بكل صدق وحب، فهي لم تعد تشعر بأي حساسية تجاه هذا الموضوع كما كانت سابقا، وكيف ذلك وقد عوضها اللّه بمهجتيها علي وعلياء؟!

وغمز مازن فجأة لعبدالرحمن الذي كان منشغلا بمداعبة طفله هو وزوجته: ايه رأيك بقا يا عبده؟ مفيش بردو حب بالاكراه؟

فجذب المصطلح انتباه الجميع، وسألت سارة زوجها دهشة: يعني ايه حب بالاكراه يا عبدالرحمن؟

وكان الجميع في ترقب لسماع جوابه.

****
***

وفي وقت لاحق بعد ان عاد عبدالرجمن وزوجته الى شقتهما وجلسا سويا يحتسيان القهوة في حجرة الجلوس، قالت زوجته: ما قولتليش بقا ايه هو الحب بالاكراه دة اللي كنتوا بتتكلموا عنه انت ومازن، انت هناك توهت الموضوع وهربت من الاجابة، لكن انا بجد عاوزة اعرف هو فيه بجد اجبار في الحب؟

فابتسم عبدالرحمن من الحاح زوجته واجاب: هو مش اجبار بالمعنى الصحيح، بس هو نوع من انواع الحصار بيفرضه الحبيب على الشخص اللي بيحبه بكل الطرق، لحد ما بيخليه مش شايف اي ملجأ غيره ففي النهاية مش بيكون ادامه غير انه يستسلم ويرفع الراية البيضا عشان يعلن حبه للتاني.

سارة بابتسمة شقية: وهو دة نفس الاسلوب اللي انت اتبعته معايا.

عبدالرحمن مقرا: وهو بردو نفس الاسلوب اللي اتبعه مازن مع دارين وحسام مع ايمان، ومين عارف؟

****

وفي مكان آخر كانت غادة تقف أمام سيارتها تبحث عن مفتاحها في حقيبة يده فرأته يتدلى أمام عينيها في أصابع عمر الذي قال لها: وقع منك.

غادة مبتسمة بامتنان : متشكرة يا باشمهندس.

عمر بنظرة معذبة: غادة! انا لسة مستني لحد دلوقت ردك، وبردو مش عاوز أستعجلك، بس اديني امل، اي سبب للانتظار.

غادة بنظرة مترددة: انا مش عارفة اقولك ايه يا باشمهندس؟ بس انا لسة مش قادرة احدد مشاعري ناحيتك.

عمر: أعتبر دة رفض؟

فسارعت غادة الى النفي دون قصد: لا، انا ما قولتش كدة، بس لسة محتاجة وقت.

سرعتها في انكار رفضها له، اعطته المزيد من الامل، فابتسم لها باشراق وتصميم وهو يقول: وانا هستناكي مهما طال الوقت.

وها هي تبدأ جولة جديدة من تلك اللعبة التي أطلق عليها كل من عبدالرحمن ومازن اسم حب بالاكراه، فهل سيكون لعمر نفس حظهما بالفوز فيها؟ ام انه سيكون الخاسر الوحيد؟

****

تمت

****

حكاوي الكتب للنشر الالكتروني
www.hakawelkotob.com